بسم الله الرحمن الرحيم

المؤرخ المصري

دراسات وبحوث في التاريخ والحضارة

يصدرها قسم التاريخ
كلية الآداب - جامعة القاهرة

العـــدد الثلاثـــون

أبريل ٢٠٠٧م

المراسلات : ترسل البحوث والمقالات باسم السيدة الأستاذة الدكتور محمد بركات البيلي رئيس التحرير على العنوان التالي : كليـة الآداب ـ جامعة القاهرة (قسم التاريخ) بريد الأورمان ــ محافظة الجيزة.

All Correspondence to be directed to : Editor-in Chief : Prof. Mohammed Barakat Al-Beily, Cairo University, Faculty of Arts, Orman, Giza, A.R.E.

قواعد النشر

- ترحب المؤرخ المصري بنشر الأبحاث والدراسات الأصلية ذات المستوى الجاد بعد التحكيم، فضلاً عن مراجعات وعرض الكتب الجديدة.
- تقبل المؤرخ المصري للنشر الأبحاث التاريخية والحضارية المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية على ألا يزيد عدد الصفحات عن ٣٠ صفحة مسجلة على ديسك كمبيوتر وفق برنامج (Word) مع نسخة مطبوعة على ورق حجم A4 بما في ذلك الهوامش والجداول وقائمة المراجع، على أن تكتب الهوامش في نهاية البحث.
- المؤرخ المصري لا تنشر بحوثاً سبق أن نشرت أو معروضة للنشر في مكان آخر، وتقوم رئاسة التحرير بإخطار المؤلفين بإجازة بحوثهم للنشر بعد عرضها على هيئة التحكيم.
- تحتفظ المؤرخ المصري لنفسها بحق قبول أو رفض الأبحاث أيّا كان قرار هيئة التحكيم.
- النشر في المؤرخ المصري متاح لأعضاء هيئة التدريس بالجامعات المصرية والعربية والأجنبية وسائر المهتمين بالدراسات التاريخية.
- الآراء الواردة بالمؤرخ المصري تعبر عن وجهة نظر أصحابها.

شكر للسادة الأساتذة الذين شاركوا في تحكيم هذا العـدد، وهـم وفقًا لترتيب البحوث بالمجلة، على التوالي :

١- أ.د. حامد زيان غانم

٢- أ.د. عطية أحمد القوصي

٣- أ.د. عبادة كحيلة

٤- أ.د. إسماعيل زين العابدين

٥- أ.د. محمد عفيفي

محتويات العدد

بسم الله الرحمن الرحيم

أعزائي قراءة مجلة المؤرخ المصري ...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

نظرًا لبعض ظروف قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة ــ صاحب حقوق نشر مجلة المؤرخ المصري ــ والتي تمثلت في تغيير رئاسة مجلس قسم التاريخ وما ترتب على ذلك من تغيير في هيئة تحرير مجلة المؤرخ المصري فقد تأخر العدد الثلاثون (عدد يناير ٢٠٠٧) لبعض الوقت.

وها نحن ــ بعون من الله وتوفيقه ــ نخرج إليكم العدد الثلاثين في شكل متجدد إذ أضفنا على غلافه شعار كلية الآداب مع شعار جامعة القاهرة (جحوتي)، وقصرنا هيئة تحرير المجلة على الأساتذة العاملين بقسم التاريخ بعد أن تضخمت هيئة التحرير في الأعداد السابقة تضخمًا لافتًا للنظر، ونحن إذ نقدم على ذلك نسجل امتناننا واعترافنا بالفضل والسبق لكل الأساتذة الذين سبقوا إلى التفرغ راجين الله أن يمد في أعمارهم وأن يمتعهم بالصحة والعافية.

أعزائي قراء المؤرخ المصري ..

يشتمل العدد الثلاثون من مجلتكم العريقة على ستة بحوث في التاريخ والحضارة فضلاً عن كشاف عام لكل البحوث التي نشرت في مجلة المؤرخ

المصري من عددها الأول إلى العدد الثلاثين وذلك تيسيرًا على كل الباحثين والمهتمين ممن يريدون التعرف على إصدارات المؤرخ المصري.

ولا يفوتنا – ونحن نتولى مسئولية رئاسة تحرير هذه الدورية العلمية العريقة – أن نشكر رئيسة التحرير السابقة الأستاذة الدكتور ليلى عبدالجواد التي أكملت مسيرة رؤساء التحرير السابقين في الحفاظ على استمرارية هذه المجلة وإعلاء شأنها بين الدوريات العلمية المتخصصة ونسأل الله – جل وعلا – أن يوفقنا في السير على خطى من سبقنا وأن نعلي البناء الذي وضعوا أساسه.

وبالله التوفيق ...

رئيس التحرير

أ.د. محمد بركات البيلي

رئيس مجلس قسم التاريخ

تجارة الكارم في العصر المملوكي

د. سعود محمد العصفور
جامعة الكويت
كلية الآداب ـــ قسم التاريخ

Abstract

Spices were considered one of the most important goods during the Mameluke's era. Our evidence for this is that spices were of the Mameluke Sultanic Stores' specialty. The main reason lies on the large profit that dealers earn out of it.

Merchants of the Mameluke's era felt the necessity of sharing that profit with the Sultans. They tried excessively to cast off the rescripts set by Sultans in order for them to keep desirous and their ambitions away. Some were lucky and gained their goals and high stature within the Mameluke society's circles.

Meanwhile, Europe was in an insistent need of East's goods, the ones that Mamelukes imported from India, especially spices. Europeans felt that they were being unjustly treated due to the facts that Mamelukes were gaining large profits, which was a heavy burden on their shoulders. Hence they tried all the possible means to express their malcontent; tried their best to get to the main source of those goods to get it in a reasonable price.

Due to the great importance of spices to the Mameluke economy, the shortage in profit that Sultanate earns affects its strength in a negative way. Moreover, it represents one of the major tools that help in whipping it out; accordingly, Sultanic Mamelukes tried to retain these goods either by peace or war. This is what the research is concerned with.

ملخص البحث

يعد الكارم من السلع التي كان لها أهمية خاصة في العصر المملوكي، ودليلنا على ذلك أن الاتجار بها كان يختص به المتجر السلطاني المملوكي، ونعلم أن السبب الأساس في ذلك هو ما يجنيه المتعامل في هذه السلعة من أرباح كبيرة.

وقد شعر التجار في العصر المملوكي بأن عليهم أن يقاسموا السلاطين ذاك الربح، وحاولوا جاهدين الفكاك من المراسيم التي أصدرها أولئك السلاطين للحد من طموح الطامعين في المتاجرة بهذه السلعة، وقد حالف البعض الحظ فنالوا غايتهم، ونالوا مكانة كبيرة في أوساط المجتمع المملوكي .

وكانت أوروبا آنذاك في حاجة ملحة لحاصلات الشرق التي يجلبها المماليك من بلاد الهند، وبصورة خاصة الكارم، وقد شعر الأوروبيون بالغبن نتيجة لما يجنيه سلاطين المماليك من أرباح وفيرة أثقلت كواهلهم، لذا حاولوا استخدام كل الوسائل المتاحة في سبيل التعبير عن سخطهم، وبذلوا كل جهد في سبيل الوصول إلى المصدر الأساس لهذه السلعة رغبة في الحصول عليها بسعر مناسب .

ولما كانت أهمية الكارم في الاقتصاد المملوكي كبيرة، فإن تقليل الأرباح التي تجنيها السلطنة منها يؤثر سلباً على قوتها، ويمثل بذا أحد الوسائل التي ساهمت في زوالها، لذا حاول سلاطين المماليك الدفاع عن هذه السلعة سلماً وحرباً مع خصومهم. والبحث هو محاولة لتجلية ذلك كله.

كثيرة هي الموارد التي لها في العصر المملوكي مكانة كبيرة في الإقتصاد، احتكرها المتجر السلطاني أو اعتبرت ملكاً للسلطان المملوكي، فلا يجوز بحال لأحد الرعايا المتاجرة بها، أو الإستفادة منها إلا بدفع الرسوم المقررة. ومن بين تلك الموارد: السنط، والذهب، والزمرد، والنطرون، والشب، والكارم[١]، لكن المورد الأخير يمثل بالنسبة للسلطنة المملوكية أهمية خاصة، ذلك أن الدول المحيطة بالسلطنة باتت تشعر بأن ما يجنيه المماليك من تجارة الكارم مثل ربحاً وفيراً، لذا طمعت في مقاسمتها ذاك الربح، ووجدت أيضاً في ذلك سبباً في تقويض أركانها. من هنا، فإن الحديث عن تجارة الكارم له أهميته في العصر المملوكي .

وسوف نتناول في البحث تعريف الكارم ومصدره، ثم نبين مكانة تجاره في العصر المملوكي، ومن نالوا شهرة في الاتجار به، أو مباشرين تولوا التحدث عنه، ثم نتعرف على مدى سيطرة المماليك على تجارته، وفي كون الكارم سبباً في فتح قبرص، ونوضح تجدد خطر الفرنجة بعد فتح قبرص، ثم اتساع سيطرة المماليك على تجارته، وأخيراً نتحدث عن الكارم كأحد أسباب سقوط سلطنة المماليك .

أولاً : تعريف الكارم ومصدره :

والكارم : هو البهار من الفلفل والقرنفل ونحوهما مما يجلب إلى مصر من الهند والسند عن طريق ثغور اليمن، ويسمى أيضاً : " الكانم " نسبة لتجار الكارم الذين كان معظمهم في الأصل من بلاد الكانم الإسلامية التي تقع بين بحر الغزال وبحيرة تشاد بالسودان الغربي. ومن يتداول هذه السلعة من التجار يسمى: " كارمي "، ويجمع على : " كارمية "، و" أكارم ". ويطلق على التجارة بوجه العموم : " التجارة الكارمية "[٢]. ويخزن الكارم السلطاني عادة في الحواصل الشريفة[٣].

وللكارم في دمشق قيسارية خاصة تجتمع فيها المحال التجارية التي تختص ببيعه، وتسمى: " قيسارية البهار "، وتقع قبلي قيسارية نائب الشام الأمير سيف الدين تنكز، أما مالك القيسارية فهو أبوبكر بن شعبان الرجبي الذي أوقف هذه القيسارية على نائب دمشق الأمير سيباي بعد وفاته[٤].

وقد يتأخر وصول الكارم من مصدره، فيقع الضرر على التجار المتعاملين فيه، من ذلك: وقوع الضرر على تجار الكارم سنة ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م لتأخر وصول

الكارم نتيجة قيام أمير مكة بمنع مجيئه، وعلل فعله هذا بقلة الجمال التي تحمله، وغلاء السعر، وضيق الحال الناجم عن الصراع بين السلطان الناصر أحمد بن الناصر محمد بن قلاوون المخلوع وأخيه السلطان الصالح إسماعيل[٥].

وكذلك ما حدث سنة ٩٠٢ هـ / ١٤٩٦ م حينما تأخر وصول الكارم إلى الأراضي المقدسة، الأمر الذي تسبب في وقوع خسائر فادحة على التجار المتعاملين فيه، وقد أطلق بعض التجار على السنة أنها سنة حج لا سنة تجارة[٦].

ثانياً : أهمية الكارم كسلعة :

وكان لهذه التجارة شأن عظيم في العصر المملوكي، ويمكن إجمال أهميتها فيما يلي :

١- الكارم سلعة غالية مربحة يختص بها المتجر السلطاني :

والكارم سلعة غالية الثمن، لذا فإن السلاطين والملوك يجعلونها ضمن هداياهم، ومن ذلك: قدوم رسول الملك المؤيد صاحب اليمن سنة ٧٠٥ هـ / ١٣٠٥ م إلى مصر، ومعه هدية ثمينة من البهار والقنا والشاشات والتحف للسلطان الناصر محمد بن قلاوون[٧].

ونظراً للأرباح التي يجنيها التاجر المتداول لسلعة الكارم، كان الكارم سلعة السلاطين، يختصون بها في متجرهم، ويمنعون تداولها إلا على التجار الذين يدفعون لهم ضرائب مقررة، بل يحرم على أولئك التجار بيع الكارم لتجار الفرنجة، لأن ذلك من حق السلطان فقط. فقد أصدر السلطان الأشرف برسباي مرسوماً في شهر المحرم من سنة ٨٣٢ هـ / أكتوبر ١٤٢٨ م يتضمن أن لا ينصب قبان لوزن بضاعة أحد من التجار، ومنعهم كافة من بيع البهار على الفرنجة، وألزم الفرنجة بشراء الفلفل السلطاني المحضر من جدة بمائة وعشرين ديناراً للحمل، وكان قد اشتراه السلطان من التجار بثمانين؛ فأخذ الفرنجة ما وصلت قدرة مباشري السلطان أن يبيعوه عليهم. ولم يبع التجار عليهم ولم يشتروا منهم شيئاً، فرجع الفرنجة بغالب بضائعهم إلى بلادهم، وحصل للتجار بذلك غاية الأذى والضرر[٨].

ومنه أيضاً ما حدث في شهر جمادى الأولى من سنة ٨٣٣ هـ/ ينساير ١٤٢٩م حيث تم احضار تجار الكارم من مدينة الإسكندرية، فمثلوا بين يدي المواقف الشريفة –

وهي مقام السلطان وهيئة ديوانه - وألزموا أن لا يبيع أحد منهم شيئاً من أصناف البضائع التي تجلب من الهند والسند كالفلفل ونحوه على تجار الفرنجة، وتم تهديدهم إن هم فعلوا ذلك. وحقيقة الأمر أن السلطان الأشرف برسباي أقام طائفة من وكلائه تشتري له البضائع وتبيعها، حتى إذا ما وصلت المراكب إلى جدة أخذوا منها المكوس فلفلا وغير ذلك، وحملت في بحر القلزم من جدة إلى الطور، ثم تسير بعد ذلك إلى أن تصل إلى الإسكندرية، هذا مع إلزام الفرنجة أن يشتروا الحمل من الفلفل بمائة وثلاثين ديناراً، في حين أن قيمته بالقاهرة خمسون ديناراً. وبلغ السلطان الأشرف أن بعض التجار لم يلتزم بما صدر من أمر منع البيع للفرنج، وفاوض الفرنجة على أن يبيع لهم الفلفل بأربعة وستين ديناراً للحمل، فأبوا أن يشتروه بهذا الثمن، ودفعوا له تسعة وخمسين ديناراً، فأمر السلطان الأشرف أن يشترى كل ما عند التجار من الكارم بسبعة وخمسين ديناراً، ليبيعه هو على تجار الفرنجة بأكثر من ذلك[٩].

ومنه أيضاً : المرسوم السلطاني الصادر في ربيع الآخر من سنة ٨٣٩ هـ / أكتوبر ١٤٣٥م عن ديوان السلطان الأشرف برسباي بمنع تجار الكارم من بيع وشراء الفلفل، وأن هذا الصنف صار مخصوصاً بالسلطان لا يبيعه ولا يشتريه إلا هو بالخصوص. ولا يقتصر المنع على تجار الكارم بمصر فقط، بل كل من كان تابعاً للسلطنة المملوكية يخضع لمرسوم المنع[١٠].

٢ – عد الكارم من الأصناف التي تجب فيها الزكاة :

ويعد سلاطين المماليك الكارم من أصناف السلع التي تجب فيها الزكاة، فإذا كان بالبلد الواقع ضمن حدود السلطنة المملوكية أحد المتاجر التي يقوم صاحبها بالإتجار بالكارم فيها وحال على الكارم الحول، أخذوا عليه النصاب المقدر للزكاة، ويجري على ذلك ما يتحصل بالإسكندرية وغيرها من المدن[١١].

٣ – للكارم ناظر خاص به :

و" ناظر البهار والكارمي " : هو من يتحدث على ما يصل من التجارة الكارمية القادمة من اليمن من أصناف البهار وأنواع المتجر، ووظيفته جليلة القدر، تارة تضاف إلى الوزارة وتجعل تبعاً لها، وتارة تضاف إلى وظيفة الخاص وتجعل تبعاً لها، وتارة تنفرد عنهما بحسب ما يراه السلطان المملوكي[١٢].

ومن الذين تولوا وظيفة نظارة الكارم : أكرم بن خطيرة القبطي الذي يلقب بكريم الدين الصغير، تسمى بعد إسلامه عبدالكريم. وقد تولاها في جمادى الأولى من سنة ٧١٧ هـ / ١٣١٧ م، وكان أكرم قد تولى المتجر السلطاني، والخاص السلطاني، وعلت مكانته في السلطنة المملوكية وارتفع قدره، وتشدد في الأمور كلها ظلماً للعامة والخاصة، حتى كان أكابر الأمراء يكرهونه وكذا عامة الناس، ثم كانت عاقبته وخيمة، حيث نفي إلى أسوان وأغرق بالبحر في أواخر سنة ٧٢٦ هـ / ١٣٢٥م[١٣].

وتولى نظارة الكارم أيضاً سعد الدين نصر الله بن البقري، وقد أضيفت إليه إلى جانب نظارته للذخيرة، ونظر الخاص، ونظر الأملاك والمستأجرات السلطانية. وقد تولاها في شهر شوال من سنة ٧٨٢ هـ / ديسمبر ١٣٨٠م[١٤].

٤- للكارم شاد خاص به :

ولتجارة الكارم من يقوم بمراقبة من يحترفها ويسمى " شاد الكارم ". ومن الذين تولوا هذه الوظيفة بمصر الأمير الوزير شهاب الدين أحمد بن الحاج عمر، المعروف بابن قطينة الحسني، وقد تقلدها في زمن السلطان الظاهر برقوق، وامتحن مراراً، تولى الوزارة في سنة ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩ م، وعزل عنها بعد أسبوع، وتقلبت به الأحوال إلى مات سنة ٨١٩ هـ / ١٤١٦م[١٥]. أما في دمشق فيتولى شاد الزكاة التحدث على متجر الكارم ونحوه، وكانت تلك الوظيفة قبل العصر المملوكي إمرة عشرة، وفي عصرهم كان متوليها جندي، ويكتب له توقيع كريم عن النائب[١٦].

٥- للكارم مستوف خاص به :

وقد عين لتجارة الكارم من كتاب الأموال من يقوم بضبط الأموال المتحصلة من الضرائب المقررة عليها، والتنبيه على مواعيد جبايتها، والإبلاغ عن أي تأخير أو إهمال في ذلك، ويسمى " مستوفي الكارم ". ومن جملة من تولى هذه الوظيفة : القاضي قيم الدين بن الشيخ، الذي وافاه الأجل المحتوم أثناء توجهه للطور لتأدية مهام وظيفته كمستوف للبهار الكارمي[١٧].

٦- تقترض السلطنة من تجار الكارم :

ونظراً لثراء تجار الكارم وربحهم الوفير من الإتجار بهذه السلعة النفيسة، فإن السلطنة المملوكية تعمد إليهم في الشدائد لأجل إقراضها، أو إقراض غيرها من أجل

تحصيل ديون لها. ومن ذلك : أن مدبر الدولة الأمير علم الدين الشجاعي طلب تجار الكارم بمصر في المحرم من سنة ٦٨٧ هـ / فبراير ١٢٨٨ م، وأمرهم أن يقرضوا جماعة من أهل دمشق، منهم : عزالدين حمزة بن القلانسي، ونصيرالدين بن سويد، وشمس الدين محمد بن يمن، وجمال الدين بن صصري، وقاضي القضاة حسام الدين الحنفي، والصاحب تقي الدين توبة، وشمس الدين بن غانم مالاً كان قد قرر عليهم وألزموا بدفعه تسوية عن قيمة أملاك استولوا عليها من الدولة دون وجه حق. ففعل تجار الكارم ذلك، وكتب على الدماشقة المذكورين مساطير بما اقترضوه من تجار الكارم، وحملوا ما أخذوه إلى بيت المال، وأذن لهم في العودة إلى دمشق، فلم يجدوا بداً من وفاء دينهم الذي التزموا به لتجار الكارم(١٨).

وعند مسير السلطان الناصر محمد بن قلاوون سنة ٦٩٩ هـ / ١٢٩٩ م إلى الشام لمواجهة جيش غازان طلب من والي القاهرة ناصر الدين محمد بن الشيخي النظر في أموال التجار من مياسير الناس لتغطية نفقات الجيش، ومن التجار الذين كانوا في صدارة من اقترض منهم الوالي بن الشيخي لذلك الغرض تجار الكارم(١٩).

وفي جمادى الأولى من سنة ٧١١ هـ / سبتمبر ١٣١١ م اشترى السلطان الناصر محمد بن قلاوون من تجار الفرنجة جواهر وغير ذلك، وبلغ ثمن ما اشتراه ستة عشر ألف دينار، فأحال السلطان الفرنجة إلى وكيله كريم الدين أكرم عبد الكريم الكبير ليدفع لهم المبلغ المذكور ؛ فذكر كريم الدين للسلطان أن تجار الفرنجة سوف يسافرون بعد ثلاثة أيام، فحلفه السلطان ألا يؤخرهم عن ثلاثة أيام ؛ فنزل كريم الدين إلى داره وهو في مأزق حرج لعدم توفر المال اللازم لشراء احتياجات السلطان.

عمد كريم الدين إلى استشارة الأمير علاء الدين بن هلال الدولة، والصلاح الشرابيشي، فحسنا له أخذ حاصل المارستان، والاقتراض من تجار الكارم بقية المبلغ – وكان تجار الكارم بمصر حينئذ في عدة وافرة ولهم أموال عظيمة – ومضى من الأجل يومان، وأصبح في اليوم الثالث آخر الأجل، فأتاه الفرنجة وقت الظهر لقبض المال، فاشتد قلقه وأبطأ عليه حضور تجار الكارم. وبينما هو كذلك إذ أتاه تجار الكارم، فنظر بعضهم إلى واحد من الفرنجة له عنده مبلغ عشرين ألف دينار قراضاً ؛ فسأل التجار الفرنجة عن سبب جلوسهم على باب كريم الدين، فقالوا : " لنا عليه حوالة من قبل

السلطان بمال، وقد وعدنا بقبضه اليوم ". فطالبهم الكارمي بماله من مبلغ القراض، فوعدوه بأدائه. وبلغ ذلك كريم الدين، فسر به سروراً عظيماً وكتم الخبر ؛ وأمر بتجار الكارم وتجار الفرنجة فدخلوا عليه، فلم يعرِّف تجار الكارم بشيئ من أمره، ولا طلبهم ليقترض منهم مالاً ؛ بل قال : " ما بالكم مع الفرنجة ؟ "، فعرفوه أمر القراض الذي عند الإفرنجي، فقال لهم :" مهما كان عند الإفرنجي هو عندي ".

فرح الفرنجة بذلك، وأحالوا التاجر الكارمي على كريم الدين بستة عشرة ألف دينار، وهو المبلغ الذي وجب عليه بحوالة السلطان، ودفعوا أربعة آلاف تتمة عشرين ألف للكارمي، وقام الفرنجة وقد خلص كريم الدين من تبعتهم بغير مال، والتزم للكارمي بالمبلغ، فمضى هو وبقية التجار من غير أن يقترض منهم شيئاً. فعد هذا من غرائب الحوادث[٢٠].

وقرر السلطان الناصر بدرالدين الحسن بن محمد بن قلاوون سنة ٧٥٢ هـ / ١٣٥١م على الملك المجاهد علي بن المؤيد داود بن المظفر صاحب اليمن – الذي كان قد عزم من قبل على أخذ مكة وكسوة الكعبة – أن يدفع أربعمائة ألف دينار يقترضها من تجار الكارم جزاء لفعلته الشنيعة. لكن الأمير طاز ما زال يتشفع في أمر الملك المجاهد حتى عفي عنه، وأفرج أيضاً عن وزيره وخادمه وحواشيه، وأنعم عليه بمال، وأعفاه من المال الذي قرره عليه. فاستأذن الملك المجاهد بعدما أفرج عنه من السلطان الناصر بالسفر إلى بلاده، فأذن له بذلك، وعند شروعه بالرحيل اقترض المجاهد من تجار الكارم في مصر واليمن، فبعثوا له ما أراد[٢١].

ومن اللطائف : أن التاجر الكارمي شهاب الدين بن الكويك أصابته شدة وفاقة، فطلب من الشاعر الشيخ قاضي القضاة تقي الدين محمد بن علي بن وهب القشيري، المعروف بابن دقيق العيد أن يكتب له ورقة يتشفع بها لعطاء الملك المجاهد صاحب اليمن، فكتب له ورقة لطيفة فيها :

تجادل أرباب الفضائل إذا رأوا	بضاعتهم موكوسة الحظ في الثمن
وقالوا عرضناها فلم نلف طالباً	ولا من له في مثلها نظر حسن
ولم يبق إلا رفضها وإطراحها	فقلت لهم لا تعجلوا السوق باليمن

وأرسلها إليه. فأرسل له الملك المجاهد مائتي دينار، واستمر يرسلها له في كل

سنة إلى أن مات صاحب اليمن[٢٢].

ولما أراد السلطان الصالح صلاح الدين بن محمد بن قلاوون الشروع في قتال غريمه الأمير بيبغا ومن معه من النواب والعساكر، ومعهم أيضاً ابن دلغادر بتركمانه، وجبار بن مهنا بعربانه، كتب الأمير أرغون الكاملي نائب الشام للسلطان الصالح بضرورة المجيئ إلى الشام وحذره مغبة التأخر عن ذلك فقال : " وإلا خرج عنكم الشام جميعه ". فاتفق رأي الأمراء على الخروج، وطلب السلطان الصالح من الوزير علم الدين عبدالله بن زنبور بتهيئة بيوت السلطان وتجهيز الإقامات في المنازل ؛ فذكر ابن زنبور للسلطان أنه ليس عنده من المال ما يمكنه من تنفيذ أمره، فرسم له السلطان أن يقترض ما يحتاج إليه من التجار، فطلب تجار الكارم وباعهم غلالاً من الأهراء بالسعر الحاضر، وعدة أصناف أخرى[٢٣].

بل قد يتعدى الأمر أن يكون ما عند تجار الكارم نهباً للسلطة المملوكية إذا استلزم عاجل الأمر. ومن ذلك : أن المماليك السلطانية في سنة ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م اشتكوا من تأخر كسوتهم، فطلب السلطان الناصر محمد بن قلاوون من شرف الدين عبد الوهاب النشو ناظر الخاص وألزمه بتحصيل كسوتهم من الغد، ومعها مبلغ عشرين ألف دينار. وقام النشو بتنفيذ هذا الأمر، فألزم الطيبي ناظر المواريث بتحصيل خمسة آلاف دينار، وبعث المقدمين إلى الأسواق، ففتحوا حوانيت التجار، وأخذوا كسوة المماليك وحوائصهم وأخفافهم ونعالهم وغير ذلك، وأخذوا مركباً لبعض تجار الكارم فيه عدة بضائع، طرحوها على الناس بثلاثة أمثال قيمتها[٢٤].

وفي بعض الأحيان يعجز ناظر الخاص عن تحصيل المال المقرر من تجار البهار. ومن ذلك : طلب السلطان الظاهر خشقدم في شهر شوال من سنة ٨٦٥ هـ / يوليو ١٤٦٠ م من ناظر الخاص الأمير زين الدين عبدالرحمن بن الكويز أن يجمع من تجار البهار مائة ألف دينار لأجل تغطية النفقات السلطانية الملحة، فعجز زين الدين عن تحصيلها من تجار البهار، وحتى لا يتعرض للعقوبة والتوبيخ هرب[٢٥].

٧- منازعات بسبب الكارم:

ونظراً لأهمية الكارم كسلعة أيضاً، فإن المنازعات وخلافها قد تكون وسائل معتمدة. ومن ذلك : تلك التهمة الموجهة إلى ناظر الجيش أحمد النابلسي وجماعته سنة

٨٨٢ هـ / ١٤٧٧م ومفادها التلاعب ببيع وشراء الكارم السلطاني الخاص بالسلطان الأشرف قايتباي، وأفضى الأمر إلى إلزامه بدفع أربعمائة ألف دينار وضربه عقوبة على فعلته، ثم عذب إلى توفي في ذات السنة(٢٦).

وكذا الشكوى المقدمة من العرب في صفر سنة ٨٨٥ هـ / أبريل ١٤٨٠ م ضد ناظر الجيش موفق الدين العباسي الحموي أنه ظلمهم في وزن البهار، ووصلت هذه الشكوى إلى السلطان الأشرف قايتباي، فحزن الناظر من ذلك(٢٧). وتطور الأمر بأن وقعت مشاحنة بين ناظر الجيش المذكور وبين والقاضي الحنبلي نجم الدين بن مفلح بسبب قضية البهار المذكورة، وصار في الأنفس شيئ نتجة لذلك، ويبدو أن ابن مفلح قد انتصر للعرب في شكواهم المقدمة للسلطان ضد ناظر الجيش(٢٨).

وكان الكارم أيضاً سبباً في إيقاع الضرر على كبار القوم من التجار. ومن ذلك : اتهام كبير التجار بدمشق للحاج عيسى القاري في سنة ٨٩٥ هـ / ١٤٨٩ م بخيانة الأمانة في مال البهار الذي يخص السلطان الأشرف قايتباي، وتعرض عيسى إزاء ذلك لسخط السلطان وتعنيفه، الأمر الذي جعله ينقطع عن الناس مدة أحد عشر يوماً(٢٩).

ثالثاً : مكانة تجار الكارم في العصر المملوكي :

وكان لتجار الكارم مكانتهم الكبيرة عند سلاطين المماليك ونوابهم نظراً لثرائهم الفاحش، وكانوا يقدمون في المحافل، ويحسب حسابهم في كل صغيرة وكبيرة. ومن أولئك : الخواجا الرئيس ناصر الدين محمد بن مسلم بن أحمد البالسي الأصل تاجر الكارم الشهير بمصر، وكان يتاجر أيضاً بالرقيق. سافر كثيراً إلى الهند والحبشة واليمن وبلاد التكرور، وكان على حظ وافر في التجارة، كثير المال. قيل : أنه تشاجر يوماً هو وبدرالدين الخروبي، التاجر الكارمي، فقال له ابن مسلم : " اشتري بجميع مالك زكائب - وهي الأواني - وأحضرها إليَ أملأها لك من عندي ذهباً ". كانت له علاقة حميمة بالسلاطين ومن بينهم السلطان الأشرف شعبان. غاب ناصرالدين مرة في قوص فأشاع ولده نور الدين علي أنه مات، ولما علم الأشرف شعبان بذلك استغل ذلك، وطالب ولده علي بأموال كانت له على والده ناصر الدين دون وجه حق، فسلم نور الدين للسلطان الأشرف شعبان من مال والده قدراً كبيراً، فلما ظهر ناصر الدين وعلم الأمر استعاد بعض ماله من السلطان الأشرف.

وناصر الدين البالسي هو صاحب المدرسة المسلمية التي أنشأها في الفسطاط، ولم تكتمل إلا بعد وفاته، كما عمر مطهرة بجوار عمرو بن العاص، وكان كثير الصدقات، كثير التقتير على نفسه. ولما مات سنة ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م ورثه ولده علي وغيره من ولده، فكانت حصة الذكر أكثر من مائتي ألف دينار، يضاف إلى حاصل كارم لا يقدر بمال(٣٠).

ومن تجار الكارم الكبار أيضاً، القاضي الوجيه برهان الدين إبراهيم بن عمر بن علي المحلي التاجر الكارمي الكبير الذي قدم صحبة قاصد صاحب اليمن الملك الأشرف محمد بن الأفضل عباس ؛ وأحضر القاصد هدية عظيمة للسلطان الظاهر برقوق، فأخلع السلطان على القاصد وعلى البرهان إكراماً لصاحب اليمن، وكان ذلك شهر صفر من سنة ٧٩٩ هـ / نوفمبر ١٣٩٦ م(٣١).

ونظراً لمكانة التاجر الكارمي برهان الدين المحلي المذكور عند السلاطين، فقد بعثه السلطان الناصر فرج بن برقوق، ومعة عشرة آلاف دينار لعمارة ما تخرب من الحرم المكي الشريف نتيجة الحريق الذي وقع فيه سنة ٨٠٢ هـ / ١٣٩٩ م، حيث احترق على إثره من العمد مائة وثلاثون عموداً، وامتدت النار من باب غزورة إلى باب العمرة(٣٢).

وكانت جنازة برهان الدين إبراهيم بن عمر بن علي المحلى الكارمي عندما توفي سنة ٨٠٦ هـ / ١٤٠٣ م مشهودة من قبل كبار أمراء المماليك، وبلغ من سعة المال الغاية، وساهم بماله في تجديد عمارة جامع عمرو بن العاص بمصر، بالإضافة إلى بنائه لمدرسة في مصر العتيقة، وخلف أمولاً كثيرة لا تعد ولا تحصى، وقد استولى على جزء كبير منها سلطان اليمن الملك الأشرف محمد، وسلطان المماليك الناصر فرج بن برقوق. وقد مدح ابن المحلي الشاعر بدر الدين الدماميني بقصيدة، منها قوله :

يا سرياً معروفة ليس يحصى	ورئيساً زكى بفرع وأصل
مذ علا في الورى محلك عزاً	قلت هذا هو العزيز المحلي(٣٣)

أما التاجر الكارمي قاضي القضاة صلاح الدين أحمد بن محمد بن بركوت الحبشي، المكيني الأصل – نسبة لمكين الدين اليمني لكونه معتق سعيد معتق جده

صاحب الترجمة – القاهري الشافعي، ربيب قاضي القضاة علم الدين صالح البلقيني، فقد ولي عدة مناصب مهمة، منها : حسبة القاهرة، وقضاء الشافعية، فضلاً عن تدريسه للفقه في المدارس كالناصرية، والخروبية البدرية، والأشرفية، والمحمودية، كما تولى الخطابة والنظر بجامع المغربي، وجامع الحاكم، وتولى أيضاً مشيخة الخانقاه الجاولية وتدريس الحديث فيها، لكنه لم يمكث في القضاء سوى مدة يسيرة وعزل عنها. وسجنه الأشرف أينال في حبس الرحبة مرة، ونفاه مرة أخرى، وفي كليهما كان الأشرف بعد أن يفرج عنه، يسترضيه بالمال طمعاً في كسب وده، وتمتع صلاح الدين بالمكانة العالية عند النواب والمباشرين والجباة ونحوهم، وأجزلوا له الهدايا والأعطيات، ولم يتمكن أحد من إبرام أمر ولو قل بدون مراجعته. توفي في ربيع الأول من سنة ٨٨١ هـ / يونيو ١٤٧٦ م[٣٤].

تجار كارم أيضاً نالوا شهرة :

وهناك من تجار الكارم من نالوا شهرة في أوساط المجتمع المملوكي، منهم : سراج الدين عبد اللطيف بن محمد بن سند التاجر الكارمي الإسكندري (ت ٧١٤ هـ / ١٣١٤ م)، كان رئيساً وجيهاً، ذا بر ومعروف، وسمع عن محمد بن النجيب وأبي محمد بن فارس وغيرهما، وحدث. بنى مدرسة بالثغر، وكان شاعراً مجيداً، نظم المدائح النبوية، من شعره:

لي بالأجيرع دون وادي المنحنى	قلب تقلبه الصبابة والضنا
غاروا عليه بالغوير ويمموا	نجداً سحيراً واستقلوا أيمنا
ملكوه مني بالمكارم والعلى	وحموه عني بالصوارم والقنا
اتبعتهم يوم استقلت عيسهم	بحشاشة ألفت معاناة العنا
ونثرت من جفني عقيق مدامعي	حين التفرق فاستحالت أعينا[٣٥]

ورئيس التجار الكارمية بمصر تاج الدين أبوبكر بن معين الدين محمد بن الدماميني، توفي في جمادى الآخرة من سنة ٧٣١ هـ / مارس ١٣٣٠ م ؛ وقد قارب ثمانين سنة، وترك مائة ألف دينار عيناً[٣٦].

والتاجر الكارمي بمصر نورالدين علي بن محمد بن محمد، العسقلاني ثم المصري الكناني، المشهور بابن حجر، والد المؤرخ ابن حجر. كان فقيهاً، لغوياً، أديباً، شاعراً،

له عدة دواوين، منها ديوان الحرم المتضمن لمدائح نبوية ومكية. كان موصوفاً بالعقل والديانة والأمانة ومكارم الأخلاق ومحبة الصالحين. من شعره الذي يشير فيه إلى تجارته :

إسكندرية كم ذا يسمو قماشك عزا
فطمت نفسي عنها فلست أطلب بزا

وله أيضاً :

يارب أعضاء السجود عتقها من عبدك الجاني وأنت الواقي
والعتق يسري بالغنى ياذا الغنى فامنن على الفاني بعتق الباقي

توفي بالقاهرة سنة ٧٧٧ هـ / ١٣٧٥ م[٣٧].

ومن أعيان تجار الكارم برهان الدين إبراهيم بن عبدالله المحلي، كان في سعة من المال، له مدرسة بمصر القديمة، ولي نظر الجيش بالشام، ونظر بيت المال بمصر، ونظر المارستان المنصوري، وكان رئيساً كريماً، وفيه يقول الشيخ بدرالدين الدماميني :

يا سخياً معروفه ليس يحصى ورئيساً زكا بفرع وأصل
مذ علا في الورى محلك عزاً قلت هذا هو العزيز المحلي

توفي بالقاهرة في المحرم سنة ٧٧٧ هـ / يونيو ١٣٧٥م[٣٨].

و نور الدين علي بن عبد العزيز بن أحمد، المصري، التاجر الكارمي، المعروف بالخروبي. كان من أعيان التجار بمصر، حج مراراً، وأوصى بمائة ألف درهم فضة لعمارة الحرم المكي الشريف، فعمر بها بعد الحريق الذي تعرض له سنة ٨٠٢هـ/١٣٩٩م، توفي في رجب من السنة المذكورة[٣٩].

ونور الدين علي بن محمد بن الجلال الطنبدي المصري، أحد أعيان تجار الكارم، عرف بكثرة حجه إلى البيت الحرام وكثرة ماله، وكان يقرض الناس قرضاً حسناً. هو صاحب القلعة المطلة على البحر بالقرابيص داخل درب الشبيكة المعروفة بالطنبدية، والتربة التي بالصحراء بالقرب من الروضة من باب النصر، وله قيسارية مع الربع بالقرب من جامع الوسطى من بولاق، وله أخرى بالقرب من ميدان الغلة خارج باب القنطرة، وله الحمامين داخل باب الشعرية، وغير ذلك. استوطن القاهرة قبل موته

بسنين، وتوفي في صفر سنة ٨٣٦ هـ / سبتمبر ١٤٣٢م[٤٠].

وعدّ التاجر الكارمي بدر الدين حسن بن إبراهيم المناوي الأصل، القاهري، المعروف بابن عليبة – تصغير علبة – السكندري من وجوه الناس. أقبل على التجارة، وكان حاذقاً فيها، توفي في جمادى الأولى من سنة ٨٨٩ هـ / مايو ١٤٨٤ م، وكانت جنازته مشهودة من كبار الأعيان[٤١].

شهرة مباشري الكارم :

ولم تقصر الشهرة على المتاجرين بالكارم، بل طالت أيضاً المباشرين المتحدثين عليه، ومن المباشرين الذين نالوا شهرة واسعة في مصر الحاج بركات بن موسى، وكان أباه من العرب وأمه تسمى عنقا، عينه السلطان الأشرف برددارا خاصاً له يتحدث على جهات البهار وغير ذلك من أمور المملكة، فزادت شهرته، وعظم أمره جداً، وصار معدوداً من أعيان رؤساء مصر، ولم يكن قبل تعيينه في تلك الوظيفة إلا صبياً من جملة صبيان البزادرة الذين يحملون الطير على أيديهم، وبعد أن ذكره ابن إياس أورد بيتين من الشعر في أمثاله :

هذا الزمان على ما فيه من كدر — على انقلاب لياليه بأهليه
غدير ماء تراءى في أسافله — أشخاص قوم قياماً في أعاليه[٤٢]

رابعاً : سيطرة المماليك على تجارة الكارم

والسبب في غلاء الكارم كسلعة يرجع إلى استغلال المماليك الظروف السياسية المحيطة بسلطنتهم. فقد أدت الحركة التوسعية للمغول منذ القرن السابع الهجري إلى فقدان طرق التجارة الرئيسة بين الشرق والغرب أهميتها، وبخاصة الخليج العربي والطريق البري الذي يمر عبر سمرقند ؛ وبذا لم يبق هنالك سوى طريق البحرالأحمر ومصر.

وقد استغل سلاطين المماليك هذه الظروف وفرضوا ضرائب باهضة على الغلال الأسيوية القادمة من الشرق إلى أوروبا التي كانت في أمس الحاجة إليها، ومن هذه الغلال الكارم، وكانت هذه السلعة تباع للتجار الأوربيين في الإسكندرية ودمياط بثمن قد يفوق أربعين مرة على ثمنها الأصلي[٤٣]. وحتى الكارم، وبخاصة الفلفل الذي يؤتى به في الغالب إلى جدة يتم ترحيل جزء كبير منه إلى مصر حيث يباع عبر موانئها إلى

الفرنجة لصالح المتجر السلطاني المملوكي[٤٤].

وقد حرص ملوك قبرص على طعن سلطنة المماليك في أعظم موارد ثروتها وغناها، فاعتدوا على السفن والمتاجر المملوكية في عرض البحر، كما قاموا بمنع السفن الأوروبية من الوصول إلى شواطئ مصر لابتياع ما يلزمها من توابل[٤٥].

وأمام المحاولات ملوك قبرص للتخلص من سيطرة المماليك على تجارة الكارم أغاروا على موانئ الشام التي كانت تستقبل السفن القادمة من الموانئ المصرية والمحملة بالكارم، فقد نزل الفرنجة في ثلاثين مركباً شينياً وقراقر على طرابلس في المحرم سنة ٨٠٦ هـ / يوليو ١٤٠٣ م، وكان نائبها الأمير دمرداش غائباً عنها، فقاتلهم الناس قتالاً شديداً. ولما علم دمرداش بالخبر - وكان في بعلبك - قفل راجعاً إلى طرابلس، واستنجد بالأمير شيخ المحمودي نائب الشام فأجابه. ونودي في دمشق بالنفير، فخرج الناس على الصعب والذلول لقتال الفرنجة.

مضى الفرنجة إلى بيروت بعدما قاتلهم الأمير دمرداش قتالاً شديداً، قتل من المسلمين فيه اثنان. وصل الأمير شيخ إلى طرابلس ثم إلى بيروت وشاهد قتلى الفرنجة مطروحين على الأرض، وتتبع الفرنجة الذين توجهوا إلى صيدا، بعدما حرقوا مواضع، وأخذوا مركبا قدم من دمياط ببضائع لها قيمة كبيرة ومنها الكارم، وقاتلوا أهل صيدا ؛ فطرقهم الأمير شيخ وقت العصر، وقاتلهم وهم في البر وهزمهم .

ركب الفرنجة مراكبهم وساروا إلى بيروت، فلحقهم الأمير شيخ، وقاتلهم، ومضوا إلى جهة طرابلس، ومروا عنها إلى الماغوصة، فعين لهم الأمير شيخ طائفة من عسكره إلى بيروت، وطائفة أخرى إلى صيدا ترقب تحركاتهم، وتتصدى لهم إن هم عادوا لأفعالهم. وعاد هو إلى دمشق في شهر صفر من السنة السابقة[٤٦].

وفي سادس عشرين ذلك الشهر قدم الفرنجة على الإسكندرية بمراكب كثيرة للهجوم عليها والاستيلاء على ما في مراكبها من الكارم، فاستعد لهم السلطان الناصر فرج بالعدة والعتاد، ثم بعث إلى الإسكندرية كبير التجار بمصر برهان الدين إبراهيم المحلي، وتبعه عدة أمراء، فأقاموا بالإسكندرية أياماً، ثم عاد، ولم يلقوا كيداً من الفرنجة[٤٧].

وفي ربيع الآخر من سنة ٨١٤ هـ / يوليو ١٤١١ م قدم الفرنجة مرة أخرى

في مراكبهم إلى الإسكندرية، طمعاً في الكارم وغيره، فاشتبك معهم المسلمون في قتال شديد، قتل فيه العدد الكبير من الطرفين(٤٨).

وهجم الفرنجة على الإسكندرية أيضاً في جمادى الآخرة من سنة ٨١٩ هـ / يوليو ١٤١٦م لذات الغرض، ورحل غالب أهلها خوفاً على أنفسهم، وأسر الفرنجة جماعة كبيرة من المسلمين(٤٩).

خامساً : الكارم أحد أسباب فتح قبرص :

وأمام تلك المحاولات السافرة من قبل الفرنجة لضرب الاقتصاد المملوكي في أهم سلعة، لم يجد السلطان الأشرف برسباي بداً في القضاء على طموحات ملوك قبرص، وذلك بالقيام في حملات تأديبية ضد ملوكهم، بل صمم على احتلال جزيرة قبرص بأكملها وإخضاعها لسلطنة المماليك.

ففي شهر رمضان من سنة ٨٢٦ هـ / أغسطس ١٤٢٢ م زاد تحرش جينوس ملك قبرص بالمسلمين، وأخذ يضيق الخناق على التجار في الموانئ وخاصة على المتعاملين بالكارم، فضج التجار من ذلك وشكوا إلى السلطان الأشرف برسباي، فما كان منه إلا أن بعث بتجريدة بها عدة من الأمراء المقدمين والمماليك السلطانية، فخرجوا لقتال جيش ملك قبرص(٥٠).

وفي شوال من السنة ذاتها كان انتصار الجيش المملوكي على ملك قبرص، ودخوله تحت طاعة السلطان الأشرف برسباي، فقد ملك الجيش المملوكي جزيرة قبرص، وغنموا ما فيها، وأحرقوا أشجارها، وقتل من الفرنجة نحواً من خمسة آلاف مقاتل، وأسر الباقون وكان عددهم ألفاً وستين أسيراً، ومعهم سبعين جملاً عليها الغنائم التي غنموها من قبرص، فأمر السلطان الأشرف ببيع الأسرى، وأوصى أن لا يفرق بين الأبن وأبيه، فتولى الأمير أينال الشمشاني بيعهم، ثم أعطى السلطان لكل مقاتل من المماليك سبعة دنانير مكافأة له، وبعضهم منحه خمسة دنانير(٥١).

بعث ملك قبرص جينوس إلى ملوك الفرنجة يستنجدهم، ويشكو إليهم ما جرى عليه من سلطان المماليك، فلما تحقق الأشرف برسباي من ذلك جهز نحواً من مائة مركب لقتال جينوس. وفي رمضان من سنة ٨٢٩ هـ / يوليو ١٤٢٥ م جاءت الأخبار بأن الجيش الذي بعثه الأشرف انتصر على الفرنجة، وأخذ جزيرة قبرص بأكملها، على

الرغم من النجدة التي جاءت جينوس من ملوك الإفرنج(٥٢).

وفي شوال من السنة ذاتها كان عودة الجيش المملوكي منتصراً، ودخل ملك قبرص، هو وولده، وابن أخي ملك الكيتلان في قيود على بغال عرج، وبقية الأسرى مشاة في جنازير، ودخل صحبتهم الغنائم التي غنموها من قماش وأوان، وهي على رؤوس الحمالين، وسناجق ملك قبرص منكسة على رأسه، وكان عدد الأسرى نحواً من ألف وخمسمائة أسير. ثم رسم السلطان الأشرف بسجن ملك قبرص وولده ومن معه من أعيان االفرنجة، واستمر ملك قبرص في سجنه حتى اشترى نفسه من السلطان بمائتي ألف دينار، واشترط عليه أن يكون نائباً عن السلطان في قبرص، وأن يحمل إليه في كل سنة عشرين ألف دينار، ومن الصوف ألفين ثوب، وغير ذلك من الجوخ، وأنواع الهدية الفاخرة(٥٣).

وكان من نتائج فتح جزيرة قبرص أن زادت هيبة سلاطين المماليك أمام خصومهم من الفرنجة، وتضاءلت حدة مضايقاتهم لتجار الكارم الذين يفدون ببضائعهم للموانئ التابعة لسلطنة المماليك، بل طلب بعض ملوكهم الأمان. ومن ذلك : قدوم قاصد ملك جزيرة رودس في ربيع الآخر من سنة ٨٣٠ هـ / يناير ١٤٢٦ م، وهو يطلب من السلطان الأشرف برسباي الأمان، وقد بلغه أن السلطان قصد أن يغزوه، فبعث للسلطان بهدية قومت بستمائة دينار(٥٤).

سادساً : تجدد خطر الفرنجة بعد فتح قبرص :

وقد تجدد خطر الفرنجة في زمن السلطان الظاهر جقمق، وهددوا السفن المحملة بالتوابل والتي كانت راسية في الموانئ المصرية، فأخرج لهم السلطان تجريدة في ربيع الأول من سنة ٨٤٤ هـ / يوليو ١٤٤٠ م، بها خمسة عشر غراباً مشحونة بالمقاتلين(٥٥).

وفي شهر ذي القعدة من السنة المذكورة عرض السلطان جقمق أجناد الحلقة، وعين منهم جماعة يتوجهوا إلى الطينة ودمياط، بسبب تعرض الفرنجة للسفن المحملة بالتوابل في سواحل البحر المالح. وفي المحرم من سنة ٨٤٥ هـ / مايو ١٤٤١ م جاءت الأخبار إلى مصر بأن جماعة من المقاتلين الذين أرسلوا إلى مقاتلة الفرنجة ظفروا ببعض مراكب الفرنجة، وأسروهم وأحضروهم إلى القاهرة(٥٦).

وبعد شعوره بخطورة غارات الفرنجة على السواحل المصرية الرامية لكسر احتكار المماليك لتجارة الكارم، ورغبة في تسجيل فوز حاسم عليهم، فضلاً عن تخليد اسمه كفاتح لجزيرة هامة، عزم الظاهر جقمق على تنفيذ مشروعه الهادف إلى فتح جزيرة رودس كما فتح الأشرف برسباي جزيرة قبرص من قبل .

عين الظاهر لهذا المشروع في شهر ذي القعدة من سنة ذاتها من الأمراء المقدمين : الأمير أينال الأجرود، والأمير تمرباي رأس نوبة كبير، وعين جماعة من العشراوات نحواً من خمسمائة مملوك(٥٧). وفي شهر صفر من سنة ٨٤٧ هـ / مايو ١٤٤٣ م خرجت هذه التجريدة، فلما وصلوا إلى جزيرة رودس هبت ريح عاصفة فغرقت المراكب، وقاسوا ما لا خير فيه، فما اجتمعوا إلا بعد جهد جهيد، ثم التقوا مع ملك رودس في معركة ضارية، كان النصر حليف ملك رودس، وقتل فيها من العسكر المملوكي جماعة كثيرة، منهم : فارس نائب قلعة دمشق، ومن المماليك السلطانية ما يزيد عن مائة مملوك، وجرح أكثر من خمسمائة مملوك، وارتد فيها طائفة من المماليك إلى المسيحية، ثم رجع البقية من غير طائل(٥٨).

لم تهن عزيمة السلطان الظاهر جقمق بعد تلك الهزيمة التي مني بها عسكره، وشرع في شهر المحرم من سنة ٨٤٨ هـ / أبريل ١٤٤٤ م في بناء مراكب أغربة جديدة تسير لفتح جزيرة رودس. وفي ربيع الأول من السنة نفسها خرجت التجريدة إلى رودس، وكان باش – رئيس والجمع باشات – العسكر الأمير أينال الأجرود، وصحبته جماعة من الأمراء والجند، وزيد فيها أكثر من التجريدة الأولى(٥٩).

جاءت الأخبار إلى مصر في جمادى الآخرة بأن العسكر لما وصل إلى جزيرة رودس، تغلب عليه ملك رودس، ومرض غالب العسكر. وفي شهر رجب من السنة ذاتها حضرت العساكر بعد أن مات منهم جماعة كثيرة، فرجعوا ولم يحصلوا على طائل، بل كانت الغزوة الأولى مع ما فيها، خيراً من هذه الغزوة(٦٠).

بعدها، تجرأ الفرنجة في الإغارة على شواطئ مصر. من ذلك : أنهم طرقوا رشيد في جمادى الأولى من سنة ٨٥٥ هـ / أبريل ١٤٥١ م، من أجل نهب ما تحمله السفن من كارم وغيره، فأمر السلطان بأن يتوجه الأمير شهاب الدين أحمد بن أينال اليوسفي إليهم لدفع خطرهم(٦١).

سابعًا : اتساع نطاق سيطرة المماليك على تجارة الكارم

ذكر ابن إياس أن بداية بيع الفلفل على تجار الفرنجة بالإسكندرية كان في شـــهر المحرم من سنة ٨٣٠ هـ / نوفمبر ١٤٢٦ م، في زمن السلطان الأشـــرف برســـباي، وذكر أيضاً أنه لم يعهد هذا من قبل(٦٢).

ولا يقتصر أمر سيطرة سلاطين المماليك على تجارة الكارم في مصر وحدها، بـــل اتسعت سيطرتهم لتشمل التجار من أهل الشام واليمن والحجاز إضافة للفرنجـــة. ومـــن ذلك : أن سلطة سلاطين المماليك على أمير مكة كانت كبيرة، فلا يمكنه بحـــال مخالفـــة أوامرهم في زيادة الضريبة المقررة على تجار الكارم الواردين لجدة، على الـــرغم مـــن وقوع غبن على أولئك التجار. ومن ذلك : أن الأمير قرقماش الشعباني ألزم نائب جـــدة جاني بك – بأمر من السلطان الأشرف برسباي – أن يأخذ العشور من أصناف البضائع التي تحملها المراكب التي تأتي من الهند وخاصة الكارم، فبلغ ما يحمل من جـــدة مـــن المال لصالح السلطان الأشرف برسباي نحواً من سبعين ألف دينـــار، ثـــم زادت نـــسبة الضريبة في دولة الأشرف قايتباي، حتى صار يأخذ من بندر جدة في كـــل ســـنة مـــا لا يحصى من المال، فوقع الضرر الكبير على التجار(٦٣).

ومنه أيضاً : أن السلطان الأشرف برسباي أصدر مرســـوماً فـــي صـــفر ســـنة ٨٣٨هـ/ سبتمبر ١٤٣٤م للشريف بركات بن عجلان أمير مكة بأن لا يؤخذ من تجـــار الكارم وغيره الواردين إلى جدة من الهنود سوى العشر فقط، وأن يؤخـــذ مـــن التجـــار الشاميين والمصريين إذا وردوا جدة ببضائع اليمن عشران. وأن من قدم إلى جدة مـــن التجار اليمنيين ببضاعة تؤخذ بضاعته بأجمعها للسلطان من غير ثمن يدفع عنها .

وسبب ذلك أن تجار الكارم وغيره من الهنود صاروا في هذه الـــسنين عنـــدما يعبرون باب المندب يجوزون عن بندر عدن، حتى يرسوا بساحل جدة، فأقفرت عدن من التجار، وساء حال ملك اليمن لقلة متحصله من تلك التجارة، وصارت جدة هـــي بنـــدر التجار، ويتحصل لسلطان مصر من عشور التجار فيها المال الوفير.

وصار نظر جدة وظيفة سلطانية تختص بأخذ عشور بضائع التجار الواردين مـــن الهند، كما يؤخذ مع تلك العشور رسوم تقررت للناظر والشاد وشهود القبان والصيرفي ونحو ذلك من الأعوان. وصار يحمل من قبل سلطان مصر مرجان ونحاس وغير ذلـــك

من السلع المصدرة إلى بلاد الهند، فيطرح ذلك على التجار .

وقد تم قراءة مراسيم السلطان الأشرف برسباي تجاه الحجر الأسود في الحرم المكي، لكن الشريف بركات أمير مكة راجع السلطان الأشرف في أمرها، حتى عفا عن التجار وأبطل ما رسم به[٦٤].

وتم استدعاء طائفة من أعيان التجار بدمشق إلى القاهرة في شهر ربيع الآخر سنة ٨٣٩هـ/ أكتوبر ١٤٣٥م بأمر من السلطان الأشرف برسباي، حينما بلغه أنهم حملوا مما اشتروه من جدة من البهار عدة جمال إلى دمشق، وكان المرسوم السلطاني يقضي بأن من اشترى بهاراً من جدة لابد أن يحمله إلى القاهرة سواء كان المشتري شامياً أو عراقياً أو عجمياً أو رومياً. وأنكر على التجار المذكورين حملهم بضائعهم من الحجاز إلى دمشق. لذا استلزم الأمر أن تحتجز بضائعهم بالقاهرة وغيرها. ثم أفرج عنها بعدما دفعوا الضريبة المقررة عليها لناظر الخاص[٦٥].

وفي شهر رجب من السنة ذاتها حل بتجار الكارم في مصر والشام البلاء الكبير، إذ طرح السلطان الأشرف برسباي عليهم ألف حمل من الفلفل بمائة ألف دينار، وذلك حساباً عن كل واحد بمائة دينار، وكان السلطان قد اشتراه منهم آنفاً بخمسين ألف دينار[٦٦].

ثامناً : الكارم أحد أسباب سقوط سلطنة المماليك

شدد سلاطين المماليك قبضتهم في الاستحواذ على منابع تجارة الكارم، ومنعوا التجار الوسطاء الذين جهدوا أنفسهم في محاولة إيصال هذه السلعة للفرنجة، وتمثل ذلك من خلال المراسيم السلطانية الواضحة التي حددت ذلك صراحة، وأوجبت العقوبة المغلظة في حق المخالفين. ومع هذا وذاك، فإن أهمية هذه السلعة للفرنجة، والأرباح الكبيرة التي يجنيها التاجر المتعامل معهم فيها كانت تغري الكثيرين منهم على مخالفة المراسيم الصادرة.

وكان مندوب السلطان المملوكي هو الذي يقوم ببيع الكارم السلطاني على الفرنجة لضمان تحصيل القيمة المطلوبة، ومن ذلك : توجه الأمير تمر باي الدوادار الثاني في ثالث شهر جمادى الآخرة من سنة ٨٤٠ هـ / ديسمبر ١٤٣٦ م إلى الإسكندرية راكباً على ظهر النيل ليبيع الفلفل المجلوب من جدة لصالح المتجر السلطاني

على تجار الفرنجة الواردين ببضائعهم إلى الإسكندرية، وكان تمر باي قد كلف بهذه المهمة بدلاً من القاضي زين الدين عبد الباسط عظيم الدولة الذي أعفي من منصبه(٦٧).

واستطاع الأمير تمر باي أن ينجح في المهمة الموكلة إليه، فقد عاد في ثامن عشر من الشهر ذاته إلى القاهرة قادماً من الإسكندرية بعدما باع بها ألف حمل من الفلفل، بحساب مائة دينار للحمل الواحد، في حين أن قيمة مشتراه على السلطان بخمسين دينار للحمل(٦٨).

استيفاء الفرنجة من الأرباح التي يجنيها المماليك :

وكنتيجة طبيعية للسياسة الإحتكارية التي اتبعها سلاطين المماليك في تجارة الكارم أن يعمد تجار الفرنجة إلى محاولات ابداء استيائهم من تلك الأرباح التي يجنيها السلاطين من هذه السلعة على حسابهم، ولم تكن أوربا وقتئذ قادرة على الاستغناء عنها. ومن ذلك : قدوم قاصد متولي دمياط في شهر رمضان من سنة ٨٣٧ هـ / أبريل ١٤٣٣ م فأخبر أن الفرنجة القطلان أخذوا من ساحل بيروت خمس مراكب فيها بضائع كثيرة جداً مع رجالها، وأرسل ملك القطلان كتاباً إلى متولي دمياط ليوصله للسلطان الأشرف برسباي مضمونه الحط من قدر السلطان ومخاشنته في الخطاب بسبب الظلم الذي وقع على الفرنجة نتيجة لاحتكاره بيع الفلفل، ومنعه لهم من شرائه عن طريق التجار. فلما قرئ هذا الكتاب على السلطان الأشرف احتد حدة مفرطة ومزق الكتاب(٦٩).

سلاطين المماليك يشددون العقوبة على المخالفين :

وكان العقاب الصارم لمن يخالف أمر السلطان المملوكي من المباشرين إن هو تساهل في منع بيع تجار الكارم ما لديهم لتجار الفرنجة. ومن ذلك : أن نائب الإسكندرية الأمير غرس الدين بن شاهين قدم في شهر جمادى الآخرة من سنة ٨٣٩ هـ / ديسمبر ١٤٣٥م إلى القاهرة ودخل على السلطان الأشرف برسباي ومعه هدية فقدمها إليه فقبلها، ثم أخلع عليه، بعدها نزل من القلعة وذهب إلى داره فرحاً بما أوتي من إنعام. وبعد خروجه تكلم بعضهم في حقه وذكر أن غرس الدين أخذ من تجار الفرنجة مالا وأفرج لهم عن عدة أحمال فلفل ابتاعوه من تجار المسلمين، وكذا فعل مع تجار المسلمين، وهذا كله فيه مخالفة لأمر السلطان الأشرف الذي يقضي بمنع التجار من بيع الفلفل وأن الفرنجة لا يحق لهم أن يشتروا ولا أن يبيعوا إلا من خلال ديوان السلطان.

فغضب السلطان من ذلك وحنق عليه، وأمر أحد المماليك أن يدركه ويقلع عنه الخلعة ويعيدها إلى القاضي سعد الدين إبراهيم ابن كاتب جكم ناظر الخاص(٧٠).

وفي بعض الأحيان يتعرض الفرنجة للإهانة من قبل من يخصصه السلطان المملوكي لتعامل معهم في بيع وشراء الكارم، ومن ذلك : إهانة ناظر الجيش محب الدين سلامة بن يوسف الأسلمي للفرنج في جمادى الأولى من سنة ٨٩٥ هـ / مارس ١٤٨٩ م بسبب بهار السلطان الأشرف قايتباي، وضرب شخصاً منهم بالقلعة، فاشتكوا عليه للسلطان بأنه أخذ منهم عشرة آلاف دينار ظلماً. فأباح الفرنجة للسلطان أخذها من ناظر الجيش، وأنهم يزيدون السلطان عليها مثلها، شريطة أن يولي عليهم بدلاً عنه تمربغا الترجمان لكونه فرنجياً منهم، ثم أسلم. فأجابهم السلطان الأشرف لذلك(٧١).

وفي هذا الأمر وغيره تحجير على بيع الكارم إلا عن طريق المتجر السلطاني المملوكي، فشعر الفرنجة بالظلم والاستغلال، وكردة لذلك قرروا أولاً محاولة الاستيلاء على حمولة الكارم من السفن الراسية في الموانئ المصرية، وثانياً السير الحثيث للبحث عن طريق يصلهم إلى المصدر الأصلي للكارم في الهند والصين، وكخيار ثالث أخير الصدام العسكري المباشر عبر المواقع البحرية .

وفيما يتعلق بالأمر الأول عمد الفرنجة إلى التعرض للسفن الراسية في الموانئ، وفي ذلك أبلغ تعبير عن الاستياء الذي كانوا يشعرون به، فبعد أن فتح الأشرف جزيرة قبرص، وما كان من أمر هزيمة الفرنجة وخضوعهم لسيادته، فإن خطرهم قد تجدد في زمن السلطان الظاهر جقمق، وهددوا السفن المحماة بالتوابل، الراسية في الموانئ المصرية(٧٢).

وكذا الحال في زمن الأشرف أينال، فقد أغار الفرنجة على السواحل المصرية في شعبان من سنة ٨٦٣ هـ / يونيو ١٤٥٨ م ، وهددوا السفن المحملة بالتوابل في موانئها، الأمر الذي اضطر معه السلطان إلى تعيين تجريدة تخرج لدفع أذى الفرنجة، وأمر الشاد سنقر شبق الزردكاش في ذي القعدة من السنة ذاتها في الإشراف على بناء مراكب جديدة لهذا الغرض، فظلم سنقر الناس وقام بقطع أشجارهم من الغيطان غصباً لإتمام مهمته، ثم خرجت التجريدة، واستطاعت تحقيق الغرض المطلوب منها، فانتصرت على الفرنجة وأسر المماليك نحواً من مائة وخمسين نفراً منهم، وكان فيهم قنصل

الفرنجة، فأمر السلطان الأشرف أينال بضرب رقاب جماعة منهم، وسجن جماعة، وقيد القنصل، وطلب منه مائة ألف دينار ليفتدي نفسه بها، ثم بعد أيام أطلق سراحه نظير إلزامه بما قد قرر عليه(٧٣).

ومن ذلك أيضاً : أن نائب الإسكندرية قبض على جماعة كانوا قد أغاروا على سواحل الإسكندرية في شهر صفر من سنة ٨٧٧ هـ / يوليو ١٤٧٢ م، وأرادوا لاستيلاء على ما في السفن الراسية من كارم، فأحضرهم إلى القاهرة، فلما عرضوا على السلطان الأشرف قايتباي أمر بسجنهم في سجن المقشرة، فأسلم منهم جماعة،وجماعة سجنوا بذاك السجن(٧٤).

ولم يكتف الفرنجة بذلك، بل كرروا إغارتهم على سواحل مدينة الإسكندرية في المحرم من سنة ٨٧٨هـ / مايو ١٤٧٣ م، وأسروا من المسلمين تسعة أنفار، وفعلوا مثل ذلك بثغر دمياط، كل ذلك من أجل محاولة الاستيلاء على الكارم، فاضطر السلطان الأشرف قايتباي إلى تعيين الأمير قجماس الإسحاقي، أحد مقدمي الألوف، وأمره بأن يتتبع الفرنجة حيثما ساروا(٧٥).

وفي سبيل تنفيذ الخيار الثاني ازدادت جهود الحثيثة للفرنجة في سبيل إيجاد طريق آخر غير طريق مصر والمماليك يمكنهم من الحصول على متاجر الشرق، وخاصة الكارم، وأثمرت تلك الجهود عن اكتشاف جنوة لبعض أجزاء الساحل الغربي لإفريقية – في مواجهة جزر كناريا – مما يمكن اعتباره مقدمة للجهود التي أدت إلى اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح فيما بعد. إذ استطاع بارتلميو دياز اكتشافه سنة ٨٩٢ هـ / ١٤٨٧ م، وبعده تمكن فاسكودي جاما من الوصول إلى الهند عن طريق الالتفاف حول إفريقية في سنة ٩٠٤ هـ / ١٤٩٨ م، وبذا حقق البرتغاليون نصراً عالمياً جديداً مؤزراً، حيث حصلت الدول الأوربية على بغيتها من التوابل وغيرها بثمن يبلغ ربع الثمن الذي كانت تشتريه من الإسكندرية ودمياط(٧٦).

وبهذا الاكتشاف الهام استطاع البرتغاليون ضرب الاقتصاد المملوكي في مكمنه، وخاصة تجارة الكارم التي كانت تمثل دخلاً نفيساً لخزانة السلطنة، فضلاً عن استحواذها اهتمام سلاطين المماليك في التحكم والاتجار بها. وسرعان ما بدأ الإعراض عن شراء الكارم من السوق المصرية الأمر الذي أوقع الكساد فيها .

ولما كانت البندقية هي أول المتعاملين الرابحين من السلطنة المملوكية في تجارة الكارم، باعتبارها تلعب دور الوسيط في نقل تلك السلعة من الموانئ المصرية إلى أوروبا محققة الأرباح الجزيلة، فإن اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح يمثل لها خسارة فادحة لأنه يحرمها من ممارسة هذا الدور، ويمكن البرتغاليين من لعب ذات الدور بدلاً عنها(٧٧). لذا التقت مصالح البندقية مع مصالح السلطنة المملوكية، فحرض البنادقة السلطان الأشرف قانصوه الغوري على إرسال حملة إلى قاليقوت لطرد البرتغاليين من الموانئ الهندية.

في هذا الوقت استخدم الأشرف الغوري نهجاً مغايراً، فعمد إلى تحريض الحكام المسلمين بالهند على طرد البرتغاليين ومحاربتهم، في حين ألبت البندقية القوى الأوروبية ضد البرتغاليين، وحثتها على عدم التعامل معهم. لكن جهود الغوري والبنادقة ذهبت أدراج الرياح، فلا الحكام المسلمون في الهند ناصبوا البرتغاليين العداء، ولا القوى الأوروبية رفضت التعامل مع البرتغاليين الذين أغرقوا السوق الأوروبية ببضائع الشرق وبخاصة الكارم(٧٨).

وكخيار ثالث أخير أصر المماليك والفرنجة على استخدام الصدام العسكري المسلح بينهم للوصول للهدف المقصود، وهو السيطرة على حاصلات الشرق، وخاصة الكارم. وأمام هذه الظروف العصيبة، شعر السلطان قانصوه الغوري أن الحاجة أضحت ملحلة في القيام بعمل حاسم ضد البرتغاليين الذي دأبوا أيضاً على مهاجمة السواحل المصرية وتهديد السفن الراسية هناك، وتتابعت الأحداث الجسام على نحو ينذر بالأخطار المحدقة على اقتصاد السلطنة المملوكية، وذلك على النحو التالي :

ففي ربيع الأول من سنة ٩١١ هـ / أغسطس ١٥٠٥ م عين السلطان الأشرف قانصوه الغوري تجريدة إلى الهند بسبب إغارة الفرنجة على سواحلها، وتعرضها لسفن المسلمين المحملة بالبضائع المجلوبة من الهند، وأهمها الكارم، وقد أجزل الأشرف العطاء للعسكر المتوجه في هذه التجريدة، فأعطى لكل مملوك عشرين ديناراً، وصرف لهم راتباً لأربعة أشهر معجلاً، فضلاً عن المئونة اللازمة، فكان جملة ما صرف لهم نحواً من خمسين ديناراً لكل شخص، وكان العسكر الذي خرج في هذه التجريدة مؤلفاً من أولاد الناس، وبعض المماليك السلطانية، والغالب فيهم مغاربة، وعبيد سود رماة،

وتركمان، وغير ذلك[٧٩].

خرجت التجريدة المعينة في جمادى الآخرة من السنة المذكورة ووصلت إلى السويس ثم منها إلى جدة، فكان باش المماليك والتركمان والعبيد الذين توجهوا في المراكب إلى جدة هو حسين المشرف، وباش المغاربة هو الخواجا نور الدين علي المسلاتي المغربي. وقد جهزت لهم مراكب محملة بالزاد والسلاح[٨٠].

وفي شهر ذي القعدة من ذات السنة زاد الفرنجة من شدة إغارتهم على سواحل مصر، ومن تعرضهم للسفن الراسية المحملة بالتوابل وبضائع الهند الأخرى، وأخذهم أموال التجار، فاضطر السلطان الأشرف قانصوه الغوري أن يبعث إليهم بأحد سفرائه ويدعى تغري بردي الترجمان، وحمل معه رسالة احتجاج إلى البطريك الفرنجةي[٨١].

جاءت الأخبار إلى مصر في المحرم من سنة ٩١٢ هـ / مايو ١٥٠٦ م بأن التجريدة التي خرجت إلى الهند لما وصلت إلى جدة شرع حسين باش العسكر، وسنقر أحد الزردكاشية، وعلي المسلاتي في بناء أبراج على ساحل بندر جدة، ثم اتجهوا إلى سواكن فملكوها بدون قتال، وأخذوا ما فيها من بهار وغيره، وشتتوا عنها أهلها، فانشرح السلطان الأشرف لذلك[٨٢].

تزايد الضرر من الفرنجة في ذي الحجة من السنة المذكورة، وكثرت إغارتهم في بحر الحجاز، وبلغت مراكبهم فوق عشرين مركباً، وصاروا يتعرضون لمراكب تجار الهند، ويقطعون عليهم الطريق في الأماكن المخيفة، ويأخذون ما معهم من بضائع وسلع، من أهمها التوابل، والشاشات – وهو قماش نوع من القماش يوضع للجروح أو على العمائم وتستخدمه النساء أيضاً في الزينة – والأرز، حتى عز وجود الأرز والشاشات في مصر وغيرها من البلاد. وقد ساعد الفرنجة في عملهم ذلك فتحهم السد الذي صنعه الإسكندر بن فلبس الرومي، وكان هذا نقباً في جبل بين بحر الصين وبحر الروم[٨٣].

وفي المحرم من سنة ٩١٤ هـ / مايو ١٥٠٨ م توفي باش المغاربة في التجريدة التي توجهت إلى الهند. وفي شعبان من السنة نفسها جاءت الأخبار إلى مصر بانتصار العسكر في التجريدة التي خرجت إلى الهند صحبة الأمير حسين باش العسكرعلى الفرنجة، وأنها غنمت منهم غنائم كثيرة، فسر السلطان الغوري لهذا الخبر

سروراً عظيماً. وطلب الأمير من السلطان تعزيز العسكر بقوات إضافية للقضاء على من تبقى من الفرنجة(٨٤).

وعلى الرغم من الانتصار الكبير الذي حققته تجريدة الهند في تأمين سلامة تدفق سلع الهند وخاصة التوابل إلى السلطنة المملوكية، إلا أن غارات الفرنجة على سواحل السلطنة لم تنقطع. فقد جاء أحد مراكب الفرنجة بالقرب من تلك الأبراج التي بنيت على ساحل بندر جدة وتعرض للمراكب الراسية هناك، فجمع الأمير تمرباي جماعة من الخفراء الذين كانوا هناك، وممن كان معه من المماليك، وتحارب مع الفرنجة، فانتصر عليهم، وأسر منهم نحواً من سبعة وعشرين نفراً، وملك مركبهم وما كان فيه، وأرسل الأسرى إلى السلطان الأشرف قانصوه الغوري، فسر بذلك(٨٥).

جاءت الأخبار في صفر من سنة ٩١٥ هـ / مايو ١٥٠٩ م بأن العسكر الذي توجه إلى الهند صحبة الأمير حسين قد تعرض لهزيمة ساحقة من قبل الفرنجة، فقد أباد الفرنجة هذا العسكر عن آخره في موقعة ديو البحرية، ونهبوا ما في مراكبهم من التوابل وغيرها من السلع بصورة كاملة، فتنكد السلطان الغوري لذا الخبر (٨٦).

وفي صفر من سنة ٩١٦ هـ / مايو ١٥١٠ م حضر قاصد الملك محمود شاه صاحب كنباية، وآخرين من ملوك الهند، وعلى أيديهم مثالات – ومفرده مثال وهو أمر دون الفرمان والمنشور – للسلطان الأشرف قانصوه الغوري تتضمن طلب سرعة تجهيز تجريدة إلى جهات الهند بسبب تزايد غارات الفرنجة على سواحلها وتعرضهم للسفن المحملة بالبضائع وخاصة التوابل، وخاصة بعد هزيمتهم الساحقة للعسكر المملوكي آنف الذكر(٨٧).

عين السلطان قانصوه الغوري في ربيع الأول من السنة المذكورة تجريدة إلى الجون لقطع الأخشاب اللازمة لصنع المراكب المعينة لتجريدة جديدة للهند، وخصص لها نحواً من مائتي مملوك وأنفق عليهم مالاً كبيراً، وجعل الأمير محمد بيك باشاً على ذلك العسكر، كما أرسل الطواشي بشير رأس نوبة السقاة إلى الهند، وكاتب جماعة من ملوك الهند بأن يكونوا معه عوناً على قتال الفرنجة الذين تزايد تعرضهم للمراكب المحملة بالبضائع حتى وصل نحواً من خمسين مركباً(٨٨).

وفي جمادى الآخرة من السنة ذاتها جاءت الأخبار بأن الفرنجة خرجوا على

الأمير محمد بيك الذي توجه إلى الجون لإحضار الأخشاب اللازمة لبناء المراكب، وتحارب معهم بالقرب من قلعة إياس، وفرّ عنه من كان معه من العسكر، فقتل الأمير محمد، وقتل من كان معه من الجند، وأخذ الفرنجة ما كان معه من المراكب المشحونة بالسلاح وآلة الحرب، وكانت نحواً من ثمانية عشر مركباً، فلما بلغ السلطان الأشرف الغوري ذلك تنكد كثيراً، وامتنع عن الأكل لمدة يومين، وخاصة بعدما تزايد شر الفرنجة في هذه السنة، وكثر أذاهم للناس في بحر الروم والبحر الهندي(٨٩).

وكردة فعل على ما ارتكبه الفرنجة، أمر السلطان الأشرف في ذات الشهر بالقبض على الرهبان في كنيسة القيامة بالقدس، وعلى سائر الفرنجة بالإسكندرية ودمياط وغير ذلك من السواحل، وهذا كله بسبب الفرنجة الذين قتلوا الأمير محمد وأخذوا مراكب السلطان، بل كان السلطان أيضاً قد عزم على أن يتوجه بنفسه إلى الإسكندرية ليتفقد الأبراج التي بنيت هناك لمراقبة الفرنجة خوف طروقهم لسواحلها، وكان قصد السلطان أيضاً إصلاح ما فسد منها، إلا أن الأتابكي قرقماس حذره من السفر بسبب كون الطرقات وحلة من ماء النيل، بالإضافة لصعوبة سلوك طريق البر في هذه الأيام، وطلب منه أن يكلفه بهذه المهمة العسيرة، فكان لقرقماس ما أراد، وفعل ما هو لازم(٩٠).

حضر إلى الأبواب السلطانية رهبان كنيسة القيامة التي بالقدس في شهر رجب من السنة المذكورة، فلما وقفوا بين يدي السلطان الأشرف الغوري وبخهم بالكلام على لسان تغري بردي الترجمان، وطلب منهم أن يكاتبوا ملوك الفرنجة بأن يردوا ما أخذه الفرنجة من المراكب والسلاح، وإن لم يردوا ذلك فإنه عازم على هدم كنيسة القيامة وشنق رهبانها، وكانوا نحواً من خمسين راهباً. وبعد ذلك قبض نائب الإسكندرية على جماعة من تجار الفرنجة الذين كانوا بالإسكندرية وبعث بهم إلى السلطان ،وكانوا نحواً من خمسين تاجراً(٩١).

وعين السلطان الأشرف الغوري في الشهر نفسه الأمير أقباي الطويل أمير آخور ثاني، وأمره أن يتوجه إلى القدس ليحتاط على مال الفرنجة الموجود في كنيسة القيامة، فخرج وسافر من يومه لتنفيذ هذه المهمة، ثم عاد في شوال بعدما أنجز ما طلب منه(٩٢).

حضر إلى الأبواب الشريفة في شهر صفر من سنة ٩١٨ هـ / أبريل ١٥١٢م

قاصد ملك الفرنجة البنادقة وهو راكب على فرس وقدامه سبعة من أخصائه، وهم راكبون على خيول والباقي مشاة، فكانوا نحواً من خمسين، وقابلوا السلطان الأشرف قانصوه الغوري، وقيل أن القاصد طلب من السلطان الأشرف فتح كنيسة القيامة التي بالقدس، وكان السلطان قد أغلق بابها ومنع الفرنجة من دخولها بسبب ما تقدم(٩٣).

جاء الخبر إلى مصر في شهر ربيع الأول من سنة ٩١٩ هـ / مايو ١٥١٣ م بأن الفرنجة قد ملكوا كمران وهي إحدى جهات الهند، وصاروا يخطفون البضائع من المراكب وخاصة الكارم، وأنهم يحاصرون مدينة سواكن – وكانت مراكب الفرنجة نحواً من عشرين مركباً – وأن الشريف بركات أمير مكة خرج إلى جدة هو وباش المجاورين وجماعة من المماليك المجاورين بمكة، وأقاموا بجدة خوفاً على البندر من الفرنجة أن يهجموا عليه، فأرسلوا يعلمون السلطان بذلك، فلما جاءه الخبر تنكد إلى الغاية، ثم عين للسويس تجريدة من مماليك الطبقة الخامسة من أجل حفظ المراكب التي أنشأها هناك وصد غارات الفرنجة، لكن المماليك لم يخرجوا، وتعللوا بعدم صرف نفقة السفر لهم، فحنق السلطان الأشرف عليهم، وأشيع أن السلطان قد يقوم بنفسه بهذه المهمة، ولما يئس السلطان من إخراج المماليك بهذه المهمة دونما نفقة، أمر بإلغائها خشية وقوع فتنة(٩٤).

خرج السلطان قانصوه الغوري في شهر صفر من سنة ٩٢٠ هـ / مارس ١٥١٤م إلى السويس لتفقد المراكب الأغربة التي عمرها هناك وكانت نحو عشرين غراباً، وأقام في السويس لمدة ثلاثة أيام شاهد خلالها المراكب الأغربة(٩٥).

وفي جمادى الأولى من السنة نفسها عين السلطان الأشرف تجريدة إلى بلاد الهند بسبب غارات الفرنجة على سواحلها، وسطوهم على البضائع المحملة في المراكب الراسية هناك(٩٦).

وفي ذات الشهر أرسل الأمير حسين نائب جدة يعلم السلطان أن الفرنجة كثرت إغارتهم على سواحل الهند، وربما أيضاً يخاف على جدة من أمرهم. ولم يأبه السلطان الأشرف الغوري لهذا الأمر(٩٧).

استشعار الغوري بخطورة تهديدات الفرنجة :

ويبدو أن أمر الفرنجة قد استفحل بعد سنة من ذاك التحذير، وخاف الغوري على

موارد سلطنته من السلع المجلوبة من بلاد الهند وخاصة الكارم، الأمر الذي اضطر معه السلطان الأشرف إلى تعيين تجريدة إلى بلاد الهند في شهر جمادى الأولى من سنة ٩٢١ هـ / يونيو ١٥١٥ م، وكان فيها نحو ستمائة مملوك، وفي رواية أخرى نحو خمسمائة من الطبقة الخامسة، من بينهم جماعة من مماليك السلطان الجلبان، وجماعة من المماليك القرانصة، وأولاد الناس وغير ذلك، يضاف إلى ذلك أن السلطان اهتم بعمارة مراكب في السويس نحو عشرين مركباً، وزودهم بالسلاح والمكاحل والمدافع وغير ذلك من آلات الحرب، وجعل سلمان العثماني رئيساً لتلك المراكب، وتحت يده جماعة كثيرة من العثمانية والمغاربة البحارة نحو ألفي شخص، وقيل أكثر من ذلك، فلما عين السلطان هذا العسكر استحثهم على الخروج بسرعة، وعجل لهم النفقة الجزيلة، فأعطى لكل مملوك خمسين ديناراً، وأوعدهم أن ينفق عليهم جامكية ستة أشهر معجلاً قبل أن يسافروا، وقيل أنه أعفى منهم جماعة من أولاد الناس ممن شكا ضعفاً في جسده أو غير ذلك، وإنما فعل ذلك استشعاراً منه بأهمية جاهزية العسكر المعين لهذه التجريدة(٩٨).

بعدها، أنجز الأشرف وعده في العطاء إلا قليلاً. فقد أعطى العسكر المعين للهند جامكية أربعة أشهر معجلاً بدلاً عن ستة أشهر، ومن اشتكى علة منهم أعفاه من السفر وطالبه بإعادة النفقة التي أخذها. ثم خرج العسكر بعد زيادة عدده إلى نحو ستة آلاف مقاتل من القاهرة متوجهاً إلى الريدانية، ثم إلى السويس، ثم إلى الهند بعدما شاهد الغوري عرضاً عسكرياً له في الريدانية في كامل عدته وعتاده ليختبر قوته(٩٩).

وفي شهر شعبان جاءت الأخبار من السويس بأن المراكب التي جهزها السلطان الأشرف الغوري إلى الهند غرق منها مركب نتيجة ارتطامه في الشعاب المرجانية، فانكسر وغرق كل ما كان فيه، وفقد جماعة من العسكر الذين كانوا على متنه(١٠٠).

وبعد موت السلطان الأشرف قانصوه الغوري، وتسلطن الأشرف طومان باي. جاءت الأخبار في شهر شوال من سنة ٩٢٢ هـ / أكتوبر ١٥١٦ م من الهند بأن المراكب التي أرسلها السلطان الغوري قد غرقت بما فيها من مكاحل ومدافع وآلات السلاح وغير ذلك، وأن قد وقع بين الرئيس سلمان العثماني وبين الأمير حسين نائب جدة خصومة، وأن كلاً منهما توجه إلى جهة من جهات الهند ولم يعلم له خبر(١٠١).

وبعد، فقد كان الكارم يمثل للسلطنة المملوكية مصدرا حيويا في اقتصادها، اتصلت عن طريقه بأوروبا التي كانت في أمس الحاجة إليه، ولما كان العلم سيد الزمان في كل عصر، استطاع الأوروبيون اكتشاف طريق الوصول إلى الكارم بأرخص الأسعار، على الرغم من محاولات المماليك في صدهم عن تحقيق ذلك. ولما كانت أهمية الكارم في الاقتصاد المملوكي بالغة التأثير كان ذهابها أحد الوسائل التي ساهمت في زوال سلطنتهم.

الهوامش والمصادر والمراجع :

(١) النابلسي، لمع القوانين المضية في دواوين الديار المصرية، دار الفكر، دمشق ١٩٦٠ م، ص ٤٨ ؛

ابن مماتي، قوانين الدواوين، نشر عزيز سوريال، القاهرة ١٩٤٣ م، ص ٨١، ٣٢٨، ٣٣٤ .

(٢) الخطيب الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان، تحقيق حسن حبشي، نشر مركز تحقيق التراث بوزارة

الثقافة في جمهورية مصر العربية، نسخة مطبعة دار الكتب ١٩٧٠ – ١٩٧٣ م، ج ٣ ص ١٨٥ ؛

المقريزي، السلوك، ج ١ ص ٨٩٩، حاشية رقم ٢ ؛ محمد أحمد دهمان، معجم الألفاظ التاريخية في

العصر المملوكي، نشر دار الفكر، دمشق ١٩٩٠م، ص ١٢٨ ؛

Heyd : W. Histoire du Commerce du Levant au Moyen age , 2Vols.Leipzig 1889. II.p.59. ،

وراجع أيضاً :

G.Demombynes:La Syrie a l,Epoqe des Mamlouks, Paris, 1922. p.LXXIV.N.3.

(٣) ابن شاهين الظاهري، زبدة كشف الممالك وبيان المسالك، تصحيح بولس راويس، نسخة مطبعة

الجمهورية، باريس ١٨٩٤ م، ص ١١١ .

(٤) ابن طولون مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، تحقيق محمد مصطفى، نشر وزارة الثقافة والإرشاد

القومي، نسخة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٢م، ق ١ ،

ص ٣٣٩.

(٥) ابن قاضي شهبة، تاريخه، تحقيق عدنان درويش، نشر المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية بدمشق، طباعة مشتركة بين المعهد المذكور والجفان للطباعة والنشر، دمشق ١٩٩٤م، مج ٢ ج ١ ، ص ٤٠٦ .

(٦) البصروي، تاريخه، تحقيق ودراسة أكرم حسن العلبي، طبع دار المأمون للتراث، دمشق ١٩٨٨م ، ص ١٩٢، ١٩٣ .

(٧) بدر الدين العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق محمد محمد أمين، نشر مركز تحقيق التراث بوزارة الثقافة المصرية، نسخة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م، ج ٤ ص ٣٧٧.

(٨) الخطيب الصيرفي، المصدر السابق، ج ٣ ص ١٤٥ .

(٩) الخطيب الصيرفي، المصدر السابق، ج ٣ ص ١٨٥ ؛ القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر بوزارة الثقافة والارشاد القومي ، القاهرة ١٩٦٣ م، ج ٦ ص ٣٧ .

(١٠) الخطيب الصيرفي، المصدر السابق، ج ٣ ص ٣٣٧، ٣٣٨ ؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد مصطفى زيادة وسعيد عبدالفتاح عاشور، نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر بوزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة ١٩٣٤ – ١٩٧٣ م، ج ٤ ، ص ٩٦٥ ؛ ابن حجي الحسباني، عبر الأعصار وخبر الأمصار، مخطوط بالمكتبة الملكية في برلين برقم ٩٤٥٨، ورقة ١٢٤ .

(١١) القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، طبع وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٣ م، ج ٣ ص ٤٥٧. وراجع أيضاً :

Demombynes : Op.Cit. p.140. G.

(١٢) القلقشندي، المصدر السابق، ج ٤ ص ٣٢.

(١٣) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، نشر دار الجيل، بيروت د.ت، ج ١، ص٤٠٠ – ٤٠١؛ المقريزي، المصدر السابق، ج ٢ ص١٧٢.

(١٤) المقريزي، المصدر السابق، ج ٣ ص ٤٠٢ .

(١٥) السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، نشر دار مكتبة الحياة، بيروت د.ت، ج ٢ ص ٥٥ ؛ المقريزي، المصدر السابق، ج ٣ ص ٩٧٠، ٩٧١. ٩٩٧ ؛ ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، نشر دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن ١٩٧٤ م، ج ٧ ص ٢٢٩ ؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، تحقيق محمد محمد أمين، نشر مركز تحقيق التراث، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٤، ج ٢ ص ٥٢ ؛

Dozy : Supphement Aux Dictionnaires Arabes, 2 vols. Leyden,1881 .p112

(١٦) القلقشندي، المصدر السابق، ج ٤ ص ١٨٧ .

(١٧) الخطيب الصيرفي، المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٩.

(١٨) المقريزي، المصدر السابق، ج ١ ص ٧٣٩ ؛ ابن طولون، رسائله، نسخة كبيرة متفرقة المحتوى بمكتبة أحمد الثالث في تركيا برقم ١٣١٦، ورقة ٣٦٢ .

(١٩) المقريزي ،المصدر السابق، ج ١ ص ٨٩٨، ٨٩٩ .

(٢٠) المقريزي، المصدر السابق، ج ٢ ص ١٠٣ - ١٠٤ ؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ١ ، ص ٤٠٢.

(٢١) المقريزي، المصدر السابق، ج ٢ ص ٨٣١، ٨٣٧، ٨٣٨ ؛ ابن حجي الحسباني، المصدر السابق، ورقة ٥٨ .

(٢٢) بدر الدين العيني، عقد الجمان، ج ٤ ص ٢٨٥، ٢٨٩ .

(٢٣) المقريزي، المصدر السابق، ج ٢ ص ٨٦٨ - ٨٦٩ ؛ ابن طولون، رسائله، ورقة ٢٣٧ .

(٢٤) المقريزي، المصدر السابق، ج ٢ ص ٤١٣ - ٤١٤ .

(٢٥) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٦ ص ٢٦٠ .

(٢٦) البصروي، المصدر السابق ، ص ٨١ - ٨٢، ٨٣ .

(٢٧) ابن طولون رسائله، ورقة ٣٦٤ ، ومفاكهة الخلان لنفس المؤلف، ق ١ ص ١١.

(٢٨) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق ١، ص ١٢ .

(٢٩) ابن طولون، المصدر السابق، ص ١٣٢ – ١٣٣ .

(٣٠) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٤ ص ٢٥٧ – ٢٥٨ ؛ ابن إياس، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى زيادة، نشر مركز تحقيق التراث بوزارة الثقافة والإرشاد القومي، نسخة الهيئة العامة المصرية للكتاب، طبعة ثانية مصورة عن الأولى، القاهرة ١٩٨٢ – ١٩٨٤ م ، ج ١ ق ٢ ص١٤٤، ١٥١؛ ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبدالله على الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، طبعة دار المعارف، القاهرة د. ت ص ١٨٤٧ ؛ ابن حجي الحسباني، المصدر السابق، ورقة ١١٨.

(٣١) ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٤ ص ٢٥٧ – ٢٥٨ ؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج ١ ق ٢ ص ١٤٤، ١٥١؛ ابن منظور، المصدر السابق، ص١٨٤٧.

(٣٢) ابن إياس، المصدر السابق، ج ١ ق ٢ ص ٥٩١ – ٥٩٢ .

(٣٣) الخطيب الصيرفي، المصدر السابق، ج ٢ ص ١٩٣ ؛ ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج ٥ ص ١٥٥ – ١٥٦ ؛ ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٣ ص ٣٥ ؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج ١ ق ٢ ص ٦٩١ .

(٣٤) السخاوي، المصدر السابق، ج ٢ ص ٩٩ – ١٠١ ؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج ٣ ص ١٢٠ .

(٣٥) الحسن بن حبيب، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق محمد محمد أمين، نشر مركز تحقيق التراث، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٦ – ١٩٨٦، ج ٢ ص ٦٠ – ٦١ ؛ ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة، ج ٢ ص٤١٠ .

(٣٦) المقريزي، المصدر السابق، ج ٢ ص ٣٤٠، ابن حجي الحسباني، المصدر السابق، ورقة ٨٦ .

(٣٧) ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج ١ ص ١٧٤ – ١٧٥ والدرر

الكامنة لنفس المؤلف، ج ٣ ص ١١٧ ؛ ابن قاضي شهبة، المصدر السابق، مج ٣ ج ٢ ص ٤٩٥ ؛ ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة، ج ١١ ص ١٤٢ – ١٤٣ ؛ ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت د.ت، ج ٦ ص ٢٥٢ – ٢٥٣ .

(٣٨) ابن قاضي شهبة، المصدر السابق، مج ٣ ج ٢ ص ٤٨٦ ؛ ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج ١ ص ١٥٩ ؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج ١ ق٢ ص ١٥٣، ١٦٢ .

(٣٩) ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج ٤ ص ١٧٠ – ١٧١؛ السخاوي، المصدر السابق، ج ٥ ص ٢٤٠ ؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج ١ ق ٢ ص ٦٣٦، وفيه أن وفاته كانت سنة ٨٠٣هـ / ١٤٠٠ م .

(٤٠) الخطيب الصيرفي، المصدر السابق، ج ٣ ٢٦٧ ؛ السخاوي، المصدر السابق. ج ٦ ص ٣٠ – ٣١ ؛ ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأبناء العمر، ج ٨ ص ٢٩٢ .

(٤١) السخاوي، المصدر السابق، ج ٣ ص ٩٠ – ٩١ ؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج ٣ ص ٢٠٧ .

(٤٢) ابن إياس، المصدر السابق، ج ٤ ص ٥٠ .

(٤٣) سعيد عبدالفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، نشر دار النهضة العربية ، بيروت د. ت، ص ٢٧١ .

(٤٤) المقريزي، المصدر السابق، ج ٤ ص ١٠٠٣، ١٠٠٤ ؛ الخطيب الصيرفي، المصدر السابق، ج ٣ ص ١٤٥، ٣٧٧، ٣٧٩.

(٤٥) سعيد عبدالفتاح عاشور، المرجع السابق، ص ٢٥٥ ؛

Lane-Poole: History of Egypt in the Middle Ages , London 1925 , p. 334.

(٤٦) ابن إياس، المصدر السابق، ج ١ ق ٢ ص ٦٨٠ – ٦٨١ ؛ ابن طولون، رسائله، ورقة ٢٩٣ –٢٩٤ .

(٤٧) ابن إياس، المصدر السابق، ج ١ ق ٢ ص ٦٨٢ .

(٤٨) المصدر السابق، ص ٨١٣ .

(٤٩) ابن إياس، المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٨ ؛ ابن طولون، رسائله، ورقه ٢٩٥.

(٥٠) ابن حجي الحسباني، المصدر السابق، ورقة ١٤٩ ؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج ٢ ص ٨٩ .

(٥١) زبد الأوقاف السلطانية الأشرفية برسباي، مخطوط مكتبة الدوقية بغوتا – ألمانيا، برقم ١٦٨٩، ورقة ٣٦؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج ٢ ص ١٠٠، ١٠١ .

(٥٢) ابن إياس، المصدر السابق، ج ٢ ص ١٠٧ .

(٥٣) ابن حجي الحسباني، المصدر السابق، ورقة ١٩٣، ابن إياس، المصدر السابق، ج ٢ ص ١٠٨ ، ١٠٩ .

(٥٤) المقريزي، المصدر السابق، ج ٤ ص ٧٤١ ؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج ٢ ص ١١٣ .

(٥٥) ابن إياس، المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٢٤ ؛ المقريزي، المصدر السابق، ج ٤ ص ١٢٠٥ .

(٥٦) ابن إياس، المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٢٩ .

(٥٧) ابن طولون، رسائله، ورقة ٢٤٣ ؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٣٣.

(٥٨) ابن إياس، المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٣٨ .

(٥٩) ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ١٥ ص ٣٥٩ ؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٤١، ٢٤٢ ؛ محمد أحمد دهمان، المرجع السابق، ص ٣٠.

(٦٠) ابن إياس، المصدر السابق، ج ٢ ص ٢٤٣ ؛ ابن تغري بردي ،النجوم الزاهرة، ج ١٥ ص ٣٦٣.

(٦١) ابن طولون، رسائله، ورقة ٢٤٥ ؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج٢ ص ٢٩٠

(٦٢) ابن إياس، المصدر السابق، ج ٢ ص ١١١.

(٦٣) ابن حجي الحسباني، المصدر السابق، ورقة ١٩٥ ؛ ابن إياس، المصدر السابق،

ج ٢ ص ١٠٣.

(٦٤) ابن طولون، رسائله، الأوراق : ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٦٠ – ٢٦١ ؛ المقريزي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٩٢٩ – ٩٣٠ .

(٦٥) المقريزي، المصدر السابق، ج ٤ ص ٩٦٥.

(٦٦) الخطيب الصيرفي، المصدر السابق، ج ٣ ص ٣٤٦ ؛ المقريزي، المصدر السابق، ج ٤، ص ٩٧٢.

(٦٧) المقريزي، المصدر السابق، ج ٤ ص ١٠٠٣ ؛ الخطيب الصيرفي، المصدر السابق، ج ٣ ، ص ٣٧٧.

(٦٨) الخطيب الصيرفي، المصدر السابق، ج ٣ ص ٣٧٩ ؛ المقريزي، المصدر السابق، ج ٤ ص١٠٠٤.

(٦٩) الخطيب الصيرفي، المصدر السابق، ج ٣ ص ٢٨٥ .

(٧٠) المقريزي ،المصدر السابق، ج ٤ ص ٩٦٧ ؛ الخطيب الصيرفي، المصدر السابق، ج ٣ ص ٣٤١.

(٧١) ابن طولون، مفاكهة الخلان، ق ١ ص ١٢٠ – ١٢١ .

(٧٢) ابن إياس، المصدر السابق، ج٢ ص ٢٩٠ ؛ ابن طولون، رسائله، ورقة ٢٤٥ .

(٧٣) ابن طولون، رسائله، ورقه ٣٤٨ ؛ ابن إياس، المصدر السابق، ص ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٦.

(٧٤) ابن إياس، المصدر السابق، ج ٣ ص ٧٥ ؛ ابن طولون، رسائله، ورقة ٢١١.

(٧٥) ابن طولون، رسائله، ورقة ٢١٣ ؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج ٣ ص ٨٩.

(٧٦) سعيد عبد الفتاح عاشور، الحصار الاقتصادي على مصر زمن الحروب الصليبية، المجلة المصرية للعلوم السياسية، أكتوبر١٩٦٢م، ص ١١٠ ؛ ومصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص ٢٧١ – ٢٧٢ .

(77) Heyd:Hist. du Commercem,T.3,p.320 .

(٧٨) سعيد عبد الفتاح عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك، ص ٢٧٢.

(٧٩) ابن إياس، المصدر السابق، ج ٤ ص ٨٢، ٨٤ .

(٨٠) ابن حجي الحسباني، المصدر السابق، ورقة ١٤٢ ؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج ٤ ص ٨٥.

(٨١) ابن إياس، المصدر السابق، ج٤ ص ٩١.

(٨٢) ابن طولون، رسائله، ٣٦٧ ؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج ٤ ص ٩٥ – ٩٦ .

(٨٣) ابن إياس، المصدر السابق، ج ٤ ص ١٠٩ ؛ محمد أحمد دهمان، المرجع السابق، ص ٩٥ .

(٨٤) ابن طولون، رسائله ٣٧١ ؛ ابن إياس، المصدر السابق، ص ١٣١، ١٤٢ .

(٨٥) ابن إياس، المصدر السابق، ج ٤ ص ١٤٦.

(٨٦) ابن إياس، المصدر السابق، ج ٤ ص ١٥٦؛ Wiet : L Egypte Arabe, Paris , 1926 , p .311

(٨٧) ابن طولون، رسائله، ورقة ٣٧٥ ؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج ٤ ص ١٨٢ – ١٨٣ ؛ محمد

أحمد دهمان، المرجع السابق، ص ١٣٥ .

(٨٨) ابن إياس، المصدر السابق، ج ٤ ص ١٨٣ – ١٨٤، ١٨٥ .

(٨٩) وثيقة السلطان الغوري، رقم ٢٦٥، محفظة ١٤، المكتبة السليمانية، تركيا، ورقة ١ ؛ ابن إياس،

المصدر السابق، ج ٤ ص ١٩١ – ١٩٢ .

(٩٠) ابن إياس، المصدر السابق، ج ٤ ص ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٦ .

(٩١) ابن طولون، رسائله، ورقة ٣٨٤ ؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج ٤ ص ١٩٥ .

(٩٢) ابن إياس، المصدر السابق، ج ٤ ص ١٩٦، ١٩٩.

(٩٣) وثيقة السلطان الغوري، رقم ٢٦٥، محفظة ١٤، المكتبة السليمانية، تركيا ، ورقة٢ ؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج ٤ ص ٢٥٩ .

(٩٤) ابن طولون، رسائل، ورقة ٣٨٦ ؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج ٤ ص ٢٨٧ .

(٩٥) وثيقة السلطان الغوري، رقم ٢٦٥، محفظة ١٤، المكتبة السليمانية، تركيا، ورقة٢ ؛ ابن اياس، المصدر السابق، ج ٤ ص ٣٦٥ .

(٩٦) ابن إياس، المصدر السابق، ج ٤ ص ٣٨١ .

(٩٧) المصدر السابق، ص ٣٨٣ .

(٩٨) ابن طولون، رسائله، ورقة ٣٩٢ ؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج ٤ ص ٤٥٨، ٤٥٩ .

(٩٩) وثيقة السلطان الغوري، رقم ٢٦٦، محفظة ١٥، المكتبة السليمانية، تركيا، ورقة ١، ٢ ؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج ٤ ص ٤٦٠، ٤٦٦ – ٤٦٧ .

(١٠٠) ابن طولون، رسائله، ورقة ٣٩٤ ؛ ابن إياس، المصدر السابق، ج٤ ص ٤٧٢.

(١٠١) ابن إياس، المصدر السابق، ج ٤ ص ١١٥ .

إبداعات التراث الإسلامي وأثرها على أعمال الفنانين الكويتيين

د. عصام عرفه محمود

عضو هيئة تدريس بكلية التربية الأساسية

مقدمة :

أبدع الفنان عبر العصور الإسلامية طرازاً فنياً أساسه التجريد الهندسي ويقوم على أسس من القيم الجمالية المتمثلة في الاتزان والإيقاع والتناسب الجمالي والتنوع والوحدة. فهو طراز فني شديد التميز عن غيره من فنون الحضارات السابقة عليه والمعاصرة أو اللاحقة له. وذلك على الرغم من تأثر الإبداعات الفنية الإسلامية بفنون ما حولها من حضارات – في مهد حركتها الفنية – والتي أصبحت مصدراً هاماً من مصادر التأثير على الفنون المجاورة عبر العصور، خاصة المعاصرة منها. بالعصر الحديث.

ولإبداعات التراث الإسلامي تأثيرات جمالية وفنية على أعمال الفنانين المعاصرين بالعالم العربي وبدرجات متفاوتة ، نراها ونقرأها في الأعمال الإبداعية للمصورين الخليجيين لا سيما الكويتيين منهم.

وللتأثيرات الجمالية الإسلامية على الفنون الكويتية جذور، فقد استمرت رغم حداثة الدولة – منذ العقد الثالث من القرن العشرين. حيث تمثلت ملامح هذه التأثيرات على العملات المضروبة، والعمائر الدينية، وبعض العمائر المدنية، التي زينت بأشرطة من الكتابات الكوفية والنسخية، ومن العناصر النباتية والهندسية المتكررة على امتداد الجدران الخارجية خاصة بالعمارة الدينية والبعض منها بالعمارة المدنية، وبالأسوار المحيطة بالمدن المكونة لدولة الكويت، وهي السمات التي تمثلت بوضوح في التزام بعض العناصر المعمارية الإسلامية كالشرفات المسننة التي تتوج أسوار الكويت والأعمدة الإسلامية ذات التيجان والقواعد النباتية، وفي تصميمات مآذن المساجد التي

التزمت في أحيان بامتداد المئذنة من الأرض وحتى قمتها مجاورة للمدخل الرئيسي كما كان شائعاً بالعمارة الدينية بشرق العالم الإسلامي، ببلاد فارس. أو في أحيان أخرى حيث تكون المئذنة متوجة لأحد المداخل كما هو شائع بمصر، بالإضافة إلى تنوع طراز هذه العمائر خاصة المآذن والمداخل والمساقط الأفقية والرأسية، وفي التزام التبادل اللوني الممتد أفقيا بالوجهات (الأبلق). وكذلك شغل الأركان والحنايا بالمقرنصات والمتدليات، وبالعقود بأنواعها المتعددة ، وبأشكال النوافذ والقباب .

وهي العناصر الهندسية والنباتية والمعمارية التي انعكس بعضها على تكوينات بعض أعمال إبداعات المصورين الكويتيين عبر ما يقرب من سبعة عقود وإن تبدو في مختلف الإبداعات بقدر يختلف من فنان لآخر، ومن عمل فني لآخر، وذلك وفقا لأسلوب تناول الفنان لها من حيث استيعابها ومن حيث إعادة خلقها وإبداعها، حيث أن التأثر بأي فن من الفنون هو بمثابة تناول ذاتي من قبل الفنان.

ولقد ارتبط ظهور الفن التشكيلي بدولة الكويت ببزوغ فجر الدولة الحديثة في منتصف القرن العشرين وذلك نتيجة لما شمل الحركة التشكيلية في مهدها من رعاية من قبل الدولة ومن قبل أفراد ينتمون لأسر عديدة منها أسرة الصباح. وذلك فضلاً عن تزامن ذلك الدعم المادي مع الدعوات التي كانت تنادي بإحياء التراث والالتزام به والحفاظ عليه من متغيرات كانت مقدمة عليها دولة الكويت، والمنطقة بأسرها ، وذلك نتيجة لظهور النفط ونتيجة لاستقدام العاملين الحاملين للعلم وللثقافة من جميع أنحاء العالم وخاصة من مصر والعالم العربي. الأمر الذي كان متوقع معه تحول الثقافة المحلية وامتزاجها مع ثقافات وعادات وتقاليد وقيم الوافدين وهو الأمر الذي كان ينبئ بإضعاف الثقافة المحلية بما تتضمنه من عادات وتقاليد وسمات ورموز اجتماعية وهو ما دفع المراقبين لملامح المستقبل أن يطلقوا صيحات الحفاظ على التراث والثقة به ، وسرعة تسجيل ملامحه التي كاد ان يعصف بها ظهور الأساليب المعمارية الجديدة وامتزاج الطرز الخاصة بالأزياء الشعبية والوطنية بطرز وافدة ،وتعدد أنماط الحياة بالأسر الكويتية نتيجة لاختلاطها بأنماط وفدت وأخرى استقتها أفراد الأسر من تعدد أسفارهم واتساع انفتاحهم على العالم.

إن فترة الانتقال من بقايا الحياة القديمة بدولة الكويت وحتى الآن أي خلال

النصف الثاني من القرن العشرين ، قد اتضحت خلالها ملامح وحدود النهضة الثقافية التي شملت كل مناحي الحياة . الأمر الذي أكد الدعوات الأولى الخاصة بسرعة تسجيل التراث فنياً ، والتعبير عنه ، واتخاذه أساساً لأعمال فنية تجمع بين التأصيل وبين معاصرة الرؤية واستشراف المستقبل .

لقد كان لشيوخ الدولة الحديثة ولأثريائها ولمثقفيها الأثر الأكبر في دفع الفنانين نحو الإبداع، ونحو تأسيس جمعية فنية ويشرف عليها أحد المجالس الوطنية المتخصصة بالدولة .

وللفن روافد، ومصادر، ومؤثرات ، فقد تمثل ذلك في الروافد الثقافية العالمية تأسيساً لنهضة ثقافية واعدة تم إرساء قواعدها بدولة الكويت في النصف الثاني من القرن العشرين ، مع تأسيس المؤسسات العلمية والثقافية وعلى رأسها جامعة الكويت في عام ١٩٦٦ . التي مثلت بداية النهضة الثقافية وبعث التراث، وتنظير أسس ومقومات الحضارة، الأمر الذي أثار الإبداع على أسس وطنية وقومية وتراثية. فقد ولد الفن في دولة الكويت على أسس من التأصيل يحمل سمات البيئة القديمة ويترعرع في أحضان حضارة عربية وإسلامية عريقة، على أيد أمينة من رواد الفنون الذين تأسس فكرهم ومشاعرهم على أيد عربية وأجنبية بداخل الكويت وبخارجها. وتفجرت طاقاتهم بلا حدود تذخر بمضامين محلية وعربية وإسلامية ، متدرجين في مراحل فنية تمثلت في مراحل نقل الواقع ، ثم مراحل التعبير عنه ، و كأنهم مروا بكل مراحل المدارس الفنية منذ عصر النهضة وحتى الآن والتي استغرقت ما يقرب من خمسة قرون ، وذلك عبر نصف قرن ، مختزلين الزمن من أجل اللحاق بركب القرن الواحد والعشرين حيث أصبح التعبير عن الواقع هو تعبير نسبي ، تتفاوت فيه المفاهيم ما بين واقع الطبيعة ، وواقع فنون التراث ، وواقع أسلوب الفنان ذاته ، وواقع الجمع بين كل ذلك. وكانت لليقظة القومية لرواد الفن بدولة الكويت أثرها على الحركة الفنية ، فكانت بمثابة المهاد الذي دفعهم دائما نحو تبني فكرة التأصيل التي أفرزت أعمالا فنية عاصرت الأحداث وسجلتها وعبرت عنها وأكدت عادات وتقاليد وميول وأخلاقيات المجتمع ، من خلال معارض منظمة أثرت دوائر الاقتناء ودور المتاحف ، وأفرزت جيلاً من رواد المتذوقين، وآخر من رواد النقاد ، لا تزال الأجيال الجديدة تهتدي بتجاربهم .

مشكلة البحث :

أن الدراسة الخاصة بأعمال الفنانين الكويتيين وتأثرها ببعض إبـداعات التـراث الإسلامي، لم تحظ بالدراسة والتصنيف والتحليل، مما يـستلزم إلقـاء الـضوء عليهـا وتناولها بالتفسير والتحليل، من خلال دراسة علمية منهجية شـاملة. وتتحـدد مـشكلة البحث في النقاط التالية :

١- سمات بعض إبداعات التراث الإسلامي ذات الصلة بأعمال المصورين الكويتيين.
٢- مظاهر تأثر أعمال الفنانين الكويتيين ببعض إبداعات التراث الإسلامي.

فروض البحث :

يفترض الباحث وجود علاقات إيجابية بين أعمال الفنانين الكويتيين وبين السمات العامة لبعض إبداعات التراث الإسلامي.

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى الكشف عن مظاهر تأثر بعض أعمـال المـصورين الكـويتيين بالسمات العامة لبعض إبداعات التراث الإسلامي، من خلال تحليل مكونات هذه الأعمـال الفنية.

أهمية البحث :

ترجع أهمية هذه الدراسة إلى بيان مدى تأثر أعمال الفنانين الكويتيين بالـسمات العامة لبعض إبداعات التراث الإسلامي.

حدود البحث :

تحليل أمثلة – على سبيل المثال وليس الحصر – من أعمال الفنانين الكـويتيين المعاصرين، لبيان أثر بعض إبداعات التراث عليها.

منهجية البحث :

يلتزم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي بهدف الكشف عن بعض سمات الطابع العام لإبداعات التراث الإسلامي ، وبهدف تأكيـد تـأثر أعمـال الفنـانين الكويتيين بها.

الدراسة :

هذا الجزء من الدراسة يمثل محورا لبحث أهم السمات العامة للعناصـر الفنيـة

والمعمارية ذات الصلة بمجال التصوير والتي شاعت بالتراث الإسـلامي والتـي كانـت موضع استلهام من قبل الفنانين المعاصرين بدولة الكويت والتي أثرت بدورها في بعض أعمالهم الفنية، وقد تمثلت فيما يلي:

١ - سمات تكوينات تصوير الطبيعة والكائنات الحيـة بالمخطوطـات المـصورة الإسلامية.

٢ - سمات التكوينات الهندسية والنباتية.

٣ - سمات العناصر المعمارية ذات الصلة بأعمال التصوير موضع البحث.

أولاً: عناصر وسمات التراث الفني الإسلامي:

" أن تركيب وتداخل المفاهيم الجمالية في الفن الإسلامي من خلال تـزاوج البعـد العملي والرياضي ، مع البعد الجمالي والديني الروحي .. وشمول الفكرة الفلسفية فـي الإسلام، شرطٌ أساسي لتذوق واستخلاص القيم[١] الجمالية في هذا الفن من منظورهـا الصحيح " [٢].

أن إبداعات التراث الإسلامي تتضمن أبعاداً فنية وجمالية وروحية أثرت في بعض أعمال الفنانين عبر العصور، وكل منهم وفق قدر ومجال تـأثره. فـالبعض قـد تـأثر بالأشكال وبالعناصر الفنية وبالعناصر المعمارية، والبعض الآخر قد تأثر بالنظم الجمالية، الأمر الذي دفع الباحث في هذا الجزء من الدراسة إلى تحليـل سـمات الطـابع العـام للتصوير الإسلامي، فضلاً عن دراسة أهم العناصر المعمارية والزخرفية، التـي كانـت بمثابة المنهل الذي نهل منه الفنانون، وأثرت بدورها في إبداعاتهم.

وقد تمثلت أسس وعناصر إبداعات التراث ذات الصلة بموضوع البحث فيما يلي:

١ - الطابع العام لتكوينات تصوير الطبيعة والكائنات الحية:

تتسم تكوينات تصوير الطبيعة والكائنات الحيـة بالمخطوطـات عبـر العـصور والولايات الإسلامية وعبر المدارس المختلفة لتصوير المخطوطات [٣] ببعض الـسمات العامة الفنية والهندسية التي ميزتها عن غيرها من تكوينات الحضارات المحيطة بهـا، وقد تميزت بسماتها وطابعها العام لما كان للقيم الدينية من أثر[٤] على القيم الجمالية في أعمال الفنان عبر العصور الإسلامية ، وهو الأمر الذي أحكم أسلوب الفنان فـي اتجـاه تجريدي فريد، حيث تحول أسلوب الفنان من التكوينات الطبيعية المحاكيـة للواقـع[٥]،

وشديدة التأثر بفنون الحضارات المحيطة به – في مهد الحركة الفنيــة الإســلامية[٦] – إلى الأسلوب الذي تحول تدريجيا إلى التكوينات التجريدية. وهو ذات الأسـلوب الـذي توارثه الفنانون عبر الأجيال، فلم يحاك الطبيعة بل تأملها وحللها ثم جردهــا وأضــاف إليها، أو رسبها إلى أصولها الفنية وقيمها الجمالية. فكان هــذا المــنهج هــو بمثابــة المعايير التي دفعت بالفنان في اتجاه فني محدد قائم على التبسيط والتجريــد. كأســلوب صاغ به كل عناصر الطبيعة ، مبتعدا من خلاله عن التقليد والمحاكاة . وهو الأســلوب الذي يعد بالعصر الحديث من أهم الاتجاهات الفنية، من منطلق أن الفن تعبيــر ولــيس تقليد أو محاكاة[٧]. وهو الاتجاه الفني الذي نجد صداه جليــاً فــي إبــداعات الفنــانين المعاصرين. ومن ثم فقد تأسس التصوير الإسلامي على معايير تنامت عبــر العــصور وأصبحت هذه المعايير خصائص ومميزات تعكس شخصيته وهو الفــن الــذي عــرف بالمنمنمات[٨]، شديدة الإبهار بانتقالاتها اللونية المضيئة والذهبية، والالتزام بالأوضــاع ذات البعدين (ش ١)، وذات التعبيرات الإبداعية المعبرة عن جمال الكون، ذات العناصر الهندسية والنباتية والكتابية والمعمارية مع الجمع بين أكثر من مستوى للنظر في العمل الفني الواحد، واستخدام الحيز المطلق في مسطح الصورة وحدودها. فضلاً عــن قــدرة الفنان على نقل المشاهد – داخل التكوين – من عنصر لآخر، ومن مجموعة لونية إلــى أخرى، حيث تنقلنا بعض العناصر النباتية إلى أخرى هندسية وتقودنا بدورها إلى بعض الكائنات الحية المجردة أحياناً، والمتحورة أحيانا أخرى ذلك إلى جانب ما التزمه الفنــان من أساليب فنية وهندسية تمثلت في الإسقاط الهندسي المتمثل في استخدام أكثــر مــن زاوية للرؤية باللوحة الواحدة (فوق مستوى النظر، أو في مــستوى النظــر، أو تحــت مستوى النظر، أو اثنين منهما معا). ذلك إلى جانب التعبير عن المبالغة في حجم ولون الشخصية المهمة بالنص المخطوط، بالقياس لباقي شخصيات القصة. وذلك فــي إطــار الخلط البارع مع العناصر الهندسية والنباتية والكتابية. وهي الأسس والمعــايير التــي انعكس تأثيرها على إبداعات بعض الفنانين المعاصرين.

٢- التكوينات الهندسية والنباتية :

تأسست هذه التكوينات على عناصر[٩] هندسية ونباتية استمد الفنــان والمــصمم العناصر الهندسية منها من نتاج دراسة المخطوطــات والرســائل الهندســية[١٠] ومــن

استخدامه لأدوات هندسية توفرت لديه وأسهمت في تدقيق وإبداع التكوينات الهندسية، وغير الهندسية بصورة دقيقة. وقد أسس الفنان تكويناته على مفردات هندسية تمثلت في الأشكال المنتظمة متعددة الأضلاع، فضلاً عن الأشكال المركبة المعروفة بالنجمية ويمكن تقسيم التكوينات الهندسية الإسلامية إلى شقين: الأول منها قائم على أسس هندسية ذات أشكال منتظمة مثل (٣،٤،٦)، أي المثلث المنتظم والمربع والمسدس المنتظم ، والثاني منها : هو القائم على أسس هندسية ذات أشكال غير منتظمة (ش٢)، وهي التكوينات التي أستلهم الفنان المعاصر أصولها ونظمها الهندسية وانعكست جلية على إبداعاته، وأثرت تأثيراً كبيراً على إعادة صياغة رؤيته الذاتية تجاه الطبيعة . أما العناصر النباتية فقد شاعت شيوعاً كبيراً على مسطحات التكوينات عبر العصور الإسلامية. وقد أستطاع المصمم خلالها أن يطور أشكالها حتى أصبحت عناصر زخرفية مجردة تماماً، ولا نكاد نتبين من الفروع والأوراق إلا خطوطاً منحنية، أو ملتفة، يتصل بعضها ببعض على امتداد أي تكوين عن طريق الفروع الممتدة على هيئة أقواس أو حلزونات في تتابع وتقاطع وتشابك. وقد استمرت رحلة التجريد بالعناصر النباتية منذ القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي بالعصر الطولوني وحتى القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي بمصر والعالم الإسلامي حيث وصل قمة ازدهاره (ش٣)، وهي العناصر النباتية التي شاعت بالعديد من إبداعات الفنانين المعاصرين. إما كعناصر استلهمها بصورتها التي كانت عليها بالتكوينات الإسلامية، وإما وفقاً لرؤية ذاتية اختلفت من فنان لآخر. وهي التكوينات الهندسية والنباتية التي تأسست عبر العصور والولايات الإسلامية على أسس هندسية وفنية أضفت إليها سمات الطابع العام الإسلامي، وهي السمات التي ميزته كطابع عام عن غيره من فنون الحضارات السابقة عليه واللاحقة. وقد تمثلت أهم هذه الأسس الهندسية والفنية فيما يلي:

أ- تقارب الشكل مع الأرضية، مع الاحتفاظ بقوة تميز لوني لكل منهما ، حتى يتبادل المتلقي إدراك الأشكال مع إدراك الأرضيات ، بالتكوينات التي شاعت بالعمارة الإسلامية بالنوافذ والشرفات والأرضيات (ش ٤).

ب- تطابق هيئة كل من الشكل مع الأرضية، وهو الأسلوب الذي تعمده الفنان لإبداع تكوينات تتطابق فيه الأشكال مع ما حولها من فراغ أو أرضية، وهو أسلوب

يحتاج إلى فكر هندسي وتجريب دقيق. وقد تميزت تكويناته بتساوي كثافة كل من الشكل والأرضية (ش٥)، فضلاً عن تميزها بالتبادل اللوني وبتبادل مستويات السطوح بين غائر وبارز ، فيما بين الشكل والأرضية، (ش ٥، ٦، ٧).

٣- العناصر المعمارية الإسلامية:

تضمنت العمارة الإسلامية الدينية منها والمدنية والاجتماعية والعسكرية عناصر معمارية استلهم الفنان المعاصر أشكالها كي تمثل عناصر تشكيلية في إبداعاته، كوسيلة للتعبير عن انطباعاته تجاه تراثه الإسلامي. كما تمثل عناصر معمارية هامة لدى المعمار المعاصر كوسيلة لإحداث تواصل مع أصول التراث لما لها من قيم معمارية وجمالية. وتتمثل أهم هذه العناصر المعمارية في ما يلي:

١- الأعمدة الإسلامية التي تطورت صناعتها وتصميماتها من جذوع النخيل والأعمدة الرومانية الطراز إلى الإسلامية التي غدت شديدة التميز عن غيرها من أعمدة الحضارات الأخرى (ش٨)، حيث أبدع المعماري تصميم القواعد والأبدان والتيجان، والتي شاع استخدامها في الممالك والولايات الإسلامية لما لها من أهمية إنشائية ومعمارية بالعمارة الدينية والمدنية، وهي القواعد والتيجان التي تنوعت طرزها ما بين الرماني والناقوسي الشكل، أو على هيئة التاج أو الشكل الكروي، ذلك فضلاً عن تلك الطرز التي شاع بها تغطية أجزاء العمود الثلاثة بالزخارف، إلى جانب إبداع المعماري في تنويع قطاعات البدن بين المضلع والأسطواني والحلزوني. وهي الأعمدة التي أبدع الفنان صناعتها من خامات تنوعت من ولاية إسلامية لأخرى، وتمثلت في الأعمدة الحجرية والرخامية والجصية أو "المطعمة بأنواع مختلفة من الرخام مختلف الألوان في تكوينات زخرفية هندسية أو محورة من أصول نباتية ... أو من كتابات كوفية". [١١]

٢- العقود الإسلامية التي تعددت تصميماتها وطرزها وأماكن استخدامها ، في العمارة الدينية والمدنية والعسكرية (ش ٩)، من شرق العالم الإسلامي وحتى غربه، والتي تنوعت ما بين نصف الدائرية، وحدوة الفرس، والمدببة، والمنحنية، والمنكسرة، والثلاثية، والمفصصة، والعاتقة، والمزررة. وذات

الدلايات أو المقرنصات. فهي العقود التي تغطي بالزخارف البارزة أحيانا على باطنها وأخرى على واجهاتها.

٣- القباب والتي عرفت فيما قبل الإسلام لدى الفرس الساسانيين والروم البيزنطيين، كوسيلة للتغطية المعمارية للمباني المستديرة، وكذلك في العصور الإسلامية، وتعد قبة الصخرة (٧٢هـ/٦٩١م) من أقدم وأهم ما شيد المسلمون عبر العصور، حيث شيد المسلمون روائع من أشكال القباب ذات الإبداعات الفنية البارزة على أسطحها الخارجية والداخلية، وعلى مناطق انتقالها، وكان منها القباب نصف الكروية والبيضاوية والمضلعة، والمدببة، المتنوعة في القطر والارتفاع والموقع والتي أضفت حلاً معمارياً رائعاً للتغطية العلوية عبر مساجد العالم الإسلامي.

٤- المآذن والمنارات [١٢] التي تعد من أهم العناصر المعمارية ذات الدلالات الإسلامية والتي تعكس بوضوح شخصية العمائر الدينية ، وقد تطورت كثيراً من الأبراج مربعة القطاع بالجامع الأموي بدمشق (٩٦هـ) إلي الأبراج ذات الطوابق المتعددة والمتدرجة في الصغر والتي وصلت إلى أرقى مستوياتها بعصري المماليك بمصر. ويعد العالم الإسلامي متحفاً للمآذن التي شغل المصمم أبدانها من الخارج بإبداعات من التكوينات البارزة والغائرة الحجرية والرخامية والجصية (ش١٠) .

أن هذا الجزء من الدراسة والذي يمثل محوراً لبحث أهم سمات الطابع العام لعناصر التراث الإسلامي، كان بمثابة دراسة لعناصر أسهمت في منح سمة الإبداع للتراث الفني والمعماري الإسلامي، وأعطته أهم سمات الطابع العام عبر العصور والولايات الإسلامية. فقد ظلت هذه العناصر والقيم دائماً ولا تزال رمزا للفنون والعمارة الإسلامية بطرزها المختلفة وبمجالاتها الإبداعية. الأمر الذي جعلها دائماً موضع دراسة من قبل الفنانين عبر مختلف العصور، ومجالاً لاستحياء تعبيراتهم المختلفة، كعناصر تشكيلية عكست بوضوح طبيعة البيئة العربية والإسلامية، وهو ما تجلى بوضوح في بعض إبداعات الفنانين، والتي ظلت رمزاً من رموز التعبير عن هذه البيئة الإسلامية.

ثانيا : إبداعات التراث وأثرها على أعمال الفنانين الكويتيين :

تعُد السمات العامة لبعض عناصر التراث الإسلامي بمثابة المجال الـذي اسـتقى منه المصور الكويتي عناصره، وأثرت في فكره وأثرت بدورها في أعمالـه، وأصـبحت جزءاً من تعبيراته. وتختلف هذه النظم من فنان لآخر، وذلك وفقاً لقدر تأثر الفنان بهـا، ووفقاً لأسلوب تناول الفنان لها. من ثم فإنه يمكن اتخاذ السمات العامة لعناصر التـراث الإسلامي معياراً للبحث عن مدى تأثر الفنان بها، وذلك من خلال تحليل أعماله، والبحث عما بها من عناصر فنية إسلامية، أخذها الفنان الكويتي وأضاف إليها أو حذف منها ثم أعاد صياغتها ، أو حللها وأعادها إلى أصولها الهندسية والجمالية ، ثم أضـافها إلـى أعماله حتى وصل بها إلى مصاف إبداعية تجمع بين أصول التراث ومعاصرة الرؤية .

ومن خلال تحليل أعمال الفنانين الكويتيين يتضح لنا أثر إبداعات التراث الإسلامي في أعمال الفنانين التاليين:

١- الفنان محمد الشيخ (١٣) **(١٩٤٨م)** :

تكمن القيمة الفنية لإبداعات الفنان "محمد الشيخ"، في المراحل الفنيـة الجماليـة التي عاشها، والتي جمع فيها بين رموز التراث الإسلامي فـي مجـال التـصوير بمـا تضمنه من سمات عامة، وأسس بنائية وتأمـل وتحليـل لعناصـر الطبيعـة، وتجريـد وشفافية. وكذلك بين تجاربه الفنية الذاتية تجاهها، الأمر الذي أفرز إبداعات فنية جمعت بين رصانة ووقار أشكال التراث، وبين اللمسة الحديثة المتمثلة في حداثة الرؤية، وفي إبداعات فنان ثقلته تجارب السنين. فتجارب الفنان (الشيخ) ذات مقاييس متزنة بعيـدة عن البهرجة والمبالغة التي قد تصور البعض أنها من سمات التصوير الإسلامي. ويعُـد هذا الفنان بسمات أعماله امتداداً راقياً ورصيناً لسمات الطابع العام لأعمال فن التصوير الذي شاع عبر العصور الإسلامية.

فالفنان محمد الشيخ من الرواد الذين التزموا بالتراث عبر التزام بعـض أسـس وتقاليد التصوير الإسلامي، مع مراعاة قواعد الإسقاط المنظوري وتعدد مصادر الرؤيـة. فضلاً عن تأكيد التسطيح وتأكيد منظور عين الطائر، والألوان الزاهية البراقة، والطـابع الزخرفي، رافعاً لواء التصوير الإسلامي المعاصر المؤسس على أصول وأسس التـراث ومستقياً موضوعاته من واقع الحياة المعاصرة. وأعمال هذا الفنان أعمال فنية كويتية لا

يتردد المتلقي والناقد في تحديد هويتها التي تجمع بين أصول التراث والهوية المعاصرة . وقد تمثل ذلك أبدع تمثيل في إحدى لوحاته (ش ١١) وهي واحدة من مجموعة لوحات تمثل عدة تجارب استمرت ما يقرب من العشرين عاما (١٩٨٠ - ٢٠٠٠ م) ، حاول خلالها الفنان إحياء التراث في مجال التصوير الإسلامي والذي ندر إبداعه عبر العالم الإسلامي في القرن العشرين إلا من بعض أمثلة نادرة بأقصى غرب العالم العربي. وقد ضمت هذه اللوحة، أشكالا لفتيات وطيور موزعة داخل أطر إيقاعية محاطة بإطار هندسي مشغول بمثلثات متبادلة اللون. وقد اتسمت تحليلات هذه الأشكال- من آدمية وطيور- بالبساطة والتسطيح والبعد عن إيحاءات العمق، وذلك بإغفال أي تفاصيل بالخلفية ، وهي سمات قلما وجدت بالتصوير المعاصر ، بل كانت من أهم سمات التصوير الإسلامي، خاصة التقسيمات الداخلية التي شاعت بتصوير المخطوطات ، والتي تميزت بتقسيمات ذات عقود مدببة أو فارسية ، وهو ما التزمه الفنان محمد الشيخ في أعمال أخرى (ش ١٢) والتي ضمت كذلك تكوينات من زخارف نباتية ممتدة أفقياً بامتداد التكوين .

كما تمثلت في أعمال الفنان محمد الشيخ ملامح أخرى تؤكد التزامه بأصول التراث خلال أعمال فنية ضمت تكوينات من العناصر والأشكال الهندسية المتخذة هيئة أشباه الحروف العربية لكن في إطار من الرؤية المعاصرة وهي الظاهرة الفنية التي مرت بعدة مراحل في حياة هذا الفنان، حيث بدت في أحدى أعماله (ش ١٣) تعبيراً عن قيم إيقاعية خطية وتوازنات لونية، وتنويعات في أشكال التكوين التي تخلي فيها عن أشكال الطبيعة من أجل البحث عن الجمال في أشباه أشكال الحروف العربية ملتزماً بأصول التراث التي ضمت قيم التقاطع والتجادل من خلال تنامي أحجام العناصر من موقع لآخر داخل التكوين. وهو الهدف الجمالي الذي ازداد عمقاً في تكوين آخر تدافعت فيه الأشكال الهندسية المتخذة هيئة أشكال الحروف وتفجرت من أسفل التكوين إلى أعلاه، متدرجة فيه من الكبر إلى الصغر حجماً ومن الثقل إلى الأقل ثقل لوناً، (ش ١٤). فهي تعُد آخر تجارب هذا الفنان متمثلة في أعمال وتكوينات ازدادت رصانة وجمالاً كما ازدادت عمقاً عبر التاريخ واقتربت إلى أقصى حد من أصولها الإسلامية، كما ازدادت حداثةً وإبداعاً وتقرباً من فكر مستقبلي سوف تكون فيه هذه التكوينات هدفاً للمبدعين

الحديثين حيث ضمت تكويناته تقسيمات هندسية احتوت على تداخلات لأشباه الحـــروف شغل بها فراغ تقسيماته الهندسية ذات المهاد المنسوج بالفرشاة من الأفـــرع النباتيـــة. والتكوينات في عمومها ذات صبغة فيروزية مطعمة بأطر ذهبية، تعكس بـــصدق خبـــرة فنان مبدع في القرن الواحد والعشرين، استطاع أن يؤسس أعماله على أصـــول تراثنـــا الإسلامي (ش ١٥) .

٢- **الفنان مساعد فهد**(١٤) (١٩٤٩) :

لا يمكن الجزم بان التراث المعماري الإسلامي كان مؤثراً "تـــأثيراً مباشـــراً فـــي إبداعات هذا الفنان وغيره من المعاصرين، لكن تعبيـــراتهم عـــن التـــراث المعمـــاري الإسلامي كانت غير مباشرة، حيث عبروا عن ملامحه مـــن خـــلال عناصـــر معماريـــة معاصرة لهم لكنها تحمل أحد الطرز المعمارية الإسلامية. وقد بدى ذلك واضحاً من خلال بعض أعمال هذا الفنان والتي تحمل ملامح معمارية تعبيراً عن أحد أسوار دولة الكويت ، والذي يحمل بدوره الملامح المعمارية الإسلامية المتمثلة في الـــشرافات المـــسننة(١٥) المتوجة له والممتدة بامتداده والتي تعكس بوضوح السمات المعمارية لأســـوار المـــدن عبر العصور الإسلامية، أمثال أسوار القاهرة، وأســـوار القـــلاع بحلـــب والإســـكندرية والقاهرة. (ش ١٦) .

٣- **الفنان عبد الرحمن العسكر**(١٦) :

أبدع هذا الفنان أعمالا فنية سادها الإحساس المعماري من طرق ومنشآت، تباينت فيها عناصرها الشكلية ما بين عمارة مدنية وأخرى دينية، يمكن النظر إليها على أنهـــا تمثل تسجيلاً لمرحلة من حياة دولة الكويت، وقد تمثلت في بعض أعماله الفنية العمـــارة الدينية في أحد المساجد المتمثلة فيه سمات المئذنة من الطراز الذي شاع بشرق العـــالم الإسلامي، وهو الممتد من أسفل جدار الواجهة إلى أعلى، دون إنشائها فوق جدار المسجد أو فوق المدخل الرئيسي، كما كان شائعاً بمصر عبر عصورها الإسلامية. الأمـــر الـــذي يعكس أمرين الأول هو تأثر الفنان بما كان سائداً في الكويت في فترة زمنية معينة، تمثل أواسط القرن العشرين. وكان الفنان يسجل ويؤرخ لهذه الفترة. أما الأمر الثـــاني فهـــو يعكس إلى أي مدى كان تأثر المعمار الكويتي في هذه الفترة بالنظم المعمارية الإسلامية الفارسية أكثر من تأثيرها بنظم غرب العالم الإسلامي في هذه الفترة. كما تمثل في العمل

الفني ذاته أشكال معمارية متوجة بأشكال ذات فتحات، أشبه بما كانت عليه أشكال أسوار القلاع الإسلامية بالعمارة العسكرية، وهي الفتحات التي كانت مستخدمة لرمي السهام. هذا فضلاً عن أحد تعبيرات الفنان المتمثلة في شكل أحد المداخل الخاص ببيت يتقدم اللوحة، وهو مدخل متوج بعقد مدبب مسنن يشبه ما كانت عليه فتحات مداخل المدارس والمساجد بشرق وغرب العالم الإسلامي. (ش ١٧) .

٤- **الفنان سعود الفرج** (١٧) (١٩٥١) :

تشغل التكوينات الزخرفية الإسلامية النباتية مكانة بارزة في بعض إبداعات هـذا الفنان والتي تمثلت على هيئة تكوينات شغلت أجزاء من أعمال تـصوير تعـد تـسجيلاً إبداعياً تجاه العمارة الكويتية القديمة تكوينات شاعت بالعصر الأموي ، تمثلـت بذاتيـة شديدة التأثر بالنظم الجمالية لبعض تكوينات شاعت بالعصر الأمـوي ، وتمثلـت أبـدع تمثيل في أرضيات المسجد الأموي بدمشق وكذلك بالشرفات المحيطة بالمـآذن والتـي امتازت بالمناطق البارزة والغائرة والمفرغة، والتي أبدعها الفنان والمعمـاري المـسلم عبر العصور الإسلامية (ش ١٨) . ويعد هذا العمل الفني تعبيراً صادقاً عن الغوص في أصول التراث وإبداع تكوينات لم يمسها تحريف الطابع المعاصر ، كما يعُد تعبيراً عـن الأشكال المعمارية التي شاعت في منتصف القرن العشرين بدولة الكويت.

٥- **الفنان سامي محمد** (١٨) (١٩٤٣) :

تضمنت أعمال هذا الفنان النحتية ملامح من النظم الإيقاعية والهندسية الإسلامية، وتمثل أعماله رؤية جديدة لتكرار الوحدات الزخرفية الهندسية في أشكال نحتية، لكن بعد إعادة بناء الأشكال برؤية اتسمت بالحداثة وبالقدرة على تناول موضوعات قديمة بأسلوب إبداعي جديد. فقد تأثر هذا الفنان هنا بأشكال التراث، وكذلك بمضمونه المتمثـل بـنظم الإيقاع القائم على تكرار العناصر الهندسية، والتي امتزجت بالرؤية المعاصرة في أسلوب توزيعها وفي تكرارها من موقع لآخر بالعمل النحتي ، وكذلك في المهارة العالية الخاصة بمعالجة التكنيك والبناء التشكيلي المستلهم من الفن الإسلامي. (ش ١٩).

٦- **الفنان عبد الحميد صالح فرس** (١٩) :

تمثل التأثيرات التعبيرية للتصوير الإسلامي أساساً هاماً لدى هذا الفنان حيث كان أسلوب التعبير عن تدفق وفيض المياه، وكذلك أسلوب التعبير عن ثنايا الملابس، تمثـل

أساسا استقاه هذا الفنان للتعبير عن أحد موضوعاته وهو الخاص بالتعبير عن العاصفة والأمواج (ش ٢٠)، والتي تدل على تعمد هذا الفنان البعد عـن الأسـاليب التعبيريـة التقليديه، والتزام البنية التشريحية لتعبيرات التصوير الممزوجة بمحاولات التحكم فـي اتجاه الرؤية البصرية، وأحداث تبادلاً إدراكيا فيما بين كل موجه وأخرى. فقد جمع هـذا الفنان بين النظم الإيقاعية وأساليب التعبير التراثية، وبين التعبيرات البصرية المعاصرة.

ولقد تمثلت مثل هذه التعبيرات في بعض أعمال التصوير الإسلامي في مخطوطة جـامع التواريخ، في لوحة تمثل إلقاء سيدنا موسى عليه السلام في اليمّ، وهو طفل وليد، حيث يعد أسلوب التعبير النسجي الخطي عن الأمواج وعن ثنايا الملابس من التعبيرات التـي أبدعها الفنان المسلم عبر مخطوطاته وهو ما بدي جلياً كذلك لدى المـصور الفارسـي المعروف "رضا عباس" في بعض لوحاته المؤرخة بسنة (١٠٣١ هـ) والتي حلل فيها كل ثنايا الملابس بالأسلوب الخطي المموج سالف الذكر (ش ٢١، ٢٢) .

٧- **الفنان محمود الرضوان** (٢٠) (١٩٣٩) :

يمثل هذا الفنان أحد رموز النهضة الفنية الحديثة بدولة الكويت ، بمقدار الصدق الذي يوصف به في التعبير عن واقع الحياة المعمارية، لحقبة مـن الـزمن تمتـد مـن منتصف القرن العشرين وحتى الآن ، الأمر الذي يجعل من أعماله مصدراً ثريـاً لواقـع الطرز المعمارية المدنية منها والدينية، فأعماله تذكرنا بتلك الأعمال الفنية والعلمية التي تقوم أساساً على تسجيل الحياة لشعب ما في فترة زمنية ما ، كتلك المعروفة (بوصـف مصر) التي قامت بها الحملة الفرنسية وكذلك صور المخطوطات الإسلامية وغيرهـا ، مما يعتد به كمصدر لتسجيل التراث. وقد عكست أعمال هـذا الفنـان أسـاليب وطـرز معمارية كانت شائعة بتلك الفترة من دولة الكويت، وهي أعمال اندثرت بأكملها ولم يبق منها سوى رؤى وتسجيلات رسمها هذا الفنان. حيث نرى في أحـدى إبداعاتـه أمثلـة تسجيلية لطرز من العمارة المدنية (ش ٢٣) والدينية مثل التي عهدناها بـالكثير مـن المخطوطات العربية التي اتخذ منها الباحثون مصدراً لدراسة ما كانـت عليـه الطـرز المعمارية على عهد كتابة ورسم هذه المخطوطات .

ويعُد اتجاه هذا الفنان من الاتجاهات التي شاعت بالنصف الثاني من القرن العشرين بدولة الكويت حيث نرى أمثلة هذا الاتجاه التسجيلي ، كامتداد لما ألتزمته المخطوطات الإسلامية

من تسجيل النظم وطرز العمارة بكل عصر وولاية إسلامية ، فقد التزم بهذا الاتجاه فنانون آخرون أمثال الفنان حسين حبيب ، والفنانة سامية أحمد السيد عمر (١٩٤٠) . حيث يتجلى في أعمالهم السمات المعمارية التي تعكس العمارة المتنوعة بتنوع مواقعها وضواحيها ، خاصة الدينية منها والمدنية . فالفنان حسين حبيب قد أبدع في لوحاته تأثيرات بنائية شاعت في أعمال التصوير الخاصة بالفنان "بهزاد"، والتي يتمثل فيها تجاور أشكال الطابوق وتصاعد صفوفه من أسفل البناء إلى أعلاه، فضلا عن تسجيل الفنان لأحد الطرز المعمارية لمسجد بنيت مئذنتة أعلى سطح البناء وهو طراز معماري قد تأثر بطرز البناء المعماري بمصر على عهد عصورها المختلفة. ويختلف عن ذلك الطراز – سالف الذكر – الذي يعتمد طرازه على التأثير الفارسي الذي شاع بشرق العالم الإسلامي ، والمتمثل في بناء المئذنة أسفل المسجد مجاورة لمدخله الرئيسي (ش ٢٤) . كما أبدعت الفنانة "سامية عمر"[٢١] في تسجيل مثل هذه الطرز المعمارية ، في أحدى إبداعاتها الفنية، التي تنم عن قدرة فائقة على استلهام الواقع المستمد بدوره من أصول التراث المعماري الغربي. وكانت دراسة هذه الفنانة في مدينة اشبيلية التي تذخر بالأعمال المعمارية الإسلامية والتي تضم عناصر وأصول التراث المعماري من أعمدة وعقود وغيرها وهي العناصر التي تجلت في لوحة لهذه الفنانة لكن بعد إعادة صياغتها وفقاً لمقاييس ما كان سائداً بالعمارة المدنية الكويتية (ش ٢٥) بالربع الأخير من القرن العشرين ، والتي لا يزال القليل النادر منها ، لم يندثر أو يتغير.

النتائج :

من الجدول السابق وبإتباع طرق البحث المذكورة، أمكن التوصل إلى تحقيق أهداف الدراسة، والتوصل إلى النتائج التالية:

١- للفنون والعمارة الإسلامية جذور امتدت عبر الولايات الإسلامية إلى ما يقرب من أربعة عشر قرناً، وكان لطابعها العام تأثيراته على إبداعات بعض الفنانين الكويتيين في العصر الحديث.

٢- أكدت الدراسة أن لإبداعات التراث أثرها على الأعمال الفنية لبعض الفنانين الكويتيين المعاصرين، وقد صنفها الباحث وحللها في مجالات التصوير والنحت، وهي الإبداعات التراثية التي اتخذ منها الباحث معايير للبحث عن التأثيرات التراثية الإسلامية في أعمال الفنانين الكويتيين، وكذلك قدر هذه التأثيرات في أعمالهم سواء كانت ممثلة بالأشكال والعناصر ، أو القيم الجمالية.

٣- كانت لإبداعات التراث أثرها على أعمال بعض الفنانين الكويتيين وقد أكدت الدراسة تفاوت تأثر هؤلاء الفنانين بمكونات وإبداعات التراث ، ما بين عناصر وأشكال معمارية وأخرى نباتية أو هندسية، فضلاً عن إضفاء الرؤية الذاتية التحليلية من قبل الفنان تجاه عناصر ونظم التراث، وفي إطار هذا التصنيف فقد توصل الباحث إلى النتائج التالية :

أ- أكدت الدراسة تفاوت قدر تجريد وتحوير الفنان للعناصر والأشكال المعمارية والفنية المستلهمة من التراث الإسلامي ، فقد آثر البعض إبقائها على ما هي عليه قريبة من أصولها الإسلامية ، أمثال الفنانين " محمد الشيخ " ، " سعود الفرج " ، في بعض أعمالهم ، بينما لم يلتزم باقي الفنانين – موضع الدراسة – بأشكال التراث وعناصره ، وإنما التزموا بنظمها وأسسها الجمالية وطابعها العام، الأمر الذي أبعدهم عن أشكال التراث ، لكن إبداعاتهم خرجت في إطار الطابع العام الإسلامي ، تحمل مضمون وفكر نظمه، بصورة مبسطة ومجردة.

ب- أكدت الدراسة تأثر الفنانين بالعناصر الزخرفية الإسلامية المختلفة ، ولكن بقدر متفاوت، فقد استلهمت نظم وأشكال العناصر الزخرفية أشباه الحروف

العربية في أعمال بعض الفنانين أمثال "محمد الشيخ"، مع تجريد أشكالها أحيان أحيانا، وتحويرها في أحيان أخرى. كما استخدمت العناصر الهندسية حيث أسهمت في تأكيد الأسلوب التجريدي لبعض هؤلاء الفنانين، كما أسهمت في استمرارية الطابع العام الإسلامي بأعمالهم، وقد تفاوتت هذه العناصر ما بين الهندسية البسيطة، وبين المركبة والمتداخلة. كما هو متمثل في بعض عمال الفنان "سامي محمد"، وكذلك العناصر النباتية كما هي متمثلة في بعض أعمال الفنان "سعود الفرج".

ج- ثبت بالدراسة التزام الفنان بالقيم الجمالية والمعايير المدونة "بالجدول الملحق"، وقد تمثل ذلك فيما يلي :

١- التزام بعض الفنانين "بالتتابع والتبادل الإيقاعي" في الألوان، أمثال الفنانين: "محمد الشيخ"، وعبد الحميد صالح ، ومحمود الرضوان ، وهو ما كان شائعاً بأعمال التصوير الإسلامي وهو المعروف بالانتقال اللوني من موقع لآخر داخل العمل الفني.

٢- التزام بعض الفنانين التتابع الإيقاعي في مواقع الأشكال بأعمالهم الفنية ، من أجل إحداث الإحساس بالحركة مثل : " محمد الشيخ ، ومساعد فهد ، وحسين حبيب". وهو الإيقاع المعروف بالانتقال الشكلي من عنصر لآخر على أبعاد متقاربة داخل العمل الفني.

٣- تميزت إبداعات الفنانين بتعمد إيجاد علاقة بين " كثافة الأشكال " وبين كثافة ما حولها من فراغ أو أرضيته، وهي الكثافة التي تباينت في إبداعات الفنانين ووصلت أقصى تقارب في أعمال الفنان " محمد الشيخ"، والفنان " عبد الحميد صالح "، والفنان حسين حبيب".

٤- أكدت الدراسة التزام الفنانين بالقيم الجمالية المتمثلة في "التبادل اللوني" والتنوع مع الوحدة والإيقاع، في إبداعاتهم الفنية، وذلك خلال تنظيم العناصر المختلفة الهندسية والنباتية، والمعمارية، كالمآذن والأعمدة، والعقود، وعلى صورتها الواقعية، وهو ما عكس روح وطابع التراث الإسلامي، وفي أحياناً أخرى ما عكس عناصرها في

صورتها الواقعية. فكان لوجود العناصر والأشكال والقيم المستلهمة من التراث الإسلامي أثره في تأكيد استيحاء القيم الجمالية والطابع العـام الإسلامي، وتأكيد استمراريته في الأعمال الفنية المعاصرة.

٥ – أن لكل فنان "رؤيته الذاتية تجاه تناول ودراسة وتجريد عناصر التراث، من خلال إبداعاته في أعمال التصوير، وذلك وفقاً لكـل مجـال فنـي، ووفقاً لأسلوب الفنان وطابعه الخاص في إبداعاته. وقد تراوحت هـذه الرؤية الذاتية للفنان – وفقاً للجدول الـسابق – مـا بـين المبالغـات الجمالية أو اللونية أو البناء برؤية ذاتية، فضلاً عن التـأثر بمعـايير أسلوب بناء المنمنمات والتصوير الإسلامي.

التوصيات :

في نهاية هذه الدراسة يوصي الباحث بإقتداء طلاب كليات الفنون بهؤلاء الفنانين الكويتيين، من حيث أساليب دراسة وتحليل وتناول المكونات الجمالية للتراث، من أجـل ان تكون دائما النتائج والإبداعات الفنية الحديثة مرتبطة بالجـذور التراثيـة ، وتمثـل امتداداً لأسسها ونظمها الجمالية، وفق رؤية معاصرة ، وأسلوب ذاتي يختلف من فنـان لآخر.

الحواشي :

١) "تتميز القيم الجمالية بأنها اتجاهات أو أساليب أو أسس تحدد الأهداف التي يلتزم بها الفنان .. فهي كموجة للتعبير الفني" .. (عزيز نظمي، القيم الجمالية، ص ٤١).

٢) سرية صدقي ، جماليات الفن الإسلامي ، ص ٥.

٣) وهي المدارس المتمثلة في المدرسة العربية (أواخر القرن ٦هـ/١٢م) والتي استمدت عناصرها الأولى من الفنون السابقة عليها والتي مهدت لتكوين شخصية التصوير الإسلامي منذ (القرن ٧هـ/١٣م). وهي المدرسة الفنية التي انتشرت بالعراق ومصر وسوريا وإيران وغيرها، ومن أشهر مصوري هذه المدرسة يحيى الواسطي الذي كتب وصور مخطوطات من كتاب مقامات الحريري (عام ١٢٣٧م) والمحفوظ في المكتبة الوطنية في باريس.

كما عرفت المدرسة المغولية (أواخر القرن ٧هـ/١٣م) التي تمثل أولى مدارس التصوير الفارسي الإسلامي، وهي المدرسة التي جمعت بين العناصر الفنية الإيرانية وبين التأثيرات المغولية والتي تنسب لها بعض المخطوطات كالشاهنامة وجامع التواريخ ومنافع الحيوان. ذلك إلى جانب المدرسة التيمورية (القرن ٩هـ/١٥م) والتي مثلت أسلوباً مميزاً للتصوير الفارسي الإسلامي وهو الأسلوب الذي تنامى حتى أصبحت هذه المدرسة من أزهى عصور التصوير، ومن أهم المخطوطات التي أنجزت في هذه المدرسة، نسخة من الشاهنامة للفردوسي، محفوظة في دار الكتب المصرية (١٣٩٣م)، وينتمي لهذه المدرسة كثير من الفنانين (البارعين) في نسخ المخطوطات وتزيينها بالصور، وكان من بينهم المصور غياث الدين خليل الذي يعتبر من عجائب عصره". (ديماند، الفنون الإسلامية، ص ٥٢). وكمال الدين بهزاد الذي أبدع روائعه عبر العديد من المخطوطات والذي ولد في هراه (عام ١٤٥٠م)، وكانت تكويناته تتميز بالطابع الهندسي المعماري.

ثم كانت المدرسة الصفوية التي تنسب إليها أنفس اللوحات الملحقة بمخطوطات بالقرن (١٠هـ/١٦م) ، ثم كانت المدرسة الصفوية الثانية التي امتدت من عام

(١٥٨٧م) وحتى نهاية الدولة الصفوية (عام ١٧٣٩) وهي المدرسة التي عكست ذروة جمال التصوير الإسلامي.

٤) إلى جانب التأثر بالقيم الدينية، فقد كان – كذلك – التأثر "بأساليب التصوير في بلاد الشرق القديم حيث كانت منذ عصورها التاريخية الأولى تميل إلى الأسلوب الرمزي أو الاصطلاحي في الأوضاع والملامح وتكوين المنظور.." (فريد شافعي، العمارة العربية في مصر الإسلامية، ٢٦٠).

٥) كما هو متمثل في التكوينات الجدارية بقبة الصخرة (٧٢هـ)، وبالمسجد الأموي (٨٨-٩٦ هـ) وقصير عمرا (بين عامي ٩٣-٩٦هـ) وقصر المشتى (١٢٣-١٣٣ هـ). وغيرها من العمائر الأموية التي لا تزال باقية، والتي يتمثل في تكوناتها القرب الشديد من الطبيعة. "وفي التصوير الإسلامي لم يكن الباعث إلى الطابع التجريدي ناتج عن باعث ديني فحسب، بل هو اتجاه فني شاع وجوده بفنون الشرق القديم التي سبقت الفن الإسلامي، .. فلقد عرفها الفن المصري القديم والفن السومري والبابلي والآشوري كما عرفها الفن البيزنطي الذي عاصر نشوء الفن الإسلامي". (فريد شافعي ، العمارة العربية ، ص ٢٦٠).

٦) وهي الحركة الفنية التي نمت في "المساحة الشاسعة الممتدة من فارس إلى جبال البرينية أبعد الحدود التي وصلت إليها الإمبراطورية العربية في أوج توسعها (٨٠٠-١٠٠٠م)". (اتنجهاوزن، التصوير عند العرب، ص ٧).

٧) أكد فيلسوف التربية الأمريكي جون ديوي على أن النشاط الفني ليس مجرد تلقائية طبيعية بل هو تنظيم وصياغة، ولهذا يقر بأن الفن ليس هو الطبيعة، وإنما هو الطبيعة معدلة.. كما يرفض نظرية التقليد. أو تكرار الواقع حرفياً. (عماد الدين خليل، الطبيعة في الفن العربي. والإسلامي، ص ٢٩، ويقول بابلو بيكاسو: " أن الطبيعة والفن لهما ظاهرتان مختلفتان تمام الاختلاف". (المرجع نفسه، ص ١١) .

٨) وهي تكوينات المنمنمات ملحقة بالمخطوطات العربية بالعراق وفارس والمحفوظة في المتاحف العالمية و "ترجع أقدم المخطوطات الإسلامية المزوقة بالصور الملونة إلى حوالي القرن (٦ هـ/١٢م)". (أبو الحمد، التصوير الإسلامي ، ص ٧٩).

٩) قسم فريد شافعي تطور العناصر الزخرفية الإسلامية إلى أربع مراحل هي: المرحلة الأولى من القرن (١-٣هـ/٧-٩م) وهي المرحلة التي تأثرت فيها الزخارف الإسلامية بالفنون المحلية تأثراً كبيراً، أما المرحلة الثانية فتمتد من القرن (٣-٧هـ/٩-١٣م)، حيث تكونت الشخصية المميزة للفن الإسلامي، أما المرحلة الثالثة فتمتد من القرن (٧-١٠هـ/١٣م-١٩م)، وهي المرحلة التي تم فيها التأثر بالتأثيرات المغولية. ثم المرحلة الرابعة من القرن (١٠-١٣هـ/١٦-١٩م) حيث استمر الازدهار في بدايتها ثم بدأت في التدهور نتيجة .. سيطرة الأتراك وظهور النفوذ الأوربي (فريد شافعي، الزخارف الكاسية البسيطة في الفن الإسلامي، ص ٧-٢٠).

١٠) وهي المخطوطات والرسائل الهندسية التي ألفها العلماء المسلمون والمتمثل بعضها في: "رسالة فيما يحتاج إليه الصانع من أعمال الهندسة"، ورسالة "فيما يحتاج إليه الكتاب والعمال"، لأبي الوفا البوزجاني المهندس، والتي تضم العديد من الحلول الهندسية والفنية لكيفيات رسم الأشكال الهندسية.

١١) المساجد، ص ٢٤٧.

١٢) "من المعروف أن أقدم مئذنة في العالم الإسلامي بقيت على شكلها الأصلي حتى اليوم هي مئذنة مسجد عمر بن العاص في الجوف" (المساجد في المدن العربية، ص ٢١٣-٢١٤)، وهو الشكل الذي تطور من المآذن مربعة المسقط المسلوبة التي تضيق كلما ارتفعت إلى أعلى، إلى المآذن المكونة من جزئين أو ثلاثة يعلوها الجوسق، وذات شرفات تحيط ببدنها المسدس أو المثمن أو المستدير والتي شاعت في أرقى صورها بمصر بعصري المماليك البحرية والبرجية.

١٣) الفنان محمد الشيخ: هو فنان متفرغ، درس الفنون التشكيلية في القاهرة وتخرج عام ١٩٧٤ ويعد من الفانين القلائل الذين يعتمدون أسلوباً يعد امتدادا لأسلوب التصوير الإسلامي في معالجة لوحاته. التي تصور موضوعات التراث الإسلامي، والتراث المعماري المعاصر، والحياة اليومية للمرأة.

١٤) الفنان مساعد فهد: يعد أحد الفنانين الأوائل الذين يعبرون بالألوان المائية، ويصور الحياة الكويتية في مشاهد تراثية، وتعبيراته تتسم بالبساطة والوضوح.

١٥) تمثل الشرافات المسننة نهاية معمارية جمالية لمعظم العمائر المدنية والدينية والعسكرية الإسلامية. وهي الشرافات التي وجدت منذ عصر الدولة الوسطى بمصر القديمة، حيث وجدت مرسومة على إحدى الجداريات الممثلة لمهاجمة حصن. وقد ظلت مستخدمة عبر العصور، والشرافات قد تنوعت في موادها الخام، وفي زخارفها التي شكلت هيئتها، فهي إما شرافات مسننة، مثلثة الشكل ومتدرجة على الجانبين، وإما شرافات ذات جوانب مفرغة على هيئة أوراق نباتية مجردة. وقد أبدع الفنان في زخرفة سطوحها الخارجية بالتكوينات النباتية المجردة، كما هو متمثل في شرافات الجامع الأزهر (٩٧٠م).

١٦) الفنان عبدالرحمن العسكر: عمل بالتدريس وهو متقاعد، وقد احترف الفن في فترة متأخرة من عمره، ويعبر بعمق عن البيئة الكويتية وأسلوبه شديد الواقعية، عند التعبير عن الأشكال المعمارية والأشكال الآدمية وغيرها من مشاهد الحياة اليومية.

١٧) الفنان سعود الفرج: يعمل محاضراً بالمعهد العالي للفنون المسرحية بالكويت، وتذخر أعماله ومعالجاته الفنية بعناصر التراث، بل هو ممن يحاولون التعبير عن التراث بأسلوب معاصر، وتتعدد تعبيراته من خلال الألوان المائية، والزيتية والخامات المختلفة.

١٨) الفنان سامي محمد: فنان متفرغ يعد من صفوة النحاتين بالخليج العربي عامة ودولة الكويت خاصة. وأحد رواد الحركة التشكيلية المعاصرة. فضلاً عن أعماله في مجال التصوير. وأعماله يغلب عليها الموضوعات التراثية التي يبدعها بأسلوب معاصر.

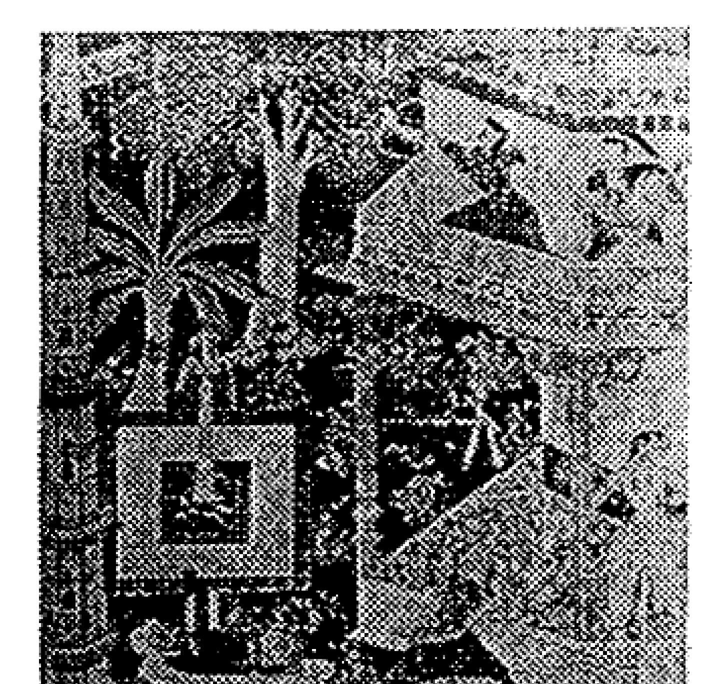
١٩) الفنان عبدالحميد صالح: فنان فطري في أسلوبه، ومحاولاته الفنية تمتد منذ مهد الحركة الفنية التشكيلية بالكويت وحتى أواخر القرن العشرين.

٢٠) الفنان محمود الرضوان: من مؤسسي الجمعية الكويتية للفنون التشكيلية (عام ١٩٦٧)، يعد من الرواد الذين تتناول إبداعاتهم موضوعات البيئة الكويتية القديمة، وتعبيراته عنها تتسم بالواقعية الشديدة في التعبير عن البيئتين البرية والبحرية وفي تطعيم لوحاته بالمعالم التراثية المعمارية.

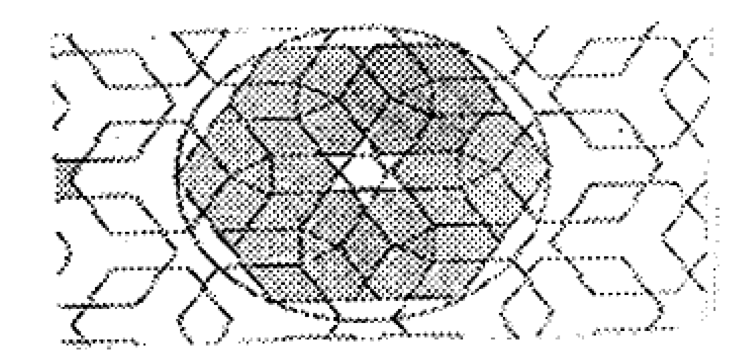
٢١) الفنان سامية عمر: هي إحدى الفنانات الكويتيات اللاتي برزن في مجال التصوير بأسلوب متحرر من الواقعية، عبر موضوعات مختارة من التراث والتي عبرت عنها برؤية معاصرة تجريدية.

المصادر والمراجع :

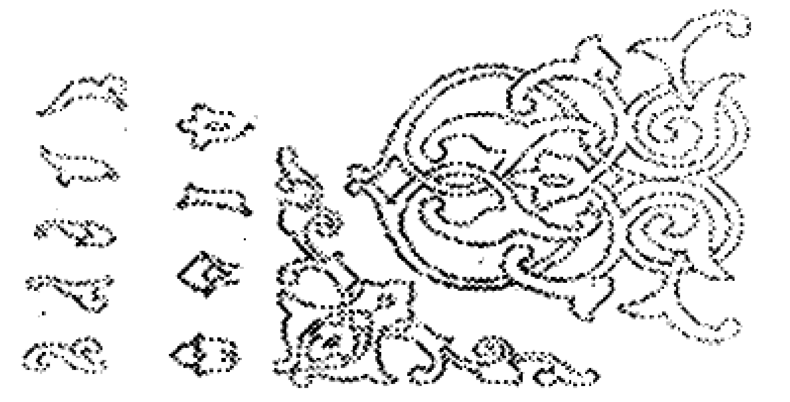
- أبو الحمد محمود فرغلي: التصوير الإسلامي، الدار المصرية اللبنانية، ١٩٩١.
- أبو الوفا البوزجاني: رسالة فيما يحتاج إليه الصانع من أعمال الهندسة، مخطوطة محفوظة بدار الكتب المصرية رقم (٢٦٠ رياضة)، رسالة فيما يحتاج إليه الكتاب والعمال ، مخطوطة محفوظة بمكتبة مخطوطات جامعة الكويت رقم (٢٥٠٨) فهرس برلين .
- اتنجاوزن: ريتشارد، فن التصوير عند العرب، مطبعة الأديب البغدادية، بغداد، ١٩٧٤.
- ديماند: الفنون الإسلامية، ترجمة أحمد عيسى، الطبعة الثالثة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢.
- رشيد الدين: مخطوطة جامع التواريخ ، محفوظة في مكتبة جامعة أدنبرة .
- سرية صدقي، جماليات الفن الإسلامي، بينالي القاهرة الرابع، ديسمبر ١٩٩٢ .
- عزيز نظمي: القيم الجمالية ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨٤ .
- عماد الدين خليل: الطبيعة في الفن العربي والإسلامي، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٩٧٧.
- فريد شافعي: العمارة العربية الإسلامية، ماضيها وحاضرها ومستقبلها، جامعة الملك سعود، الرياض، ١٩٨٢.
- ــــــــــ: الزخارف الكاسية البسيطة في الفن الإسلامي، جامعة القاهرة، ١٩٥٧.
- المساجد في المدن العربية، توطئة لموسوعة المساجد، إعداد المعهد العربي لإنماء المدن، الرياض، ١٤١٠هـ.



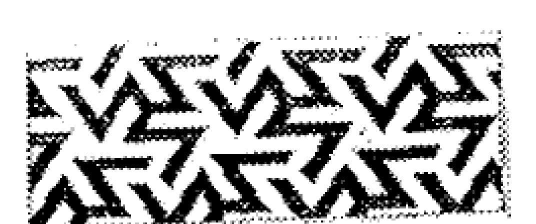
ش١- صورة من مخطوطة حمزة نامة
المحفوظة في المتحف البريطاني بلندن



ش ٢- قبة المنصور قلاون – تقارب قوة الوضوح
الشكلي بين الشكل والأرضية . رسم الباحث



ش ٣- تكوينات نباتية مجردة



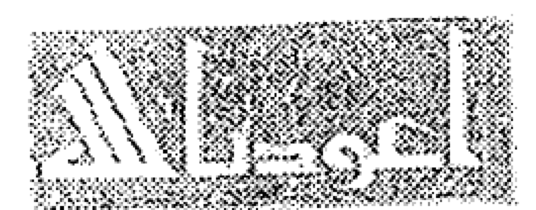
ش٤- تقارب قوة الشكل مع الأرضية



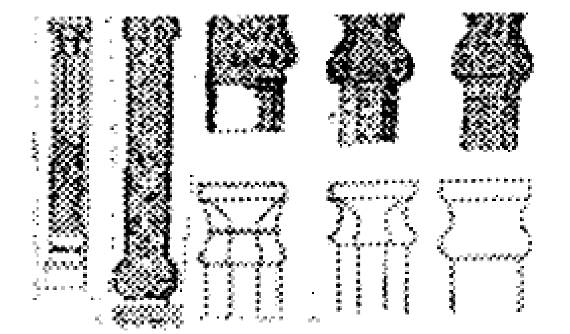
ش٥- التبادل اللوني (محراب جامع



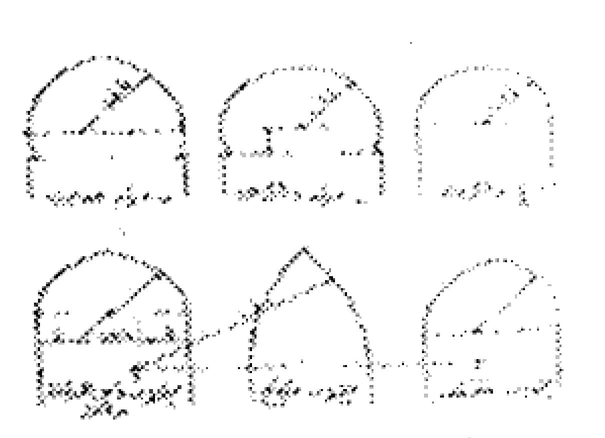
ش٦- جامع ابن طولون – تقارب كثافة الشكل
مع كثافة الأرضية (مساجد مصر)



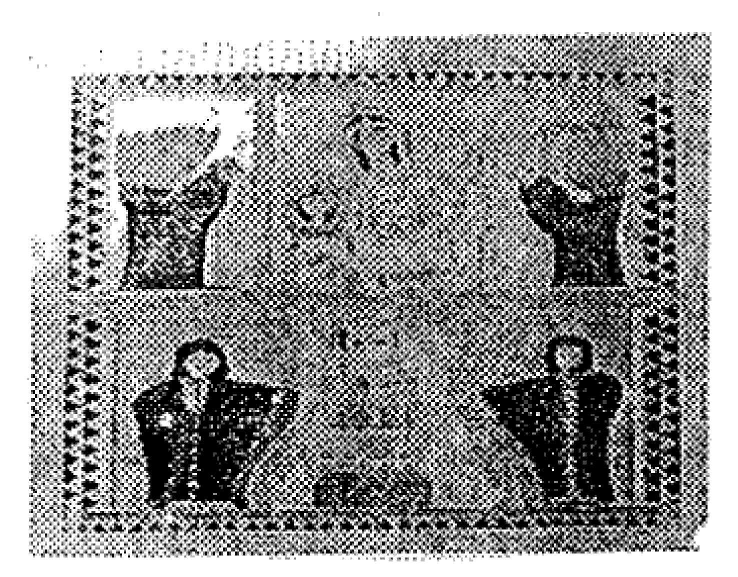
ش ٧ – مدرسة السلطان حسن ، تكوين
كتابي (ق ١٤ م) (موسوعة المساجد)



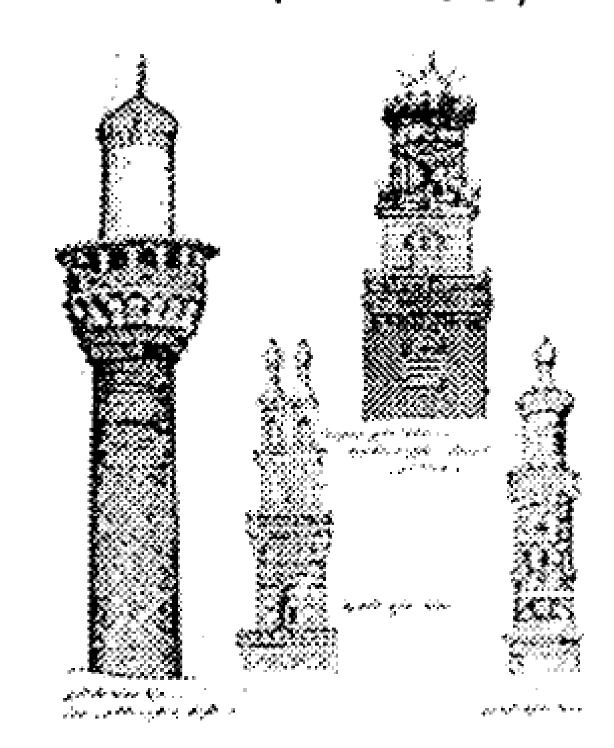
ش ٨ ـ طرز مختلفة من الأعمدة الإسلامية
(موسوعة المساجد)



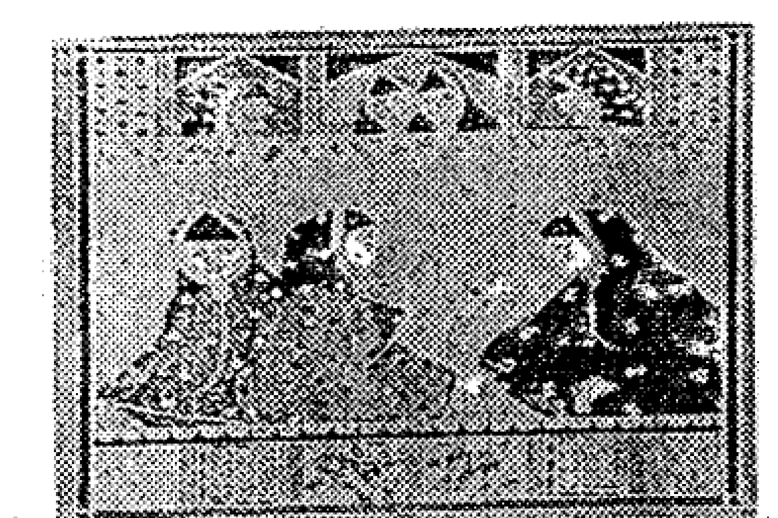
ش ٩ - كرز مختلفة من العقود الإسلامية
(موسوعة المساجد)



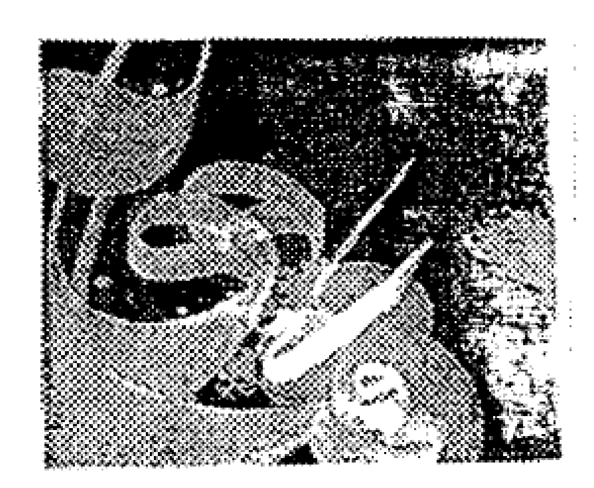
ش ١١- محمد الشيخ ، تكوين متأثر بتقسيمات تصوير المخطوطات الاسلامية



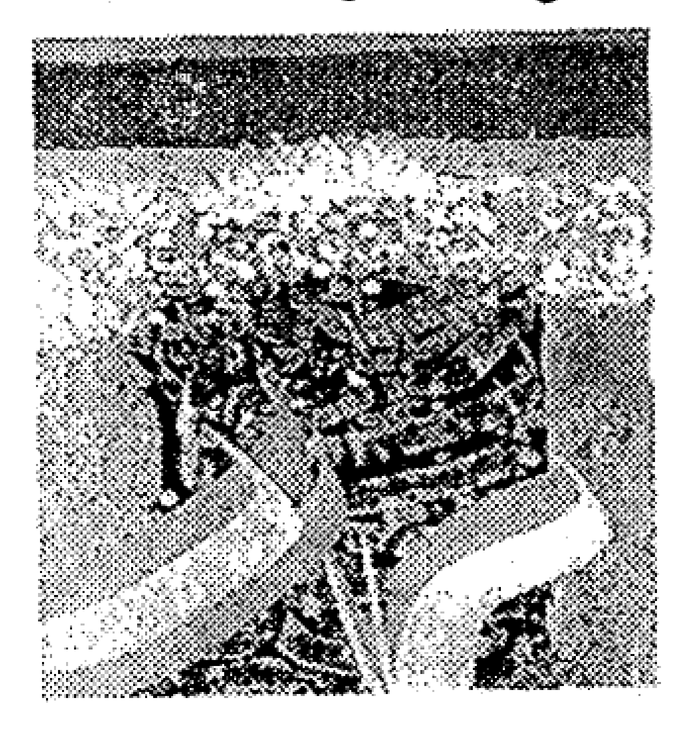
ش ١٠- كرز مختلفة من المآذن
(موسوعة المساجد)



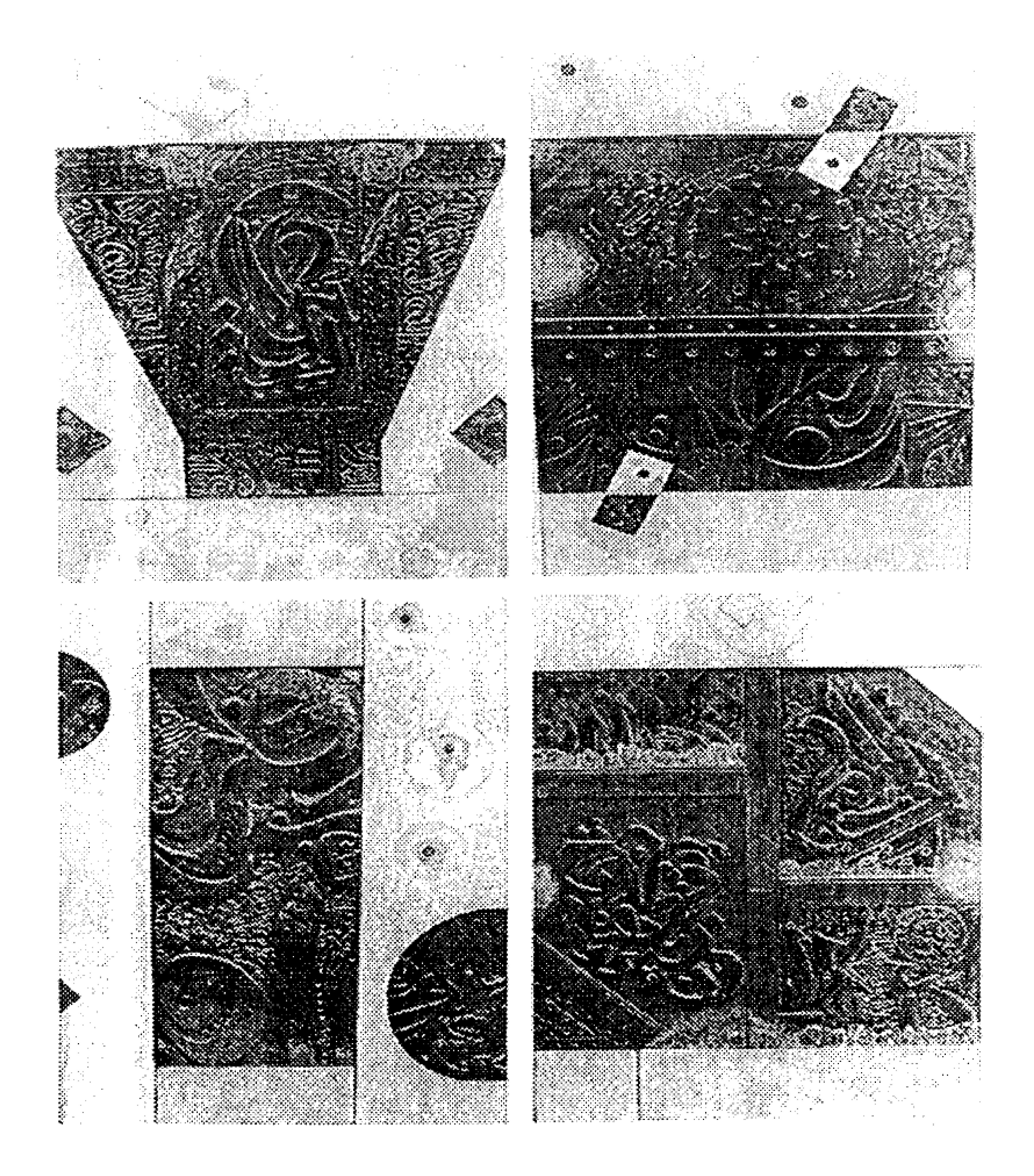
ش ١٢- محمد الشيخ ، تكوين يجمع بين الأشكال الآدمية والنباتية



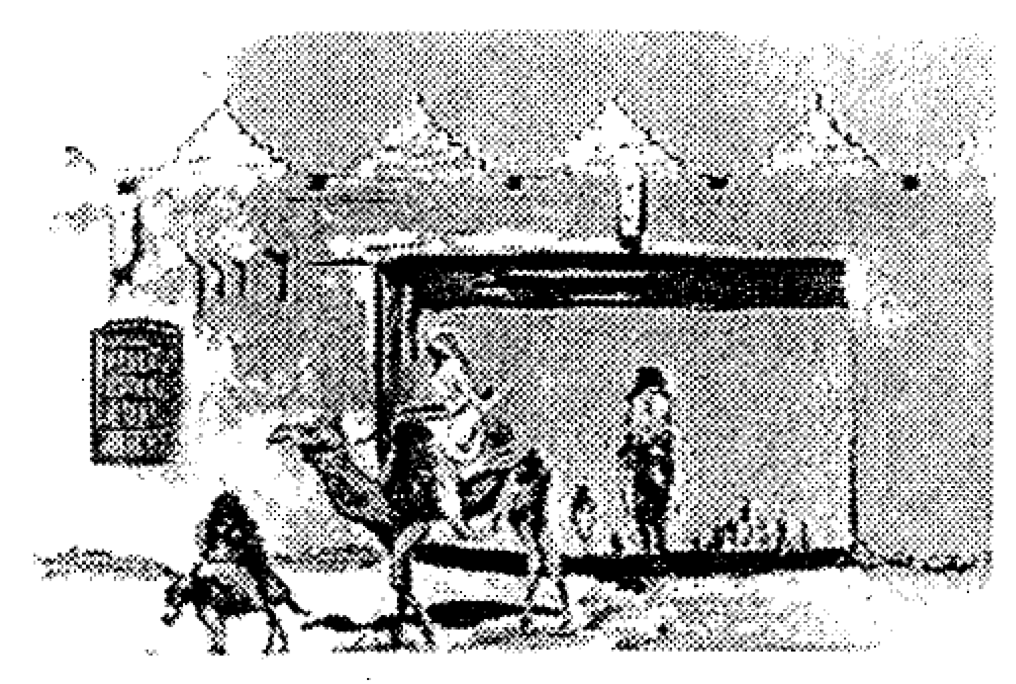
ش ١٣ - محمد الشيخ، تكوين من الحروف العربية



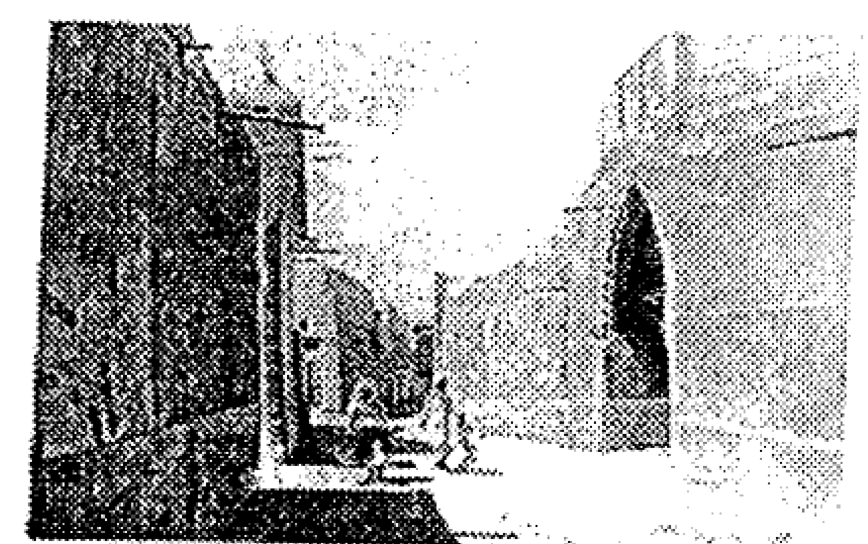
ش ١٤ - محمد الشيخ، تكوين من الحروف العربية

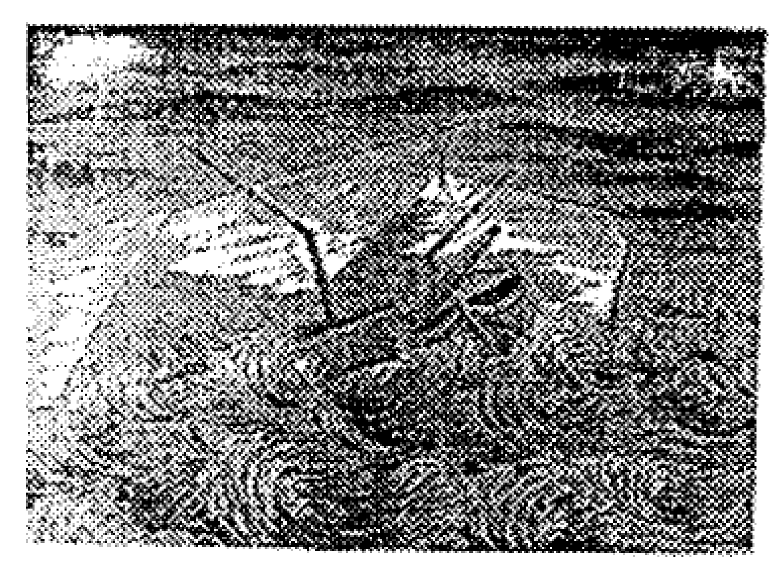


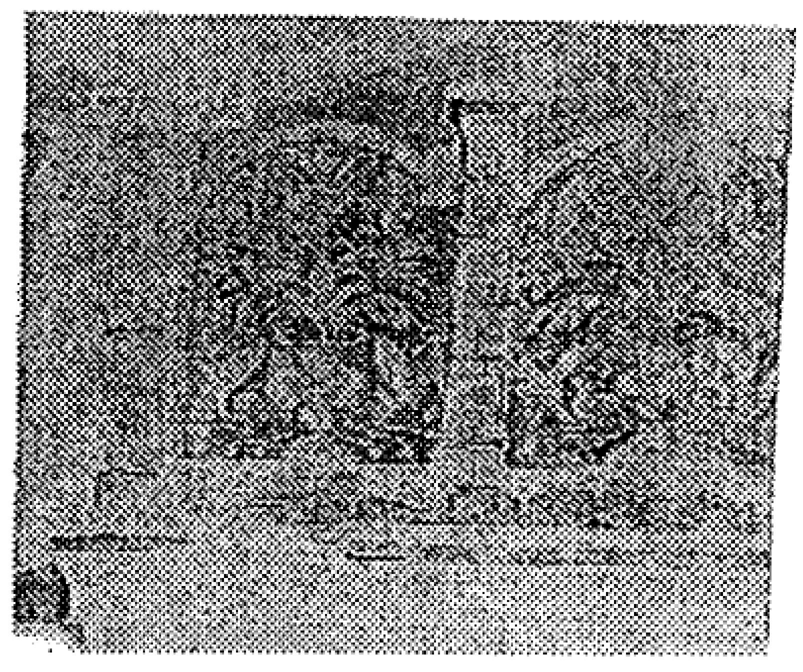
ش ١٥ ـ محمد الشيخ، مجموعة من تكوينات حروفية

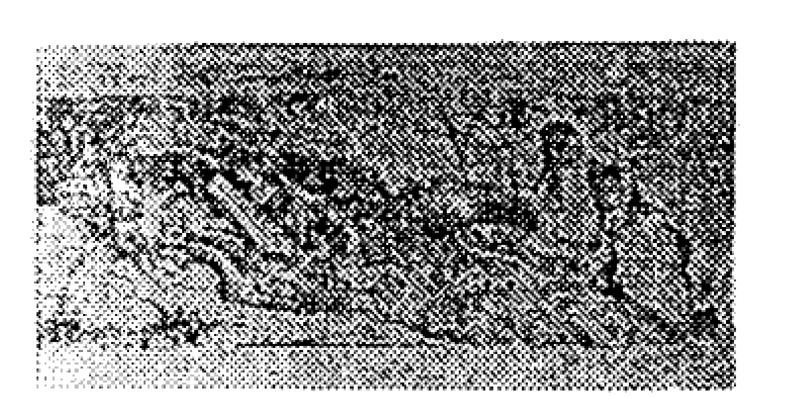

ش ١٦- مساعد فهد ، تكوين معماري ، سور الكويت

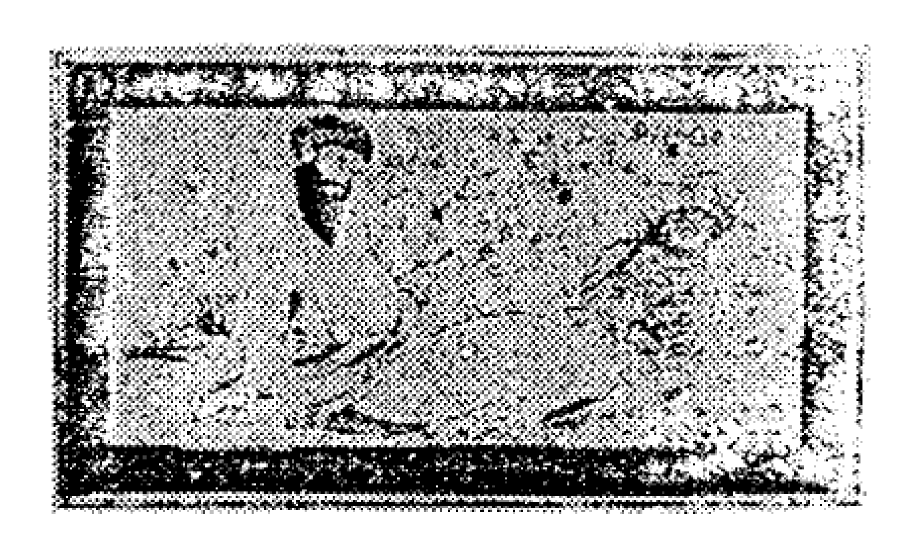

ش ١٩- سامي محمد ، تكوينات هندسية ، نحت خشبي


ش ١٧- عبد الرحمن العسكر ،

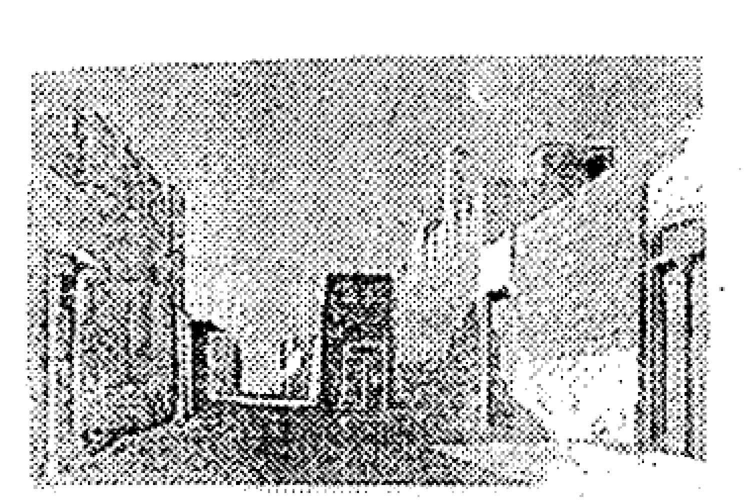

ش ٢٠- عبد الحميد صالح ، لوحة العاصفة ، أمواج خطية


ش ١٨- سعود الفرج ، جزء من تكوين يتضمن تصميمات نباتية

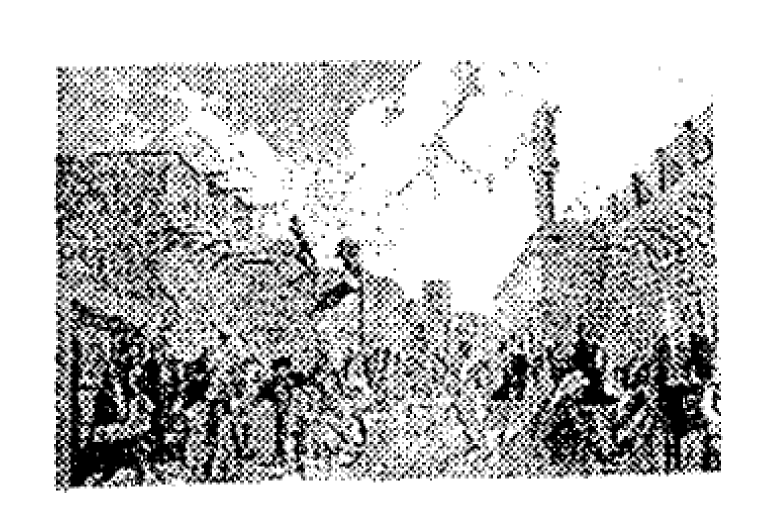

ش ٢١- صورة تمثل إلقاء موسى في اليم وهو طفل وليد



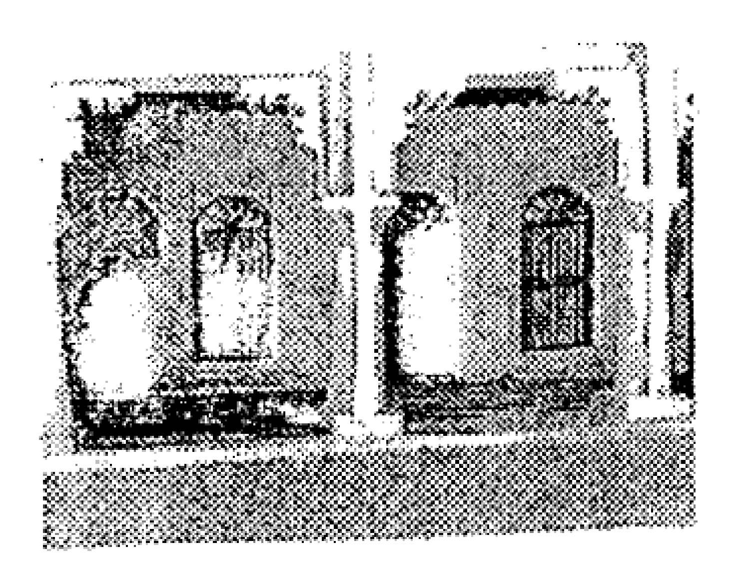
ش ٢٢- المصور الفارسي رضا عباس،
لوحة مؤرخة (١٠٣١ هـ)



ش ٢٣- محمود الرضوان ، تكوين معماري
عن أحد أحياء الكويت.



ش ٢٤- حسين حبيب ، تكوين معماري عن
أحد أسواق الكويت



ش ٢٥- سامية عمر ، تكوين معماري عن أحد
البيوت القديمة بالكويت .

ملاحظات جديدة
على الشريف الإدريسي وخطيته
" أنس المهج وروض الفرج "

أ.د محمد بركات البيلي
أستاذ تاريخ الإسلامي
رئيس قسم التاريخ – كلية الآداب – جامعة القاهرة

كان أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس المعروف بالشريف الإدريسي جغرافياً بارعاً ، ويعد حلقة هقامة في سلسلة الجغرافيين المسلمين – بل العالميين – المرموقين الذين بنوا صرح علم الجغرافية ، ليس فقط لأنه وضع لروجر الثاني النورماني " جغرافية " أو صورة للعالم تفوق جغرافية بطليوس وبسطها في كتابه المعروف " نزهة المشتاق في اختراق الآفاق " وإنما أيضاً لأنه طور معلوماته الجغرافية تطويراً هائلاً في غضون سنوات قليلة وأضاف إليها ما لم يكن معروفاً في جغرافية العالم من قبل على نحو ما يظهر في كتابه المختصر الذي وضعه لغليالم الأول بن روجر الثاني وأسماه " أنس المهج وروض الفرج"[1].

ومع أننا نهدف إلى التعريف بكتاب " أنس المهج " والتطور الذي أضافه إلى المعرفة الجغرافية فمن المفيد أن نشير إلى بعض النواحي ذات الصلة من كتاب " نزهة المشتاق " فبما أن " الأنس " و " النزهة " ينهلان من معين واحد هو معين الجغرافي الشريف الإدريسي فقد تفيد معرفة أحدهما في التعريف بالآخر لكننا قبل ذلك ينبغي أن نتعرف على الإدريسي نفسه ، ولن نكرر في ذلك ما هو شائع ومعروف عنه كواحد من أهم الجغرافيين المسلمين – إن لم يكن أهمهم على الإطلاق – بل سنتناول فقط ما نرى فيه لبس ينبغي توضيحه أو خطأ يجب تصويبه .

فمن الشائع أن الشريف الإدريسي قد ولد في سنة ٤٩٣هـ/١١٠٠م ، وأصل هذا التحديد التاريخي لميلاده – فيما يبدو – تأريخ وضعه الغزيري دون سند مرجعي – في

فهرسته لمخطوطات مكتبة الاسكوريال[٢] ومن الشائع أيضاً أن الإدريسي قد توفى سنة ٥٦٠هـ/١١٦٤م ، وهو – كما يذهب سيبولد c.f Seybold – قد ورد بنوع خاص في فهرسة الكتب العربية المخطوطة بالقاهرة[٣] ويذهب مؤنس إلى أن البارون دي سلان قد رجح اعتماده تصويباً لإشارة خاطئة أوردها الحسن بن الوزان أو ليو الأفريقي لأن الخلط بين ٥١٦ ، ٥٦٠ قريب في العربية وأي لغة لاتينية ، وتاريخ ٥٦٠ هـ هو تاريخ الوفاة المعتمد لدى عامة المؤرخين[٤]. وقد كتب كثيرون عن حياة الإدريسي لكننا نرى أن ما ذكره الدارسون أمثال أماري Amari وليفيكي وميلر K. Miller وسيزار دوبلر وغيرهم إن هي إلا فروض أو استنتاجات ذهبوا إليها استناداً إلى سطور قليلة ، ناقصة ومضطربة نقلها أماري في مكتبة الصقلية عن الصفدي والعماد الأصفهاني فهم منها أن رجار استقدم الإدريسي من العدوة المغربية ليصنع له شيئا في شكل صورة العالم وأنه رغبه في الإقامة عنده قائلاً له : " أنت من بيت الخلافة ومتى كنت بين المسلمين عمل ملوكهم على قتلك ومتى كنت عندي أمنت على نفسك "[٥] لكن الصفدي في ترجمته لإدريس العالي بالله – الجد الثاني للإدريسي الجغرافي – يذهب إلى ما يهدم – في رأينا – هذا الرأي من أساسه إذ يذكر أن إدريس بن يحيى بن على بن حمود بويع في مالقة سنة ٤٣٤ هـ ولقب العالي ، وبُلي العالي بأقاربه فنغصوا ملكه حتى انزوى إلى بعض الجبال وكانت له معهم خطوب طوال آل أمرها إلى أن انقرضت دولتهم وتغلب باديس بن حبوس الصنهاجي صاحب غرناطة على مالقة وتفرق بنو حمود في الأقطار فدخل منهم محمد بن عبد الله ابن العالي إدريس المذكور وأشيع عنه أنه المهدي الذي يوافق اسم النبي ﷺ واسم أبيه ، وأراد ابن الثمنة الثائر هناك قتله فشغله الله عنه واستولى رجار الأفرنجي على صقلية فذكر له أنه من بيت النبوة فأكرمه ونشأ ابنه محمد بن محمد بن عبد الله في أصحاب رُجّار وكان أديباً ظريفاً شاعراً مغرى جغرافيا فصنف لرجار الكتاب المشهور في أيدي الناس المنسوب إلى رجار "[٦] وإذا صح نص الصفدي فإنه – على قصره – يغير – في رأينا – صفحات كثيرة سطرت عن الشريف الإدريسي .

كان أبو العلاء إدريس العالي بالله[٧] بن يحيى المعتلي بالله بن على الناصر لدين الله بن حمود قد بويع له بالخلافة في مالقة ٤٣٤ هـ وامتدت بيعته إلى غرناطة

وقرمونة وجيان وغيرها[٨] واختلف الرأي في سيرته بين مادح[٩] وقادح[١٠] ومكث في خلافته بمالقة نحو ٤ سنوات إلى أن شار عليه ابن عمه محمد الملقب بالمهدي ، فنزل إدريس العالي حصن ببشتر وحاول استرداد مالقة بمساعدة باديس بن حبوس الصنهاجي صاحب غرناطة فلما فشلت محاولته جاز البحر إلى سبته وكان عليها سواجات (سقوت) البرغواطي فأقام بها إلى سنة ٤٤٤هـ التي قتل فيها المهدي مسموماً بتدبير باديس بن حبوس الصنهاجي[١١] وتولى بعده إدريس السامي فتشجع إدريس العالي على العودة إلى الأندلس وأقام في رنده في كنف أبي نور بن أبي قرة اليفرني فدخل إدريس العالي مالقة ودعى له فيهاب الخلافة مرة أخرى حتى توفى ٤٤٦ هـ/١٠٥٤م[١٢] وتفاتن بنو حمود فيما بينهم – على حد قول الصفدي – حتى كان منهم ثلاثة في وقت واحد يدعي كل منهم بأمير المؤمنين في نحو مسافة خمسة أيام في شريش وفي الجزيرة الخضراء وفي مالقة[١٣] وأدى هذا إلى زوال الدولة الحمودية " وتفرق بنو حمود في الأقطار فدخل منهم إلى صقلية محمد بن عبد الله ابن العالي إدريس المذكور "[١٤].

إذا صح ما ذكره الصفدي فإن نصه – على إيجازه – يغير في رأينا صفحات عديدة مما سطر عن الإدريسي على النحو التالي :

١- لما كان محمد بن عبد الله بن إدريس العالي هو الداخل إلى صقلية ، وهو والد الشريف الإدريسي الجغرافي – وأشيع عنه فيها أنه المهدي الذي يوافق اسم النبي ﷺ واسم أبيه فقد رأى فيه ابن الثمنة خطراً سياسياً فأراد قتله لكن انشغل عنه حتى استولى روجر الأول على صقلية ٤٨٣هـ/١٠٩١م وكان روجر قد تعهد بحسن معاملة العرب في صقلية فلما عرف مكانة محمد بن عبد الله بن إدريس العالي أكرمه ورغبه في الإقامة عنده .

٢- لم يذكر أحد أن محمد بن عبد الله هذا قد خرج عن صقلية ولم يولد ولده محمد إلا وهو فيها سنة ٤٩٣ وبذلك يكون ميلاد محمد بن محمد – وهو الجغرافي المشهور – في صقلية وليس في سبته.

٣- كان ميلاد الجغرافي الإدريسي محمد بن محمد بن عبد الله بصقلية قبل وفاة روجر الأول في ٤٩٥هـ/١١٠١م بعامين ولذلك لا يعقل أن يكون في أصحاب (صحبة) روجر الأول وإنما يكون قد نشأ في صحبة رجار الثاني الذي بلغ سن الرشد وتولى الحكم بنفسه سنة ٥٠٦هـ/١١١٢م .

٤- لما كان الإدريسي الجغرافي قد نشأ في صحبة رجار الثاني لما كان بينهما من تقارب في السن وكفاءة في المكانة فكان من الطبيعي أن تربط بينهما صداقة ظهر أثرها في حسن معاملة رجار الثاني للشريف الإدريسي ومبالغته في تعظيمه أو على حد قول الصفدي " أكرم نزله وبالغ في تعظيمه ... ورتب له كفاية لا تكون إلا للملوك ، وكان يجيء إليه راكباً بغلة ، فإذا صار عنده تنحى عن مجلسه فيأتي فيجلسان معاً "[(١٥)] وقد أدرك مؤنس أن هذه المعاملة تدل على أن " الإدريسي لم يكن مجرد عالم يخدم ملكا يعلمه بل كان صديقاً له أثيراً لديه " ولكن فات مؤنس أن يدرك كنه هذه الصداقة فأرجعها إلى أن " رجار الثاني كان شديد الاهتمام بهذه العلوم التي برع فيها الإدريسي "[(١٦)] ولو قرأ مؤنس ما كتبه الصفدي عن محمد بن عبد الله بن إدريس العالي وعن نشأة محمد بن محمد في أصحاب رجار لأدرك أن صحبة الصبي بين رجار الثاني والشريف الإدريسي هي كنه هذه الصداقة التي جمعت بينهما وأساسها .

٥- كان من الطبيعي بعد هذه الصداقة بين الملك والجغرافي وحسن المعاملة التي لقيها الإدريسي من رجار ألا يكون جزاء الإحسان إلا الإحسان ، فآثر الإدريسي صاحبه رجار على نفسه ونسب إليه كتابه نزهة المشتاق فأسماه كتاب رجار وتوارى الإدريسي من فاتحة الكتاب وأنكر ذاته ونسب إلى رجار سيد تأليف النزهة وخطة الإعداد لتأليفها فقال إن رجار " لما اتسعت أعمال مملكته وتزايدت همم أهل دولته وأطاعته البلاد الرومية أحب أن يعرف كيفيات بلاده حقيقة ويقتلها يقيناً وخبرة ويعلم حدودها ومسالكها براً وبحراً وفي أي إقليم هي وما يخصها من البحار والخلجان الكائنة بها مع معرفة غيرها من البلاد والأقطار في الأقاليم السبعة ... بطلب ما في الكتب

المؤلفة في هذا الفن من علم ذلك كله ... فلم يجد ذلك فيها مشروحاً مستوعباً مفصلاً بل وجده فيها مغفلاً فأحضر لديه العارفين بهذا الشأن فباحثهم عليه وأخذ معهم فيه فلم يجد عندهم علما أكثر مما في الكتب المذكورة ، فلما رآهم على مثل هذه الحال بعث إلى سائر بلاده فأحضر العارفين بها المتجولين فيها فسألهم عنها - بواسطتي - جمعاً وأفراداً ، فما اتفق فيه قولهم وصح في جمعه نقلهم أثبته وأبقاه وما اختلفوا فيه أرجاه وألغاه وأقام على ذلك نحواً من خمس عشرة سنة ..."[17].

وإذا كان الإدريسي قد توارى في افتتاحيته لنزهة المشتاق ليظهر فيها صديقه رجار فإنه ما لبث أن وضع الحق في نصابه وأظهر تأليفه هو للنزهة في افتتاحية كتابه " أنس المهج " مشيراً إلى " ما أمدتي به الملك رجار في تأليف كتابي المطرز باسمه"[18].

ولقد كشف الإدريسي في فاتحة "النزهة " عن خطة عمله في إعداد جغرافيته فيذكر أنه بعد أن جمع معلوماته الجغرافية من مصادره التي رجع إليها طيلة خمسة عشر عاماً أراد تمحيص هذه المعلومات والتيقن من صحتها فوضعها على لوح الترسيم واختبرها بآلاته الهندسية الجغرافية المصنوعة من حديد " وأمعن في جميعها حتى وقف على الحقيقة فيها فأمر عند ذلك بأن تفرغ له من الفضة الخالصة دائرة مفصلة عظيمة الجرم ضخمة الجسم في وزن أربعمائة رطل رومي في كل رطل منها ١١٢ درهم فلما كملت امر الفعلة أن ينقشوا فيها صور الأقاليم السبعة ... على نص ما يخرج إليهم في لوح الترسيم ولا يغادروا منه شيئاً ويأتوا به على هيئته وشكله كما يرسم لهم فيه "[19] لكن بعض الباحثين توهم أن الإدريسي صنع صفيحة مبسوطة لا كرة مجسمة وقدر ميللر سمك هذه الصفيحة بثلاث مليمترات وإذا كان وزنها ٤٤٨٠٠ درهما حسبما ذكر الإدريسي فإنها تشكل مستطيلا أبعاده ٣,٥ مترا في الطول و ١,٥ مترا في العرض[20] ويبدو أن أراد التوفيق بين القائلين بأن ما صنع من الفضة كان كرة مثل قول سكياباريللي[21] والقائلين بأنها صفيحة مبسوطة مثل ميللر ، فذهب مؤنس إلى أن الإدريسي أتى بصفائح من الفضة رسم عليها الأقاليم السبعة ، ثم جاء بكرة في الحجم

المطلوب – لعلها من الخشب – فأدار الصفائح على نصفها الأعلى وابتدأ من خط الاستواء بالصفيحة الأولى التي تمثل الإقليم الأول ثم صفيحة الإقليم الثاني فالثالث وهكذا إلى الإقليم السابع وقطع من صفائح الفضة ما تطلبه تطبيق الصفائح على وجه الكرة" لكن عبارة الإدريسي تنص صراحة على أنه أتى بدائرة مفرغة عظيمة الجرم ضخمة الجسم والدائرة إذا تجسمت وصار لها جرماً لا تكون إلا كرة ، وقد استخدم الإدريسي كلمة دائرة في كلمة كرة على سبيل التداخل بين المعنيين على نحو ما قال ياقوت الحموي " الأرض مدورة كتدوير الكرة "[٢٣] وما نقله عن الخوارزمي أن " الأرض مدورة بالكلية مضرسة بالجزئية ... ولا يخرجها ذلك من الكرية "[٢٤] وفي لسان العرب أن الكوْر لوث العمامة يعني إدارتها على الرأس ، وكل دور كور[٢٥].

ومثلما ألف الإدريسي كتابه نزهة المشتاق المعروف بالإدريسي الكبير لرجار الثاني النورماني فقد ألف لابنه غليوم الأول كتاب " أنس المهج وروض الفرج " المعروف بالإدريسي الصغير ، ولم يكن " أنس المهج " معروفاً لدى الباحثين المحدثين حتى انتبه بعضهم إلى أن أبا الفدا يشير في كتابه تقويم البلدان إلى مؤلف آخر للإدريسي غير النزهة ثم اكتشف يوسف هوروفيتس هذا الكتاب الآخر في مكتبة حكيم أوغلي باستانبول ووجده بعنوان " أنس المهج وروض الفرج " وإن كتب الناسخ في ظهر الكتاب " روض الفرج و نزهة المهج " وناقش الباحثون العلاقة بين هذين العنوانين وعنوان آخر هو " روضة الأنس ونزهة النفس " ، ذكره الأديب الصقلي عثمان بن عبد الرحيم بن بشرون في كتابه " المختار في النظم والنثر لأفاضل أهل العصر " وهو كتاب مفقود لكن العماد الأصفهاني حفظ قطعاً منه في كتابه " خريدة القصر وجريدة أهل العصر " وانتهى الرأي إلى أن هذه العناوين جميعاً إنما هي لكتاب واحد هو الذي كتب عنوانه على صدر خطيتي حكيم أوغلي رقم ٦٨٨ وحسن حسني رقم ١٢٨٩ بمكتبة السليمانية باستانبول وهو " أنس المهج وروض الفرج " .

وقد زعم بعض الدارسين أن " أنس المهج " مختصر لنزهة المشتاق[٢٦] وزعم بعض آخر إلى أنه مختصر لكتاب أكبر بنفس العنوان أو العنوان الذي ذكره ابن بشرون[٢٧]. وواقع الأمر أن كتاب " أنس المهج " ليس مختصراً لهذا الكتاب أو ذاك بل ألفه الإدريسي مختصراً في ذاته وليس اختصاراً لكتاب آخر ، وقد أوضح ذلك في خطية

الكتاب إذ يقول مخاطباً غليوم الأول " قد سألتني أن أؤلف لك كتاباً مختصراً في مسالك الأرض وممالكها لرغبتك في ذلك وحرصك عليه ... وقد وضعت لك في ذلك كتاباً أسميته " أنس المهج وروض الفرج " وأتيت به صغير الجرم كبير العلم ليخف حمله ويرغب في كسبه ويسهل نسخه على متناوليه إذا الناس مطبوعون على سآمة ما طال عليهم وتكرر من المعارف لديهم "(٢٨).

ويمكن لمن يقارن بين خطيتي نزهة المشتاق وأنس المهج أن يكتشف فروقاً موضوعية بينهما لا تظهر فقط أن أنس المهج مختصر في ذاته وليس اختصار لنزهة المشتاق وإنما تظهر أيضاً أن أنس المهج أورد معلومات إضافية لم ترد في النزهة من ناحية ومن ناحية أخرى عدل بعض ما جاء في النزهة من آراء منها تعديل جوهري هام هو ما يتعلق بتقسيم الأرض إلى معمور وغير معمور فقد اختص كتاب النزهة النصف الشمالي من الأرض بالعمران وحدده في ٦٤ ° عرضية فقط تلي خط الاستواء شمالاً مباشرة بينما يخلو الجزء الباقي شمال الدائرة ٦٤ ° حتى الدائرة ٩٠ ° - أي نحو ٢٦ ° عرضية - من العمران بسبب شدة البرد فيه - حسب رأي الإدريسي - وأخلت النزهة من العمران أيضاً نصف الأرض الجنوبي كله وجعلته " غير مسكون أو معمور لشدة الحر به دائما على سمته ، فجفت مياهه وعدم حيوانه ونباته "(٢٩) لكن كتاب " أنس المهج " أدخل على ذلك تعديلاً جوهرياً غير مسبوق في الجغرافيا العالمية وذلك أنه زاد قدر المعمور من الأرض إلى سبع وسبعين درجة موزعة بين نصفيها الشمالي والجنوبي ، فزاد العمران في شمال خط الاستواء إلى درجة عرض ٦٦ ° بزيادة درجتي عرض عما في النزهة وزاد العمران في جنوب خط الاستواء إحدى عشرة درجة عرضية تنتهي إلى جبل القمر الذي ينبع منه - في رأيه - نيل مصر وأضاف بذلك إقليماً جغرافياً ثامناً في جنوب خط الاستواء إلى الأقاليم السبعة التي كانت في شماله حسبما كانت ترى الجغرافية العالمية قبل تأليف الإدريسي لأنس المهج ، وقد زاد بذلك قدر المعمور من الأرض في تقدير الإدريسي فوصل إلى نحو ٧٢٤٠٠٠ ميل بما يوازي نحو ٩ ٪ من مساحة الأرض الكلية أو على حد قول الإدريسي " أحد عشر جزءً من مائة وعشرين جزءً "(٣٠) وبعد أن كان الإدريسي يجزم في " النزهة " بأنه لا عمران في غير ما حدده

إما لشدة البرد أو لشدة الحر فإنه صار في " أنس المهج " أكثر مرونة وأقـر باحتمـال اتساع المعمور إلى أكثر مما حدده في شمال خط الاستواء وجنوبه فقرر أن " مـا كـان غير ذلك فليس يمنع أن يكون معموراً إلا أنه يمنه من معرفـة ذلـك القفـار والبحـار المخوفة والمهالك المتلفة "(٣١)، وهكذا وعلى غير نهجه في " النزهة " انتقد الإدريـسي في " الأنس " قول بطليموس في المجسطي أن الجهة الجنوبية غير مسكونة لشدة الحـر فيها وقرر الإدريسي عدم وجود دليل على رأي بطليموس بأنه لم يبلغنا ذلـك ولا رأينـا من مشاهدة للموانع المذكورة ، وبذلك أقر الإدريسي ضمناً بقدرة الإنسان على التكيـف وتخطي عقبة البرد الشديد أو الحر الشديد ليعمر جهات يحول دون معرفتها عدم معرفة الجغرافيين بها .

ومن الغريب أن الإدريسي رغم إضافته إقليماً ثامناً إلى المعمـور يمتـد إحـدى عشرة درجة جنوب خط الاستواء فإنه التزم في " أنس المهج " بالتقليد الجغرافي الـذي درج عليه سابقوه في تقسيم المعمور إلى سبعة أقاليم ، وكان قد أخـذ بهـذا التقـسيم السباعي في النزهة بادئاً الإقليم الأول شمال خط الاستواء من جهة الغرب حيث الجـزر الخالدات في بحر المغرب أو المحيط الأطلنطي(٣٢) لكنه بعدما أضافه إلى المعمور فـي " الأنس " لم يجرؤ على تخطي التقسيم السباعي الكلاسيكي للأقاليم الجغرافية واعتبر مـا أضافه من المعمور جنوب خط الاستواء مجرد تمهيد للأقاليم السبع " بذكر المعمور الذي خلف خط الاستواء ناحية الجنوب " وقسمه أيضاً إلى عشرة أجزاء على نحـو تقـسيمه للأقاليم السبع المتعارف عليها(٣٣).

وعلى ذلك ، وبمقارنة ما ورد من معلومات ومعارف في أنس المهج مع مثيلاتها في نزهة المشتاق يمكن القول إن " الأنس ليس تلخيصاً للنزهة بل يعد أنس المهج طفرة في الجغرافية العالمية عامة وفي جغرافية الإدريسي خاصة حتى أننا نتساءل في دهشة: كيف أمكن للإدريسي أن يطور معلوماته الجغرافية ويضيف للأقاليم السبعة إقليماً جديـداً في غضون أعوام قليلة تعد على أصابع اليد الواحدة بين تأليف كتابـه النزهـة لرجـار الثاني وتأليف كتابه " الأنس " لولده غليوم الأول.

ولا يفوتنا أن نشير إلى ملاحظة هامة لفتت انتباه بعض الدارسين مثـل كرامـرز وغيره وهي ورود ذكر الجغرافي ابن سعيد المغربي المتأخر عن الإدريسي في خطيتـي

أنس المهج اللتين بين أيدينا إذ جاء فيهما " وقال ابن سعيد عرض المعمور ثمانين درجة منها خلف خط الاستواء ستة عشر درجة وفي الشمال أربع وستون درجة "[٣٤] ولا شك أن ورود اسم ابن سعيد على هذا النحو في أنس المهج يشكك في نسبة الكتاب للإدريسي ، لكن فؤاد سزكين يدحض هذا الشك بأنه من المحتمل أن يكون قول ابن سعيد قد أقحم على النص على يد الناسخ فوضعه أحدهم كإضافة أو تعليق في الحاشية أو الهامش ثم وجدت هذه الحاشية طريقها فيما بعد إلى النص الأصلي على يد ناسخ آخر عن غير قصد أو سوء فهم[٣٥] ويمكننا قبول ما ذهب إليه فؤاد سزكين لمعقوليته وإمكانية حدوثه من ناحية ، ومن ناحية أخرى لأن مقارنة ما نسب قوله إلى ابن سعيد في أنس المهج مع ما جاء في نفس المعنى في نص جغرافية ابن سعيد نفسه يظهر أن الناسخ تصرف وأضاف إلى العبارة كثيراً من عنده ولم نجده في جغرافية ابن سعيد[٣٦] وفضلا عن هذا فقد تمادى الناسخ في غيه ونسب إلى بطليموس القول بامتداد المعمور في جهة الجنوب مناقضا بذلك رأيه المذكور آنفاً بأن الجهة الجنوبية غير مسكونة أو معمورة[٣٧] ويرجح القول بإقحام الناسخ قول ابن سعيد على نص أنس المهج أن النسختين اللتين بين أيدينا ليست منهما النسخة الأصلية بل نسخت أولهما – إن صح تاريخ نسخها – وهي نسخة حكيم أوغلي في عام ٥٨٨ هـ أي بعد وفاة الإدريسي ، ونسخت الثانية عن الأولى في عام ٥٩٤ هـ ، وتاريخا نسخ النسختين مزيف ولابد أنهما نسختا في تاريخ متأخر إذ كيف تنسخان في هذين التاريخين المذكورين وتحملان قولاً لابن سعيد المغربي المولود في عام ٦١٠هـ/١٢١٤م بعد تاريخ نسخ ثانيتهما بأكثر من عقد ونصف لكن الناسخين لم يتورعا عن تزييف تاريخي نسختيهما ربما لاختفاء بعض الأصالة عليهما دون أن يفطنا للشرك الذي وقعا فيه ، ولا أحسبهما بعد ذلك يتورعان عن حشو المتن بحاشية وضعها مجهول في الهامش نقلا عن ابن سعيد.

(١) جاء عنوان الكتاب على غلاف خطيته وفي خاتمته " أنس المهج وروض الفرج" لكن الناسخ كتب في خاتمة الكتاب أنه " روض الفرج ونزهة المهج " وتكرر ذلك في نسختي : حكيم أوغلي رقم ٦٨٨ وحسن حسني رقم ١٢٨٩ بمكتبة السليمانية – استانبول وهما ما بأيدينا من نسخ هذا الكتاب .

(2) Gasiri ; Bibliotica Arabicq – Hispanq Escurialensis , II. 13.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية : مادة الادريسي .

(٤) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، ص١٨٤ .

(٥) أماري : المكتبة الصقلية ، ص ٦٥٨ .

(٦) الوافي بالوفيات : ج٨ ، ص ص ٣٢٤ – ٣٢٦ .

(٧) اكتفى الصفدي وغيره في لقبه بالعالي لكن المقريزي (المقفى الكبير) لقبه العالي بالله كما جاء في كتاب اليازوري وزير المستنصر بالله الفاطمي إلى العالي بالله أمير المؤمنين بمالقة وكذلك يلقبه العالي بالله ابن بسام : الذخيرة ، ط، مج٢، ص٨٦١، وابن الآبار : الحلة السيراء ،ج٢ ،ص٢٦ وان كان يكنه أبو رافع .

(٨) محمد عبد الله عنان : دولة الإسلام في الأندلس ، العصر الأول ، القسم الثاني ، ص٦٧٣ .

(٩) مجهول : ذيل البيان المغرب ، ج٣ ، ص٢٩١ .

(١٠) قيل إن أهل مالقة انتهزوا خروجه للتنزه والعيد فأغلقوا الباب في وجهه مما يدل على سخطهم واستيائهم من سياسته ويذهب بعض المؤرخين (مثل ابن الآبار : الحلة السيراء ، ج٢ ، ص٢٩ ، وعبد الواحد المراكشي : المعجب ، ص٦٥) إلى أن إدريس العالي كان متناقض الأمور ، فقد كان أرحم الناس قلبا كثير الصدقة ورد المطرودين إلى أوطانهم ورد عليهم ضياعهم وأملاكهم ومع هذا فكان لا يصحب ولا يؤثر إلا كل ساقط رذل ولا يحجب حرمه عنهم ... الخ .

(١١) ابن عذارى : البيان المغرب ، ج٣ ،ص٢١٦ ، وعبد الواحد المراكشي : المعجب، ص٦٨.

(١٢) محمد عبد الله عنان : المرجع السابق ، ص٦٧٥ .

(١٣) الصفدي : المصدر السابق ، ج٨ ، ص٣٢٤ .

ويذكر ابن حزم وابن عذارى أنه في سنة ٤٤٨ هـ كان بالأندلس أربعة خلفاء في مسافة ٣ أيام في مثلها كلهم يدعى بأمير المؤمنين ويعد ذلك، فضيحة غير مسبوقة دلت على الإدبار المؤكد ..

(١٤) الصفدي : المصدر السابق ، ج٨ ، ص٣٢٦ .

(١٥) أماري : المكتبة الصقلية ، ص ٦٥٨ .

(١٦) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس ، ص١٩٤ .

(١٧) نزهة المشتاق : ج١ ، ص ص ٥-٦ .

(١٨) الإدريسي : "أنس المهج وروض الفرج " ، ص٤ .

(١٩) الإدريسي : " نزهة المشتاق " ، ج١ ، ص ٦ .

(20) Miller ; k; Mappae Arabicae , 6 vols , Stuttgast, 1926. vol1,p.54

(21) Schiaparelli, L ; L'ltalia Descritta nel Libro de Re Ruggerq Compilato du Edrisi , Torino , 1883.

(٢٢) مؤنس : المرجع السابق ، ص٢٠٦ .

(٢٣) معجم البلدان : ج١ ، ص١٦ .

(٢٤) نفس المصدر : ج١ ، ص١٧ .

(٢٥) ابن منظور : لسان العرب ، مادة كور .

(٢٦) كرامرز : دائرة المعارف الإسلامية ، جغرافيا

(٢٧) حسين مؤنس : المرجع السابق ، ص٢٢٧ .

(٢٨) أنس المهج وروض الفرج : خطية حكيم أوغلي ٦٨٨ ، ص ص ٢-٣ .

(٢٩) نزهة المشتاق : ص٨ .

(٣٠) أنس المهج : ص٥ .

(٣١) أنس المهج : ص٦ ، ص٨ .

(٣٢) نزهة المشتاق : ص٩ .

(٣٣) أنس المهج : ص٧ .

(٣٤) نفس المصدر : ص١٣ .

(٣٥) فؤاد سزكين : تقديم نشرة خطيتي أنس المهج بطريقة التصوير ، فرانكفورت ، ١٩٨٤م .

(٣٦) ابن سعيد : الجغرافية ، ص٧٩ .

(٣٧) أنس المهج : ص١٣ .

صناعة النسيج في الأندلس الإسلامية

من (٩٢ – ٨٩٧هـ / ٧١١-١٤٩٢م)

د. مسعد عبدالله أحمد
مدس التاريخ الإسلامي
كلية الآداب ــ جامعة قناة السويس

مقدمة البحث :

تمثل الصناعة المتطورة ركنًا أساسيًا يُقاس عليه نهضة الأمم وحضارتها، ولقد أدرك المسلمون الأوائل هذه الحقيقة منذ أن وطأت أقدامهم أرض الأندلس سنة (٩٢هـ/٧١١م) وثبتوا دعائم حكمهم فيها، فأولى أولو الأمر من ولاة وأمراء وخلفاء الصناعةَ جانبًا كبيرًا من اهتمامهم، ووفروا لها الأيدي العاملة الماهرة ورؤوس الأموال اللازمة.

ولا شك أن الصناعة فى الأندلس خلال العصر الإسلامي بلغت درجة عالية من الإتقان والجودة، وهذا دليلٌ صادق على عظمة ورقى الحضارة الإسلامية فى بلاد الأندلس. ونظرًا لتعدد وتشعب مجالات الصناعة، كان لابد من اختيار نوع واحد منها ليكون موضوعًا للدراسة، فآثرت أن تكون صناعة النسيج في الأندلس خلال العصر الإسلامي موضوعًا للبحث، لما لصناعة النسيج من أهمية قصوى في المجتمع، كما أن هذه الصناعة وصلت إلى درجة عالية من الكمال والنضج، فغزت الصناعات النسيجية الأندلسية باختلاف أنواعها العالم كافة. ويرجع أسباب اختيار موضوع صناعة "النسيج فى الأندلس خلال العصر الإسلامي لمجموعة من الأسباب منها :

- أن الحضارة الإسلامية فى الأندلس حظيت باهتمام كثير من المؤرخين والباحثين ولكن اهتمامهم بجوانبها المتعددة لم يكن متساويًا، فلم تحظ الصناعة بصفة عامة، وصناعة النسيج بصفة خاصة إلا بجزء يسير من الدراسات.
- أن المكتبة العربية الإسلامية تفتقر لكتب تتناول الجغرافية الاقتصادية فى بلاد الأندلس، وبطبيعة الحال الصناعة نمط من أنماط هذا العلم فكان لابد من وضع

دراسة تكشف غموض وأسرارها في الأندلس.

أن صناعة النسيج فى الأندلس أسهمت بصورة فعالة فـي النـشاط الاقتـصادي وأوجدت حالة من الرخاء داخل المراكز الصناعية التي قامت فيها، بل امتد هـذا الرخاء إلى سائر مدن الأندلس، فكان ضروريًا توضيح الدور الـصناعي لهـذه المراكز الصناعية فى الأندلس الإسلامية.

واتبعت المنهج العلمي القائم على البحث والنقد والمقارنة والتمحيص فى صياغة المادة التاريخية لذلك البحث، وأشير هنا إلـى أن أغلـب المعلومـات التاريخيـة تـم استخلاصها من بطون المصادر الجغرافية مما يدل على عمق الترابط بين علمى التاريخ والجغرافيا، وأن الكتب الجغرافية تحتوى على كثير من المعلومات التاريخية.

وقد تم تقسيم هذه الدراسة إلى عناصر :

تناولت فى **العنصر الأول** : عوامل ازدهار صناعة النسيج في الأندلس وهي تنقسم إلي :

- مواد خام نباتية، وحيوانية، وأوضحت مناطق وجودها.
- الآيدي العاملة، وكانت متنوعة وذات خبرة عالية ضـمت، العـرب، البربـر، السكان الأصليون ، الصقالبة، اليهود، واسهمت المرآة الأندلسية بدور بارز في صناعة النسيج .

ثم جاء **العنصر الثانى** : تعرضت فيه إلي:

أنواع المنسوجات واستخدامها وشهرتها وهي تنوعت بين منسوجات حريريـة، وقطنية، وكتانية، وصوفية، وحددت مراكز صناعتها وأشهر المنـسوجات وأسـباب تقدمها.

ثم أشرت إلى مراكز صناعة السجاد والبسط ومدى تأثر هذه الصناعة بالمـشرق الإسلامي .

وفي **العنصر الثالث** : أشرت إلي أسواق تصريف المنسوجات ، والرقابة عليهـا والآثار الاجتماعي والاقتصادي لصناعة النسيج علي المجتمع الأندلسي.

ثم أردفت ذلك بخاتمة سجلت فيها النتائج التى توصلت إليها الدراسة.

وفى النهاية وضعت قائمة بالمصادر والمراجع التى اعتمدت عليها فـى صـياغة

البحث.

عوامل ازدهار صناعة النسيج في الأندلس :

الصناعة كلمة مأخوذة من الفعل الثلاثي "صنع"، فيقال: صنع الشئ فهو مصنوع وصنيع، واستصنعت الأمر دعوت إلي صنعه[١]، والصناعة حرفةالصانع وعمله الصنعة[٢] والصناع (جمع صانع) :هم الذين يصنعون أو يعملون بأيديهم[٣].

فالصناعة بالمعني الأصطلاحي: " عبارة عن عمل يدوي يجريه الصانع في صنعته، ويكون مما يغير في ذات المصنوع[٤]، فتتحول المواد الأولية إلي مواد أخري أكثر فائدة منها، وهذا يتطلب استغلال ثروات البلاد الطبيعية وتسخيرها لخدمة الصناعة، كاستغلال القطن والحرير والكتان في صناعة المنسوجات ".

وقد تجمعت مجموعة من العوامل الطبيعية والبشرية أسهمت في ازدهار وتقدم صناعة النسيج في الأندلس الأسلامية وهي :

المواد الخام النباتية وتشمل :

أشجار التوت :

تعد أشجار التوت من أهم الغلات الاقتصادية التى تزرع فى أرض بلاد الأندلس حيث يستفاد منها فى تربية دودة القز، التى تستخرج من شرانقها الخيوط التى تستخدم فى صناعة المنسوجات الحريرية. وإذا أردنا أن نحدد مناطق زراعة التوت فى أرض الأندلس فسوف نجد أنها انتشرت فى كثير من مدنها، ومنها منطقة بيغو [٥] PRIEG، وأشكون[٦].

كذلك زرع التوت فى مناطق حصن شنسى[٧]، ووادى آش[٨] وفنيانة[٩] FINANA.

وبطبيعة الحال تميزت هذه المناطق الأندلسية بصناعة المنسوجات الحريرية، كما نجد أن مدينة مرسية اشتهرت بزراعة شجر التوت المعد لعلف الحرير[١٠]، ومنها كان يصدر الحرير إلى غرناطة[١١].

وتعد مدينة جيان من أشهر المدن الأندلسية فى إنتاج الحرير[١٢]، حتى إنها كانت تعرف بـ " جيان الحرير " لكثرة اعتناء باديتها وحاضرتها بتربية دودة الحرير[١٣]. وقد كان يتبعها أكثر من ثلاث آلاف قرية، كلها تربى هذه

الدودة[١٤]. واشتهرت إلبيرة والمناطق التابعة لها بإنتاج الحرير الجيد الذى ينتشر فـى البلاد ويعم الآفاق[١٥]. ويكثر الحرير فى منطقة جبل شلـير[١٦]، والقـرى المتـصلة به[١٧]، وفى برجـة BORIA التى تقع شمال غرب المرية[١٨].

وفـى دلايـة[١٩] DALIAS ، والمريـة[٢٠]. وأنـدرش[٢١] ANDARAX ، ومالقة MALAGA وأعمالها[٢٢]، وغرناطة، وبـسطة[٢٣]. كمـا توصـف سـهول الكنبانية، والبراجلات[٢٤]، وإقليم بشرة بنى حسان وشبالش[٢٥] بأنها معدن من معادن الحرير.

كما نبت بأرض الأندلس شجر المقل الذي تصنع منه الغرابيل[٢٦]. كذلك زرع في الأندلس شجر الخزم[٢٧] الذي تصنع من لحائه الحبال[٢٨]. كما توفر في بـلاد الأنـدلس نباتات السمار[٢٩]، والدوم[٣٠]، والأسل (الديس)[٣١]، الخيرزان. وكانت هذه النباتات تنمو في بطون الأودية، وبالقرب من مجاري الأنهار ويستفاد منها في صناعة الحصر، والحبال، والأطباق، والسلال وما شاكلها.

نبات القطن والكتان :

تميزت أرض بلاد الأندلس بإنتاج النباتات والأعشاب التى تـدخل فـى صـناعة النسيج ومنها القطن، والكتان، والزعفـران، والعـصفر، والكمـون، والكزبـرة، والفوة، والحناء[٣٢].

وإذا أردنا أن نحدد مناطق زراعة القطن[٣٣] فى الأندلس فسوف نجدها انتـشرت فى مدنـه مـثل : إشـبيـليـة التى تقع على نهر الـوادى الكـبيـر[٣٤] GUADL QUIVIR حيث التربة الخصبة والمياه الوفيرة، وامتاز إنتاجها من القطـن بـالوفرة والجودة العالية[٣٥]، وكان الفائض منه يصدر إلى جميع بـلاد الأنـدلس والمغـرب[٣٦] وكثرت زراعة القطن فى كورة[٣٧] رندة[٣٨]، ومنطقة وادى آش[٣٩].

وبالنسبة لنبات الكتان[٤٠] فهو الآخر يـوزع إنتـاجه على كثير من مدن الأندلس مثـل: منـطقة إلبيـرة وأعمـالها[٤١]، وكـان كـتانها رفيعًا عـالى الجـودة[٤٢]، وامتازت منطقة فحص إلبيرة بإنتاج الكتان الجيد الذى كان يصدر إلـى أقاصـى بـلاد المسلمين[٤٣]. واشتهرت منطقة جبل شلير والقرى المتصلة بها بزراعـة الكتـان[٤٤]، كذلك اشتهرت مدينة لاردة[٤٥] LERIDA بزراعة نبات الكتان الذى يصدر منهـا إلـى

جميع الثغور الأندلسية[٤٦]. ونلاحظ أن زراعة نبات الكتان وجدت فى كل من مدينة شبروب من أعمال بلنسية[٤٧]، وباجة[٤٨] BEJA، وأندرش[٤٩] وبجانة[٥٠]، ووادى آش[٥١]، والمرية التى وصفت بأنها " بلد الكتان "[٥٢]، ومدينة فريش الواقعة شمال غرب قرطبة[٥٣].

نبات الزعفران والعصفر :

تعددت المواد الخام الأولية اللازمة لصناعة النسيج فى بلاد الأندلس، فبالإضافة إلى الحرير والقطن والكتان وجد الزعفران والعصفر[٥٤]، وهما من النباتات التى تدخل فى صناعة الأصباغ[٥٥]. ويمكن أن نحدد مناطق إنتاجها فى الأندلس كالتالى: حيث اشتهرت مدينة طليطلة بزراعة الزعفران الفائق الجودة[٥٦] الذى يكفى ويصدر إلى الخارج[٥٧]. كما اشتهرت منطقة وادى الحجارة التى تقع شرقى طليطلة بإنتاج الزعفران[٥٨]، ومنها كان يصدر إلى سائر الجهات الأندلسية[٥٩]، كذلك تميزت بلنسية بجودة إنتاجها من الزعفران[٦٠]، كذلك زرع نبات الزعفران فى بياسة[٦١] BAEZA، ومنها كان يصدر برًا وبحرًا[٦٢]، ويكثر الزعفران فى مدينة باغة PRIEGO ، من أعمال غرناطة[٦٣]. أما بسطة فقد اختص أهلها بمعالجة الزعفران[٦٤]، فكانت تنتج منه ما يكفى لسد حاجة مسلمى الأندلس[٦٥]، وكانت زراعة العصفر[٦٦] تجود فى إلبيرة[٦٧] وكورة لبلة[٦٨]، وإشبيلية التى تميزت بإنتاج العصفر المفضل على غيره، وكان الفائض منه يصدر إلى سائر الأقطار[٦٩].

ومن النباتات الأخرى التى تدخل فى صناعة الأصباغ : الفوة[٧٠] والبقم[٧١] اللذان يستخلص من بذرهما وعروقهما اللون الأحمر الذى تصبغ به الثياب[٧٢] والنيلج الذى يستخرج منه اللون الأزرق[٧٣]. وهكذا يتبين لنا أن أرض بلاد الأندلس توفر فيها المواد الخام اللازمة لصناعة النسيج، وتفوقت وتقدمت فى هذه الصناعة حتى إنها كانت سوقًا رائجة لها، ولم يقف الأمر عند هذا بل صدرت إنتاجها إلى سائر المدن وبلاد العالم.

المواد الخام الحيوانية :

انتشرت المراعي الطبيعية في سفوح الجبال والأودية و المروج الأندلسية، فساعد ذلك علي تربية الحيوانات بمختلف أنواعها خاصة الأغنام والأبقار[٧٤] لأهميتها وفائدتها الأقتصادية الكبيرة في صناعة المنسوجات الصوفية.

وتميزت منطقة جبل الشارات[٧٥] الذي يقع شمالي مدينة طليطله بتربية الأغنام والأبقار الجيدة التي يضرب بها المثل في جميع مدن الأندلس[٧٦].

ولا غرو أن سائر مدن الأندلس تميزت بتربية الأغنام و الماشية، مما ساعد علي ازدهار صناعة المنسوجات الصوفية في الأندلس خلال العصر الأسلامي.

الأيدي العاملة :

تكون المجتمع الأندلسي من عناصر سكانية متنوعة، شكلت الأيدي العاملة المدربة ذات الخبرة العالية، وشاركت بصورة فعالة في تطور صناعة النسيج وضمت :

العرب :

شكل العرب الارستقراطية الحاكمة في الأندلس، فشغلوا وظائف الحكم والإدارة والجيش[٧٧] .وعندما انخرط العرب في المجتمع الأندلسي مارسوا مختلف أنواع الصناعات[٧٨] مثل :

الدباغة[٧٩] والخياطة[٨٠] وعملوا في صناعة الديباج[٨١]، ومارسوا صناعة غزل الكتان، ونسج الحرير وبيعه كمادة خام، كما اشتهروا ببيع الأقمشة والمنسوجات[٨٢]. ولاشك ان العرب الفاتحين نقلوا إلي الأندلس خبرتهم الفائقة في صناعة وغزل النسيج فساعد ذلك علي شهرة وبراعة أهل الأندلس في تلك الصناعة.

البربر :

سكن البربر القري والأرياف، وعملوا في الفلاحة وتربية المواشي، فاشتهروا بإنتاج الصوف كمادة خام، أما أهل الحاضرة من البربر فعملوا في صناعة السلال والأطباق والبراذع والحبال والشطاطيب لكنس أرضيات البيوت[٨٣].

أهل البلاد الأصليون :

أما اهل البلاد الأصليون من الأسبان الذين دخلوا الإسلام بعد الفتح، وكانوا من سكان البادية وأهل الجبال، فقد احترفوا العمل في زراعة الحدائق و البساتين، وتربية المواشي[٨٤].

الموالي :

مثل الموالي النسبة العالية من الأيدي العاملة، فكانوا يعملون في مختلف الصناعات السائدة في المجتمع الأندلسي خاصة صناعة المنسوجات والأقمشة و الدباغة

و الحياكة[٨٥].

الصقالبة :

شارك الصقالبة[٨٦] في صناعة النسيج في الأندلس، إذ أُسند إليهم الإشراف على معامل الطراز حيث كانت تنسج ثياب الأمراء و الخلفاء وأعيان الدولة من الديباج و الحرير المختم المرقوم بالذهب المختلف الألوان[٨٧].

اليهود :

أسهم اليهود في صناعة النسيج في الأندلس، فعمل بعضهم في خياطة ثياب الملف، وصناعة الأقمشة و المنسوجات، ونسج القلانس(القبعات) وتبطينهاوصبغها وتصفيتها[٨٨]. وبالنسبة لموالي اليهود فقد عملوا في الصباغة، ومناسج الحياكة.

المرآة الأندلسية :

كذلك نجد المرآة الأندلسية تشارك بدورها في صناعة الغزل والنسيج[٨٩]، وصناعة التطريز[٩٠]، وصناعة غزل الصوف و القطن و الكتان[٩١]. وقد برعت المرأة في مدينة المرية في صناعة الغزل الذي يقارب الحرير في جودته[٩٢].

ومن مظاهر اهتمام المرأة الأندلسية بصناعة الغزل والنسيج اهتمامها الزائد بتحضين بيض دود الحرير ورعايته من شهر فبراير الذي يوضع فيه البيض إلي شهر مارس إذ يتولد فيه دود الحرير[٩٣].

ومن هذا يتبين لنا أن الأندلس الأسلامية حظت بوفرة وتنوع الأيدي العاملة الماهرة التي أثرت تأثيراً بالغاً في إزدهار صناعة النسيج.

أنواع المنسوجات وخصائصها واستخداماتها فى الأندلس الإسلامية :

أولاً : المنسوجات الحريرية :

احتلت صناعة المنسوجات الحريرية مكانة بارزة فى المجتمع الأندلسى خلال العصر الإسلامى، وانتشرت في كثير من مدنه. وتأتي مدينة المرية ALMERIA فى مقدمة المدن إذ حظت بشهرة واسعة في صناعة المنسوجات الحريرية، فإليها انتقلت صناعة الحرير التى ازدهرت فى بجانةPECHINA في القرنين الثالث والرابع الهجريين / التاسع والعاشر الميلاديين[٩٤].

كذلك انتقل إلى المرية صناعة الوشى والديباج التى كانت تشتهر بهما قرطبة

CORDABA ولاسيما بعد سقوط الخلافة الأموية سنة (٤٢٢هـ / ١٠٣١م) واضمحلال قرطبة فى عصر الفتنة، فالمرية كان " يعمل بها الوشى والديباج فيجاد عمله، وكانت أولاً تعمل فى قرطبة ثم غلبت عليها المرية فلم يوجد فى الأندلس من يجيد عمل الديباج إجادة أهل المرية "[٩٥].

واشتهرت قرطبة بصناعة الأقمشة الناعمة والمنسوجات الحريرية السميكة[٩٦]، إضافة إلى أجود أنواع الثياب المتخذة من جَيد الخز والقز[٩٧]. ويقال إنه كان يعمل بها عدد كبير من عمال النسيج والحياكة[٩٨]، مما جعل الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ـ٣٥٠هـ / ٩١٢ـ٩٦١م) يفتخر بما يحاك له فى بلاد الأندلس من الخز والوشى وأصناف الثياب، حتى إنه استغنى بذلك عما كان يجلب إليه من المشرق الإسلامى[٩٩]، وقد أشاد ابن حوقل، الذى زار الأندلس فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادي، بأنسجة الحرير والديباج الأندلسية، ذاكرًا تفوق الأندلس على العراق من حيث الكمية المنتجة وجودة المصنوعات[١٠٠].

وقد بلغت صناعة المنسوجات الحريرية درجة عالية من الجودة والإتقان فى المرية فى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى، ووصف ابن سعيد نقلا عن ابن فرج ذلك بقوله : " حدث فيها من صنعة الوشى والديباج على اختلاف أنواعه، ومن صنعة الخز، وجميع ما يعمل من الحرير، ما لم يبصر مثله فى المشرق ولا فى بلاد النصارى "[١٠١]. كما أشار الرازى (٣٤٧هـ / ٩٥٨م) إلى تقدم هذه الصناعة بالمرية وتفوق أهلها على غيرهم من أهل الأندلس، فذكر أن " المرية مفتاح الرزق والكسب وموطن الحذاق من أصحاب الصناعات، وأن فى داخل أسوارها الحاكة والنساجون الذين برعوا فى حياكة الثياب الحريرية الموشاة بالذهب "[١٠٢]. ولم تنفرد المرية بصناعة المنسوجات الحريرية، بل وجدت مدن أندلسية تفوقت فى هذه الصناعة مثل: لقنت ALICANTE ، وإشبيلية SEVILLA ، وغرناطة GRANADA ، ومالقة MALAGA ، وفى الأخيرة كانت تصنع أجود أنواع الحرير الأبيض، ومنها يصدر إلى مدن الأندلس كافة[١٠٣].

وفى عصر دولة المرابطين فى الأندلس ازدهرت وتقدمت صناعة المنسوجات الحريرية فى مدينة المرية، واحتلت مكان الصدارة، فاحترف معظم سكانها صناعة

النسيج والحياكة(١٠٤)، وكان يعمل بها من الحرير ما يفوق ما يصنع فى غيرها جـودة وإنتاجًا(١٠٥). ويقال إنه وجد بها نحو ثمانمائة نول معدة لنـسيج طـرز الحريـر(١٠٦)، وتشير رواية أخرى إلى وجود حوالى خمسة آلاف وثمانمائـة نـول فـى المريـة(١٠٧) مخصصة لصناعة المنسوجات الحريرية بأنواعها المختلفة. ومـن أشـهر منـسوجات المرية الحريرية " الحلـل الموشـاة النفيـسة، والـديباج الفـاخر، والـسقلاطون، والأصبهانى (الأصفهانى) والجرجانى، والستور المكللة والثيـاب المعينـة، والخمـر، والعتابى، والمعاجر المذهبة"(١٠٨).

ونلمس أن صناعة المنسوجات الحريرية فى مدينة المرية قد تـأثرت بـصناعة النسيج فى المشرق الإسلامى، إذ وجد بهـا أقمـشة حريريـة علـى مثـال الأقمـشة المصنوعة فى بغداد وجرجان(١٠٩)، بالإضافة إلى أقمشة السقلاطون الحريرية المطرزة بالذهب التى اشتهرت فى الأصل ببلاد اليونان ثم انتشرت صناعتها فى المدن الإسلامية شرقًا وغربًا(١١٠). كما اشتهرت مدينة المرية بصناعة الحلل حيث كان يصنع بها " الحلل الرفيعة القدر الكثيرة الأثمان " وكان هذا النسيج يزين بخيوط ذهبيـة فعـرف بالحلـل الموشاة(١١١). كذلك تميزت بصناعة ونسج الديباج الذى ينسج من خيوط الحرير وتدخل فى نسجه خيوط الذهب(١١٢). وتجدر الإشارة إلى ازدهار صناعته فـى المريـة خـلال القرنين الخامس والسادس الهجريين / العاشر والحادى عشر الميلاديين، فقد كان يعمل بها " الديباج المحكم الصنعة مثل : المرنجات المعروفة بالعداديات، وثيـاب الـسندس الأبيض وهو ديباج أبيض كله، لا يخفى على أحد من صناعته شيء(١١٣). واشـتهرت مدينة المرية بتنوع إنتاجها من المنسوجات الحريرية، إذ كـان يـصنع بهـا الوشـى والسقلاطون(١١٤) والبغدادى والديباج ومنها يصدر إلىجميع الآفاق(١١٥).

كذلك تميزت مدن مالقة ومرسية MURCIA بصناعة المنسوجات الحريريـة فى القرنين السادس والسابع الهجريين / الثانى والثالث عشر الميلاديين، حيـث بـرع صناع النسيج فى حياكة " ثياب الحرير الموشاة بالذهب ذات الـصنائع الغريبـة التـى يتعجب من حسن صنعتها المشارقة إذا رأوا منها شـيئًا "(١١٦). وقـد اختـصت مالقـة والمرية بصناعة الحلل الموشاة النفيسة ذات الصور العجيبة التى تتجاوز أثمانهـا آلاف الدنانير وكان هذا النوع من المنسوجات يصنع للخلفاء وكبار رجال الدولة خاصـة(١١٧)،

وكان لمرسية شهرة فائقة فى تنوع منسوجاتها الحريرية[١١٨]، وكانت تحتل المركز الثالث بعد المرية ومالقة فى صناعة الوشى[١١٩]. كما اختصت غرناطة وبسطة BAZA بصناعة نوع من الملابس الحريرية عرف فى الأندلس باسم " الملبد المختم ذى الألوان العجيبة "[١٢٠]، وكان الصناع يزينون إنتاجهم هذا بالزخارف الهندسية وصور الحيوانات. ومن القطع الحريرية التى تنسب صناعتها إلى الأندلس فى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى قطعة مزخرفة بأزواج من الطواويس والحيوانات المتقابلة، وتفصلهما شجرة الحياة[١٢١].

ونلاحظ أن صناعة المنسوجات الحريرية ازدهرت فى الأندلس خلال عصر الموحدين مع أن حكام هذه الدولة تورعوا عن ارتداء الملابس الغالية الثمن المصنوعة من الحرير والديباج المطرز[١٢٢]. وتجدر الإشارة إلى استمرار صناعة المنسوجات الحريرية فى المدن الأندلسية التى سقطت فى أيدى النصارى الأسبان، حيث عمل الحكام المسيحيون على تشجيع رعاياهم من المسلمين على الاستمرار فى هذه الصناعة، فقد سمح الفاتح خايمى سنة (٦٧٢هـ / ١٢٧٣م) إلى عربى اسمه على وابنيه محمد وأبى قارون أن يصنعوا الحرير فى مدينة شاطبة JATIVA التابعة لمملكة بلنسية[١٢٣]. وكانت صناعة الحرير مزدهرة فى مدينة طليطلة TOLEDO بفضل الصناع المسلمين الذين بقوا فيها عقب سقوطها بيد الأسبان عام (٤٧٨هـ / ١٠٨٥م)[١٢٤].

وفى عصر بنى الأحمر تقدمت صناعة المنسوجات الحريرية فى مملكة غرناطة تقدمًا كبيرًا، وتعددت مراكز إنتاجها، فاشتهرت مالقة[١٢٥] والمرية ودلاية DALIAS، ووادى آش GUADIX ، وسهيل FUENJEROLA بهذه الصناعة، وفى الأخيرة بالذات كان يصنع نوع خاص من الحرير للنساء، تفضله أميرات غرناطة وحريمها[١٢٦]. وتفردت غرناطة فى القرنين الثامن والتاسع الهجريين / الرابع والخامس عشر الميلاديين بصناعة نوع من المنسوجات الحريرية الموشاة، تتكون زخارفه من أشرطة بها زخارف نجمية ونباتية وطيور وزخارف كتابية، وأطلق على هذا النوع من الزخارف طراز الحمراء، وذلك لتشابه زخارفه مع خزف الحمراء[١٢٧].

وكانت ثياب الخز والمنسوجات الحريرية الرائعة تنسج فى أندرش ANDARAX ونارجة، وتصدر إلى المغرب ومصر، وإلى الأمراء المسيحيين بشبه الجزيرة، ولقد كثرت فى المدونات المسيحية الإشارات إلى إنتاج مالقة للديباج والوشى، عندما أكدت زيادة عدد سفن قشتالة المبحرة لمالقة سنة (٨٠٧هـ / ١٤٠٤م) وعودتها محملة بمنسوجات الحرير الموشى(١٢٨).

وقد استمرت مصانع المنسوجات الإسلامية بأسبانيا المسيحية بإنتاج المنسوجات الحريرية الغرناطية، كالملاحف والخمر والملابس المتنوعة المختلفة الألوان(١٢٩). وتتميز الملابس الغرناطية بتصميم خاص، فهى ذات ألوان زاهية، أهمها والأساس المستعمل منها الأصفر الذهبى والأزرق والأسود والأحمر والأبيض، وتوجد بقايا من هذه الملابس فى كل من سان سبستيان SAN SEBESTIAN بأنتقيرة ANTEQUIRA، ومتحف الفن بقطلونية CATALONIA، ومعهد دون خوان دى مدريد Intituto de Don Juadde Madrid بمدينة بلنسية(١٣٠) VALENCIA. ومن الجدير بالذكر أن المدن الإيطالية التى اشتهرت بصناعة الحرير فى العصور الوسطى، نقلت عن الأندلسيين معظم فنونهم وطرائفهم فى هذه الصناعة المربحة، وكانت مدينة فيرنتزا (فلورنس) تستورد كميات كبيرة من الحرير الخام من غرناطة حتى أواخر القرن التاسع الهجرى / الخامس عشر الميلادى(١٣١).

ثانياً: صناعة المنسوجات القطنية والكتانية والصوفية :

فى الأندلس الإسلامية :

لم تتوقف شهرة مدن الأندلس خلال العصر الإسلامى على صناعة المنسوجات الحريرية فحسب، بل تفوقت فى صناعة المنسوجات القطنية والكتانية والصوفية، إذ توافرت في البيئة الأندلسية المواد الخام اللازمة لهذه الصناعة وكان لوجود الأيدى العاملة البارعة فى هذه الصناعة أثر بالغ فى تطورها وتقدمها فى الأندلس، إذ تخصصت فى صناعة غزل القطن والكتان والصوف وكان للغزالين أماكن خاصة فى الأسواق الأندلسية(١٣٢).

ويمكن لنا أن نوزع مناطق صناعة المنسوجات القطنية فى الأندلس على مدنها فسوف نجد أن مدينة إشبيلية تميزت بصناعة المنسوجات القطنية، وامتاز إنتاجها

بالـوفرة والجودة العالية، وكان الفائـض منه يصدر إلى جـميع مـدن الأنـدلس والمغرب[١٣٣]. وشهد القرن الرابع الهجرى / العاشرالميلادى طفرة هائلة فـى صـناعة المنسوجات الكتانية فى الأندلس وكانت هذه المنسوجات تتألف مـن الأكـسية والثيـاب الفاخرة[١٣٤]، والأبنية المختلفة الأشكال كالقباب والهوادج والأخبية[١٣٥]. وأبلـغ دليـل على تميز الأندلس فى صناعة الأخبية أنه كان يصنع منها ما يتجاوز ثلاثة آلاف خبـاء كعدة للجند زمن المنصور بن أبى عامر هذا عدا ما كان يصنع للسلطان خاصة، ولكبار خدمه وغلمانه[١٣٦]، كذلك حمل الحاجب المنصور بن أبى عامر معه فى صـائفة سـنة (٣٩٢هـ/ ١٠٠١م) أربعمائة واثنين وعشرين خباءً ومائة وسبعة وسبعين خباء مـن الأخبية المعروفة بالفرود[١٣٧].

وتعددت مراكز صناعة المنسوجات الكتانية فى الأندلس فى القرن الرابع الهجرى / العاشـر المـيلادى، إذ نجـد كـلا مـن إلبيـرة ELVIRA[١٣٨]، وقرطبـة[١٣٩]، ولاردة[١٤٠] LERIDA، وطليطلة، وبـجـانة. وهذه الأخيـرة اختـصت بـصناعة الأردية والثياب الفاخرة التى كانت تضاهى بجودتها الأثواب الديبقية المـصرية، ممـا جعلها تنال شهرة واسعة نقلتها إلى أسواق مصر، مكة، واليمن[١٤١]. ونظرًا لفخامـة هذه المنسوجات أهدى بها خلفاء الأندلس الملوك والأمراء مثال ذلك هدية الخليفة عبـد الرحمن الناصر لموسى ابن أبى العافية سنة (٣٢٤هـ/ ٩٣٥م)، وكانت تشتمل على أربعين شقة من " شقاق الكتان المتوسط لكسوة رجاله ومائة شقة مـن" الـشقاق دون المتوسطة لكسوة رجاله"[١٤٢]. وهديته لزعماء القبائل البربرية سنة (٣٢٦هـ/ ٩٣٧م) وكانت تتضمن ثلاثين شقة من شـقاق الكتـان وثلاثـين رداءً مـن أرديـة الكتـان المعلمة[١٤٣].

وشهد القرن الخامس الهجرى / الحادى عشر الميلادى ازدهـارًا فـى صـناعة المنسوجات الكتانية فى مدينة باجة BEJA والمناطق التابعة لها[١٤٤]، فكانت تـصنع بها الثياب الكتانية البيضاء التى تباع بالأثمان الغالية وهى من أبدع الثياب عتامة ورقة حتى لا يفرق بينها وبين الكاغد فى الرقة والبياض[١٤٥].

كذلك تميزت وازدهرت مدينة بلنسية VALENCIA فى صـناعة المنـسوجات الكتانية ذات الجودة العالية[١٤٦]، ولذا كان يصدر إنتاجها إلى سـائر أقطـار المغـرب

الإسلامى(١٤٧). وترتب على ازدهار هذه الصناعة فى بلنسية قيام بعض الحرف المساعدة كحرفة القصارة(١٤٨)، حيث كانت الثياب الغالية من الكتان تقصر فيها(١٤٩). وكان القصارون يعالجون الثياب الكتانية بغسلها ودلكها وتليينها وتبييضها بعد خروجها من المناسج، وكانت هذه العملية تتم فى العادة بالقرب من ضفاف الأودية والأنهار(١٥٠).

وفيما يتعلق بصناعة المنسوجات الصوفية نجد أنها قد انتشرت فى كثير من أنحاء الأندلس خلال العصر الإسلامى، نظرًا لتوافر مناطق المراعى المنتشرة فى سفوح الجبال والأودية وكثرة المواشى والأغنام التى تربى عليها، لذا توافر الصوف الخام اللازم لصناعة المنسوجات(١٥١). وشهد القرنين الثالث والرابع الهجريين/ التاسع والعاشر الميلاديين تقدمًا وازدهارًا فى هذه الصناعة : إذ برع الصناع فى حياكة أرقى المنسوجات الصوفية التى تفوقت بجودتها على المنسوجات الأرمينية(١٥٢). وتميزت مدن الأندلس بصناعة أسرجة الخيول التى تصنع من الصوف، حيث بلغت درجة عالية من الرقى وذاعت شهرتها فى أنحاء العالم الإسلامى إذ كانت تتراوح أثمانها ما بين الخمسين والستين دينارًا، حيث كانت تزين بالذهب والفضة. فالأندلسيون " لم يساوهم فى أعمال لبودهم(١٥٣) أهل بلد على وجه الأرض، وربما عمل لسلطانهم لبود ثلاثينية يقوم اللبد منها بالخمسين والستين دينارًا، غير أنه قد جعل عروضها خمسة وستة أشبار فهى من محاسن الفرش"(١٥٤). كذلك برع الأندلسيون فى صناعة ونسج الملابس الصوفية، ومن أشهرها الممطر وهو نوع من الثياب يرتدى للتوقى من المطر(١٥٥). وقد أهدى الأمير عبد الرحمن الأوسط ثوبًا من هذا النوع إلى عبد الله بن الشمر بن نمير القرطبى، وهو منجمه الخاص ليحميه من بلل الأمطار(١٥٦). كما تميز الأندلس فى صناعة الملابس القلشانية وهى " مخترعة الصنعة غريبة العمل "، وكانت تصنع فى مدينة قلشانة CALSENA التابعة لكورة شذونة(١٥٧)، وشاع فى الأندلس استخدام ثياب الملف(١٥٨) المتخذة من الصوف خاصة فى غرناطة، وكانت تلبس فى فصل الشتاء(١٥٩). وتعد مدينة شقوبية(١٦٠) SEGOVIA من أشهر المراكز التى اختصت فى صناعة الملف على اختلاف أنواعه وألوانه(١٦١). وقد برع الأندلسيون فى استخدام أصواف الحيوانات وأوبارها(١٦٢) فى صنع ملابس الفراء لتقيهم من برد الشتاء القارس،

فبرع الفراعون فى نسج الثياب الفاخرة من فراء القنليات(١٦٣). وأنتج صناع الأندلس منها كميات كبيرة تفيض عن حاجة السوق الأندلسية، فصدر الفائض منها إلى الأسواق الخارجية وبخاصة أسواق سبتة وتونس(١٦٤).

وفى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى اشتهرت مدينة شنترين SANTAREM بصنع نوع من الملابس الصوفية يسمى أبو قلمون(١٦٥) وهى ثياب رفيعة القدر تمتاز بالجودة والمتانة، وتنسب إلى حيوان بحرى يدعى (أبو قلمون) كان يخرج من المحيط الأطلسى إلى ساحل شنترين، فيحتك بالصخور على شط البحر، فيسقط من جسمه " وبر فى لين الخزلونة، و لون الذهب لا يغادر منه شيئًا، وهو عزيز قليل، فيجمع وتنسج منه ثياب فتتلون فى اليوم ألوانًا ". وكانت هذه الثياب تنسج للملوك والخلفاء خاصة. وقد احتكر " ملوك بنى أمية " هذه الثياب لأنفسهم ومنعوا بيعها فى الأسواق الأندلسية أو تصديرها خارج البلاد. وتجدر الإشارة إلى أن قيمة الثوب الواحد منها كانت تزيد على ألف دينار نظرًا لعزتها وحسنها(١٦٦).

وفى القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادى والثانى عشر الميلاديين تميزت مدينة سرقسطة Zaragoza بصناعة ثياب السمور، وهى الثياب الرقيقة الفاخرة المتقنة الصنع التى لا تضاهيها أية صناعة مماثلة فى العالم الإسلامى آنذاك، إذ إنها حظيت بشهرة واسعة نسبتها إلى سرقسطة، فكانت تعرف بالثياب السرقسطية(١٦٧). ويلاحظ أن السمور الذى يصنع منه هذا الفراء كان يجلب إلى سرقسطة من جزيرة بريطانية(١٦٨). من كل هذا يتبين لنا أن مدن الأندلس خلال العصر الإسلامى تميزت واشتهرت بصناعة المنسوجات الكتانية والقطنية والصوفية وبلغت درجة عالية من الجودة، حتى إن إنتاجها كان يصدر إلى جميع الآفاق.

ثالثًا : صناعة البسط والسجاد فى الأندلس الإسلامية :

يرجع قيام صناعة البسط والسجاد فى الأندلس إلى المسلمين الأوائل الذين نقلوا فنون هذه الصناعة من المشرق الإسلامى وازدهرت فى الأندلس بفضل هؤلاء الفاتحين، إذ لم تكن الأندلس تعرف هذه الصناعة بالرغم من تاريخها الطويل وما ازدهر فيها من فنون خلفت مبانى عظيمة وتحفًا جميلة رائعة، تشهد بالتقدم الفنى لهذه البلاد منذ أقدم العصور إلى الفتح الإسلامى(١٦٩).

والجدير بالذكر أن أوروبا لم تعرف صناعة السجاد إلا بعد أن عرفته الأندلس ونقلته عنها(١٧٠)، ويعد الصوف المادة الخام الأولية التى استخدمها الصانع فى الأندلس فى صناعة السجاد، كما استخدم شعر الماعز أيضاً، ولكن بدرجة قليلة جدًا. وبالنسبة للحرير فلم يعتمد عليه كثيرًا فى صناعة السجاد إلا بعد مزجه بالصوف، حيث ينتج سجادًا فاخرًا(١٧١). وتعددت أغراض استخدام البسط والسجاد فى الأندلس الإسلامية، فهناك نوع يفرش على الأرض، وهى إما مستطيلة تسمى (نخ والجمع نخاخ)(١٧٢) أو كبيرة وتسمى (البسط)(١٧٣)، ونوع آخر يعلق على الجدران للزينة ويسمى (الأنماط أو الزرابى والحياطى)(١٧٤)، ونوع ثالث يستخدم للصلاة ويسمى (السجاد أو المصلَى)(١٧٥).

وإذا أردنا أن نحدد مراكز صناعة السجاد فى مدن الأندلس، فسوف نجد أن مدينة تدمير TUDMIR وأعمالها(١٧٦)، قد تفوقت فى صناعته ثم جنجالة(١٧٧) CHINCHILLA التى ينسب إليها الوطاء الجنجالى لشهرتها به(١٧٨). وكان يصنع فى كونكة(١٧٩) فونكة CUENCA من الأوطية المتخذة من الصوف كل غريبة(١٨٠) واشتهرت مرسية(١٨١) وتنتالة التابعة لها، بصناعة البسط الفاخرة الغالية الثمن التى كانت تصدر إلى بلاد المشرق الإسلامى(١٨٢). واختصت مدينة بسطة بصناعة البسط من الديباج، وإليها تنسب المصليات البسطية(١٨٣). وذاع صيت وشهرة هذه المدن الأندلسية فى صناعة السجاد والبسط فى القرنين الخامس والسادس الهجريين / الحادى عشر والثانى عشر الميلاديين.

وفى القرن السابع الهجرى / الثالث عشر الميلادى اختصت مدينة ألش بصناعة البسط الفاخرة، إذ برع الصناع فى حياكتها لتناسب رغبات الناس واحتياجاتهم(١٨٤)، ومن المدن الأندلسية الأخرى التى اشتهرت بصناعة البسط والسجاد ينشتة(١٨٥) INIESTA، وبلاثة وقرطبة والمرية وغرناطة(١٨٦).

ونلاحظ أن صناعة السجاد والبسط كانت تتركز فى القسم الشرقى من الأندلس، ويؤكد ذلك أن الخليفة المنصور الموحدى (٥٨٠ – ٥٩٥هـ) طار إلى شرق الأندلس يأمر بنسج كساء وفرش جامع القيروان لما أراد تعميره "(١٨٧).

ويرجع سبب شهرة شرقي الأندلس فى صناعة السجاد والبسط إلى أن الوالى أبا

الخطار حسام الدين بن ضرار الكلبى سنة (١٢٥هـ / ٧٤٢م) أسكن العرب المصريين فى إقليم تدمير ومرسية، حيث علموا أهلها فنون هذه الصناعة(١٨٨).

وكانت البسط والمصليات من بين الهدايا الثمينة التى تقدم للخلفاء، ونذكر على سبيل المثال هدية ابن شهيد للخليفة عبد الرحمن الناصر، التى اشتملت علـى ثلاثـين بساطًا من الصوف منتقاة مختلفة الألوان والصناعات، طول كل بساط منهـا عـشرون ذراعًا، ومائة مصلى من وجوه الفرش مختلفة الصناعات من جنس البـسط وخمـسة عشر نخًا من عمل الخز المقطوع شطرها، وسائرها من " جنس البسط الوجوه "(١٨٩).

وكان الخلفاء والأمراء يعلقون السجاد الفخم الثمين فى قصورهم ليظهر روعتـه وجماله، مثال ذلك أن مجلس الطعام فى قصر المأمون بن ذى النون(١٩٠) قـد " فـرش بالوطاء التسترى، وعلقت على أبوابه وحناياه ستور الطميم (القماش الثقيل) المثقلة ذات الصور المقيدة للألحاظ "، كما فرش مجلس الوضوء " بوطـاء الوشـى المرقـوم بالذهب، وعلقت فيه ستور مثقلة مماثلة "(١٩١).

ولم يكتف الصناع الأندلسيون بدور الإنتاج بل علموا الإسبان أسرار هذه الصناعة وظلوا كذلك حتى بعد زوال الحكم الإسلامى نهائيًا من الأندلس، ونـتج عـن ذلـك أن اشتهرت مدن إسبانية بصناعة السجاد والبسط مثل : الكـرز، وليـانور، وبلنـسية، وسلمنكة، ومدريد(١٩٢)، وفى الأخيرة كانت تنسج الزرابى والحياطى التى تعلق علـى الجدران، وكانت تزخرف بصور البشر على اختلاف ألوانهم، وأشـكالهم، وثيـابهم، وهيئاتهم، وبصور الحيوانات البرية والبحرية، إضـافة إلـى أوراق الأشـجار علـى اختلاف أنواعها وألوانها(١٩٣).

وأبلغ دليل على الأثر الإسلامى على صناعة النسيج فى إسبانيا أن هناك كثيراً من الألفاظ العربية مستخدمة فى اللغة الإسبانية تدل على السجاد، فقد ظل لفـظ القطيفـة والطنفسة مستخدمًا فى غرناطة بمعنى السجاد بعد زوال الحكم الإسلامى عنهـا، كمـا اقتبس اسم الحمرة **Alfombra**، وزربية **Garbia** للدلالة على السجاد(١٩٤).

كذلك استخدم الأندلسيون لحاء الأشجار وغصونها(١٩٥) فى صـناعة الحـصر، والحبال، والأطباق، والسلاسل، والمكانس، كما استخدموا نبات الحلفاء فى صـناعة قفاف الخدمة المعروفة بـ(الردامى)، ومساور التين، وشـيرات اللـوز، وأغـشية

خوابى التين، وأحمال الزبيب، وأحبل السفن[١٩٦]، كما احترف بعض الأندلسيين صناعة الحصير الممتازة وأطلق على صانعها اسم الحصار[١٩٧]. وفى القرن السادس الهجرى / الثانى عشر الميلادى اشتهرت مدينة مرسية وتفوقت فى صناعة نوع من الحصر تزين بها الجدران، نظرًا لجودة صنعتها وجمال منظرها وتناسق ألوانها[١٩٨].

ومن هنا يتبين لنا أن صناعة النسيج فى الأندلس الإسلامية قد تنوعت وتفوقت وانتشرت فى كثير من مدن الأندلس ونتيجة لجودة وكمال هذه الصناعات النسيجية وجدت رواجًا، واستحسانًا فى جميع أسواق العالم، وأن الصانع الأندلسى قد برع وتفنن، وأظهر مواهبه وذكاءه فى هذه الصناعة، حتى إن أوروبا نقلت عن الأندلس الإسلامية بدائع وروائع صناعة النسيج.

أسواق تصريف المنسوجات :

أولي حكام الأندلس أرباب الصناعات أهتماماً كبيراً ، وحرصوا علي أن يكون لكل صنعه سوقاً خاصاً بها[١٩٩]، لذا اشتهرت مدن الأندلس في العصر الأسلامي بكثرة أسواقها المتخصصة[٢٠٠]. وكانت الأسواق تقام بجوار المسجد الجامع الذي يعد مركز الحياة الاقتصادية في المدينة الاسلامية[٢٠١].

وفيما يتعلق بأسواق تصريف المنسوجات، فنجد في مدينة قرطبة حلال العصر الأموي سوقاً للحصاريين[٢٠٢]، والكتانيين[٢٠٣] وسوقاً للصوافيين والشقاقين[٢٠٤] والحرارين[٢٠٥] والخياطين[٢٠٦] والسراجين[٢٠٧].

ونلاحظ أن الخلفاء الأمويين اهتموا بتنظيم الأسواق علي اساس التخصص، فنجد الخليفة عبد الرحمن الناصر في سنة ٣٤٣هـ / ٩٥٤م ينشئ في مدينة المرية سوقاً نظم فيه حوانيت الصناع علي أساس التخصص، فقد رتب كل صناعة منها حسب ما يشكل لها[٢٠٨].

وفي سنة ٣٦١هـ / ٩٧١م أمر الخليفة الحكم المستنصر صاحب الشرطة والسوق أحمد بن نصر بنقل البرد التي بغربي قصر قرطبة وفي صدر سوقها العظمي إلي دار الزوامل التي بالمصارة طرف قرطبة وأمره بإقامة حوانيت للبزازين (تجار القماش) بدار البرد التي تم إخلاؤها لينفسح بهم سوقهم وتتوسع صناعتهم[٢٠٩].

وفي عهد دولتي المرابطين و الموحدين استمر إقامة أسواق المنسوجات في

سائر مدن الأندلس وكانت أكثر تنظيماً من سابقتها.

ففي مدينة اشبيليه نجد سوقاً للصباغين ، و الغزاليين، والحشائين(٢١٠)، وكانت هذه الأسواق مقامة بجوار المسجد الجامع المعروف باسم جامع ابن عدبس.

وفي عهد الخليفة الموحدي أبي يوسف يعقوب المنصور (٥٨٠-٥٩١هـ/١١٨٤- ١١٩٥م). أسس سوقاً بمدينة أشبيليه جعل له أربعة أبواب كبار تحيط بها من جوانبها الأربعة، ونقل إليها أسواق البزازين والخياطين، وتزاحم الناس بداخلها للشراء والبيع(٢١١).

وفي مدينة مالقة فقد روعي التخصص في تنظيم أسواقها ومن جملة ذلك سوق الخياطين و القصاريين والرفائين والطرازين والقطانين والحصاريين(٢١٢)، وكان فيها سوقاً لعمل الأطباق من الخوص(٢١٣)، وسوقاً للغزل(٢١٤).

وفي عهد دولة بني الأحمر استمر تنظيم الأسواق علي أساس التخصص، فنجد في مدينة غرناطة سوقاً لتصريف وبيع المنسوجات، وحوانيت متخصصة لبيع الأقمشة(٢١٥).

هذا وقد كانت في أسواق المدن الأندلسية أماكن خاصة للنساء يجتمعن فيها لبيع الغزل أو شرائه، ولم يكن يخالطهن في عملية البيع و الشراء إلا الشيوخ الثقاه المعروفون بأمانتهم وفضلهم(٢١٦).

وبالإضافة إلي هذه الأسواق المتخصصة عرفت الأندلس أسواقاً جامعة انتشرت في كثير من مدنها يباع فيها مختلف أنواع البضائع و السلع مثل أسواق مدينة طرطوشة(٢١٧)، ومالقة(٢١٨)، والجزيرة الخضراء(٢١٩). كما وجدت أسواق أسبوعية جامعة تعرف باسم اليوم الذي تعقد فيه، مثال ذلك سوق الثلاثاء في مدينة شوذر(٢٢٠)، وسوق الخميس في مدينة قرمونة(٢٢١). ولاشك أن حكام الأندلس أولو هذه الأسواق الجامعة جل اهتمامهم، فحرصوا علي تنظيمها لكي يتمكن التجار و الصناع من بيع بضائعهم ومنتجاتهم وحتي يقوم المستهلك بشراء كل ما يحتاجه من هذه الأسواق مما يساعد علي زيادة الأنتاج وتنشيط الحركة الاقتصادية .

ولقد حرص صناع النسيج في الأندلس علي أن يتجمعوا في سوق واحد لتصريف منتجاتهم، واثارة روح التنافس وتقوية الروابط الاجتماعية بينهم. ونشير هنا إلي أن

أسواق الأندلس خضعت لإشراف ورقابة من قبل الدولة، فعين عليها موظفاً يعرف بصاحب السوق[٢٢٢] وصاحب الحسبة.

وتجسد دور المحتسب في مراقبة أسواق النسيج بأن أمر الخياطين بجودة التفصيل، وأن لا يماطلوا الناس بخياطة أمتعتهم وحوائجهم لأنهم يتضررون بالتردد إليهم، وأن تكون الخياطة درزاً لا شلا، وألا يكون الخيط طويلاً لأن الخياط لا يتمكن من شده لطوله، فتكون الخياطة به غير متقنه[٢٢٣]. وكان المحتسب يراقب الكتانين لئلا يرشوا الماء علي الكتان ليثقل وزنه، ويأمر بائعي الغزل بتجفيفه تحت الشمس لأن النساء يدلكنه عند تمام غزله بالماء ليحسن وجهه ويزيد في وزنه[٢٢٤]، ويتفقد أحوال القطانين ويأمرهم بتخليص القطن من الشوائب العالقة به[٢٢٥]. ويمنع حاكة الديباج وغيرهم من تصبيغ الديباج لئلا يتصفق ويشتد[٢٢٦]، ويفرض علي الصباغين أن لا ينتشروا الثياب المصبوغة المبلولة علي الطرقات لكي لا تلحق الضرر بملابس الناس[٢٢٧]، وان يصبغوا المنسوجات القطنية والكتانية باللون السحابي، لأن الألوان الأخري لا تثبت عليها[٢٢٨]، وأن يختاروا الألوان المناسبة للملابس الجاهزة المراد صبغها[٢٢٩]. ويلزم القصاريين بأن لا يلبسوا ثوباً يعطي للقصارة، ولا يلبسوه أحداً ويحلفون علي ذلك[٢٣٠] وأن يكتبوا علي كل خرقة اسم صاحبها لئلا تختلط أقمشة الناس ببعضها[٢٣١]، وألا يستعملوا المفتل لعصر الثياب، وأن لا يقصروها بالمرازب لأن ذلك يضر الثياب ويوهن قوتها[٢٣٢]، ويمنع الرفائيين أن يرفوا خرقاً في ثوب لقصار إلا بعد موافقة صاحبه، ويمنع الطرازين أن يغيروا رسم الثوب عند قصار[٢٣٣]. ويجب عليه أن يحد للحشائيين والفرائين أن لا يوسعوا فتح أطواق الثياب كثيراً، ويفرض علي الحشائين أن يطولوا مقادم المحاشي، وأن يعدلوا القطن فيها[٢٣٤]، وينهي الفرائين عن تتريب وجوه الفراء، لأن التتريب يستر عيوبها[٢٣٥]، ويوصيهم أن لا يستعملوا الخزف لتخمير الفراء البالية ، فإنها دلسة عندهم[٢٣٦]، وكان المحتسب يتصدي لعمال المرط[٢٣٧] فيأمرهم أن لا يعملوا أفواهها واسعة، وكذلك كان يفرض علي اللبادين أن لا يعملوا اللبود من صوف الميتة[٢٣٨]، ويأمرهم بتحسين عملهم لأنهم يعملونها محولة قليلة الصوف لا ينتفع بها[٢٣٩]. أما الحصارون، فكان المحتسب يمنعهم من عمل الحلفة القصيرة في كل ما يعمل منها، وينهاهم عن طبخ الحلفة لئلا يوهموا الناس أنها

مدبوغة، ويأمرهم بتحسين ما يخيطونه من حصير أو غيره[٢٤٠]، إذ لم يسمح لهم ببيع قفف الطين والتراب إلا أن تكون مصلبة ومقابضها مطوية الأطراف وكذلك أقواس الغرابيل يجب أن تكون قوية القصب مقروضة الأطراف مشدودة علي القرضات[٢٤١]. وكان المحتسب يأمر صانعي (غرابيل الشعر) بغسل الشعر جيداً، وأن لا يستعملوا شعر الميت فيها[٢٤٢].

ومما تقدم يتبين لنا أن أسواق النسيج انتشرت في كل مدن الأندلس، وتنوعت بين مختصة وجامعة، وحظت برقابة وإشراف المحتسب، فتطورت وكان لها أثر كبير علي المجتمع الأندلسي.

الآثار الاجتماعية والاقتصادية لصناعة النسيج في الأندلس الأسلامية كان صناع النسيج في الأندلس يسكنون في أحياء وأماكن خاصة بهم، تحمل أسماء صناعتهم مثل باب الدباغين في غرناطة[٢٤٣]، كذلك وجدت مساجد تحمل أسماء تدل علي صناعة النسيج مثل : مسجد الصباغين في أشبلية[٢٤٤] :

ونلاحظ أن أرباب صناعة النسيج في الأندلس كونوا طائفة خاصة بهم جعلوا عليها أمين مثل أمين لسوق الغزل[٢٤٥]، وأمين لدار الطراز[٢٤٦]، ويساعده العريف الذي يكون ماهراً في صناعة النسيج[٢٤٧]، ويعينه القاضي أو المحتسب[٢٤٨]، فقد كان هناك عريف للخياطين[٢٤٩].

ونلمس دقة التنظيم في صناعة النسيج، فإلي جانب الأمين والعريف، كان يوجد المعلم، والعامل المدرب، والمتعلم(الصبي)[٢٥٠].

ومن الآثار الاجتماعية لصناعة النسيج في الأندلس أننا نجد اشخاصاً ينتسبون لهذه الصنعة منذ القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، ثم ازدادت انتشاراً في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، مثال ذلك ابن القزاز[٢٥١]، وابن الحائك[٢٥٢]، وابن الدباغ[٢٥٣]، وابن الكتاني[٢٥٤]، وابن الفراء[٢٥٥]، وابن الطراز[٢٥٦]، كما لقب عبيد الله بن عبد الرحمن بالدباج الذي كان يعمل بالديباجه في مدينة قرطبة[٢٥٧].

كذلك نجد كثيراً من العائلات الأندلسية انتسبت إلي صناعة النسيج مثل عائلة الصواف[٢٥٨]، والغزال[٢٥٩]، والبزاز[٢٦٠]، والخياط[٢٦١]، والطراز[٢٦٢]، والقطان[٢٦٣].

هذا كله يؤكد أن صناعة النسيج كانت تنتقل بالوراثة من الأبـاء إلـي الأبنـاء، وانتساب الأبناء إلي صناعة آبائهم.

ولم يتوقف الأمر عند الأنتساب لصناعة النسيج بل نري أن صناع النـسيج فـي المجتمع الأندلسي يتعصبون لصنعتهم[٢٦٤]، ويتعاونون ومن صور ذلك التعـاون أنهـم كانوا يخلون السوق لأحدهم يبيع فيـه يومـاً أو يـومين إذا كـان محتاجـاً أو أراد أن يتزوج[٢٦٥].

يتبين لنا أن صناع النسيج في الأندلس الأسلامية شكلوا وحدة إجتماعية فـسكنوا في أحياء خاصة بهم، وكونوا طائفة لهم يرأسها الأمين ويساعده العريـف لفـض مـا يحدث بينهم من منازعات، وأنهم انتسبوا إلي هذه الـصنعة وتـضامنوا فـي نـسيج اجتماعي واحد.

وفيما يتعلق بالأثر الاقتصادي لصناعة النسيج :

فإن المصادر لا تمدنا بمعلومات كافية عن أعداد من مارسوا هذه الصنعة، ولكن نستشف أن عدد عمال النسيج والحياكة في مدينة قرطبة يقدر بثلاثة عـشر ألفـاً[٢٦٦]. ولكن من المؤكد أن عدداً كبيراً من صناع الأندلس عملوا في صناعة النسيج، ودليـل ذلك أن الخليفة عبد الرحمن الناصر قد أرسل في سنة ٣٢٤هـ/٩٣٥م. محمد بن وليد بن فشتيق رئيس المهندسين لديه مجموعة من الصناع من بينهم رجلين من الحصارين، تخيروا من حذاق طبقاتهم إلي المغرب[٢٦٧].

وبالنسبة لأجور صناع النسيج في الأندلس، فالمصادر لا تمدنا بـأي معلومـات ويبدو أن وضعهم لم يكن جيداً ، إذ كانت أجورهم قليلة، ومستواهم المعيـشي متـدنياً، ويؤكد ذلك ابن حوقل، الذي أشار إلي الأسواق الأندلسية، ووضع العاملين بها، فقـال "وقل سوق بها يصير إليه أهله إلا علي الفارة من المركوب، ولا يعرف فيهم المهنـة و المشي إلا أهل الصنائع، والأراذل"[٢٦٨]. ومن هذا يتبين لنا أن وضع صناع النسيج في الأندلس كان سيئاً من الناحية الاقتصادية، رغم مابذلوه من جهد من أجل تطـور هـذه الصناعة.

خاتمة البحث

من خلال ما تم عرضه عن صناعة النسيج فى الأندلس يمكن أن نجمل النتائج الآتية :

- أن البيئة الأندلسية توفر بها المواد الخام الأولية اللازمة لصناعة النسيج، وساعد على وجود هذه المواد ما تتمتع به بلاد الأندلس من مناخ معتدل وأمطار شتوية، فساعد ذلك على زراعة الحرير والكتان والقطن.
- اهتم الأندلسيون بتنمية الثروة الحيوانية، واستفادوا من أصوافها وأوبارها وجلودها فى صناعة المنسوجات.
- أن الصانع الأندلسى فى مجال صناعة النسيج أظهر كفاءة عالية ومهارة فائقة، فوجدت هذه الصناعة رواجًا كبيرًا داخل وخارج بلاد الأندلس.
- أن الصانع الأندلسى اهتم بوضع لمسة جمالية على إنتاجه عن طريق زخرفة المنسوجات بأشكال هندسية أو مناظر طبيعية مما أكسب هذه المنسوجات روعة وإبداعًا.
- أن الأندلسيين تعلموا صناعة السجاد والبسط من المشرق الإسلامى، وتركزت هذه الصناعة فى مدن شرق الأندلس، ومنها عرف الأوربيون صناعة السجاد والبسط.
- أن الأندلسيين استفادوا من خبراتهم في ميدان علم الكيمياء وسخروها لخدمة الصناعة، فبرعوا في صناعة الأصباغ ، وأنتجوا الألوان المتعددة، مما أكسب ملابسهم الألوان الزاهية الفاخرة.
- كانت صناعة المنسوجات من الصناعات الأندلسية المتميزة، والتى حظيت باهتمام ورعاية الأمراء، والخلفاء، فازدهرت ازدهارًا كبيرًا فى عصر الخلافة، والطوائف وعصر المرابطين والموحدين، ودولة بنى الأحمر، وكانت بجانة وقرطبة ومالقة والمرية ودلاية وغرناطة من أهم المراكز التى اهتمت بهذه الصناعة .
- يتضح أن صناعة النسيج في الأندلس لم تكن مقصورة علي فئة اجتماعية معينة

دون الآخري إنما كان يعمل بها الأندلسيون بفئاتهم المتعددة.

- كان التنظيم الإداري في صناعة النسيج دقيقاً ومنظماً إذ نجد ما يسمي بالأمين والعريف، كما نجد المعلم، والعامل المدرب، والمتعلم .
- أوجدت الدولة بالأندلس جهازاً خاصاً يشرف علي الأسواق بصفة عامة وأسواق النسيج بصفة خاصة يعرف باسم الحسبة ، ويرأسه المحتسب ، وكانت مهمته البحث عن أساليب الغش والتدليس التي كان يمارسها أهل الصناعة ويقومها، وكان يراقب الدقة والجودة في الصناعة .
- بينت الدراسة أن الوضع الاقتصادى لصناع النسيج لم يكن جيداً إذ كانت أجورهم قليلة ومستواهم المعيشي متدني.
- أن الحضارة الإسلامية فى الأندلس، كانت فى كثير من جوانبها امتدادًا للحضارة الإسلامية فى المشرق الإسلامى، وكانت أيضا الأساس القوى الذى بنى عليه الأوروبيون حضارتهم، والمنطلق الذى بدأ منه تطوير علومهم وصناعاتهم.

وهكذا تطورت وتقدمت صناعة النسيج فى الأندلس خلال العصر الإسلامى وكان لها إنجازات كثيرة من حيث إنعاش النشاط الاقتصادى بين مدن الأندلس وغيرها من الدول. وينبغى هنا أن نشير إلى قوله تعالى : ﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكنًا، وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتًا تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثًا ومتاعًا إلى حين ﴾ " صدق الله العظيم ــ سورة النحل الآية ٨٠ " .

الحواشي :

١- ابن سيدة: المخصص، المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت ، دت، ج٣، ص٢٠٧.

٢- الجوهري : الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٣ ، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٤، ج٣ ، ص ١٢٤٥.

٣- الأزهري: تهذيب اللغة ، تحقيق عبد الله درويش، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، دت ، ج٢، ص٣٨.

٤- ظاهر خير الله الشويري : الحرفة وتوابعها، مجلة المقتطف، مجلد٢٩ ، ج١، يناير ١٩٠٤، ص ٥٧ – ٥٨.

٥- المقدسى : أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة خياط، بيروت، لبنان، ١٩٠٦م، ص ٢٣٥ .

٦- يذكر الحميرى، أن شجر التوت ينبت فى أرضها من غير غراسة ولا اعتمال، صفة جزيرة الأندلس، منتخبة من كتاب الروض المعطار، عنى بنشره، ليفى بروفنسال، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م، ص ٢٢ .

٧- حصن شنسى : يقع على بعد ٢٠ ك. م من المريه، ابن سعيد، المغرب فى حلى المغرب، تحقيق شوقى ضيف، ط ١، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤م، ج٢، ص ٢٢٥ . ؛ المقرى : نفح الطيب فى غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، جـ ١، ص ١٦٤ .

٨- ابن الخطيب : ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ط ١، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٩٨١م، جـ ٢، ص ٢٩٥. ؛ الحميرى : صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٢.

٩- ابن الخطيب : ريحانة الكتاب، جـ ٢، ص ٢٩٥ . الحميرى : صفة جزيرة الأندلس، ص ١٤٣ .

١٠- المكناسى : الإكسير فى فكاك الأسير، تحقيق : محمد الفاسى، المركز الجامعى للبحث العلمى، الرباط، ١٩٦٥م، ص ١٦٠ .

١١- المكناسى : الإكسير، ص ١٦٠ .

١٢- ابن رشد : فتاوى ابن رشد، تحقيق : المختار بن الطاهر التليلـى، ط١، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، جـ١، ص ٣٢٩ ـ ٣٣٠ . ؛ القلقشندى: صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، ط١، تحقيق : نبيل غالب الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٩٨٧م، جـ٥، ص ٢٢١ .

١٣- الشقندى : فضائل الأندلس وأهلها، نشرها صلاح الدين المنجد، ط١، دار الكتاب الجديد، ١٩٦٨م، ص ١٥٥ . ؛ ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب، جـ٢، ص ١٥١. ؛ المقرى : نفح الطيب، جـ٣، ص ٢١٧ .

١٤- الإدريسى : نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، تحقيق : شيرولى وآخرون، مطبعة بريل، ١٩٧٥م، جـ٥، ص ٥٦٨ . ؛ الحميرى : الروض المعطار فى خبرالأقطار، تحقيق : إحسان عباس، مكتبة دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٧٥م، ص ١٨٣ . ؛ المقرى : نفح الطيب، جـ١، ص ١٤١ .

١٥- العذرى : ترصيع الأخبار وتنويع الآثار، تحقيق : عبد العزيز الأهوانى، مدريد، ١٩٦٥م، ص ١٩٣ . ؛ الحميرى : الروض المعطار، ص ٢٤ .

١٦- جبل شلير : يقع جنوبى غرناطة بالقرب من البحر المتوسط، ويتصل بالجزيرة الخضراء، وتغطيه الثلوج شتاءً وصيفًا، لذا يعرف بـ" جبل الثلج ". راجع : البكرى : جغرافية الأندلس وأوروبا، تحقيق : عبد الرحمن الحجى، ط١، دار الإرشاد، بيروت، لبنان، ١٩٦٨م، ص ٨٤ ـ ٨٥ .؛ الزهرى : كتاب الجغرافية، تحقيق : محمد حاج صادق، المعهد الفرنسى للدراسات الشرقية، دمشق، ١٩٦٨م، ص ٩٣ .

١٧- الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، ص ١١٢ .

١٨- ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين ابن الخطيب فى بلاد المغرب والأندلس، نشر وتحقيق : أحمد مختار العبادى، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨م،

ص ٨١ ــــ ٨٢ .

١٩- دلاية : قرية أندلسية صغيرة تقع على مقربة من غربى المرية . راجع : ابـــن الخطيب : ريحانة الكتاب، جـــ ٢، ص ٢٩٠ . ؛ ابن الخطيـــب : مـــشاهدات لسان الدين، ص ٨٢ .

٢٠- الزهرى : الجغرافية، ص ١٠٢ . ؛ ابن سعيد : كتاب الجغرافيـــا، تحقيـــق : إسماعيل العربى، ط١، منشورات المكتب التجارى، بيـــروت، ١٩٧٠م، ص ١٤٠ . ؛ ابن الوردى : خريدة العجائـــب وفريـــدة الغرائـــب، ط٢، مطبعـــة مصطفى البابى الحلبى، القاهرة، ١٩٣٩م، ص ٢٤ .

٢١- أندرش : بلدة أندلسية صغيرة من أعمال المرية، تقع على النهر الأحمر علـــى مقربة من البحر المتوسط وتشتهر فى التاريخ بأنها كانت مقام أبـــى عبـــد الله محمد آخر ملوك الأندلس . راجع : ابن الخطيب : ريحانة الكتاب، جـــ٢، ص ٢٩٤ . ؛ ابن الخطيب : مشاهدات، ص ٨٨ .

٢٢- الزهرى : الجغرافية، ص ٩٣ . ؛ القلقشندي : صبح الأعشى، جـــــ ٥، ص ٢١٢ .

٢٣- ابن الخطيب : الإحاطة فى أخبار غرناطة، تحقيق : محمد عبد الله عنان، ط١، مكتبة الخانجى، ١٩٧٣م، جـــ١، ص ١١٥ . ؛ المكناسى : الإكـــسير، ص ١٦٠ ــــ ١٨٢ .

٢٤- ابن الخطيب : اللمحة البدرية فى أخبار الدولة النصرية، تحقيق : لجنة أحيـــاء التراث العربى، ط٢، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٠م، ص ٢٢ .

٢٥- إقليم بشرة بنى حسان : من أقاليم غرناطة، ويضم المناطق التاليـــة : حـــصن برجة، والعذراء، والقليعة، وحصن شبالش، ودلاية . راجع : ابن الخطيب : اللمحة البدرية، ص ٢٩ . ؛ مـــشاهدات لـــسان الـــدين، ص ٨٨ .؛ ريحانـــة الكتاب، جـــ٢، ص ٢٩٤ .

٢٦- الحميري : صفة جزيرة الأندلس، ص ١٠١.

٢٧- الخزم : شجر يشبه الدوم لكنه أقصر وأعرض، ويتخذ من جذوعه خلايا النحل، ومن خوصه الحبال. الدينوري، النبات، ليدن ١٩٥٣، ص١٤٤.

٢٨- ابن هشام اللخمي : المدخل إلي تقويم اللسان، تحقيق خوسيه بيريث لاشارو، المجلس الأعلي للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربي، مدريد، ١٩٩٠، ج٢، ص٢٦٢.

٢٩- السمار بكسر السين المهملة تطلقه العامة علي نبت تصنع منه الحصر، ابن الشباط : صلة السمط وسمة المرط، تحقيق : أحمد مختار العبادي، معهد الدراسات الأسلامية، مدريد ١٩٧١م، ص ١٧٠، ١٧١.

٣٠- الدوم: وهي شجرة المقل، لها خوص كخوص النخل، يقال له الطفي وينسج منه حصر الطفي . الدينوري : النبات، ص١٦٧.

٣١- الأسل: ينبت في بطون الأودية وبالقرب من مجاري الأودية والأنهار، وتصنع منه الحصر والغرابيل . الدينوري : النبات، ص ٣٤.

٣٢- كولان، ج . س : الأندلس، ترجمة إبراهيم خورشـيد وآخـرون، ط ١، دار الكتاب المصرى، القاهرة، ١٩٨٠م، ص ١٠٢ .

٣٣- أدخل العرب زراعة القطن إلى الأندلس بعد الفتح من المشرق الإسلامى، ومنها انتقلت زراعته إلى المناطق المجاورة . راجع : على محمد حمـودة : تـاريخ الأندلس السياسى والعمرانـى والاجتمـاعى، ط ١، دار الكتـاب العربـى، ١٩٥٧م، ص ٢١٧ .

٣٤- يبلغ طول نهر الوادى الكبير من منبعه إلى مصبه (٣١٠) أميال، ومن أشهر المدن الواقعة عليه : قرطبـة وإشـبيلية علـى ضـفته الـشرقية . راجـع : أوروسيوس : تاريخ العالم، تحقيق : عبد الرحمن بـدوى، ط١، المؤسـسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢م، ص ٧٦ . ؛ الزهرى : الجغرافية، ص

٩٧ ـــ ٩٨ .

٣٥- العذرى : ترصيع الأخبار، ص ١٩٦ . ؛ ابن غالب : فرحة الأنفس، تحقيق : لطفى عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، ١٩٥٠م، ص ٢٨٥ .

٣٦- ياقوت الحموى : معجم البلدان، دار إحياء التراث العربى، بيروت، ١٩٧٩م، جـ١، ص ١٩٥ . ؛ الحميرى : صفة جزيرة الأندلس، ص ٢١ .

٣٧- الكورة : هى عبارة عن الصقع أو الناحية، وتطلق أيضا على المدينة . ابن الشباط : صلة السمط وسمة المرط، تحقيق : أحمد مختار العبادى، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م، ص ١٧١.

٣٨- رندة : معقل حصين بالأندلس من أعمال تاكرنا . ياقوت الحموى : معجم البلدان، جـ ٣، ص ٧٣. ؛ ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب، جـ١، ص ٣٢٩ .

٣٩- الحميرى : صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٢ .

٤٠- لمزيد عن زراعة الكتان فى بلاد الأندلس . راجع : أبو الخير الأندلسى : كتاب فى الفلاحة، ط١، المطبعة الجديدة، فاس، ١٩٣٨م، ص ١٣٩ ـــ ١٤١ .

٤١- ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب، جـ٢، ص ٩١ . ؛ ابن الخطيب : الإحاطة، جـ١، ص ١١٥ . ؛ مؤلف مجهول : الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية، تحقيق : سهيل زكار، وعبد القادر زمامة، ط١، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٩٧٩م، ص ٩١.

٤٢- ابن غالب : فرحة الأنفس، ص ٢٨٤ .

٤٣- الحميرى : صفة جزيرة الأندلس، ص ٢٤ .

٤٤- البكرى : جغرافية الأندلس وأوروبا، ص ٨٥ . ؛ الحميرى : صفة جزيرة الأندلس ، ص ١١٢ .

٤٥- تقع مدينة لاردة شرقى قرطبة، وتتصل أعمالها بأعمال طركونة . ياقوت

الحموى : معجم البلدان، جـ٥، ص ٧ .

٤٦- الحميرى : الروض المعطار، ص ٥٠٧ .

٤٧- ابن غالب : فرحة الأنفس، ص ٢٨٥.

٤٨- تقع باجة غرب قرطبة وجنوب شرقى الأشبونة . القزوينى : آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ١٩٦٩م، ص ١٥٩ . ؛ المقرى : نفح الطيب، جـ١، ص ١٥٩ .

٤٩- الحميرى : صفة جزيرة الأندلس، ص ٣٢ .

٥٠- ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين، ص ٤٧.

٥١- الرشاطى : كتاب اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق : إيميليو مولينا وآخرون، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، ١٩٩٠م، ص ٩٠ .

٥٢- ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين، ص ٨٣ .

٥٣- ابن الخراط : اختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق : إيميليو مولينا وآخرون، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربى، مدريد، ١٩٩٠م، ص ١٧٥ .

٥٤- ابن بصال : كتاب الفلاحة، نشر خوسيه ماريه وآخرون، معهد مولاى الحسن، تطوان، ١٩٥٥م، ص ١١٦ . ؛ المقرى : نفح الطيب، جـ١، ص١٤٤.

٥٥- الدينورى : كتاب النبات، تحقيق : برنهارد لفين، دار النشر، فرانز شتاينر بفيسبادن، ١٩٧٤م، ص ١٦٧ ــ ١٧٢ .

٥٦- ابن حيان : المقتبس، جـ٥، نشر ب.شالميتا وآخرون، المعهد الأسبانى العربى للثقافة، مدريد، ١٩٧٩م، ص ٣١٩ . ؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان، جـ٤، ص ٣٩ ــ ٤٠ .

٥٧- البكرى : جغرافية الأندلس وأوروبا، ص ٨٨ . ؛ الحميرى : صفة جزيرة

الأندلس، ص ١٣٣ . ؛ المقرى : نفح الطيب، جـ١، ص ١٤٣ .

٥٨- للزعفران استعمالات أخرى، فهو يدخل فى تحضير العقاقير الطبية المفيدة فى علاج خفقان القلب والتهاب الطحال، كما يستخدم فى علاج مرض الظلام الذى يؤدى إلى ضعف الإبصار ليلا . راجع : هياجنة : الوضع الزراعى فى الأندلس منذ الفتح الإسلامى حتى سقوط المرابطين، عمان، ١٩٨٩م، ص ١٧٩ .

٥٩- الإدريسى : نزهة، جـ٥، ص ٥٥٣ ؛ الحميرى : الروض المعطار، ص٦٠٦.

٦٠- العذرى : ترصيع الأخبار، ص ١١٧. ؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان، جـ١، ص ٤٩٠ .

٦١- بياسة : مدينة أندلسية من أعمال جيان، تقع على نهر الوادى الكبير قرب إشبيلية . ابن غالب : فرحة الأنفس، ص ٢٨٤ . ؛ الحميرى : الروض المعطار، ص ١٢١ .

٦٢- الإدريسى : نزهة المشتاق، جـ٥، ص ٥٦٩. ؛ ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب، جـ٢، ص ٧١ . ؛ الشقندى : فضائل الأندلس وأهلها، ص ٥٥-٥٦ ؛ المقرى : نفح الطيب، جـ٣، ص ٢١٧ .

٦٣- ياقوت الحموى : معجم البلدان، جـ١، ص ٣٢٦. ؛ ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب، جـ٢، ص ١٥٤ .

٦٤- ابن الخطيب : مشاهدات، ص ٣١ . ؛ ريحانة الكتاب، جـ٢، ص ٢٥١ .

٦٥- القلقشندى : صبح الأعشى، جـ٥، ص ٢١٤ .

٦٦- العصفر : وهو القرطم الذى يصبغ به، وهو نوعان برى وريفى، وهذا الأخير فى البساتين . ابن الحشاء : مفيد العلوم ومبيد الهموم القاهرة، د. ت، ص ١١٠ .

٦٧- العذرى : ترصيع الأخبار، ص ٩٣ .

٦٨- ابن الشباط : صلة السمط، ص ١٤٥ . ؛ القزوينى : آثار البلاد، ص ٥٥٥. ؛ الحميرى : الروض المعطار، ص ٥٠٨ . ؛ الباكوى : تلخيص الآثار وعجائب الملك القهار، ترجمة وعلق عليه : ضياء الدين بن موســى، منــشورات دار العلم للآداب الشرقية، موسكو، ١٩٧١م، ص ١٣٥ .

٦٩- العذرى : ترصيع الأخبار، ص ٩٦. ؛ الحميرى : الروض المعطار، ص ٥٩ .

٧٠- الفوة : نبات دقيق فى رأسه حب شديد الحمرة كثير المــاء، تطــبخ عروقــه ويصبغ بمائها، والفوة أصناف بعضها ما نواره أصفر، وبعضها مــا نــواره أبيض . والذى تصبغ به الثياب هو الذى يزرع فى البساتين . راجع : الدينورى : كتاب النبات، ق ٢، جمع : محمد حميد الله ، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٣م، ص ١٩٤ ـــ ١٩٥ .

٧١- البقم : شجر ضخم أحمر يصبغ بطبيخه، ورقه مثل ورق اللوز، أما الــسيقان والأغصان، فهى ذات لون أحمر . الدينورى : كتاب النبات، ليدن، ١٩٥٣م، ص ٥٢ .

٧٢- الزبيدى : لحن العوام، تحقيق : رمضان عبد التــواب، ط١، ١٩٦٤م، ص ٦٣ ـــ ١٠٧ .

٧٣- الود خيرى : ملامح من المجتمع الأندلسى من خلال نــصوص لحــن العامــة، مقارنة سوسيولغوية، مجلة البحث العلمى، جامعة محمد الخامس، الربــاط، ع ٣٧، ١٩٨٧م، ص ١٧٧ .

٧٤- هياجنه: الوضع الزراعي في الأندلس منــذ الفــتح الأســلامي حتــي ســقوط المرابطين، عمان ١٩٨٩م، ص١٨٦.

٧٥- جبل الشارات : يقع شمالي مدينة طليطلة، ويمتد من ظهر مدينة سالم إلــي أن يصل إلي قرب مدينة قلمريه في الجهــة الغربيــة مــن الأنــدلس . راجــع : الأدريسي: نزهه المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيــق : شــيرولي وآخــرون،

مطبعة بريل ١٩٧٥م ، ج٥، ص ٥٥٢.

٧٦- الأدريسي : نزهـــه المـــشتاق، ج٥، ص٥٥٢ ؛ الحميـــري : صـــفة جزيـــرة الأندلس، ص ١٣٢، ١٣٣.

٧٧- مؤلف مجهول: كتاب ذكر بعض مشاهير أعيان فاس في القديم، تحقيق: عبـــد القادر زمامة، مجلة البحث العلمي، الربـــاط، ١٩٦٥م، ع٣، ٤، ٥، ص ٥٥.

٧٨- المجيلدي : التيسير في أحكام التسعير، تحقيق: موسي إقبال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ١٩٧٠م، ص٨٣؛ المكناسي : الإكسير في فكـــاك الأسير، ص ١٦١.

٧٩- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٦م، ق١ ص٦٣؛ الضبي: بغيه الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندنلس، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٧م، ص ٤٩١.

٨٠- ابن الخطيب : الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر القاهرة، ١٩٧٥م، ج٣ ، ص٢٣٩؛ المقري، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق:إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م، ج٢، ص٢١٣.

٨١- ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ق٢، ص٣٧.

٨٢- مؤلف مجهول: ذكر مشاهير أعيان فاس، ص٥٥.

٨٣- مؤلف مجهول: ذكر مشاهير أعيان فاس، ص٥٥ ؛

Shatzmiller, Maya: Professions and ethnic origin of urban laboures in Muslim Spain: evidence from a Moroccan source.p. 151 -153.

مجلة أوراق يصدرها المعهد الأسباني العربي للثقافة، مدريد ١٩٨٢، ١٩٨٣م، ع٥-٦

٨٤- الحميري: صفة جزيرة الأندلس ، ص١٨٥؛ المقري: نفح الطيب ، ج١، ص١٦٨.

٨٥- مؤلف مجهول : ذكر مشاهير، ص ٥٦؛

Shatzmiller, Professions and ethnic origin of urban, p.154.

٨٦- كلمة صقلب (Esclave) فرنسية قديمة معناهـا عبـد أو رقيـق، وأطلقهـا الجغرافيون العرب في العصور الوسطي علي الشعوب السلافية عامـة، وهـم سكان البلاد المختلفة من بلغاريا العظمي التي امتدت أراضيها من بحر قـزوين إلي البحر الأدرياتي . راجع : أحمد مختار العبادي ، الـصقالبة فـي اسـبانيا، لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركـة الـشعوبية، المعهـد المـصري للدراسات الأسلامية، مدريد، ١٩٥٣م ص٨-٩.

٨٧- التهامي الراجحي: نظم وإدارة بني أمية بالأندلس من خلال " المقتـبس لابـن حيان"، مجلة دراسات أندلسية، تونس ١٩٩١م، ع٦، ص ٣٨٥.

٨٨- مؤلف مجهول : ذكر المشاهير، ص ٥٦؛

Shatzmiller , professions and ethnic origion of urban. P.154.

٨٩- ابن حزم: طوق الحمامة في الألفة والآلاف، تحقيق: صلاح الـدين القاسـمي، دار الشؤون الثقافية العامة " آفاق عربية"، الدار التونسية للنـشر، العـراق، بغداد، دت، ص٩٧.

٩٠- ابن عبدون: رسالة في القضاء و الحسبة، تحقيق : ليفي بروفنسال، مطبعـة المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٤٧.

٩١- ابن عبدون: رسالة في القضاء و الحسبة ، ص٥٥ ؛ ابن عبد الـرؤوف: فـي أداب الحسبة و المحتسب، تحقيق : ليفي بروفنسال، مطبعة المعهـد العلمـي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص٨٧.

٩٢- الزهري : كتاب الجغرافية، تحقيق: محمد حاج صادق، المعهدالفرنسي للدراسات الشرقية، دمشق ، ١٩٦٨م، ص١٠٢.

٩٣- القرطبي: تقويم قرطبة؛ نشره مع ترجمة فرنسية ؛ رينهارت دوزي، الطبعة الجديدة، بريل، ليدن ١٩٦١م، ص ٤٩، ٦٣؛ أحمد مختار العبادي: الحياة الأقتصادية في الدولة الأسلامية ضمن كتاب دراسات في تاريخ الحضارة الإسلامية العربية، ط٢، الكويت، ١٩٧٦م، ص٣٦٢.

٩٤- السيد عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية الإسلامية، قاعدة أسطول الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٨٤م، ص١٥٥ .

٩٥- ياقوت الحموى : معجم البلدان، جـ٥، ص ١١٩ . ؛ عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية، ص ١٥٥.

٩٦- عبد العزيز سالم : قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس، جـ٢، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٢م، ص ١٥٤ .

٩٧- الخز : صنف من الحرير تتخذ منه ثياب متينة، وقد سمى الحرير نفسه خزًا . ابن الحشاء : مفيد العلوم، ص ٤٢ .

٩٨- قيل أن عدد النساجين بلغ فى مدينة قرطبة وحدها مائة وثلاثين ألفًا، وقيل أن عددهم بلغ ثلاثة عشر ألفًا . جاك . س، رسيلر : الحضارة العربية، ترجمة غنيم عبدون، مراجعة : أحمد فؤاد الأهوانى، الدار المصرية، د. ت، ص١٥٣ .

٩٩- النعمان بن محمد : المجالس والمسايرات، تحقيق : الحبيب الفقى وآخرون، تونس، ١٩٧٨م، ص ١٨٠ .

١٠٠- ابن حوقل : صورة الأرض، بيروت، د . ت، القسم الأول، ص١٠٩.

١٠١- ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب، جـ٢، ص ١٩٣- ١٩٤ .؛ عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية، ص ١٥٦ .

١٠٢- ابن سعيد: المغرب، ج٢، ص ١٩٣، ١٩٤؛ عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة

المرية، ص ١٥٦.

Leonard Williams : The Arts and Crafts older , III , Chicago , 1908 , P 3_ 4.

103- Williams , op , cit , III , P 4 .

١٠٤ – الزهرى : الجغرافية، ص ١٠٢ .

١٠٥ – القلقشندى : صبح الأعشى، جـ٥، ص ٢١٠ . ؛ المقرى : نفح الطيب، جـ١، ص ١٦٢ .

١٠٦ – الإدريسى : نزهة المشتاق، جـ٥، ص ٥٦٢ . الحميرى : الروض المعطار، ص ٥٣٨ . ؛ محمد أحمد أبو الفضل : تاريخ مدينة المرية الأندلسية فى العصر الإسلامى منذ إنشائها حتى استيلاء المرابطين عليها، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨١م، ص ٢١٢ .

١٠٧ – ابن الوردى : خريدة العجائب، ص ٢٤، المقرى : نفح الطيب، جـ١، ص ١٦٣ . ؛ العبادى : الحياة الاقتصادية، ص ٣٣٧ .

١٠٨ – الإدريسى : نزهة المشتاق، جـ٥، ص ٥٦٢ . ؛ الحميرى : الروض المعطار، ص ٥٣٨ . ؛ عبدالعزيز سالم : تاريخ مدينة المرية، ص ١٥٨ . ؛ أبو الفضل : تاريخ مدينة المرية، ص ٢١٢ . ؛ عبد العزيز الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى، ط٢، دار المشرق، بيروت، لبنان، ١٩٧٤م، ص ١٠٢ .

١٠٩ – جرجان : مدينة مشهورة تقع فى المشرق الإسلامى بين طبرستان وخراسان . البغدادى : مراصد الاطلاع، ط٣، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٣٢٣ .

١١٠ – عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية، ص ١٥٧ . ؛ العبادى : الحياة الاقتصادية، ص ٣٣١ .

١١١ – ابن غالب : فرحة الأنفس، ص ٢٨٤ . ؛ عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة

المرية، ص ١٥٧ .

١١٢- عبد العزيز سالم : تاريخ مدينة المرية، ص ١٥٧ . ؛ أبو الفـضل : تـاريخ مدينة المرية، ص ٢١٥ ــ ٢١٦ .

١١٣- الزهري : الجغرافية، ص ١٠١ .

١١٤- السقلاطون أو الاسقلاطون: هو نسيج من الحرير مطرز بالذهب عرفته بلاد اليونان ثم انتقلت صناعته إلي العرب وبرعوا فيه، وذاعت شهرته في مدينة بغداد. ثم انتقلت صناعته إلي مدينة المرية بالاندلس ويتميز بوجود رسومات الدوائر البيزنطية والساسانية و العربية. راجع، السيد عبد العزيز سالم: تاريخ مدينة المرية، ص ١٥٧.

١١٥- ابن غالب : فرحة الأنفس، ص ٢٨٣ ــ ٢٨٤ . ؛ المقري : نفـح الطيـب، جـ١، ص ١٦٢ .

١١٦- ابن سعيد : الجغرافيا، ص ١٤٠ . ؛ بسط الأرض، ص ٧٤ .

١١٧- الشقندي : فضائل الأندلس وأهلهـا، ص ٥٨ ــ ٥٩ . ؛ المقـري : نفـح الطيب، جـ٣، ص ٢٢١. ؛ عزالدين موسى : النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى خلال القـرن الـسادس الهجـرى، ط١، دارالـشروق، القـاهرة، ١٩٨٣م، ص ٢١٩ .

١١٨- ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب، جـ٢، ص ٢٤٥ .

١١٩- الشقندي : فضائل الأندلس وأهلها، ص ٥٩ . المقري : نفح الطيب، جـ٣، ص ٢٢١ .

١٢٠- المقري : نفح الطيب، جـ١، ص ٢٠١ . ؛ عز الـدين موسـى : النـشاط الاقتصادى، ص ٢١٩ .

١٢١- عزالدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبيـة، دار الفكـر العربى، د . ت، ص ٣٠٩ . ؛ عز الـدين موسـى : النـشاط الاقتـصادى،

ص٢١٩ .

١٢٢- ابن خلدون : المقدمة، تحقيق : عبد الواحد وافى، وعلى عبد الواحد وافـــى، ط٤، لجنة البيان العربى، ١٩٦٦م، جـــ ٢، ص ٨١٧ . ؛ هشام أبو رميلة: علاقة الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية فى الأندلس، ط١، دار الفرقان، عمان، ١٩٨٤م، ص ٣٣٩ .

123- Williams : The Arts and Crafts older , III , P 5 _ 6 .

١٢٤- رجب محمد عبد الحليم : العلاقات بين الأندلس الإسلامية وأسبانيا النـــصرانية فى عصر بنى أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب المصرى، القـــاهرة، د . ت، ص ٤٧٠ .

١٢٥- ابن الخطيب : مشاهدات لسان الدين، ص ٥٩، ٧٧ . ؛ عبد العزيـــز ســـالم : تاريخ مدينة المرية، ص ١٦١ .

١٢٦- محمد شبانة : يوسف الأول بن الأحمر ـــ ســـلطان غرناطـــة، لجنـــة البيـــان العربى، ١٩٦٩م، ص ١٩١. ؛ عبد العزيز ســـالم : تـــاريخ مدينـــة المريـــة، ص١٦١ .

١٢٧- عز الدين فراج : فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبيـــة، ص ٣٠٩ ـــ ٣١٠ .

١٢٨- عبد العزيز سالم : فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، مؤســـسة شـــباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٨٥م، ص ٢٨٠ .

١٢٩- المكناسى : الإكسير فى فكاك الأسير، ص ١٨٢ . ؛ عبد العزيز ســـالم : فـــى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، ص ٢٨٠ـــ ٢٨١ .

١٣٠- محمد شبانة : يوسف الأول، ص ١٩١ .

١٣١- محمد عبد الله عنان : نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط٤، مكتبـــة الخانجى، القاهرة، ١٩٨٧م، ص ٤٤٧ .

١٣٢- ابن عبدون : رسالة فى القضاء والحسبة، تحقيق : ليفى بروفنسال، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ٤٤٧ . ؛ ابن الخطيب : الإحاطة، جـ١، ص ٣٣٣ .

١٣٣- العذرى : ترصيع الأخبار، ص ٩٦ . ؛ الحميرى : صفة جزيرة الأندلس، ص ٢١ .

١٣٤- الإدريسى : نزهة المشتاق، جـ٥، ص ٥٥٧ . ؛ الزهرى : الجغرافية، ص ١٠٢ .

١٣٥- ابن حيان : المقتبس فى أخبار بلد الأندلس، تحقيق : عبد الرحمن الحجى، دار الثقافة، بيروت، لبنان، د . ت ، ص٤٠،٤١ ؛ ابن خلدون : المقدمة، جـ٢، ص ٨١٨ ــ ٨١٩ .

١٣٦- ابن الخطيب : أعمال الأعلام، تحقيق : ليفى بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، ١٩٥٦م، ص ١٠١ .

١٣٧- ابن الخطيب : أعمال الأعلام، القسم الخاص بتاريخ الأندلس، ص ١٠١ .

١٣٨- ياقوت الحموى : معجم البلدان، جـ١، ص ٢٤٤ .

١٣٩- ابن حوقل : صورة الأرض، مكتبة الحياة، بيروت، د . ت، ق١، ص١٠٨.

١٤٠- الحميرى : الروض المعطار، ص ٥٠٧ .

١٤١- ابن حوقل : صورة الأرض، ق ١، ص ١٠٩ .

١٤٢- ابن حيان : المقتبس، جـ٥، ص ٣٨٩ .

١٤٣- ابن حيان : المقتبس، جـ٥، ص ٣٨٩ .

١٤٤- المقرى : نفح الطيب، جـ١، ص ١٥٩ . ؛ عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى، ص ٢١٩ . ؛ حتاملة : ملامح حضارية فى الأندلس، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٩م، ص ١٩١ .

١٤٥- الإدريسى : نزهة المشتاق، جـ٥، ص ٥٥٧ .

١٤٦- الزهرى : الجغرافية، ص ١٠٢ .

١٤٧- الشقندى : فضائل الأندلس وأهلها، ص ٥٩ . ؛ المقرى : نفح الطيب : جـ٣، ص ٢٢١ .

١٤٨- القصار : هو الذى يجور الثياب أى يبيضها، وحرفته القصارة . ابن هشام اللخمى : المدخل، جـ٢، ص ٣٢٤ .

١٤٩- الزهرى : الجغرافية، ص ١٠٢ .

١٥٠- عبد القادر زمامة : أسماء الحرف المعروفة فى مدينة فاس، مجلة مجمع اللغة العربية، بدمشق، جـ٤٨، يناير ١٩٧٣م، ص ١٢٣ .

١٥١- حسين مؤنس : تاريخ الجغرافية والجغرافيين فى الأندلس، ط٢، مدريد ١٩٨٦م، ص ٣٧٥ .

١٥٢- ابن حوقل : صورة الأرض : ق١، ص ١٠٩ .

١٥٣- اللبود : كل شعر أو صوف ملتبد بعضه على بعض فهو لبد، والجمع : ألباد ولبود، واللبد : ما تحت السرج . الزبيدى : تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق : عبد الفتاح الحلو، مراجعة : مصطفى حجازى، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٦م، جـ٩، ص ١٢٨ .

١٥٤- ابن حوقل : صورة، ق ١، ص ١٠٩ ؛

Imamuddin , S.M : The Economic History of Spain under The Umayyads (711 _ 1031 A . C) . published by : Asiatic society of Pakistan , Dacca .1963, p .212 .

١٥٥- رينهارت دوزى : المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة : أكرم فاضل، بغداد، ١٩٧١م، ص ٣٢٩ .

١٥٦- ابن سعيد : المغرب فى حلى المغرب، جـ١، ص ١٢٦ ـــ ١٢٧ .

١٥٧- الحميرى : صفة جزيرة الأندلس، ص ١٦٢ ـــ ١٦٣ .

١٥٨- الزهرى : الجغرافية، ص ٧٦ .

١٥٩ – ابن الخطيب : الإحاطة، جـ١، ص ١٤٠ .

١٦٠ – الحميرى : الروض المعطار : ص ٣٥٠ .

١٦١ – المكناسى : الإكسير فى فكاك الأسير، ص ١٣٣ .

١٦٢ – الوبر : صوف الإبل والأرانب والثعالب وغيرها، وجمعها : أوبار . ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ١٩٥٦م، جـ٥، ص ٢٧١.

١٦٣ – القنلية : حيوان أدق من الأرانب وأطيب فى الطعم وأحسن وبرًا، وكثيرًا تلبس فراؤها . ابن عبد الرؤوف : فى آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق : ليفى بروفنسال، القاهرة، ١٩٥٥م، ص ١٠٤ .

١٦٤ – المقرى : نفح الطيب، جـ١، ص ١٩٨ .

١٦٥ – أبو قلمون : نوع من ثياب الروم يتلون ألوانًا للعيون، وقيل : ثوب يتراءى إذا طلعت الشمس عليه بألوان شتى . ابن منظور : لسان العرب، جـ ١٢، ص ٤٩١ .

١٦٦ – المقدسى : أحسن التقاسيم، ص ٢٤٠ ـ ٢٤١ . ؛ الاصطخرى : مسالك الممالك، ص ٤٢ . ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، جـ٧، ص ١٣٨ .

١٦٧ – السمور : حيوان برى عيشه من الحوت والسمك النهرى، يتخذ من جلودها فراء غالية الأثمان . ابن منظور : لسان العرب، جـ٤، ص ٣٨٠ . ابن الحشاء : مفيد العلوم، ص ٣٠ ـ ٣١ .

١٦٨ – العذرى : ترصيع الأخبار، ص ٢٢ . ابن غالب : فرحة الأنفس، ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ . ؛ ياقوت الحموى : معجم البلدان، جـ٣، ص ٢١٢ ـ ٢١٣ .

١٦٩ – المقرى : نفح الطيب، جـ١، ص ١٩٧ .

١٧٠ – جمال محرز : السجاد الإسلامى ومشتقاته فى أسبانيا ، المجلة التاريخية المصرية ، جـ ١١، ١٩٦٣م، ص ١٨١ .

١٧١ – جمال محرز : السجاد الإسلامى، ص ١٨٥ .

١٧٢- الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى، ص ١٠٤ .

١٧٣- الدورى : تاريخ العراق الاقتصادى، ص ١٠٤ .

١٧٤- المكناسى : الإكسير فى فكاك الأسير، ص ١٠٤ .

١٧٥- الونشريسى : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٨١م، ج٣، ص٤١٢.

١٧٦- العذرى : ترصيع الأخبار، ص ٢٩ .

١٧٧- جنجالة : ويقال لها شنتجالة، تقع فى طرف كورة تدمير بالأندلس مما يلى الجوف، وتبعد خمسين ميلا عن مرسية . راجع : الإدريسى : نزهة المشتاق، جـ٥، ص ١٦٠ . ؛ الحميرى : صفة جزيرة الأندلس، ص ١١٢ .

١٧٨- الإدريسى : نزهة المشتاق، جـ٥، ص ٥٦٠ . ؛ ابن فضل الله العمرى : مسالك الأبصار، جـ٢، ص ٣٣ . ؛ الحميرى : صفة جزيرة الأندلس، ص١١٢ .

١٧٩- كونكة : مدينة بالأندلس من أعمال شنتبرية . ابن الكردبوس : الاكتفاء، ص ٨٠ . ؛ البغدادى : مراصد الاطلاع، جـ٢، ص ٨١٥، جـ٣، ص١١٣٤.

١٨٠- الإدريسى : نزهة المشتاق، جـ٥، ص ٥٦٠ . ؛ ابن فضل الله : مسالك الأبصار، جـ٢، ص ٣٣ .

١٨١- الشقندى : فضائل الأندلس وأهلها، ص ٥٩ . ؛ المقرى : نفح الطيب، جـ٣، ص ٢٢١ .

١٨٢- المقرى : نفح الطيب، جـ١، ص ٢٠١ .

١٨٣- ياقوت الحموى : معجم البلدان، جـ١، ص ٤٢٢ . ؛ الحميرى : الروض المعطار، ص ١١٣ .

١٨٤- القزوينى : آثار البلاد، ص ٥٠٢ . ؛ الباكوى : تلخيص الآثار، ص ١١٧ .

١٨٥ – ينشتة : حصن من حصون الأندلس على نحو ٤٠ ك. م من جنجالة . الحميرى: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٩٨ .

١٨٦ – جمال محرز : السجاد الإسلامى، ص ١٨٢.

١٨٧ – عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى، ص ٢٢١ ــــ ٢٢٢ .

١٨٨ – جمال محرز : السجاد الإسلامى، ص ١٨٤ .

١٨٩ – ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتـــاب اللبنـــانى، ١٩٨٦م، جـــ٤، ق ٢، ص ٣٠٠. ؛ المقرى : أزهار الريـــاض فـــى أخبـــار عيـــاض، تحقيق : مصطفى السقا وآخرون، القاهرة، ١٩٤٠م، جـــ٢، ص ٦٢ ــــ ٦٣، نفح الطيب جـــ١، ص ٣٥٨ .

١٩٠ – هو أبو الحسن يحيى المأمون بن إسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن ســـليمان بن ذى النون (٤٢٩ ــ ٤٦٧هــ / ١٠٣٧ ــ ١٠٧٤م) مـــن أشـــهر ملـــوك طليطلة فى عهد الطوائف . راجع : ابن الخطيب، أعمـــال الأعـــلام، القـــسم الخاص بتاريخ الأندلس، ص ١٧٧ ــ ١٧٨ .

١٩١ – ابن بسام : الذخيرة فى محاسن أهل الجزيـــرة، تحقيـــق : إحـــسان عبـــاس، بيروت، ١٩٧٩م، حـــ١، ق٤، ص ١٣٠ ــ ١٣١ .

١٩٢ – جمال محرز : فضل مصر على صناعة السجاد بإسبانيا ، مجلة (المجلة)، ع ١١، نوفمبر ١٩٥٧م، حـــ ٢، ص ١٨٣ .

١٩٣ – المكناسى : الإكسير فى فكاك الأسير، ص ١٠٤ ــــ ١٠٥ .

١٩٤ – جمال محرز : السجاد الإسلامى، ص ١٨٣ .

١٩٥ – مثل خوص النخيل والسمار والدوم والأسل والخيزران وغيرها . ابن الـــشباط : صلة السمط، ص ١٧٠ ــــ ١٧١ .

١٩٦ – السقطى : فى آداب الحسبة، نـــشره : كـــون وليفـــى بروفنـــسال، بـــاريس، ١٩٣١م، ص ٦٤ ــــ ٧١ .

١٩٧ – الجرسيفى : رسالة فى الحسبة، نشر ليفى بروفنسال، المعهد العلمى للآثـار الشرقية، ١٩٥٥م، ص ١١٢ .

١٩٨ – الشقندى : فضائل الأندلس وأهلها، ص ٥٩ .؛ المقرى : نفح الطيب، جـ٣، ص ٢٢١ . ؛ عز الدين موسى : النشاط الاقتصادى، ص ٢٢٢ .

١٩٩ – ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: عبد الله أنيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٨م، ص٩١؛ ابن عزاري: البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط٣، تحقيق : ج.س.كولان، وليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، ١٩٨٣م، ج٣، ص٥٧.

٢٠٠ – سالم : في تاريخ وحضارة الإسلام في الأندلس، ص ٢١٧.

٢٠١ – ليفي بروفنسال : سلسلةمحاضرات عامة في أدب الأندلس وتاريخها، ترجمـة محمد عبد الهادي شعيرة، المطبعة الأميرية، القـاهرة ، ١٩٥١م، ص ٩٨ ؛ سالم، تاريخ وحضارة الأسلام في الأندلس ص ٢١٩.

٢٠٢ – ابن القوطية : تاريخ افتتاح الأندلس، ص ٩١.

٢٠٣ – القاضي عياض: ترتيب المدارك، ج٣، ص ٤٢٤.

٢٠٤ – ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ٣٨٣.

٢٠٥ – ابن حيان: المقتبس، ج٥، ص ١٤٢.

٢٠٦ – ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ص ١٠٨.

٢٠٧ – ابن حيان : المقتبس ، ج٥، ص ٢٠٦ ؛ ابن عذاري : البيان المغرب، ج٢، ص٢٤٩.

٢٠٨ – العذري : ترصيع الأخبار، ص٨٦.

٢٠٩ – ابن حيان : المقتبس، ص٦٦.

٢١٠ – ابن عبدون: في القضاء والحسبة، ص ٤٣.

٢١١ – ابن صاحب الصلاة : المن بالإمامه، تحقيق: عبد الهادي التـازي، ط٢، دار

الغرب الإسلامي، بيروت ١٩٨٧م، ص٣٩٦ ؛ سالم :في تاريخ وحضارة افسلام في الأندلس، ص ٢١٨.

٢١٢- السقطي : في آداب الحسبة، ص ٦٣ - ٦٤.

٢١٣- القلقشندي: صبح الأعشي، ج٥، ص٢١٢.

٢١٤- ابن الخطيب: الإحاطة، ج١، ص ٣٣٣.

٢١٥- ابن الخطيب: الإحاطة، ج٢، ص ٢٨٢؛ المقري، نفح الطيب، ج٢، ص ١٩٤.

٢١٦- ابن عبد الرؤوف: في آداب الحسبة، ص ٨٧.

٢١٧- الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص ١٢٤.

٢١٨- الحميري: صفة، ص ١٧٨.

٢١٩- الحميري: الروض المعطار، ص ٢٢٣.

٢٢٠- الحميري: صفة جزيرة الأندلس، ص١١٧.

٢٢١- الحميري: صفة، ص ١٥٩.

٢٢٢- ابن حيان: المقتبس من انباء أهل الأندلس، ص ٥٤٨؛ الونشريس: المعيار المغرب، ج١٠، ص٧٧؛ الفاسي: خطة الحسبة في النظرية والتطبيق والتدوين، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دت، ص ١٣٧ -١٣٨.

٢٢٣- السقطي : في آداب الحسبة، ص٦٢ -٦٣؛ ابن الأخوة : معالم القرية في أحكام الحسبة، عني بتصحيحه: روبن ليوي، مطبعة دار الفنون، كمبريدج، ١٩٣٧م ، ص ١٣٧.

٢٢٤- ابن عبد الرؤوف : في آداب الحسبة ، ص ٨٧.

٢٢٥- السقطي : في أداب الحسبة، ص٦٤؛ ابن الأخوة، معالم القرية، ص ١٤٢.

٢٢٦- ابن عبد الرؤوف : في أداب الحسبة، ص ٨٦، ١٠٤.

٢٢٧- ابن عبد الرؤوف : في أداب الحسبة، ص ١١١.

٢٢٨- السقطي : في آداب الحسبة، ص٦٣.

٢٢٩- ابن عبدون : في القضاء و الحسبة، ص٥٠.

٢٣٠- السقطي: في آداب الحسبة، ص ٦٣ ؛ ابن الأخوة، معالم القربة، ص ١٣٩.

٢٣١- ابن الأخوة : معالم القربة، ص ١٣٩.

٢٣٢- ابن عبدون: في القضاء و الحسبة، ص٤٩ ؛ السقطي، في آداب الحسبة، ص ٦٣.

٢٣٣- السقطي: في آداب الحسبة، ص ٦٣.

٢٣٤- ابن عبدون : في القضاء و الحسبة، ص ٥٨.

٢٣٥- ابن عبد الرؤوف: في آداب الحسبة، ص١٠٣ -١٠٤.

٢٣٦- ابن عبد الرؤوف: في آداب الحسبة، ص١٠٤.

٢٣٧- المرط: كساء من خز أو صوف أو كتان، وقيل : هو الثوب الأخضر، والجمع مروط. ابن منظور: لسان العرب، ج٧، ص ٤٠١ - ٤٠٢.

٢٣٨- السقطي: في آداب الحسبة، ص ٦٨ -٦٩ ؛ ابن الأخوة :معالم القربة، ص ٢٢٩.

٢٣٩- ابن عبدون : في القضاء و الحسبة، ص ٥٠.

٢٤٠- ابن عبد الرؤوف : في آداب الحسبة ، ص ١٠٢.

٢٤١- ابن عبدون : في القضاء و الحسبة، ص ٣٥؛ السقطي: في آداب الحسبة، ص ٦٤.

٢٤٢- السقطي: في آداب الحسبة، ص٦٨؛ ابن الأخوة: معالم القربة، ص ٢٢٨.

٢٤٣- القلقشندي: صبح الأعشي، ج٥، ص٢٠٧.

٢٤٤- ابن عبدون: في القضاء و الحسبة، ص ٢٦.

٢٤٥- ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، ج١، ص ١٨٥.

٢٤٦- ابن حيان : المقتبس في أخبار بلد الأندلس، ص ٩١ -٩٢.

٢٤٧- حسين مؤنس: فجر الأندلس، ص ٤٦٤.

٢٤٨- ابن عبدون: في القضاء والحسبة، ص ٢٣؛ السقطي: في آداب الحسبة، ص٣٣ ، ٣٧.

٢٤٩- ابن حيان: المقتبس من أنباء أهل الأندلس، ص ١٦٢.

٢٥٠- السقطي: في آداب الحسبة، ص ٢٤-٢٦ ؛ عز الدين موسى، النشاط الاقتصادي، ص ٢١٦.

٢٥١- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص١٠.

٢٥٢- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص١١.

٢٥٣- ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص ١٣٧.

٢٥٤- ابن سعيد: المغرب في حلي المغرب، ج١، ص ٢١١.

٢٥٥- ابن سعيد : المغرب في حلي المغرب، ج١، ص١٨٢.

٢٥٦- ابن القاضي: درة الحجال في أسماء الرجال، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، ط١، القاهرة، ١٩٧٠، ج٢، ص٥٠.

٢٥٧- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ق٢، ص٣٧.

٢٥٨- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس، ق٢ ، ص٥٥.

٢٥٩- ابن الزبير : صلة الصلة، بيروت، دت، ص ١٨٤.

٢٦٠- ابن الفرضي: تاريخ علماء الأندلس ، ق١ ، ص ١٠٨.

٢٦١- ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس، ق١، ص٦٣.

٢٦٢- ابن الخطيب: الإحاطة، ج٣٢، ص٤١.

٢٦٣- ابن الخطيب: الإحاطة، ج٣، ص ٢٤١.

٢٦٤- الزجالي : أمثال العوام في الأندلس، دراسة محمد بن شريف، مطبعة محمد الخامس، فاس، ١٩٧٥م، ق١، ص ٢٤٨.

٢٦٥- يحيى بن عمر : أحكام السوق، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، الشركة

التونسية للتوزيع، ١٩٧٥م، ص٢٤٨.

٢٦٦- رسيلر : الحضارة العربية، ترجمة : غنيم عبدون، الدار المصرية للتأليف والترجمة، دت، ص٥٣؛ شاكر مصطفى : الأندلس في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة في الجمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٩٠م، ص ٦٦.

٢٦٧- ابن حيان : المقتبس، ج٥، ص ٣٨٧ -٣٨٨.

٢٦٨- ابن حوقل : صورة الأرض، ق١، ص ١٠٩.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر المطبوعة :

١ــ ابن الأخوة ، محمد بن محمد بن أحمد القرشي(ت ٧٢٩هــ /١٣٢٨م):

- معالم القربة في أحكام الحسبة، عني بنقله وتصحيحه: روبن ليوي، مطبعــة دار الفنون، كمبريدج، ١٩٣٧م.

٢ - الإدريسى، عبد الله بن محمد الحسينى (ت ٥٦٠ هــ / ١١٦٤ م) :

- نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق، ٨ أجزاء، ، تحقيق : شيرولى وآخرون، نابولى، بروستات ابودى. ج، بريل، لوجدونى باتا فورم، ١٩٧٥م.

٣ــ الإدريسى، محمد بن على السنوسى الخطابى (ت ١٢٧٦ هــ / ١٨٥٩م) :

- الدرر السنية فى أخبار السلالة الإدريسية، وزارة الإعلام والثقافة ، طرابلس ، ليبيا، ١٩٦٨م.

٤ــ الأزهري، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٧٠هــ /٩٨٠م):

- تهذيب اللغة، تحقيق: عبد الله درويش، مراجعة، محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة (د.ت).

٥- الإصطخرى، أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسى (المتوفى فــى النــصف الأول من ق ٤هــ / ١٠م) :

- مسالك الممالك، EDIDIT. M. J. DEGOEJE لوجدونى باتــا فــورم، ابودى، ج، بريل، ١٩٢٧م.

٦ــ الأصفهانى، العماد الكاتب (ت ٥٩٧هــ / ١٢٠٠م) :

- خريدة القصر وجريدة العصر " قسم شعراء المغرب والأندلس "، ٣ أجــزاء، تحقيق: آذرتاش آذرنوش، نقحه وزاد عليه : محمد المرزوقــى وآخــرون، الدار التونسية للنشر، ١٩٧١م .

٧ــ أوروسيوس باولوس (ولد بين ٣٧٥ ــ ٣٨٠ م) :

- تاريخ العالم، ط١، تحقيق : عبــد الــرحمن بــدوى، المؤســسة العربيــة للدراسات والنشر، ١٩٨٢م.

٨ــ الباكوى، عبد الرشيد صالح بن نورى (عاش فى ق ٩هـ / ١٥م) :
- كتاب تلخيص الآثار وعجائب الملك القهار، ترجمه وعلق عليه : ضياء الدين ابن موسى بويناتوف، منشورات دار العلم، إدارة التحرير الرئيسية لــلآداب الشرقية، موسكو، ١٩٧١م.

٩ــ ابن بسام الشنتريني، أبو الحسن على (ت ٥٤٢هـ / ١١٤٧م) :
- الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة، ط٢، ٤ أقسام، تحقيق : إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

١٠ــ ابن بصال، عبد الله محمد بن عبد الملك (ت ٥٧٨هـ / ١١٨٢م) :
- كتاب الفلاحة، عنى بنشره : خوسيه ماريــة ميــاس بييكروســا، ومحمــد عزيمان، معهد مولاى الحسن، تطوان، ١٩٥٥م.

١١ــ البغدادى، صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق (ت ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م) :
- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، ط١، ٣ أجزاء، تحقيق : على محمد البجاوى، ومحمد على الباجى ، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٣هـــ / ١٩٥٤م، ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م .

١٢ــ البكرى، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز (ت ٤٨٧هـ / ١٠٦٤م) :
- جغرافية الأندلس وأوروبا من كتاب المسالك والممالك لأبــى عبيــد البكــرى، ط١، تحقيق : عبد الرحمن الحجى، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيــع، بيروت، لبنان، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٨م.

١٣ــ الجرسيفى، عمر بن عثمان بن العباس(ت فى النصف الأول من ق ٦/ ١٠م) :
- رسالة فى الحسبة، منشور ضمن " ثلاث رسائل أندلسية فــى آداب الحــسبة والمحتسب "، تحقيق : ليفى بروفنسال، مطبعة المعهــد العلمــى الفرنــسى للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م .

١٤ــ الجوهري، اسماعيل بن حماد(ت ٣٩٨هـ/١٠٠٧م):
- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، ط٣، تحقيق:أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٤م.

١٥- ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد(ت ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م):

- طوق الحمامة، في الألفة والألاف، تحقيق : صلاح الـدين القاسـمي ، دار الشؤون الثقافية العامة " آفاق عربية "، الدار التونـسية للنـشر، بغـداد، العراق، د.ت.

١٦- ابن الحشاء، أبو جعفر أحمد بن محمد. (د. ت) :

- مفيد العلوم ومبيد الهموم، " جمعت من كتاب الطب المنـصورى لأبـى بكـر محمد بن زكريا الرازى "، مع مقدمة فرنسية، (د. ت).

١٧ـ الحميرى، محمد بن عبد المنعم (عاش فى ق ٩ هـ / ١٥م) :

- الروض المعطار فى خبر الأقطار، تحقيق : إحسان عباس، مكتبـة لبنـان، ودار القلم للطباعة، بيروت، لبنان، ١٩٧٥م.
- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار، عنى بنشره : ليفى بروفنسال، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٨٨م.

١٨ـ ابن حوقل، أبو القاسم النصيبى (ت ٣٨٠هـ /٩٩٠م) :

- صورة الأرض، قسمان، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، (د. ت).

١٩ـ ابن حيان، أبو مروان حيان بن خلف بـن حـسين القرطبـى (ت ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م):

- المقتبس، ج ٥، اعتنى بنشره : ب. شـالميتا، ف، كـورينطى و م صـبح وغيرهما، المعهد الإسبانى العربى للثقافة، كلية الآداب، بالرباط، مدريـد، ١٩٧٩م.
- المقتبس فى أخبار بلد الأندلس، تحقيق : عبد الرحمن الحجى، دار الثقافـة، بيروت، لبنان، (د. ت).

٢٠ـ ابن الخراط، أبو محمد (ت ٥٨١هـ / ١١٨٦م) :

- كتاب اختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق : إيميليو مولينـا، وخـاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهـد التعـاون مـع العـالم العربى، مدريد، ١٩٩٠م.

٢١ـ ابن الخطيب، لسان الدين محمد بن عبد الله السلماني (ت ٧٧٦هـ / ١٣٧٤م):

- الإحاطة في أخبار غرناطة، ط١، ط٢، ٤ مجلدات، تحقيق: محمد عبد الله عنان، الشركة المصرية للطباعة والنشر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٧٣م، ١٩٧٤، ١٩٧٥، ١٩٧٧، وطبعة دار المعارف، مصر، (د. ت).
- تاريخ إسبانيا الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام، ط٢، تحقيق : ليفي بروفنسال، دار المكشوف، بيروت، لبنان، آذار ١٩٥٦م.
- ريحانة الكتاب ونجعة المنتاب، ط١، مجلدان، المطبعة العربية الحديثة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠م، ١٩٨١م.
- اللمحة البدرية في أخبار الدولة النصرية، ط٢، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة ، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- مشاهدات لسان الدين الخطيب في بلاد المغرب والأندلس " مجموعة من رسائله "، نشر وتحقيق : أحمد مختار العبادي، مطبعة جامعة الإسكندرية، ١٩٥٨م.

٢٢ـ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨هـ/ ١٤٠٦م) :

- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ٧ مجلدات، دار الكتاب اللبناني، ومكتبة المدرسة، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م.
- مقدمة ابن خلدون، ط١، ط٢، ٤ أجزاء، تحقيق : عبد الواحد وافي، وعلي عبد الواحد وافي، لجنة البيان العربي، ١٩٦٠م، ١٩٦٥م، ١٩٦٦م.

٢٣ـ ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ن ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م) :

- وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، ٨ مجلدات، تحقيق : إحسان عباس، صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م .

٢٤ـ أبو الخير الأندلسي، (عاش في ق ٥هـ/ ١١ م) :

- كتاب في الفلاحة، ط١، طبع بالمطبعة الجديدة بشارع الطالعة، ع ٦٤،

فاس، ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

٢٥ـ الدينورى، أبو حنيفة بن داود (ت ٢٨٢هـ/ ٨٩٥م) :

- قطعة من الجزء الخامس من كتاب النبات، عنى بنشره: ب. لوين، مطبعة بريل، ليدن المحروسة، ١٩٥٣م.
- كتاب النبات، القسم الثانى من القاموس النباتى، اعتنى بجمعها : محمد حميد الله، المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٧٣م.
- كتاب النبات، الجزء الثالث والنصف الأول من الجزء الخامس، تحقيق : برنهارد لفين، منشورات فرانز شتاينر بفيسبادن، ١٩٧٤م.

٢٦ـ الرشاطى، أبو محمد (ت ٥٤٢هـ/ ١١٤٧م) :

- كتاب اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق : إيميليو مولينا وخاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربى، مدريد، ١٩٩٠م.

٢٧ـ ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد القرطبى المالكى (ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م):

- فتاوى ابن رشد، ط١، ٣ أسفار، تقديم وتحقيق : المختار بن الطاهر التليلى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

٢٨ـ الزبيدى، أبو بكر محمد بن الحسن الإشبيلى (ت ٣٧٩هـ/ ٩٨٩م) :

- كتاب لحن العوام، ط١، تحقيق : رمضان عبد التواب، ١٩٦٤م.

٢٩ـ الزبيدى، محمد بن مرتضى الحسينى (ت ١٢٥٠هـ/ ١٧٩١م) :

- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق : عبد الفتاح الحلو، مراجعة مصطفى حجازى، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٦م.

٣٠ـ الزجالي، ابو يحيي عبيد الله بن احمد بن محمد(ت ٦٩٤هـ/١٢٩٤م):

- امثال العوام في الأندلس، قسمان، دراسة : محمد بن شريف، مطبعة محمد الخامس، فاس، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٣١- الزهرى، أبو عبد الله محمد بن أبى بكر (ت بعد ٥٥٦هـ/ ١١٦٠م) :

- كتاب الجغرافية، تحقيق : محمد حاج صادق، المعهد الفرنسى للدراسات الشرقية، دمشق، ١٩٦٨م.

٣٢ــ ابن سعيد، أبو الحسن على بن موسى المغربى (ت ٦٨٥هــ / ١٢٨٦م):

- بسط الأرض فى الطول والعرض، تحقيق : أخوان قرنيط خينـــيس، معهـــد مولاى حسن، مطبعة كريماديس، تطوان، المغرب، ١٩٥٨م.
- كتاب الجغرافيا، ط١، تحقيق : إسماعيل العربى، منشورات المكتب التجارى للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ١٩٧٠م.
- المغرب فى حلى المغرب، ط١، جــزآن، تحقيــق : شــوقى ضــيف، دار المعارف، مصر، ١٩٦٤م.

٣٣ــ السقطى، أبو عبد الله محمد بن أبى محمد المالقى (ت فى نهاية ق ٥هــ/ ١١م أو أوائل ق ٦هــ/ ١٢ م) :

- فى آداب الحسبة، باعتناء : كون وليفى بروفنسال، باريز، ١٩٣١م.

٣٤ــ ابن الشباط، محمد بن على التوزرى (ت ٦٨١هــ/ ١٢٨٢م) :

- صلة السمط وسمة المرط، تحقيق : أحمد مختار العبادى، معهد الدراســات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م.

٣٥ــ الشقندى، إسماعيل بن محمد (ت ٦٢٩هــ / ١٢٣٢م) :

- فضائل الأندلس وأهلها، لابن حزم وابن سعيد والشقندى، ط١، نشرها وقدم لها : صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الجديد، ١٣٨٧هــ / ١٩٦٨م.

٣٦ــ ابن صاحب الصلاة، عبد الملك بن محمد بن احمد (ت ٥٩٤هــم١١٩٨م):

- المن بالأمامة تاريخ بلاد المغرب والأندلس في عهد الموحدين، ط٢، مصدر تحقيق: عبد الهادي التــازي، دار الغــرب الأســلامي، بيــروت، لبنــان، ١٩٨٧م.

٣٧- ابن عبد الرؤوف، أحمد بن عبد الله (ت فى النصف الأول من ق ٦هــ/ ١٢م):

- رسالة فى آداب الحسبة والمحتسب، منشور ضمن " ثلاث رسائل أندلسية فى آداب الحسبة والمحتسب، تحقيق : ليفى بروفنسال، مطبعة المعهد العلمــى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م.

٣٨ــ ابن عبدون، محمد بن أحمد التجيبى(ت فى النصف الأول من ق ٦هــ/ ١٢م):

- رسالة فى القضاء والحسبة، منشور ضمن " ثلاث رسائل أندلسية فــى آداب

الحسبة والمحتسب، تحقيق : ليفى بروفنسال، مطبعة المعهد العلمى الفرنسى للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٥٥م .

٣٩ـ ابن عذاري، ابو العباس احمد بن محمد (كان حياً سنة ٧١٢هـ/١٣١٢م):

- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ط٣، ٣أجزاء، تحقيق: ج. س كولان، ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٨٣م.

٤٠- العذرى، أبو العباس أحمد بن عمر المعروف بابن الدلائى (ت ٤٧٨هـ / ١٨٠٥م) :

- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان فى غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك، تحقيق : عبد العزيز الأهوانى، مطبعة معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٦٥م.

٤١ـ ابن العوام، أبو زكريا يحيى بن محمد بن أحمد (عاش فى ق ٦هـ/ ١٢م):

- كتاب الفلاحة، مدريد، ١٨٠٢م.

٤٢ـ ابن غالب، محمد بن أيوب الغرناطى الأندلسى (عاش فى ق ٦هـ/ ١٢م) :

- قطعة من كتاب فرحة الأنفس لابن غالب عن كور الأندلس ومدنها بعد الأربعمائة، تحقيق : لطفى عبد البديع، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج ١، ج ٢، ربيع الأول ١٣٧٥هـ/ نوفمبر ١٩٥٥م.

٤٣ـ ابن الفرضي، ابو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الازدي (ت ٤٠٣هـ /١٠١٢م):

- تاريخ علماء الأندلس، قسمان، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، القاهرة ١٩٦٦م.

٤٤- ابن القاضي، ابو العباس أحمد بن محمد المكناسي (ت ١٠٥٢هـ/١٦١٦م):

- زيل وفيات الأعيان المسمي درة الحجال في أسماء الرجال، ط١، جزأن، تحقيق: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة ١٩٧٠م.

٤٥- القاضى عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبى السبتى (ت ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م):

- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، ٤ أجزاء،

تحقيق : أحمد بكير محمود، مكتبة الحياة، بيروت، دار مكتبة الفكر، طرابلس، ليبيا، (د.ت).

٤٦ــ القرطبي، عريب بن سعد (ت ٣٦٩هــ /٩٧٩م):

- تقويم قرطبة، نشره مع ترجمة فرنسية : لين هارد دوزي، الطبعة الجديدة، بريل ، ليدن، ١٩٦١م.

٤٧- القزوينى، زكريا محمد بن محمود (ت ٦٨٢هــ/ ١٢٣٨م) :

- آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٩٦٩م.

٤٨ــ القلقشندى، أحمد بن على (ت ٨٢١هــ/ ١٤١٨م) :

- صبح الأعشى فى صناعة الإنشا، ط١، ١٤ جزءًا، تحقيق : نبيل خالد الخطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هــ / ١٩٨٧م.

٤٩ــ ابن القوطية، ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز القرطبي (ت ٣٦٧هــ / ٩٧٧م):

- تاريخ افتتاح الاندلس، تحقيق : عبد الله انيس الطباع، دار النشر للجامعيين، بيروت، ١٩٥٨م.

٥٠- ابن الكردبوس، أبو مروان عبد الملك التوزرى (عاش فى أواخر ق ٦هــ/ ١٢م):

- قطعة من كتاب الاكتفاء فى أخبار الخلفاء، تحقيق : أحمد مختار العبادى، معهد الدراسات الإسلامية، مدريد، ١٩٧١م.

٥١ــ مجهول المؤلف (من أهل ق هــ/ ١٥ م) :

- الحلل الموشية فى ذكر الأخبار المراكشية، لمؤلف أندلسى من أهل القرن الثامن الهجرى، ط١، تحقيق : سهيل زكار وعبد القادر زمامة، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ١٣٩٩هــ/ ١٩٧٩م.

٥٢ــ المجيلدي، احمد بن سعيد (ت١٠٩٤هــ/ ١٦٨٢م):

- كتاب التيسير في أحكام التسعير، تقديم وتحقيق: موسى لقبال، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ١٩٧٠م.

٥٣- المقدسى، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٨٠هــ / ٩٩٠ م) :

- أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم، مكتبة خياط، بيروت، لبنان، ١٩٠٦م.

٥٤ــ المقرى، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمسانى (ت ١٠٤١هــ/ ١٦٣١م) :
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، ٨ مجلدات، تحقيق : إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٦٨م؛ أزهار الرياض فى أخبار عياض، ٣ أجــزاء، تحقيق : مصطفى السقا وإبراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبى، مطبعة لجنـــة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٣٩م، ١٩٤٠م، ١٩٤٣م.

٥٥ــ المكناسى، أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب (ت ١٢١٤هــ / ١٨٠٠م) :
- الإكسير فى فكاك الأسير، تحقيق : محمد الفاسى، المركز الجــامعى للبحــث العلمى، الرباط، ١٩٦٥م.

٥٦_ ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم (ت ٧١١هــ / ١٣١١م) :
- لسان العرب، ١٦ مجلدًا، دار صادر للطباعة والنشر، ودار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٥٦م.

٥٧ــ ابن هشام اللخمى، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٥٧٧هــ/ ١١٨١م):
- المدخل إلى تقويم اللسان، مجلدان، دراسة وتحقيق : خوسيه بيريث لاثارو، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، معهد التعاون مع العالم العربــى، مدريــد، ١٩٩٠م.

٥٨ــ ابن الوردى، سراج الدين أبو حفص عمر (ت ٧٤٩هــ/ ١٣٤٨م) :
- خريدة العجائب وفريدة الغرائــب، ط٢، مطبعـــة البـــابى الحلبـــى وأولاده، القاهرة، ١٣٥٨هــ/ ١٩٣٩م .

٥٩ــ الونشريسى، أحمد بن يحيى (ت ٩١٤هــ/ ١٥٠٨م) :
- المعيار المغرب والجامع المغرب عــن فتــاوى علمــاء إفريقيـــة والأنــدلس والمغرب، ١٣ جزءًا، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف : محمــد حجــى، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٤٠١هــ/ ١٩٨١م.

٦٠ــ ياقوت الحموى، شهاب الدين أبو عبد الله البغدادى (ت ٦٢٦هــ/١٢٢٨م) :
- معجم البلدان، ٥ أجزاء، دار إحياء التــراث العربــى، بيــروت، لبنــان، ١٣٩٩هــ/ ١٩٧٩م.

٦١- يحيي بن عمر، ابو زكريا يحيي بن عمر بن يوسف الكناني (ت ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م):
- أحكام السوق، تحقيق: حسن حسني عبد الوهاب، مراجعة : فرحات الدشراوى، الشركة التونيسية للتوزيع، ١٩٧٥م.

ثانيا : المراجع الحديثة :

١ـ حتاملة، محمد عبده :
- ملامح حضارية فى الأندلس، منشور ضمن كتاب " بحوث ودراسات مهداة إلى عبد الكريم غرايبة بمناسبة بلوغه الخامسة والستين "، الجامعة الأردنية، عمان، ١٩٨٩م.

٢ـ حمودة، على محمد :
- تاريخ الأندلس السياسى والعمرانى والاجتماعى، ط١، دار الكتاب العربى، مصر، ١٩٥٧م.

٣ـ الدورى، عبد العزيز :
- تاريخ العراق الاقتصادى فى القرن الرابع الهجرى، ط٢، دار المشرق، بيروت، لبنان، ١٩٧٤م.

٤ـ دوزى، رينهارت :
- المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب، ترجمة : أكرم فاضل، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

٥ـ رسيلر، جاك س :
- الحضارة العربية، ترجمة : غنيم عبدون، مراجعة : أحمد فؤاد الأهوانى، الدار المصرية للتأليف والترجمة، (د. ت).

٦ـ أبو رميلة، هشام :
- علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الإسلامية فى الأندلس، ط١، دار الفرقان، عمان، الأردن، ١٩٨٤م.

٧ـ سالم، عبد العزيز :
- تاريخ مدينة المرية الإسلامية " قاعدة أسطول الأندلس "، مؤسسة شباب

الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٨٤م.

- فى تاريخ وحضارة الإسلام فى الأندلس، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٨٥م.
- قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس " دراسة تاريخية عمرانية أثرية فى العصر الإسلامى "، جزآن، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت ١٩٧٢م، وطبعة مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الإسكندرية، ١٩٨٤م.

٨ ــ شبانة، محمد كمال :

- يوسف الأول ابن الأحمر سلطان غرناطة، لجنة البيان العربى، ١٩٦٩م.

٩ــ العبادى، أحمد مختار :

- الحياة الاقتصادية فى الدولة الإسلامية، منشور ضمن كتاب " دراسات فى تاريخ الحضارة الإسلامية "، ط٢ ، منشورات ذات السلاسل ، الكويت، ١٤٠٦هــ/١٩٨٦م.
- السقالبة في اسبانيا، لمحة عن أصلهم ونشأتهم وعلاقتهم بحركة الشعوبية، المعهد المصري للدراسات الأسلامية، مدريد، ١٩٥٣م.

١٠ــ عبد الحليم رجب، محمد :

- العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية فى عصر بنى أمية وملوك الطوائف، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصرى، القاهرة، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، (د. ت).

١١ــ عز الدين، موسى :

- النشاط الاقتصادى فى المغرب الإسلامى خلال القرن السادس الهجرى، ط١، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ١٤٠٣هــ/ ١٩٨٣م.

١٢ــ عنان، محمد عبد الله :

- نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين " وهو العصر الرابع من كتاب الإسلام فى الأندلس " ط٤، مكتبة الخانجى، القاهرة، ١٤٠٨هــ/ ١٩٨٧م.

١٣ - الفاسي، عبد الرحمن :

- خطة الحسبة في النظرية والتطبيق والتدوين، دار الثقافة، الدار البيضاء

المغرب، د.ت.

١٤ــ فراج، عز الدين :

- فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوروبية، دار الفكر العربــى، (د. ت).

١٥ــ أبو الفضل، محمد أحمد :

- تاريخ مدينة المرية الأندلسية فى العصر الإسلامى منذ إنشائها حتى اســتيلاء المرابطين عليها، (٣٤٤ــ ٤٨٤هــ / ٩٩٥ ــ ١٠٩١م)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، ١٩٨١م.

١٦ــ كولان، ج. س :

- الأندلس، ط١، لجنة ترجمة : دائرة المعارف الإسلامية : إبراهيم خورشــيد وآخرون، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، دار الكتاب المــصرى، القــاهرة، ١٩٨٠م.

١٧ــ مؤنس، حسين :

- تاريخ الجغرافيين فى الأندلس، ط٢، مدريد، ١٩٨٦م .

١٨ــ هياجنة، محمود حسين شبيب :

- الوضع الزراعى فى الأندلس منذ الفتح الإسلامى حتى سقوط دولة المرابطين، رسالة ماجــستير غيــر منــشورة، الجامعــة الأردنيــة، عمــان، محــرم ١٤١٠هــ/١٩٨٩م.

ثالثا : الدوريات :

١ــ التهامي الراجحي :

- نظم وإدارة بني أمية في بالأندلس من خلال " المقتبس لابن حيــان"، مجلــة المناهل، تصدرها وزارة الشؤون الثقافيــة، الربــاط، المغــرب، ع ٢٩، السنة الحادية عشرة، مارس ١٩٨٤م.

٢-زمامة، عبد القادر :

- أسماء الحروف المعروفة فى مدينة فاس، مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق،

مج٤٨، ج١، ذو القعدة ١٣٩٢هـ / كانون الثانى " يناير " ١٩٧٣م.

٣ــ الشويري، ظاهر خير الله:

- الحرفة وتوابعها ، مجلة المقتطف، مج ٢٩، ج١، يناير، ١٩٠٤م.

٤-محرز، جمال الدين :

- السجاد الإسلامى ومشتقاته فى إسبانيا، المجلة التاريخية المصرية، مج ١١، ١٩٦٣م .
- فضل مصر على صناعة السجاد بإسبانيا، مجلة " المجلة " مج ٢، ع ١١، ربيع الثانى ١٣٧٧هـ / نوفمبر ١٩٥٧م .

٥ــ الود خيرى، عبد العلى :

- ملامح من المجتمع الأندلسى من خلال نصوص لحن العامة " مقارنة سوسيولغوية "، مجلة البحث العلمى، جامعة محمد الخامس، الرباط، ع ٣٧، ١٩٨٧م .

رابعًا : المراجع الأجنبية :

1- S. M , Imamuddin :
The Economic History of Spain under The Umayyads (711 - 1031 A. C). published by : Asiatic society of Pakistan , Dacca .1963 .

2- Shatzmiller, Maya :
Professions and ethnic origin of urban laboures in Muslim Spain: evidence from a Moroccan source.

3- Williams , Leonard :
The Arts and Crafts of older spain , 3 parts , Chicago , 1908 .

دراسة ونشر لوثيقة إنشاء وقف من العصر العثماني مرتبطة بها وثيقة (مستمسك) من العهد السعودي

د. عبد العزيز درويش حكيم
قسم التاريخ
جامعة الملك سعود

تمهيد :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين دراستنا مبنية على دراسة وثيقتين صدرتا في عهدين ومكانين مختلفين ولكنهما يعنيان عقاراً واحداً فالوثيقة الأولى وثيقة إنشاء وقف في دمشق من قبل الحاج علي بن الحاج أحمد البطي سنة ١٢٢٢هـ والوثيقة الثانية (المستمسك) إثبات هذه الوقفية والمصروفات التي أنفقت من قبل نظارة الوقف بالمدينة المنورة في العهد السعودي سنة ١٣٤٨هـ.

ازداد الاهتمام بدراسة حجج الوقفيات في بعض الأقطار العربية والإسلامية في بعض الأقطار الأوروبية لأن هذه الحجج وثائق ودراستها الأولية تفيد في معرفة الحياة اليومية والأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية والثقافية في المدن والأقطار الإسلامية التي صدرت فيها وفي الوقت ذاته تكشف لنا مدى الصلاة بين أهالي المدن الإسلامية، إن المصادر والمراجع التاريخية المتداولة عن تاريخ المدينة المنورة لم تذكر كثيراً ما يتصل بنظم الأوقاف الأهلية فيها وكثيراً ما يرد ذكر الأوقاف في المدينة المنورة عندما يتحدث عن مناقب السلاطين وإنشاء الأوقاف العامة الخيرية كالأربطة ومدارس تحفيظ القرآن والمكتبات .

على كل حال ففي العهد العثماني بلغ نظام الأوقاف بالمدينة المنورة درجة لا بأس بها إذا ما قورنت بنظم الأوقاف في الشام أو مصر ومن أسباب تطور الوقف بالمدينة المنورة أن بعض السلاطين مثل السلطان الأشرف شعبان بن حسين (أحد سلاطين المماليك البحرية ٧٦٤هـ - ٧٧٨هـ/ ١٣٧٧هـ)[1] والحاكمين والأغنياء من أهل المدينة أو خارجها أرادوا أو اختاروا أن يشاركوا بجزء من ثرواتهم فأقاموا

الأوقاف في المدينة وفي الشام ومصر وغيرها ووضعوا الشروط لضمان حسن التصرف في ريع تلك الأوقاف بما يكفل استمرار وصول الريع إلى مستحقيه في المدينة المنورة.

أدى ازدهار الأوقاف وكثرتها في المدينة المنورة خاصة في القرن الحادي عشر والثاني عشر الهجريين إلى أن أصبحت أكثر الدكاكين والبيوت (خاصة تلك التي تقع في المناطق القريبة من الحرم النبوي الشريف وتدر ريعاً على سكانها بتأجيرها على الحجاج أثناء فترة موسم الحج) والمزارع (التي يسميها أهل المدينة البلدان) موقوفة لذلك كان للوقف ونظامه دوراً هاماً في الحياة الاقتصادية والاجتماعية في المدينة المنورة.

الوثيقة الأولى:

يجب الإشارة إلى أن دراستنا لهذه الوثيقة تعتمد على ما دوّن بالوثيقة والابتعاد عن المصادر الأخرى سواءً كانت وثائق أو رواية شفهية من أحد ذرية الحاج علي بن أحمد البعلي[٢] .

هذه دارسة وثائقية فقهية لحجة إنشاء وقف صدرت من محكمة الميدان بدمشق سنة ١٢٢٢هـ العقد الثاني من القرن الثالث عشر الهجري أي في عهد السلطان العثماني سليم الثالث (١٢٠٣ – ١٢٢٣هـ) (١٧٨٩– ١٨٠٧م) [٣]

لقد راعى الباحث أثناء نشره للوثيقة المحافظة على النص دون تصحيح أو إضافة أو تعديل وأورد الوثيقة في وضعية مكتوبة ومصورة .

تعريف بموضوع الوثيقة :

هذه الوثيقة موضوعها "الوقف" وأركان الوقف وهي: وقف، واقف، موقوف عليه وصيغة وكل الأركان مذكورة في هذه الوثيقة أي أن الوثيقة حوت أركان الوقف الأربعة[٤].

المميزات العامة للوثيقة (الخارجية والداخلية) :

أولاً المميزات الخارجية:

تتعلق بمعرفة نوع الورق والحبر والإخراج والهوامش وحالة الوثيقة.

١ – الورق: هذه الوثيقة أصلية لم يسبق نشرها أو تحقيقها كتبت على ورق أبيض يميل إلى الاصفرار .

٢- الحبر المستعمل: أسود يميل إلى اللون البني لاحتوائه على أكسيد الحديد .

٣- شكل الوثيقة: تتألف الوثيقة من ورقة واحدة (وجه وظهر). أبعادها حوالي ٢٨سم طولاً × ١٨سم عرضاً، وهي على شكل Roll.

٤- إخراج الصفحة والهوامش والسطور: لا تختلف هذه الوثيقة عن مثيلاتها من الوثائق التي صدرت في المدينة المنورة في العهد العثماني حيث أن الكاتب ترك ما يقرب من ٢٠٪ من طول الوثيقة من أعلى فارغاً لوضع تأشيرات وأختام القضاة والتعليقات ومن أسفل ترك الكاتب فراغاً حوالي ٨سم لتوقيع الشهود.

٥- الهوامش: الهامش الأيمن عريض (حوالي ٣سم) بينما الهامش الأيسر ضيق (حوالي ١سم).

٦- السطور: كتبت الوثيقة في سطور كاملة منتظمة دون فواصل أو وقفات، عدم وضع النقط على بعض الحروف، لم توضع الهمزات على بعض الحروف.

٧- المميزات الباليوجرافية:

أ- الخط : لم يستعمل الكاتب حروف كبيرة (المدات) في الكلمات الافتتاحية أو بداية الفقرات.

ب- اللغة: استخدم الكاتب اللهجة العامية وعدم الالتزام بقواعد النحو والإملاء مثل عالمّ والصحيح عالماً (راجع سطر ٤٤) الإملاء أمّت والصحيح أمة (سطر ٢٩) كما أن الكاتب يستشهد بالقرآن الكريم دون وضع علامة التنصيص (راجع سطر٣٣) والكاتب أورد الاسم ساروجا وصاروجا (سطر١٠ وسطر٢٧).

ثانياً : المميزات الداخلية:

نهدف من دراستنا للمميزات الداخلية لهذه الوثيقة الوقوف على معرفة أجزاء الوثيقة وأسلوبها من الناحيتين الفقهية والدبلوماتية فمن الناحية الوثائقية الدبلوماتية فإن الحجة تحتوي على أغلب العناصر (التحميد الافتتاحي، التحميد المبدئي بيان الوضع "exposition"، وتحويل الملكية "disposition"، الشروط، التسجيل، التهديد، النزاعات، التاريخ والشهود).

صاحب الوقفية، كما ذكرنا سابقاً فإن الوثيقة لا تشير لامن قريب ولا بعيد عن مهنة الواقف الحاج علي بن الحاج أحمد.

أ- البروتوكول الافتتاحي: الجهة التي صدرت منها الوثيقة محكمة الميدان بدمشق واسم القاضي حافظ عبد الله حلمي نائب قاضي القضاة الذي ألحق اسمه بالألفاظ ملاذ العفاة . . .

ب- البروتوكول الختامي:- احتوى على ذكر صحة الوقف من قبل الواقف علي بن أحمد وأن لا رجعة فيه بأي حال من الأحوال وذكر الشهود على الإثبات وتنفيذ الوقفية وقد وردت أسماء الشهود مسبوقة بلقب شيخ مثل الشيخ نوري حلمي والشيخ عبد الله بن الشيخ محمد محاح والشيخ علي بن الشيخ يحيى الزهرة وخلت الوثيقة من الدعاء الختامي مثل حسبنا الله ولكنها اختتمت بالتاريخ حيث أخطأ الكاتب في تدوين التاريخ كتابة صحيحاً فذكر سنة اثنين وعشرين وألف (سطر٤٨) أي نسي ذكر مئتين ولكنه ذكر التاريخ صحيحاً رقمياً سنة ١٢٢٢- ١١ جمادى الأولى.

ثانياً النص :

يعد النص أهم جزء في الوثيقة ويتكون من عناصر موضوع التصرف أي بيان الوضع exposition حيث ذكر الواقف أهليته لأداء التصرف طواعية من غير إكراه (سطر٢) ثم بين الواقف علي بن أحمد بصيغة صريحة بلفظ بالفعل الماضي يبرهن على أن علي بن أحمد وقف وأبد وحبس وخلد وسبل وتصدق (سطر٣) .

اشتمل النص كذلك على إثبات ملكية المتصرف للدار الكائنة بدمشق بمحلة سويقة ساروجا دخلة المغسلة المشتملة . . . وحدودها . . . (سطر ١٠) وذلك بموجب الحجة الصادرة من محكمة السوسية بدمشق المؤرخة الخامس من شهر صفر سنة ١٢٠٨هـ (١٧٩٣م) والمختومة بختم القاضي إبراهيم أفندي دفتردار.

يضاف إلى ما سبق من عناصر يتضمنها النص العناصر التالية:

١- إثبات صحة التصرف:- وهو العنصر الذي يؤكد فيه الواقف علي بن أحمد على صحة التصرف وتأبيده وتخليده كصدقة جارية (سطر١٢).

" وقفاً صحيحاً شرعياً وإيقافاً دائماً سرمدياً وصدقة عنه بتعاقب الليالي والأيام ... ولا تناقل به ولا ببعضه . . ." (سطر١٣).

٢- إنشاء الوقف: ونقصد به منع وتحريم التصرف في الدار الموقوفة بالبيع

والإهداء والمناقلة وحتمية صرف -المذكورة آنفاً- الريع على الأشخاص الـذين عينهم الواقف علي بن أحمد وبناءً على الشروط التي وضعها.

والوثيقة التي بين أيدينا احتوت على إنشاء الوقف على ثلاث طبقات متتاليات:

الطبقة الأولى: طبقة الواقف وذريته وهي كالتالي:

أ- الواقف علي بن حمد جعل وقفه هذا على نفسه أيام حياته لا يشاركه فيه مشارك. . (سطر١٦).

ب- أبناء الواقف درويش وعباس الشابين البالغين والابنة الصغيرة والتي كانت تحت ولاية أبيها وعلى من سيحدث الله من الأولاد الذكور والإناث. . . للذكر مثل حظ الانثيين (سطر ١٩).

ج- أولاد درويش وعباس.

د- أولاد أولادهم وأعقابهم وذرياتهم وأنسالهم.(٥)

الطبقة الثانية:

بعد انقراض جميع ذراري الطبقة الأولى من ذرية الواقف علي بن أحمد يصبح الوقف صحيحاً شرعياً على مصالح ومصارف جامع الورد الكائن بمحلة سوق ساروجا (سطر٢٧) وإن تعذر جامع الورد فيصبح الوقف شرعياً على مصالح ومصارف "الجامع الشريف الكائن بدمشق . . المعروف بجامع بني أمية (سطر٢٨).

الطبقة الثالثة:

إذا تعذر صرف ريع الوقف على الجامع الأموي ينفق ريع الوقف صدقة على الفقراء والمساكين من أمة محمد صلى اله عليه وسلم والأشراف الكرام المقيمين بدمشق.

٣- <u>شروط الوقف</u>:

أ- وهي النظر على الوقف والولاية عليه وكما هو معروف فإن الوقف قربة، اختيارية والواقف في وقفه حر مختار وبناءً على هذا وتأسيساً عليه فإن الشروط التي وضعها علي بن أحمد وحث عليها وأكد عليها تعد دستور الوقف وهي: النظر والولاية على الوقف لنفسه مدة حياته ثم الأرشد

فالأرشد من أولاده وأولاد أولاده وأنسالهم . . . (سطر ٣٣).

ب- النظر على الوقف إذا انقرضت ذرية علي بن أحمد وآل ريع الدار الكائن بسويقة ساروجا إلى مصالح ومصارف جامع الورد وإن تعذر تعود المصالح والمصارف إلى الجامع الأموي بدمشق وإن لم يحقق ذلك فعلى الفقراء والمساكين المسلمين والأشراف الكرام بدمشق فيكون النظر والولاية على الوقف للحاكم المسلم الشرعي بدمشق. وبعبارة أخرى إذا كانت الجهة الموقوف عليها واحدة فأكثر (ذراري الواقف) وليست من جهات البر التي لا تنقطع ثم اشترط الواقف بعد انقراضها لجهة جامع الورد فإن تعذر جامع بني أميه وإن تعذر ينفق ربع الوقف صدقة على الفقراء والمساكين فإنه يعد وقفاً ذرياً (أهليا).(٦)

ج- حدد الواقف علي بن أحمد السكن بلا إيجار في الدار الموقوفة المعروفة الكائنة بمحلة سويقة ساروجا على شقيقه أمين وزوجتي الواقف اللاتي بعصمته وهن كلسن بنت عيسى الخياط وزينب بنت السيد نوري السيمرجي (سطر ٣٤) وبدون أجرة أو أية مسئولية عن الترميم مدى حياتهم.

د- تولى الواقف علي بن أحمد النظارة على الوقف ورفع يد ملكه عن الدار ووضع عليها يد ولايته وجعله وقفاً صحيحاً شرعياً وسلم علي بن أحمد وقفه إلى السيد محمد آغا بن علي آغا بعدما جعله شريكاً معه في النظر والولاية (سطر٣٦) على الوقف إلى أن يتم التسجيل والتحكيم واستلم محمد آغا الوقف تسليماً شرعياً مثبتاً بشهادة شهود.

أراد الواقف علي بن أحمد – لأمر لم يبده – نقض الوقف وإرجاعه إلى ملكه وهذا يعني إلغاء نظارة محمد بن علي آغا– وحجة الواقف علي بن أحمد أن نظارة الشريك محمد آغا غير صحيحة "لكونه قبل التسجيل والتحكيم" (سطر٤٠). كان رد الفعل من محمد آغا الرفض الشديد لدعوى علي بن أحمد مؤكداً أن مشاركته في النظارة صحيحة وشرعية واحتكما إلى حاكم دمشق الذي درس الأمر وأصدر حكمه في غير صالح علي بن أحمد الواقف وأن نظارة محمد آغا صحيحة شرعاً. أذعن الواقف للحكم واستخار الله وسجل الوقف تسجيلاً شرعياً وأن مشاركته محمد آغا لازمة لا يمكن

الرجوع عنها وكان ذلك بحضور الشيخ نوري حلمي ومحمد علي حلمي والشيخ عبد الله بن الشيخ محمد محاح والشيخ علي الزهرة. بعبارة أخرى أن الوثيقة اختتمت بالدليل على تمام وصحة مشاركة محمد آغا بن علي آغا الناظر الواقف علي بن أحمد البطي والاحتفاظ بحقوق محمد آغا وحكم الحاكم الحنفي.

التاريخ: هو نهاية البروتوكول الختامي ويعد من أهم علامات الصحة والإثبات فبناءً عليه يحدد بدء تنفيذ التصرف، وقد جاء التاريخ الهجري في وثيقتنا هذه بعد جملة تحريراً في الحادي عشر من شهر جمادى الأولى سنة ١٢٢٢هـ (١٨٠٧م).

الوثيقة الأولى

٢٩ [illegible]
٣٠ [illegible]
٣١ [illegible]
٣٢ [illegible]
٣٣ [illegible]
٣٤ [illegible]
٣٥ [illegible]
٣٦ [illegible]
٣٧ [illegible]
٣٨ [illegible]
٣٩ [illegible]
٤٠ [illegible]
٤١ [illegible]
٤٢ [illegible]
٤٣ [illegible]
٤٤ [illegible]
٤٥ [illegible]
٤٦ [illegible]
٤٧ [illegible]
٤٨ [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

نص الوثيقة الأولى

الحمد لله تعالى

١- بمجلس الشريفة الغراء بمحكمة الميدان بدمشق المحروسة أجله الله تعالى نـورا مولانا حافظ الورا أفندي نائب سيدنا قاضي القضاء ملاذ العفاة قـدوة المـوالي العظام.

٢- المولى الهمام الموقع أعلاه أشهده عليه الحاج علي ابن الحـاج أحمـد البطـي إشهاداً شرعياً في صحة منه وسلامة وطوعية وإخياراً منه غير إكراه ولا إجبـار وجواز.

٣- الأمر الشرعي أنه يوم تأريخه وقف وأبد وحبس وخلـد وسـبل وتـصدق بنيـة صالحة وعزيمة راجحة تقرباً إلى ربه الكريم وطلباً لثوابه الهمـيم وهربـاً مـن عقابه الأليم

٤- يوم يجز الله المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين ما هو جار في ملكـه وحـوزه وبيده وطلق تصرفه الشرعي النافذ شرعاً ونقله إليه البعض بالـشراء الـشرعي بموجب.

٥- حجة مسطرة بمحكمة السوسية بدمشق صادرة من قبل مولانـا المـولى الهمـام الموقع أعلاه مؤرخه في الرابع والعشرين ربيع الثاني في السنة تاريخه والبعض إرثاً شرعياً.

٦- من زوجته الحرة خديجة بنت إسماعيل كسيلان ويشهد للواقف المرقوم وزوجتـه المورثة المرقومة الحجة المسطرة بالمحكمة العوثية المرقومة الصادرة من قبـل حافظ .

٧- عبد الله أفندي حلمي المؤرخة في خامس سفر سنة ثمان ومائتين وألف والبعض بالشراء الشرعي من ولده عباس بموجب حجة صادرة من قبل موكله عطـا زاده السيد حلمي.

٨- عيسى أفندي الحسيني المولى بالخلافة بدمشق سابقاً المختومة بختم سيدنا قاضي القضاة ملاذ العفاة إبراهيم أفندي دفتردار صفيدي القاضي العام بدمـشق سـابقاً

المؤرخة.

٩- في الثالث والعشرين رجب سنة عشرين ومائتين وألف وإلى ولده عباس المرقوم إرثاً عن والدته خديجة المورثة المرقومة بالإرث الشرعي بالطريق الشرعي

١٠- في ذلك جميع الدار الكائنة ظاهر دمشق بمحلة سويقة صاروجا بدخلة المغسلة المشتملة على ساحة سماوية وبركة ماء ونافورة وجنينة ومساكن سفلية وعلوية

١١- ومنافع وحقوق شرعية يحدها قبلة قسيمتها وشرقاً بيت الحاجة زينب وتمامه الدخلة ومنها الباب والاستطراق وشمالاً بيت الباشا وغرباً بالطريق

١٢- النافذ إلى الجهة تحت ذلك كله المعلوم ذلك عند الواقف المرقوم علماً شرعياً إشهاداً شرعياً وقفاً صحيحاً شرعياً وإيقافاً دائماً سرمدياً وصدقة عنه

١٣- باقية على الدوام بتعاقب الليالي والأيام وممر الشهور والأعوام ولا يناقل به ولا ببعضه ولا تنقل لها ملك أحد من سائر الناس أجمعين بل كلما مر بهذا الوقف

١٤- أكده وكلما أتى عليه عصر وأوان أطره وسيده فهو محرم بحرمات الله الأكبر ومدفوع عنه بقوته السديدة ولا تحل لأحد يؤمن بالله تعالى العظيم

١٥- واليوم الآخر وبعلمه أنه إلى ربه الكريم صائر نقض هذا الوقف ولا تغييره ولا تبديله ولا تعطيله ولا تحويله ولا الإصارة عن وجوده وشروطه

١٦- ولا في بقيتها فيه أخت الواقف المرقوم أثابه الله تعالى الجنة وقفه هذا على نفسه أيام حياته ولا يشاركه فيه مشارك ولا ينازعه فيه منازع

١٧- من كان ثم من بعده فعلى أولاده الثلاث الموجودين يومئذ وهم درويش وعباس الشابان البالغان الغائبان عن المجلس والمدعوة زليخة القاصرة

١٨- تحت درجة البلوغ وتحت ولاية والدها الواقف المرقوم بالأبوة شرعاً وعلى من سيحدث الله تعالى من الأولاد الذكور والإناث

١٩- بينهم على الفريضة الشرعية للذكر مثل حظ الأنثيين ثم من بعدهم فعلى أولادهم كذلك ثم على أولاد أولادهم مثل ذلك ثم على أعقابهم نظير ذلك

٢٠- على أنسالهم وذرياتهم شبيه ذلك على أن من مات منهم ومن أولادهم وأولاد

أولادهم وأمثالهم وأعقابهم وذرياتهم عنه ولداً

٢١- (؟) ولد أو نسل أو عقب أو ذرية عاد نصيبه من ذلك إلى ولده أو ولد ولده أو نسله أو عقبه أو ذريته ومن مات منهم ومن أولادهم وأولاد أولادهم

٢٢- وأنسالهم وأعقابهم وذرياتهم عن غير ولد ولا ولد ولد ولا نسل ولا عقب ولا ذرية عاد نصيبه من ذلك إلى من هو معه في درجته وذوي

٢٣- طبقته من أهل الوقف هم في ذلك الأقرب فالأقرب إلى المتوفى ومن مات منهم ومن أولا دهم وأولاد أولادهم وأنسالهم وأعقابهم

٢٤- وذرياتهم قبل استحقاقه لشيء من منافع هذا الوقف وترك ولداً أو له ولد أو نسل أو عقب أو ذرية استحق ذلك المتروك ما كان

٢٥- يستحقه المتوفى أن لو كان حياً وقام في الاستحقاق مقامه من كل وجه ممكن شرعي فإذا انقرضوا بأجمعهم وأبادهم الموت

٢٦- عن آخرهم وخلت الأرض منهم ولم يبق لهم نسل ولا عقب ولا ذرية أعاد ذلك وقفاً صحيحاً شرعياً على مصالح ومصارف الجامع

٢٧- الكائن بمحلة سوق ساروجا المرقومه المعروف بجامع الورد فإن تعذر جامع الورد الموقوف عليه المرقوم عاد ذلك

٢٨- وقفاً صحيحاً شرعياً على مصالح ومصارف الجامع الشريف الكائن بدمشق المحمية المعروف بجامع بني أمية فإن تعذر الجامع الشريف

٢٩- الأموي والعياذ بالله تعالى العظيم عاد ريع ذلك يصرف صدقة على الفقراء والمساكين من أمت محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم المقيمين

٣٠- بدمشق وإن أمكن العود عاد يجرى ذلك كذلك أبد الآبدين ودهر الداهرين إلى أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين

٣١- وشرط الواقف المرقوم في أمر وقفه هذا شروطاً أكد الحث عليها وجعل الأمر والمصير إليها من امر النظر والولاية على الوقف المرقوم لنفسه مدة حياته ثم من بعده

٣٢- فعلى الأرشد فالأرشد من أولاده وأولاد أولاد أولاده وأنساله وأعقابه وذرياتـــه وعنـــد ماله للجامعين المرقومين لكل منهما فعلى المتولي كائناً من كان

٣٣- وعين ماله للفقراء والمساكين فلحاكم المسلمين الشرعي بدمشق وشرط السكنى بالدار الموقوفة المحدودة أعلاه

٣٤- لشقيقه أمين وزوجتيه المستقرتين بعصمة الواقف المرقوم وعقد نكاحهما الحرمة كلسن بنت عيسى الخياط والحرمة زينب بنت السيد نورى السيمرجي

٣٥- المراتين الكاملتين الغايبتين عن المجلس مدة حياتهم من غير أجرة ولا إجارة ولا ترميم عليهم بشيء من ذلك أخرج الواقف المرقوم وقفه هذا عن

٣٦- ملكه وكيانه عن صيارته ورفع عنه يد ملكه ووضع عليه يد ولايته وجعله وقفـاً صحيحاً شرعياً على الوجه المشروح أعلاه فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه

٣٧- على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم وسلم الواقف المرقوم وقفه هذا إلى السيد محمد آغا ابن علي آغا بعدما جعله شريكاً معه في النظر والولاية على الوقف

٣٨- المرقوم إلى أن يتم أمر التسجيل والتحكيم فتسلمه منه التسليم الشرعي تـسليم مثيله شرعاً وتثبيت ذلك بعد شهاده شهود أمره ويصير في

٣٩- الاعتراف لديه بذلك كله ثبوتاً شرعياً فلما تم أمر هذا الوقف المرور على الوجـه المسطور أراد الواقف المرقوم الرجوع عن الوقف المرقوم

٤٠- ورد إلى ملكه كما كان قبل الوقف متمسكاً بعدم صحة الوقف لكونه قبل التسجيل والتحكيم ولكونه يخشى معارضه الشريك

٤١- المرقوم بالامتناع ونازعه أشد النزاع مستحداً ومتمسكاً بصحة الوقف المرقـوم ولزومه على قول من يراه من أئمة مذهب السادات الحنفية

٤٢- رضي الله تبارك وتعالى عنهم أجمعين وترافعا في ذلك لدى سـيدنا بـن سـيدنا الحاكم الموقع أعلاه وطلبا منه الحكم الشرعي في ذلك فتأملنا من سيدنا

٤٣- الحاكم الموقع أعلاه في ذلك تأمل شافياً فراى في جانب الـشريك دلـيلاً قويـاً فاستخار الله تعالى كثيراً واتخذه هادياً ونصيراً وحكم

٤٤- بصحة الوقف ولزومه في خصوصه وعمومه عـالم بـالخلاف الواقـع الأئمـة الأسلاف رضوان الله عليهم اجمعين وعرف الواقف

٤٥- المرقوم بأن الوقف المرقوم اعلاه صحيح لازم نافذ لا يسوغ لاحد الرجوع عنـه بحال من الأحوال وسجله تسجيلاً شرعياً بالتماس شرعي وجرى

٤٦- ذلك كله بحضور الشيخ نورى حلمي بن المرحوم العلام الشيخ علي أفندي شيخ زاده ومحمد علي حلمي بن المرحوم الحاج علي حلمي سفر حلانى

٤٧- زاده والشيخ عبد الله بن الشيخ محمد محاح والشيخ علي ابـن الـشيخ يحيـى الزهرة ومعرفتهم لذلك وأملى عليهم عليه تحريراً في حادي عشر جمادى الأولى

٤٨- سنة اثنين وعشرين وألف سنة ١٢٢٢ جماد أولى /١١/.

فهرست المستمسك :

المحكمة الصادرة منها	المحكمة الشرعية بالمدينة المنورة
نوع الوقف	ذري (أهلي).
مضمون المستمسك	توكيل ناظر وقف الحكيم بالمدينة وبدمشق صالح بن محمد حكيم ابنه طالب مراجعة " هيئة الدور السورية " لاسترجاع الوقف الذي وضعت يدها عليه.
تاريخ المستمسك	صفر ١٣٤٨هـ تموز ١٩٢٩هـ
ابعاد المستمسك	طول ٢٥سم والعرض ٢٠سم
حالة المستمسك	جيدة وأطلق الكاتب كلمة بابور على كل من قطار السكة الحديد (سطر٢١) وعلى السفينة (سطر٢٣). كما ظهر على المستمسك صورة ختميين رسميين الجزء الذي استطاع الباحث قرأته في الختم الأعلى لاسم " مدينة منوره " وفي الختم السفلي اسم "محمود باشا؟"

الوثيقة الثانية أو المستمسك الثاني :

(انظر نسخة طبق الأصل في ص١٤) في الواقع أن هذا المستمسك يبين مآل وقفية أحمد بن علي البطي بدمشق بعد مضي قرن وثلث من السنتين (١٢٢٢هـ - ١٨٠٧م) (١٣٣٤هـ ١٩١٥م) حيث توفي أثنائها الواقف أحمد بن علي في دمشق وعادت الأسرة إلى المدينة وعلى رأسها ابنه درويش الذي عاد وأعاد لقب العائلة الحكيم وأوقف في المدينة بعض الدور دون أن يبيع أو يغير في وقفية أبيه في الشام .

خلف درويش ابنه محمد الذي جهد حثيثاً وأفلح في نماء الوقف بالمدينة حيث أعطاه صبغة العمومية هناك وفي الوقت نفسه رعى وحافظ على وقف جده الكائن بسوق ساروجا بدمشق، توفي محمد بن درويش الحكيم سنة ١٣٣٤هـ (١٩١٥م) أي قبل عام من نهاية الحكم العثماني للحجاز(سنة ١٣٥٣هـ/١٩٣٤م) وبموجب وثيقة شرعية

أصبح صالح بن محمد هو الناظر على عموم أوقاف الحكيم في المدينة والشام وغيرها- إن ثبت- . حدث أثناء نظارة صالح بن محمد الحكيم أن ادعى عبد القادر بن عباس الحكيم بملكية الدار الكائنة بسويقة ساروجا بدمشق ولكن دعواه رفضت وثبت عدم صحتها لدى المحكمة الشرعية السعودية بالمدينة المنورة في ٦/٢/١٣٤٨هـ، وفي نفس الفترة تسلم الناظر إفادة (رسالة) من وكيله المشرف على الدار في دمشق فوزي أفندي المملوك مغزاها أن حكومة الشام ممثلاً عنها "هيئة الدور السورية" قد وضعت يدها على الدار في شهر صفر ١٣٤٨هـ/تموز ١٩٢٩م.

هنا يجب التساؤل هل كان التزامن بين رفض دعوى عبد القادر على ملكية الدار الكائنة في دمشق سنة (١٣٤٨هـ) (١٩٢٩م) ووضع "هيئة الدور السورية" بدمشق يدها على العقار بناءً على رسالة الوكيل فوزي أفندي المملوك صدفة أم لا ؟

عقب ما سبق وكل الناظر على عموم وقف الحكيم بالمدينة والشام ابنه عبد المطلب وكالة شرعية من كتابة عدل المدينة المنورة بمراجعة "هيئة الدور السورية" مزوداً بنسخة من شرط الواقف الصادرة من المحكمة الشرعية السعودية بالمدينة المنورة لتقديمها إلى "هيئة الدور السورية" بدلاً من الحجة القديمة لديها واستعادة وقفية الدار لآل الحكيم.

غادر عبد المطلب المدينة المنورة إلى دمشق سنة (بحراً من جدة إلى السويس فالإسكندرية ومنها إلى بيروت فدمشق) وليس عن طريق الحج المعروف (المدينة المنورة- شمال الحجاز- شرق الأردن- سوريا) بل عن طريق البحر من جدة إلى السويس ومنها إلى الاسكندرية براً ومن الاسكندرية بحراً إلى بيروت ومنها إلى دمشق للوقوف على أسباب ذلك ولمعلومات أكثر راجع ثبت المراجع[٧].

بناءً على ما سبق فقد تمت إجراءات استعادة وقفية الدار ورفع يد "هيئة الدور السورية" عنها وأصبحت الدار الكائنة بسوق ساروجا بدمشق ضمن أوقاف الحكيم حيث رممت وأصبحت تدر ريعاً على الوقف حتى سنة ١٣٤٨هـ (١٩٢٩م).

رأت الجهة التنظيمية السورية بدمشق الحاجة إلى هدم الدار بغرض التنظيم والتوسعة فأجريت الاتصالات بالورثة في المدينة المنورة عبر قنوات وزارتي الخارجية

في البلدين لغرض التعويض عن الدار وكان من الورثة والد الباحث درويش بن محمد الحكيم الذي تسلم وبقية الورثة استحقاقهم في دمشق من قبل الحكومة السورية.

أخيراً وبعيداً عن وقفية الدار الكائنة في دمشق وما ارتبط بها يؤكد الباحث أن الوثيقة الثانية اشتملت على معلومات دقيقة ومن واقع عملي وتطبيقي عن أنواع العملات التي كانت تتداول في المدينة المنورة خاصة والأقطار التي مر بها – وكيل الناظر – حتى وصل دمشق وارتباط العملات ببعضها من حيث سعر الصرف والعيار والوزن . . . مما يجعل هذه الوثيقة مصدراً أولياً في مصاف كتاب عبد الله فلبي "الذكرى العربية الذهبية" نشره الشيخ عبد الرؤوف الصبان د.ت. ، د.م. ، أثناء دراسة فلبي للنقد في عهد الملك عبد العزيزص١١٨، فالوثيقة بينت سعر صرف الجنيه الإنجليزي الذي يطلق عليه أهل المدينة الفرنجي (ضربه الملك جورج الخامس) مقابل صرف القرش الأميري[٨] (واحد جنيه يساوي ١١٠ قرشاً أميرياً أي ٢٢٠ قرشاً دارجاً). كما أن الوثيقة بينت سعر صرف الريال العربي (وهو الاسم الذي أطلق على أول ريال ضرب في عهد الملك عبد العزيز سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م)[٩] بالجنيه الذهب الإنجليزي (ضرب الملك جورج الخامس). وهذا الريال العربي كان يساوي ١١ قرشاً أميرياً أي ٢٢ قرشاً دارجاً هذا من جهة ومن جهة أخرى فقد جاء في الوثيقة سعر صرف الريال العربي مقابل الجنيه العثماني وسعر صرف مائة ليرة سورية مقابل الجنيه العثماني ويضاف إلى ما سبق من المعلومات التي احتوتها الوثيقة سعر صرف الجنيه المصري مقابل الجنيه الإنجليزي (انظر ص١٦). كما اشتملت الوثيقة على معلومات تتطابق مع المصادر والمراجع الخاصة بدراسة النقود وتداولها في البلاد العربية في آخر العهد العثماني وأثناء فترات الانتداب الفرنسي لسوريا ولبنان.[١٠]

بيان بأسماء العملات ومعادنها التي وردت في المستمسك مع قيمتها مقابل القرش الأميري والقرش الدارج والريال السعودي أما بالنسبة لأنواع الخدمات التي دفعت من أجلها العملات فموجودة في المستمسك وقد وضعت العملات حسب ورودها في المستمسك.

اسم العملة	المعدن	القيمة مقابل		سنة التداول	توضيحات
		القرش الأميري	القرش الدارج		
جنيه إفرنجي	ذهب	١١٠	٢٢٠	١٣٤٨هـ	يطلق على الجنيه الذي سك في عهد الملك الإنجليزي جورج الخامس (١٩١١-١٩٣٦م) واستمر تداوله عقود بعد جورج الخامس وقد ربطت قيمة الريال العربي (السعودي) بهذا الجنيه. وأصبح يساوي عشرة ريالات فضة عربية أو مائة وعشرة قروش أميرية أي مائتان وعشرون قرشاً دارجاً أم القرى عدد ١٦١ في ١٣٤٦/٧/٢٠هـ مادة ٩ نظام النقد.
ريال سعودي	فضة	١١	٢٢		الريال العربي أصدر الملك عبد العزيز سنة ١٣٤٦هـ/١٩٢٧م أول نظام نقدي باسم (نظام النقد الحجازي النجدي المسمى النقد العربي) حيث سك الريال السعودي من الفضة ويساوي في العيار، الوزن والتقسيم والصرف الريال المجيدي من سنة ١٣٤٦هـ جريدة أم القرى عدد ١٥٨ في ١٣٤٦/٦/٢٩هـ

جنيه مصري	ذهب	١١٣	٢٢٦		
قرش مصري	فضة	٢٠	٤٠		
قرش سوري	نحاس	كل مائة = ٢٠	٤٠		
جنيه عثماني	ذهب	٤٦	١٩٢		
جنيه سوري	ذهب	١٩٢	١٤٠		

الخاتمة:

من دراسة الوثيقتين يتضح لنا مدى الترابط بينهما حيث أن الوثيقة الثانية المستمسك تؤكد استمرارية وجود وتبعية الموقوف المذكور (الدار الكائنة قرب سوق ساروجا بدمشق) إلى وقف الحكيم بالمدينة المنورة حتى العهد السعودي هذا من جهة ومن جهة أخرى تشابه مميزات الوثيقتين الخارجية فقد كتبتا على نوع متشابه من الورق والحبر (غير أن المستمسك غير منتظم السطور والهامشين الأيمن والأيسر عرضهما متساوٍ تقريباً ٥سم من الجانبين. أخيراً ذكرنا في آخر البحث كشاف للإعلام،الألقاب، الجوامع ،الأسواق، الحرف والمرافق بالمبنى الموقوف ولاستتمام الفائدة ضمنا بحثنا مصوراً لمدينة دمشق موضح عليه موقع الأماكن التي ذكرت في الوثيقة الأولى وأعقب ذلك قائمة بأهم المراجع التي استعنا بها وكما حمدنا الله في البدء نحمده في الختام .

الكشاف

١- الأعلام.
٢- ألقاب التعظيم والتفخيم.
٣- الجوامع.
٤- الأسواق.
٥- الحرف.
٦- المرافق بالمبنى الموقوف.

١.الأعلام:

قاضي القضاة إبراهيم أفندي دفتر دار.
نائب قاضي القضاة بدمشق حافظ عبد الله أفندي حلمي.
الحاج علي بن الحاج أحمد البعلي (الحكيم)، هو الواقف والمتصرف للدار الكائنة بسويقة ساروجا بدمشق.
خديجة بنت إسماعيل كسيلان، الزوجة الحرة للواقف علي بن أحمد ووالدة أبناءه درويش، عباس والقاصرة زليخا. لا يستطيع الباحث النفي أو التأكيد من أن ذكر كلمة الحرة في الوثيقة (سطر٦) قصد بها المدح أم أن علي بن أحمد كان له سراري (إماء)؟.
أمين شقيق الواقف علي بن أحمد البعلي، الذي شرط الواقف حق السكنى لشقيقه في الدار الموقوفة مدى حياة الشقيق .
كلسن بنت عباس خياط زوجة الواقف علي بن أحمد والتي شرط بأن يكون لها حق السكنى في الموقوف المذكور.
زينب بنت السيد نوري السيمرجي الزوجة الثانية للواقف التي لها حق السكنى في الدار الموقوفة .
السيد محمد آغا بن علي آغا الشريك المتصرف في نظارة الوقف مع الواقف

علي بن أحمد ولكن علي بن أحمد أراد نقض الشراكة في النظارة وتلاحيا لدى القاضي بدمشق الذي حكم بصحة الشراكة عكس ما رغب علي بن أحمد.

عبد المطلب بن صالح الحكيم وكيل الناظر العام (على وقف الحكيم بالمدينة المنورة ودمشق) بعثه الناظر إلى الشام لمراجعة حكومة بلاد الشام لاسترجاع الدار الموقوفة بدمشق التي وضعت هيئة الدور بدمشق يدها عليها.

فوزي أفندي المملوك المشرف على الوقف في دمشق.

المعلم محمد بن توفيق النبقي (عمل على دهان وتبليط الدار الموقوفة بدمشق) .

الشيخ نوري حلمي شاهد.

الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد محاح.

الشيخ علي بن الشيخ يحيى الزهره.

٢ . ألقاب التعظيم والتفخيم

أجله الله تعالى نوراً.

حافظ الورى.

ملاذ العفاة.

المولى الهمام.

قدوة الموالي العظام.

الشيخ.

٣ . الجوامع :

- جامع الورد الكائن غرب منطقة العوينه التي عرفت فيما بعد بسوق ساروجا تأسست سنة ٨٣٠هـ وقد كان جامع الورد يعرف " بجامع حمامي الورد" نسبة إلى الحمام الواقع إلى الشمال منه ثم عرف بجامع الورد إختصاراً، بناه الأمير " برسباي" الحاجب الذي تولى نيابة طرابلس وحلب وتوفى سنة ٨٥١هـ ودفن في جامع الورد.[١١]
- جامع بني أمية بدمشق يعرف بجامع دمشق والجامع الكبير. والجامع الأموي وهو أكبر الجوامع قاطبة في دمشق، لقد كُتب عن الجامع الأموي الكثير من قبل

الكتاب العرب مثل ابن عساكر[١٢] ممن تحدثوا عن تاريخ اتخاذه مسجداً في عهد الوليد بن عبد الملك سنة ٨٧هـ والانتهاء من عمارته سنة ٩٦هـ ولسنا بصدد كتابة تاريخ مفصل لهذا الجامع فقد كتب عنه الكثير من قبل الكتاب العرب (كما ذكرنا سابقا) حيث تحدثوا عن بنائه وما قيل عنه سنة ٨٧هـ والحرائق والزلازل والفتن التي تعرض لها والإصلاحات والإضافات التي أجريت فيه ودوره العلمي والسياسي والاجتماعي في دمشق في العهد الأموي وعهود الحكومات اللاحقة تبعاً لتطور أهمية دمشق ذاتها.

بعبارة أخرى إن دور الجامع الأموي السياسي في دمشق تراجع دوره في عهد الخلافة العباسية نتيجة لسقوط الخلافة الأموية سنة ١٣٢هـ وبقيت مكانته العلمية والدينية في العهد العثماني. أما في العهد الحاضر ليس للجامع الأموي أي دور سياسي أو علمي أو اجتماعي وأضحى متحف يؤمه السياح.[١٣]

٤. الأسواق:

سوق ساروجا: ضاحية سكنية شمال القلعة الغربي (انظر المصور) أنشئت حوالي سنة ٧٢٥هـ على يد " صارم الدين صاروجا" أحد أتباع الأمير سيف الدين " تنكز الناصري" نائب دمشق المملوكي الذي عينه الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧١٢هـ.[١٤]

٥. الحرف:

"تلبين": مصطلح محلي مدني يقصد به حرفة دهان الجدران وتبييضها بمادة الجير.

"طباطيب": مصطلح مدني يقصد به حرفة تبليط أرض الدور ودرجها.

٦. المرافق بالمبنى المذكور:

ساحة سماوية، مساكن علوية وسفلية (غرف في الطابقين العلوي والسفلي)، نافورة، جنينة وبركة ماء.

ثبت المراجع

١- راشد سعد القحطاني، أوقاف السلطان الأشرف شعبان بن حسين على الحرمين الشريفين، ط١، مكتبة الملك فهد الوطنية الرياض ١٤١٤هـ/١٩٩٤م المملكة العربية السعودية ص ص ٥٢-٥٤.

٢- بعبارة أخرى لم نحاول في دراستنا ذكر الأسباب التي دفعت علي بن أحمد الحكيم السفر من المدينة المنورة إلى بعلبك والبقاء لفترة دون شراء أو وقف عقار فيها ثم الاستيطان بدمشق حيث اشترى الموقوف (الدار الكائنة بسوق ساروجا بدمشق) دون أن يسكن فيها أي كان له سكن خاص. وكذلك لم نتعرض لذكر ما يتعلق بمهنة المتصرف علي بن أحمد هذا من جهة ومن جهة أخرى لماذا عاد ابنه درويش إلى المدينة وضم وقف المدينة إلى وقف دمشق تحت نظارة واحدة.

٣- فيليب حتي وآخرين، تاريخ العرب (مطول)،ج٢، ط٤، ١٩٦٥، دار الكشاف للنشر والتوزيع، د.م، ص ٨٥٦.

٤- ابن قدامه، أبي محمد موفق الدين عبد الله بن قدامة الجماعيلي المقدسي ثم الدمشقي الحنبلي (٥٤١- ٦٢٠هـ) (١١٤٦- ١٢٢٣م): المقنع، في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه، ج٢، ط٣، دار البحوث والإفتاء، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٣٩٣هـ، ص ٣٠٧ .

٥- محمد محمد أمين، الأوقاف والحياة الإجتماعية في مصر، ص ص ٢٩-٣٠ (٦٤٨-١٢٥٠هـ/ ٩٢٣-١٥١٧م)، الطبعة الأولى ١٩٨٠م مطبعة النهضة.

٦- مصارف الوقف معروفة في سوريا بالأوقاف الذرية وكذلك في المدينة المنورة- وفي مصر الأوقاف الأهلية. راجع محمد أبو زهرة محاضرات في الوقف، معهد الدراسات العربية، مطبعة مخيمر، القاهرة ١٩٥٩.

٧- لمعرفة الأسباب التي جعلت الطريق من المدينة إلى دمشق عبر مصر وبيروت دون شمال الحجاز. راجع عبد الله الصالح العثيمين، تاريخ المملكة العربية السعودية ج١ وج٢ ط٢- مكتبة العبيكان، الرياض ١٣١٧هـ/١٩٩٦م- وعبد الفتاح أبو علية، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر الرياض ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م.

٨- هو أول عملة يضربها الملك عبد العزيز سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م نحاسية وتتبعها فئات نصف القرش وربع القرش تحمل اسم "عبد العزيز السعود ملك الحجاز وسلطان نجد" جريدة أم القرى عدد ٥٦ في ١٣٤٤/٧/٨هـ.

٩- جريدة أم القرى عدد ١٥٨ في ١٣٤٦/٦/٢٩هـ.

- Lord Kinrass, the Ottman centuries, Jonathan Cape, 1977, London. 10

١١- اكرم حسن العبلي، خطط دمشق دراسة تاريخية شاملة على مدى الف عام من سنة ٤٠٠هـ حتى سنة ١٤٠٠هـ، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، دار الطباع للطباعة والنشر دمشق سوريا، ص٣٦٠

١٢- ابن عساكر الحافظ، تاريخ دمشق، ج٢ تحقيق صلاح المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي. دمشق (١٩٥١- ١٩٥٤).

١٣- اكرم العبلي، المرجع السابق، ص ٣٠٤.

١٤- المرجع نفسه، ص٦١.

١٥- الخرائط: تم نسخها من كتاب أسواق دمشق القديمة ومشيداتها التاريخية، للدكتور قتيبة الشهابي، بحث ميداني، وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، ١٩٩٠ ص ص ٥٢٨- ٥٢٩.

قضية كشمير والسياسات النووية

د. ماجدة منصور
مدس التاريخ الإسلامي
كلية الآداب ــ جامعة قناة السويس

مقدمة :

تعتبر مشكلة كشمير في شبة القارة الهندية واحدة من أقدم المشاكل السياسية العالمية منذ أكثر من أربعين عاما.

وفى منتصف شهر فبراير عام ١٩٩٢ كاد يحدث صدام مسلح آخر بين الهند وباكستان بسبب كشمير، عندما قررت جهته تحرير (جام وكشمير) الباكستانية، التى تطالب باستقلال إقليم كشمير عن الهند، وتقدم بمسيرة ضخمة تعبر الحدود الباكستانية إلى داخل الجزء الهندى من كشمير ولكن حكومة الباكستان أوقفت المسيرة إحساسا منها بالأخطار التى قد تنجم عنها وخاصة أن هذا الإقليم كان سببا فى حربين بين الهند والباكستان عامى ١٩٤٧، ١٩٦٥.[١]

وتمثل مشكلة كشمير أهم المشكلات التى وقفت فى سبيل تحسين العلاقات الهندية الباكستانية من الخلافات القائمة بينهما بسبب المسألة النووية والصراع لامتلاك وإنتاج أسلحة نووية رغم التوتر القائم بينهما أيضا بسبب اتهامات الهند للباكستان بأنها تدعم انفصاليين السيخ فى إقليم سنجاب، إلا أن الخلاف حول كشمير هو أخطرها فليس من السهل تسويته ببساطة، فهو صراع بين شعب وتاريخ تحميه رغبات عنيدة من أطراف النزاع.

وبما إن ولاية حامو وكشمير هى الولاية الوحيدة فى الهند التى يمثل المسلمون الأغلبية المطلقة فيها ونظرا لانقسامها فى أعقاب حرب الاستقلال فهناك رغبات أكيدة فى كشمير الهندية الباكستانية على حد سواء بضرورة الوحدة وتقرير المصير.[٢]

وترى الهند أنها تسيطر على أرض هندية ولا يحق لأى طرف دولى أو خارجى

يتدخل فى هذا النزاع، ولهذا فقد تزايد التوتر بين الهند وباكستان وتصاعد التوتر داخل ولاية جامو وكشمير ذاتها، علاوة على اتهام الهند بارتكاب مذابح ضد المسلمين فى الولاية بين آن وقمع أى مطالب بالانفصال أو الانضمام لباكستان.

وشهدت التسعينات العديد من التطورات على مستوى النظام الدولى، وهو الأمر الذى انعكس بدوره على العديد من القضايا والصراعات فى العالم، وقد ارتبطت القضية الكشميرية وبدرجة كبيرة بتطورات الوضع الدولى فى التسعينات خاصة بانتهاء الحرب الباردة وما ترتب عليها من آثار، والتقارب الامريكى السوفيتى، والانسحاب السوفيتى من أفغانستان وهى الأمور التى أثرت بدورها على مجمل الأوضاع فى هذه المنطقة من، وعلى أطراف الصراع سلبا وإيجابا، كما ارتبطت بتصاعد الاحتمالات المختلفة بإمكانية تصاعد وتفجر الأوضاع خاصة فى ظل دخول الدول الأطراف فى الصراع وهما (الهند – وباكستان) إلى نادى الدول النووية بما ينذر بدرجات أعلى من المواجهة.[٣]

وقد انعكست تطورات الأوضاع منذ بداية التسعينات بالنسبة للقضية الكشميرية بعودة بروزها مرة أخرى أو إعادة إحياء الاهتمام بالقضية الكشميرية وذلك بعد أن كانت قد مرت بمرحلة من الهدوء النسبى لسنوات طويلة منذ توقيع اتفاقية سيملا بين الهند وباكستان.

مشكلة كشمير:

اشتهرت ولاية كشمير فى فترة الاستعمار البريطانى بأنها ملجأ للموظفين البريطانيين لقضاء أجازتهم صيفا، هربا من الحر اللافح، ومن المطار الموسمية، ثم أصبحت بعد عام ١٩٤٧ من مناطق الاتجار السياسى فى العالم، ومنطقة صراع مرير بين الدولتين الجديدتين الهند وباكستان وكشمير، أو بالصح ولايتى جامو وكشمير ومركزى جليجت ولادكة ويقعوا فى شمال باكستان الغربية أو بمعنى آخر شمال غربى الهند، ومن ثم أصبحت متاخمة للهند وباكستان وأفغانستان والصين، وتبلغ مساحة المنطقة موضوع النزاع ما يزيد على ٨٢ ألف ميل مربع يعيش عليها ٥ر٤ مليون نسمة، ثلاثة أرباع من المسلمين.[٤]

ويغلب الارتفاع على سطح كشمير، إذ يتراوح ارتفاعها ما بين الألف والألفى متر من الجنوب الغربى إلى سلاسل قراقورم فى الشمال حيث يربو الارتفاع على الثلاثة

آلاف مترا، ولا تظهر الأرض المنخفضة إلا فى ولاية جامو، حيث يمتد شريط يقل ارتفاعه عن الألف متر من جنوبها الغربى.

أما ولاية كشمير فتقع شمال جامو بارتفاع يتراوح بين ١٢٠٠ ، ١٥٠٠ متر ، وتضم مدينة سرينجار العاصمة نحو ٤٠% من السكان، تجمعهم وتوحد بينهم الظروف الطبيعية والحضارية، فهم محاطون بالجبال من جوانب ثلاثة، ويتكلمون لغة واحدة ويدينون بالإسلام.

أما جامو التى تقع الى الجنوب وبها نحو نصف السكان، فيتركز منهم فى جنوبها فقط، بينما ينتشر السلمون فى بقية أنحائها.(٥)

ويرجع النزاع بين الهند والباكستان بشأنها إلى أغسطس عام ١٩٤٧، حينما كان على كل ولاية أن تقرر الانضمام إلى أى دولتين الناشئتين.

ورغم أن الديانة السائدة فى كشمير هى الإسلام، إلا أن الأسرة الحاكمة هندوسية، ولم يبد حاكم كشمير أول الأمر رأيه فى الانضمام إلى أى من الدولتين، بل يظهر أنه أراد أن يبقى الحال على ما هو عليه بعيدا عنها.

ولما كان تقسيم شبة القارة الهندية، على أساس الدين فقد بدأت الثورة الداخلية ضد الإدارة الهندوسية، وبدأت جيوش الهند تدخل كشمير لمساعدة المهراجا، وبدأت قوات الباكستان تدخل كشمير لمساعدة الشعب، واستمر القتال بين الفريقين فى كشمير ما يزيد على العام وأخيرا توقف القتال فى يناير عام ١٩٤٩ عند خط وقف إطلاق النار نتيجة لتدخل الأمم المتحدة، وقسم خط وقف إطلاق النار كشمير إلى قسمين، بحيث أصبح ثلثى مساحة كشمير وأربعة أخماس سكانها تحت الإدارة الهندية بما فيها العاصمة سرينجار.

وظلت كشمير مقسمة منذ عام ١٩٤٩، وذهبت جميع الجهود التى بذلت لحل النزاع سدى، إذ كانت كلا الدولتين تدعيان حقوقا فى المنطقة استنادا على أسس اقتصادية سياسية وتاريخية.(٦)

وأصبحت مشكلة كشمير من العقبات الرئيسية التى تقف فى وجه استمرار الصداقة الهندية الباكستانية، وحاولت الأمم المتحدة الضغط لعمل استفتاء للسكان ولكن هذه الرغبة كانت تعارض دائما من الهند.

وتستند باكستان فى مطالبها بكشمير إلى عوامل متعددة منها:

١. أن معظم السكان من المسلمين.
٢. ارتباط كشمير بالسكك الحديدية والطرق بما يعرف فى الوقت الحاضر بباكستان الغربية وذلك قبل تقسيميها، من ثم كان توجيهها التجارى نحو الباكستان.
٣. أن ضم كشمير إلى الهند معناه تحكمها فى مياه السند ومدى استفادة باكستان من مياهه فى الرى وتوليد الكهرباء، نظرا لأن أعالى السند ورافديه الرئيسيين يمران فى كشمير.
٤. أن ضم الهند لكشمير معناه تهديد للأمن القومى فى باكستان نظرا لعدم وجود حواجز طبيعية بين جنوبى كشمير وباكستان، فضلا عن أن ضمها للباكستان ضرورى للأمن فى إقليم الحدود الشمالية الغربية حتى لا تنفصل قبائل الباتان.(٧)

ملحوظة: (هناك اتفاقية بين الهند وباكستان والتى بمقتضاها صار نصيب الهند ٢٠% من مياة النهر، ونصيب الباكستان ٨٠% من هذه المياه وكانت هناك شبكة رى لنحو ٣٠ مليون فدان قبل التقسيم، قسمها الوضع الجديد إلى قسمين غير متعادلين أى الثلثين فى باكستان والثلث فى الهند).

وتستند الهند فى ضمها إليها إلى عدة ادعاءات منها:

أن حكومة كشمير طلبت تدخل الهند رسميا عام ١٩٤٧.

أن الحكومة الهندية قامت منذ عام ١٩٤٧ بمشروعات تنمية لكشمير كمد شبكة كثيفة من طرق المواصلات البرية والحديدية مع الهند، فضلا عن مشروعات توزيع الأراضى.

أن مستقبل كشمير يكون أكثر ابتساما إذا ضمت إلى الهند لما تحتويه من أسواق أكثر اتساعا، كما أنها أكثر تصنيعا من الباكستان.

يمكن الاتفاق دوليا على مشكلة المياه التى تثيرها باكستان.

يجب حماية مصالح المليون هندوسى الذين يعيشون فى جنوبى جامو.(٩)

الأهمية الاستراتيجية لكشمير:

لعبت كشمير دورا استراتيجيا هاما فى الاستراتيجيات الكبرى التى نشأت فى

المناطق والأقاليم المحيطة بها، سواء فى جنوب آسيا أو أسيا الوسطى أو شمال غرب آسيا.

وخلال العصور الوسطى، كانت الأهمية الاستراتيجية لكشمير تتمثل فى كونها ركيزة محورية فى تكوين الإمبراطوريات الهندية والإسلامية والمسيحية التى نشأت فى تلك المناطق، كما كانت أهمية كشمير تتمثل فى كونها معبرا إستراتيجيا هاما من وإلى الهند، وحلقة وصل هامة مع المناطق المجاورة، وفى العصر الحديث، ولا سيما مع الاحتلال البريطانى للهند، بدأت كشمير تلعب دورا محوريا فى الصراع بين القوى الاستعمارية والقوى الكبرى فى آسيا، وبالذات بين الاستعمار البريطانى فى شبة القارة الهندية وبين روسيا القيصرية، ثم الاتحاد السوفيتى، حيث كانت كشمير بمثابة محور اتصال إستراتيجى بين مناطق النفوذ التابعة للجانبين الروسى والبريطانى.[١٠]

وقد برزت الأهمية الاستراتيجية لكشمير عند تقسيم شبة القارة الهندية عام ١٩٤٧ إلى دولتى الهند وباكستان، وأصبح موقع جامو وكشمير، بمثابة محور ارتكاز إستراتيجى بين دول جنوب وجنوب غرب آسيا، كما أن هذا الموقع الذى تحيط به كل من أفغانستان وباكستان والهند والصين، جعل من يسيطر على الإقليم يملك خطوط اتصال جغرافية مع الدول الأربع، وهى مسألة يمكن توظيفها فى العديد من النواحى من الناحية الاستراتيجية، ولعل فى هذا ما يفسر بعض أسباب الصراع الهندى – الباكستانى على هذا الإقليم الذى أصبح بمثابة خط المواجهة الاستراتيجية بين الدولتين منذ عام ١٩٤٧ حتى محاولة تعظيم مكاسبه الاستراتيجية فى كشمير.

فبالنسبة لباكستان:

نبعت أهمية كشمير دوما من أنها توفر لها قدرا أكبر من العمق الاستراتيجى فى مواجهة الهند، وهى مشكلة استراتيجية حيوية ظلت تمثل هاجسا استراتيجيا لباكستان منذ تقسيم شبة القارة الهندية عام ١٩٤٧، مما يجعل باكستان متخوفة دائما من عدم قدرتها على الحصول على إنذار مبكر كاف فى حالة حدوث أى هجوم عسكرى هندى على الأراضى الباكستانية.[١٢]

إضافة إلى ذلك، أن تبنى باكستان لقضية كشمير كان مرتبطا على الدوام بشرعية الدولة الباكستانية ذاتها، وبالتالى فان المطالبة بضم إقليم كشمير أو منح سكانه حق

تقرير المصير تعتبر مسألة مرتبطة ارتباطا وثيقا بمشروعية الدولة الباكستانية كدولــة إسلامية، حيث قامت الدولة الباكستانية باعتبارها تجمعا لمسلمى شبة القــارة الهنديــة، إبان تقسيمها عقب جلاء الاستعمار البريطانى عام ١٩٤٧، ويعتبر الإسلام بمثابة العامل اللاحم للشعب الباكستانى الذى تتنازعه انقسامات وثنية وطائفية وإقليمية حادة للغاية.

أما بالنسبة للهند :

فإنه على الرغم من عدم افتقارها للعمق الإستراتيجى، فان سيطرتها على إقلــيم كشمير ترتبط بمضاعفة هذا العمق، كما أن سيطرة الهند على إقليم كشمير بالكامل كــان سيمنحها حدودا مشتركة مع أفغانستان، إضافة إلى ذلك، أن سيطرة الهند علــى إقلــيم كشمير يرتبط بشرعية الدولة الهندية كدولة علمانية متعددة الديانات ومتعددة الأعــراق، وتضم الهند ديانات متعددة من الهندوسية والإسلام والمسيحية والبوذية وغيرها، ومــن ناحية أخرى فان هناك العديد من التحليلات الهندية التى تشير إلى أن الموقف الهنــدى من كشمير يمثل إجراء وقائيا هاما، لأنه إذا كان إقليم كشمير قد وقع من نصيب الهنــد فى عملية التقسيم، فان من المحتمل أن يكون الصراع الهندى – الباكستانى قد امتد إلى مجالات أخرى حيوية بالنسبة للهند، وبالذات فيما يتعلــق بإمكانيــة تحــول الأولويــات الاستراتيجية الباكستانية فى إتجاه التركيز على شئون الأقلية المسلمة فى الهند وإمكانية مطالبة باكستان بمنح حق تقرير المصير للأقاليم الهندية التى تتمتــع بوجــود أغلبيــة مسلمة بها وبالذات إقليم آسام.[١٣]

السياسات النووية للهند وباكستان:

لعل الدور الإستراتيجى لكشمير قد لعب دورا كبيرا فى الوصول إلــى إن جــوهر الصراع بين الهند وباكستان منذ إستقلالهما عام ١٩٤٧، بأنه كانت تحكم هذه القــضية عدة عوامل أهمها ميزان القوى الخارجية والداخلية، وأيضا هذا الدور الاستراتيجي قــد أدى الى حدوث تغير هام على المستوى العالمى وهو ما نتج عن التفجيــرات النوويــة التي أجرتها الهند وباكستان، والتى أدخلت العامل النووى فــى مــوازين القــوى بــين الجانبين.[١٤]

البرنامج النووى للهند:

مثلت التجارب النووية الخمس التى أجرتها الهند يومى الحادى عــشر والثالــث

عشر من شهر مايو ١٩٩٨ والتجارب النووية الستة والتى أجرتها باكستان فى يومى الثامن والعشرين والثلاثون من نفس الشهر مرحلة جديدة فى السياسة النووية لكل من البلدين، فها هى الهند وباكستان اللتان كانتا ضمن ما يعرف باسم دول العتبة النووية، قد أصبحتا دولتين نوويتين بالفعل على الرغم من كل الاتفاقيات والقيود والضغوط الدولية التى كانت تحول دون ذلك.(١٥) ومما لا شك فيه أن هذه التجارب أن هذه التجارب لم تكن وليدة اللحظة، وإنما كانت نتاجا لخطط وبرامج وتدابير محكمة من جانب الدولتين، أى أنه كان لكل من الدولتين سياستها النووية، التى مثلت التجارب إحدى مراحلها، ومن ثم تصبح الأسئلة هى:

ما هى الخطوط العريضة والمكونات الرئيسية للسياسة النووية لكل من الهند وباكستان؟ وما هى المراحل الرئيسية التى مرت بها هذه السياسة منذ بدايتها حتى تمت التفجيرات؟ ما هى الملامح الرئيسية للسياسة النووية لكل من الدولتين بعد التفجيرات؟ لماذا أقدمت الدولتان على إجراء التفجيرات على الرغم من كل التحذيرات الدولية؟ ما هو أثر التفجيرات على ميزان القوى بين الجانبين؟ ما هى احتمالات نشوب حرب جديدة بين الجانبين فى ظل وجود الأسلحة النووية؟

ترجع بداية البرنامجين النوويين للهند وباكستان الى السنوات الأولى عقب الاستقلال، فنجد أن الهند قد أصدرت فى عام ١٩٤٨ قانون الطاقة الذرية، ومن ثم كان إنشاء لجنة الطاقة الذرية التابعة لرئيس الوزراء، وفى العام التالى تم إنشاء وحدة البحث عن الخامات النادرة التى تستخدم فى البرامج النووية مثل اليورانيوم والثوريوم.(١٦)

وفى عام ١٩٥٤ تم إنشاء مؤسسة الطاقة الذرية، التى تضم المفاعل النووى والمنشآت البحثية والمعملية. والذى عرف فيما بعد باسم مركز بهابوا للبحوث الذرية، حيث تم فى العام التالى إنشاء أول مفاعل بحثى بقدرة واحد ميجاوات، والذى بدأ فى العمل عام ١٩٥٦ بالتعاون مع انجلترا وفرنسا، وفى نفس العام بدأ التعاون مع كندا، والذى أسفر عن إنشاء مفاعل نووى بقوة ٤٠ ميجاوات يعمل باليورانيوم الطبيعى، فى حين كان يعمل المفاعل الأول بالوقود النووى على الإثراء الذى كان يتم استيراده، إلى أن تم فى عام ١٩٥٧ إقامة مصنع لإنتاج اليورانيوم المخصب من خامات محلية، وهذا

ما مكن الهند بعد ثلاث سنوات من تحضير الوقود النـــووى الـــلازم لتـــشغيل المفاعـــل الكندى، وفى عام ١٩٦٤ أتمت الهند استكمال دورة الوقود النـــووى علـــى المـــستوى البحثى والتجريبى،[١٧] وفى الفترة من ١٩٦٤ حتى ١٩٧٤ عملت الهند علـــى إجـــراء عمليات فصل اليورانيوم، مما مكنها فى عام ١٩٧٤ من إجراء التفجيـــر النـــووى الأول بقنبلة مصنوعة من البلوتونيوم، وهو التفجير الذى قالت عنه الهنـــد أنـــه مـــن أجـــل الأغراض السلمية،[١٨] وعقب التفجير استمرت الهند فى تطوير قدراتها النوويـــة حيـــث أنها شرعت فى إنشاء مفاعل قدرته مائة ميجاوات بدأ تشغيله عام ١٩٨٥، ومنذ ذلـــك التاريخ أصبحت الهند أكثر قدرة على إجراء المزيد من التفجيـــرات وامـــتلاك الأســـلحة النووية، وهذا ما جعل الولايات المتحدة الأمريكية تحث الحكومات الهندية المتعاقبة على دعم الإقدام على مثل هذه الخطوة، لأن ذلك من شأنه الإضرار بالهند، ولن يكون دعمـــا لأمنها.[١٩]

ولكن هذه التحذيرات قد ذهبت مع الريح، وكانت التفجيرات النووية الهندية فـــى مايو ١٩٩٨، والإعلان عن أن الهند باتت تملك سلاحا نوويـــا، والمطالبـــة بـــأن يـــتم الاعتراف الدولى بهذا الوضع.

البرنامج النووى لباكستان:

وبخصوص البرنامج النووى الباكستانى فانه قد تم تشكيل لجنة الطاقة الذرية فى منتصف الخمسينات، وبدأ إرسال البعثات إلى الخارج لدراســـة التخصـــصات المرتبطـــة بالطاقة الذرية، حيث يقال أنه منذ ١٩٥٥ ولمدة تسع سنوات فقط كـــان قـــد تلقـــى ٣٧ عالما باكستانيا تدريبا فى الخارج فى المجالات النووية، وفـــى عـــام ١٩٦٥ أعلـــن ذو الفقار على بوتو والذى يشرف على البرنامج النووى الباكستانى أن بـــلاده لـــن تـــدخر وسعا من أجل امتلاك السلاح النووى إذا ما امتلكته الهند مهما كلفها ذلك من تضحيات، وكانت باكستان قد شرعت منذ عام ١٩٦١ بمساعدة من الولايات المتحدة الأمريكية فى إنشاء معهد للأبحاث النووية والتكنولوجية ضم قسما للكيمياء النووية ووحـــدة إشـــعاع قدرتها خمسة ميجاوات ومعجل كهربى ومعملا لأشعة جاما (٢٠)، وفى عام ١٩٧٢ كان قد اكتمل مشروع القوى النووية فى كراتشى، والذى أقامته بالتعاون مع كندا، كمـــا أن هذا العام قد شهد وضع مشروع باكستانى مشابهه لمشروع منهاتن فى الولايات المتحدة الأمريكية، وفى العام التالى تم إنشاء مفاعل نووى جديد فى منطقة كاهوتا جنوب شرق

إسلام أباد، وبعد ذلك سعت باكستان للتعاون مع فرنسا من أجل إقامة منشآت نووية تمكنها من معالجة كميات كبيرة من البلوتونيوم، وبالفعل توصل الجانبان إلى اتفاق في عام ١٩٧٦، وبالطبع فان التفجير النووى الأول الذى تم في عام ١٩٧٤ كان من العوامل التى زادت باكستان إصراراً على المضى قدما فى تطوير برنامجها النووى وعدم الاعتماد على التأكيدات الهندية بأن هذا التفجير كان للأغراض السلمية، قائلة أنها لن تقبل الهيمنة الهندية وأنها لن تذعن لأى تهديد نووى هندى[٢١]، وحيال الضغوط الأمريكية توقفت فرنسا عن إتمام المشروع، ولكن باكستان كانت قد حصلت على نسبة كبيرة من الصور الفوتوغرافية للتصميم الهندسى للمشروع مما مكنها من السير قدما فى برنامجها النووى، ولا سيما فى ظل استمرار تعاون بعض الشركات معها وكذلك للحصول على تمويل من بعض الدول العربية مثل - ليبيا - والتى سهلت لها الحصول على كميات كبيرة من أكسيد اليورانيوم الذى يستخدم في إنتاج اليورانيوم المخصب فى عام ١٩٧٨، كما أن الظروف الدولية قد خدمت باكستان، إذ أنه ما كانت الولايات المتحدة تعلن عن وقف مساعداتها العسكرية لباكستان فى عام ١٩٧٩، حتى بدأت هذه المساعدات تزيد وتتضاعف طوال الثمانينات بسبب الغزو السوفيتى لأفغانستان فى أواخر عام ١٩٧٩.

وهكذا كان العديد من المصادر تؤكد أن باكستان منذ منتصف الثمانينات كانت فى طريقها لصنع القنبلة النووية، كما أن العديد من المسئولين الباكستانيين قد أكدوا على الإنجازات التقنية التى حققها البرنامج النووى الباكستانى، وعلى سبيل المثال فان رئيس الأركان الباكستانى قد صرح فى عام ١٩٩٣ بأن بلاده قد أكملت كل الخطوات الضرورية من أجل امتلاك الفترة الزمنية القصيرة التى استغرقتها باكستان حتى تعلن عن تفجيراتها النووية فى ٢٨ مايو ١٩٩٨ بعد أسبوعين فقط من التفجيرات الهندية، وهى فترة لا تكفى لاستكمال أى نقص في البرنامج النووى[٢٢] والواقع أن استمرار البرنامجين النووى الهندى والباكستانى ووصولهما إلى مرحلة الامتلاك الفعلى للأسلحة النووية راجع بالأساس لعاملين رئيسيين هما: أولاً: الإرادة السياسية القوية والتى أصرت على تحقيق أهدافها رغم كل الضغوط الخارجية والمصاعب الاقتصادية في الداخل، ثانياً: هو التأييد الجارف من الرأى العام الداخلى، والذى ظهر واضحا مع

التفجيرات النووية الأخيرة، وهو ما أكدته العديد من استطلاعات الرأى التى أجريت فى البلدين[٢٣]، وإذا كانت الإرادة السياسية القوية والرأى العام الداعم لها هما العاملان الأساسيان وراء استمرار ونجاح البرنامجين النووين الهندى والباكستانى، فان هناك أسبابا كامنة وراء هذا الإصرار السياسى وذلك التأييد الشعبى، أهمها اعتبار ذلك وسيلة ردع تجاه الخصوم القائمين أو المحتملين الحائزين للسلاح النووى أو المحتمل حيازتهم له[٢٤]، والخصم القائم والذى يمتلك بالفعل أسلحة نووية وأحد القوى النووية الخمس المعترف بها هى (الصين فى حالة الهند والتى تتعاون مع باكستان فى العديد من المجالات من بينها المجال النووى، ومن ثم فان السياسة النووية الهندية قد قامت على أساس تحقيق تكافؤ استراتيجى مع الصين، ورفض حالة عدم التوازن والتمييز بين الدول فى مجال امتلاك الأسلحة النووية، ومن ثم كان رفضها لمعاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية ومعاهدة حظر التجارب النووية ورفضها مقترحات جعل منطقة جنوبى آسيا منطقة خالية من الأسلحة النووية فى ظل وجود الأسلحة النووية الصينية إضافة إلى تمركز السفن النووية الأمريكية فى المحيط الهندى، ومن ثم فإنها كانت تدعو إلى اتفاق عالمى شامل لعدم الانتشار النووى رأسياً وأفقياً.

وفى حالة باكستان فان الخصم القائم، والذى ظل احتمال حيازته أسلحة نووية قائما تماما فى أذهان صانع القرار الباكستانى قائما ومحركا أساسيا للمشروع النووى الباكستانى، حيث أن تطوير القدرات النووية الباكستانية كان مرتبطا بالرغبة فى مجاراة الهند وتحقيق التكافؤ الاستراتيجى معها، فى ظل سباق التسلح القائم بينهما، والذى تكمن وراءه العديد من القضايا، على رأسها قضية كشمير، التى دخلت الدولتان فى حربين بسببها وما زالت دون حل، ومع دخول الدولتين فى تنافس حول القدرات النووية الصينية، بل أنها باتت تتخوف أيضا الأسلحة النووية الباكستانية.[٢٥]

وهذه الأمور لا يقتصر إدراكها على القيادات الرسمية بل أنها تشمل الرأى العام فى البلدين، وهكذا يتضح أن الهاجس الهندى هو المحدد الخارجى الأساسى فى القرار الباكستانى المتعلق بالبرنامج النووى، فى حين يوجد هاجسان أساسيان بالنسبة للقرار الهندى ألا وهما – الصين وباكستان –، وان كانت الأولى أسبق زمنيا من الثانية، وفى هذا الإطار العام جاءت التفجيرات النووية الهندية والباكستانية لتمثل مرحلة جديدة فى السياسة النووية لكل من الدولتين، ومن ثم فان السؤال المثار هو لماذا أقدمت كل من

الدولتين على هذه الخطوة فى هذا التوقيت بالذات؟ للإجابة على هذا السؤال قدم البعض ثلاث مجموعات من الأسباب للرد على لماذا أقدمت الدولتين على هذه الخطوة فى هـذا التوقيت ومن هذه الأسباب: أسباب سياسية وأسباب عسكرية، وأسـباب علميـة، مـع اختلاف ترتيبها فى الحالتين، حيث تأتى الأسباب العلمية وبعدها الأسباب السياسية ثـم العسكرية فى حالة الهند، وفى حالة باكستان ينعكس الترتيـب حيـث تـأتى الأسـباب العسكرية فى المقدمة ثم الأسباب السياسية ثم العلمية.[٢٦]

وفى تصنيف آخر للأسباب التى دفعت الدولتين إلى التفجيرات النووية تم تقسيمها إلى أسباب داخلية وأسباب خارجية إقليمية كانت أو عالمية، فبالنسبة للهند فان العوامل الدولية تتمثل فى عدم تحقيق تقدم فى نزع السلاح النووى علـى المـستوى العـالمى، ورفض الالتزام بجدول زمنى من أجل نزع السلاح النووى مـن قبـل الـدول الخمـس النووية، واستمرار السياسات التمييزية ضد الدول غيـر النوويـة، وتتمثـل العوامـل الإقليمية فى اعتبارات المكانة الإقليمية فى الوقت الذى تتنامى فيـه القـوة العـسكرية الصينية، والعوامل الداخلية، تمثلت فى وصول حزب بهاراتيا جاناتا إلى السلطة وتشكيله حكومة ائتلافية.[٢٧]

وبالنسبة لباكستان فان الأسباب تمثلت فى الضغط الشعبى وضغط العسكريين على الحكومة لإعادة التوازن الإستراتيجى مع الهند بعد التفجيرات الهندية، وتجاهل المجتمع الدولى للخطوات التصاعدية التى اتخذتها الهند قبل إجراء التجارب النووية والتى حذرت منها باكستان وفشل النظام الدولى فى اتخاذ إجراءات جماعية لاستعادة التـوازن بـين البلدين، وعدم اتخاذ إجراءات فعالة وجماعية ضد الهند، وعدم التأكد من مـدى فعاليـة العقوبات الاقتصادية التى فرضت على الهند بعد التفجيرات[٢٨]، والعامل الأخير هذا يفهم فى اتجاه آخر، وهو أن باكستان وجدت أن العقوبات الاقتصادية التى فرضت على الهند هى من نوعية العقوبات التى يمكنها أن تتحملها عندما تتعرض لـنفس الموقـف عنـد قيامها بالتفجير.

والآن ما أن حدثت تفجيرات نووية وأصبحت كل من الهنـد وباكـستان دولتـين نوويتين، هناك عدة أسئلة لا بد من طرحها وهى: ما هى ملامح سياسة كل مـن هـذين الدولتين النووية؟

وهل هناك تفجيرات نووية أخرى من جانب الدولتين؟ ما هو أثر هذه الأسلحة على سباق التسلح التقليدى بين الجانبين؟ وهل هناك إمكانية للدخول فى سباق تسلح نووى أكثر من المستوى الراهن فى المستقبل؟ وما هو احتمال استخدام السلاح النووى فى الصراع بين البلدين؟

من جانب الهند، ذكر رئيس وزرائها أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة فى سبتمبر ١٩٩٨ أعلنت أن إجراءها للتجارب النووية إنما كان لضمان وجود ردع نووى جدير بالدفاع عن أمن الهند القومى فى المستقبل المنظور، وأن ذلك كان إدراكاً منها لتدهور الأوضاع بالنسبة للأمن الهندى، وهو ما دفعها لعدم التوقيع على اتفاقية الحظر الشامل للتجارب النووية فى عام ١٩٩٦، وأنها بعدما أجرت تجاربها فإنها قد أعلنت عن وقف تطوعى للتجارب النووية تحت الأرض، حيث أن تجاربها النووية لا تعنى ضعف تعهدها بمواصلة السعى من أجل نزع السلاح النووى فى العالم كله، كما أعلنت عن تعهدها بعدم نقل الأسلحة النووية أو ما يتعلق بها من مهارات إلى دول أخرى، قائلة بأن لديها نظاما فعالا لمراقبة الصادرات، وأنها سوف تزيد هذا النظام تشددا، كما أنها أعلنت أنها سوف تشارك فى أية مفاوضات خاصة بعد معاهدة خاصة بعقد معاهدة لحظر إنتاج المواد الانشطارية المستخدمة فى تصنيع الأسلحة النووية وغيرها من المواد النووية المتفجرة، وأن هذه المشاركة سوف تكون من أجل ضمان التوصل لمعاهدة غير تمييزية تلبى متطلبات الهند الأمنية[٢٩]، كما أن الهند قالت بأنها لن تستخدم الأسلحة النووية أو تهدد باستخدامها فى عدوان ضد أية دولة، وأن هذه الأسلحة هى للدفاع عن النفس، ولتأكيد عدم خضوع الهند للتهديد النووى، كما أعربت الهند عن استعدادها للدخول فى اتفاق مع أية دولة تتعهد فيه الهند بأن تكون البادئة باستخدام الأسلحة النووية سواء كان ذلك عبر مفاوضات ثنائية أو فى إطار جماعى، كما قالت أنها لن تدخل فى سباق تسلح نووى على غرار ما كان سائدا بين القطبين فى الحرب الباردة، وهذه هى الخطوط العريضة للسياسة النووية الهندية المعلنة، أو ما أسماه البعض بحجر الزاوية فى المذهب النووى الهندى.[٣٠]

ومن جانبها، فان باكستان قد أكدت على أن تجاربها كانت مرتبطة بالظروف فى شبة القارة الهندية بعد التفجيرات الهندية والتى وضعت باكستان فى وضع حرج، وأكدت

أيضا على أنها لن تزود أطرافا ثالث بهذه الأسلحة[٣١]، كما أن باكستان أعلنت أنهـا لا ترغب في الدخول فى سباق تسلح نووى ولا تريد الدخول فـى بـرامج تـسلح نـووى تتضمن نشر الصواريخ التى تحمل رؤوسا نووية، ومثلها مثل الهند أعلنت عـن أنهـا سوف تنتهج استراتيجية الحد الأدنى من الردع النووى، وان كانت أى من الدولتين لـم تحدد طبيعة ولا حجم هذا الردع.[٣٢]

وهكذا يتضح من التصريحات الرسمية أن الهدف من امتلاك الأسلحة النووية هو الردع وأن الدولتين لا ترغبان فى تصعيد التسلح النووى.

تقييم لرؤية سياسية هندية:

فى ظل الأوضاع والتطورات القائمة، فان الموقف الهندى من قضية كشمير يكمن فى التمسك بالإقليم وإغلاق أى حوار بشأنه سواء مع باكستان أو أى طرف دولى آخر، فحكومة نيودلهى تعلن استعدادها لتسوية أية قضايا معلقة مع باكـستان، لكـن وحـدة أراضى الهند وسيادتها ليست محل مناقشة، حيث أن الوضع فى جامو وكشمير يعد شأنا هنديا داخليا وليس من اختصاص أى طرف سوى الحكومة الهندية وحدها، وقد تم ضـم ولاية جامو وكشمير إلى الهند طبقا للبنود المنصوص عليها فى قانون الاستقلال، وهـو انضمام نهائى وقانونى، ولا يقبل التشكيك فيه، ولقد حدث نفس الشئ مع باكستان عندما انضمت بعض الولايات إليها، وتم قبول قرارات حكام تلك الولايات، وإذا كان هناك أمـر لم يحسم بعد منذ التقسيم، فلا شك أنه سيكون ضرورة قيام باكستان بالتخلى عن الجزء الذى تحتله بصورة غير مشروعة من ولاية جامو وكشمير.[٣٣]

ومن هنا، يبدو أن حكومة نيودلهى ترفض المحادثات بشأن كـشمير، وتتمـسك بمواقفها السابقة من القضية والتى تستند إلى عملية الضم فى عام ١٩٤٧، وهـو مـا يؤكد عليه المسئولون الهنود فى كل مناسبة، فرئيس الوزراء الهنـدى أتيـال بيهـارى فاجباى صرح أثناء احتفال بلاده بعيد الاستقلال قبل الأخير" أن إقلـيم جـامو وكـشمير جزءا لا يتجزأ من الهند، وأن نيودلهى ترفض أية محاولة باكستانية للجوء إلى القـوة لتغيير هذا الوضع، مثلما ترفض مشاركة باكستان فى أى مفاوضات حول الإقليم، وحول الموقف الهندى من عملية الوساطة الدولية، فان حكومة نيودلهى ترفض أى تدخل دولى فى القضية، سواء من جانب مؤسسات أو أشخاص دوليين أو حتى وسطاء، وفى هـذا

الصدد، صرح السفير أنور أحمد كمال سفير باكستان فى القاهرة، بأن الهند لا تريد للعالم أن يعرف ماذا جرى فى الجزء الهندى من كشمير، فهى لا تسمح لمراقبى الأمم المتحدة بالتجول فى الجزء الهندى من الإقليم، فى حين تسمح لهم بالمرور فى الغرب من خط الهدنة فى الشق الباكستانى[٣٤] منه، كما أن حكومة الهند قد رفضت الوساطة الدولية حتى من جانب الولايات المتحدة، ذلك أن الرئيس كلينتون أثناء زيارته للهند خلال صيف عام ٢٠٠٠ كان قد عرض على رئيس الوزراء الهندى إمكانية قيام واشنطن بدور وساطة لتسوية قضية كشمير سلميا غير أن رئيس الوزراء الهندى رفض هذه الوساطة.[٣٥]

وترى الهند أيضا، أن حجة باكستان فى تبرير سيطرتها على أجزاء من كشمير والقاضية بأحقيتها فى الولاية استنادا إلى نظرية تقسيم الدولتين على أساس دينى، هى حجة واهية، ذلك أن الجناح الشرقى لباكستان ذا الأغلبية المسلمة، والذى تأسس بناءا على نظرية الدولتين، قد انفصل عن باكستان، وأصبح الآن دولة بنجلاديش المستقلة، وتحرر بعد الاستقلال عن باكستان الغربية ذات الأغلبية المسلمة أيضا، بل ويعيش بالهند الآن جالية إسلامية أكبر عددا من تعداد سكان باكستان نفسها، فيما يعد دلالة واضحة على أن الدين ليس أساسا للمواطنة، وتضيف وجهة النظر الهندية، أن أعمال القمع والإرهاب التى يقوم بها متسللوا باكستان وجنودها قد ألحقت الضرر بالسكان المسلمين فى جامو وكشمير، الأمر الذى دفعهم للقيام بمظاهرات عديدة للتعبير عن حالة السخط والاستياء ضد هؤلاء الإرهابيين وضد حكومة إسلام أباد.[٣٦]

إن حكومة حزب بهاراتيا الهندوسية المتطرفة قد حددت ضمن برنامجها للحكم عدة مبادئ، منها ما يخص القضية الكشميرية مباشرة والذى يتمثل فى تعديل المادة ٣٧٠ من الدستور الهندى لإلغاء الوضع الخاص الذى تتمتع به ولاية كشمير حسب الدستور، واجتياح القوات الهندية للجزء الواقع تحت السيادة الباكستانية من كشمير، والذى يعرف بكشمير الحرة، السيطرة عليها، ومن ثم ضمها للهند، وهذه الحكومة، التى تعانى من مشاكل داخلية عديدة، ترفض التنازل عن كشمير لأسباب اقتصادية، حيث أن الإقليم غنى بإمكانياته الزراعية والطبيعية والسياحية الهائلة، كما أنها تخشى أيضا من أن يكون انفصال كشمير عن الهند بداية تفسخ البلاد، إذ أن استقلال كشمير أو انفصالها عن الهند قد يخلق ذرائع لدى ولايات أخرى للاستقلال أو الانفصال عن الاتحاد الهندى،

الأمر الذى يهدد استقرار البلاد وتماسكها.[٣٧]

وفيما يتصل بمسألة الاستفتاء التى طرحت لتسوية قضية كشمير سلميا، فإن حكومة نيودلهى حرصت على تفريغ تلك المسألة من مضمونها، بل وإجهاضها وذلك كما يلى:

أكدت نيودلهى أنه ليست هناك حاجة لتأكيد إرادة الشعب الكشميرى من خلال إجراء الاستفتاء، فالانتخابات الديموقراطية تعد من السبل المعترف بها لتأكيد رغبات الشعب، وقد شارك شعب جامو وكشمير فى مثل هذه الانتخابات تحت الإدارة الهندية، وهو ما لم يتحقق فى الجزء الواقع تحت سيطرة باكستان.[٣٨] وبالتالى، فقد لجأت الهند إلى البحث عن بديل للاستفتاء فى كشمير، ووجد هذا البديل فى الحصول على رغبات شعب كشمير بواسطة قيام جمعية تشريعية منتخبة تقوم بالتصديق على انضمام الولاية إلى الهند.

وهكذا من الواضح، أن حكومة نيودلهى ظلت طول سنين صراعها مع باكستان حول تلك القضية تعزز سيادتها على الجزء الواقع تحت سيطرتها من إقليم كشمير، وفقا لما تقتضيه طبيعة المرحلة التى يمر بها النظام الدولى من ناحية أخرى، فتارة ما تلجأ إلى الوسائل العسكرية وشبة العسكرية، وتارة أخرى عبر وسائل دعائية وسياسية، مستفيدة فى ذلك من تلك الأجواء الملائمة التى يوفرها لها الطرف الباكستانى، سواء من خلال سوء إدارته للصراع، أو من خلال أوضاعه السياسية وإمكانياته الاستراتيجية التى تفرض عليه نمطا معينا من العلاقات مع العالم الخارجى، الأمر الذى ينعكس فى النهاية على طريقة إدارته للصراع واستراتيجيات التعامل مع الخصم.

وخلاصة القول، أن الموقف الهندى من قضية كشمير والصراع حولها يتمثل فى سعى نيودلهى إلى البحث عن سبل لإدارة الصراع حول كشمير على نحو يخدم ويعظم مصالحها الاستراتيجية دون أن تحرص على إيجاد تسوية أو حل نهائى لهذا الصراع يمكن أن يفقدها سيطرتها على معظم مناطق الإقليم، لذلك حرص فاجباى على المضى قدماً فى سياسته إزاء قضية كشمير، وهى السياسة القائمة على التمسك بوحدة أراضى الهند، بما فيها كشمير الهندية، وعدم السماح بمناقشة هذا الأمر أو المزايدة عليه من جانب أى طرف من ناحية، مع عدم غلق الباب أمام باكستان للإبقاء على الحوار معها

فى أية قضية، بخلاف قضية كشمير، من ناحية أخرى، وتمضى هذه السياسة بمصاحبة استراتيجية دعائية تعتمد على إلقاء الكرة فى ملعب باكستان عن طريق تحميل إسلام آباد مسئولية انتشار الإرهاب وعدم الاستقرار فى إقليم كشمير وفى المنطقة بكاملها، وهذا ما عبر عنه رئيس الوزراء الهندى ايتال بيهارى فاجباى فى مناسبتين، الأولى يوم ٧ أغسطس من عام ٢٠٠١ أمام البرلمان الهندى عندما قال: سوف نتعامل بصرامة مع باكستان فى أية محادثات مستقبلية بعد فشل قمة أجرا، وسنستمر فى عملية السلام، ولكننا سنتخذ موقفا صارما، وسوف نضع مصالح بلادنا ووحدة أراضيها فى عقولنا جيدا وعلى باكستان أن تحرر نفسها من الإرهاب الموجود على الحدود[٣٩]، والثانية، كانت إبان احتفال بلاده بذكرى الاستقلال فى يوم ١٥ أغسطس من عام ٢٠٠١ أيضا حينما قال "أن مشرف يعوق تطور العلاقات الهندية – الباكستانية –، لأنه يجعل من قضية كشمير الموضوع الوحيد فى جدول أعمال هذه العلاقات، كما أنه يقدم قضية كشمير على تطبيع العلاقات بين البلدين وهذا خطأ لا نقبله.[٤٠]

تقييم لرؤية سياسية باكستانية:

استند الموقف الباكستانى منذ البداية إلى أحكام الشرعية الدولية وما أعلنه المسئولون الهنود من التزامهم بتنفيذ ما تم الاتفاق عليه بصدد موقف الدول التى تتكون منها شبة القارة الهندية بعد تقسيمها، حيث يتم الرجوع إلى شعب الدولة التى كان يحكمها حاكم من غير ديانة الشعب وهو ما ينطبق على ولاية جامو وكشمير.

ومن ناحية أخرى استندت باكستان فى موقفها إلى الروابط القوية التى تربطها بكشمير سواء من الناحية الدينية أو البشرية أو الاقتصادية، من ناحية أخرى حاولت باكستان وفى حدود إمكانياتها أن تقدم الدعم العسكرى المباشر وغير المباشر إلى الكشميريين فى الجزء الذى تسيطر عليه الهند ودخلت فى أكثر من مواجهة مع الهند لهذا السبب، وكانت تكلفة هذه المواجهات عالية بالنسبة لباكستان إذ فقدت فى إحداها جناحها الشرقى، لتقوم دولة بنجلاديش.

حاولت باكستان كذلك الاستفادة من التطورات الإقليمية والدولية خلال نصف القرن الماضى لتدعيم عناصر قوتها وموقفها تجاه كشمير، إلا أنها لم تنجح فى هذا الصدد النجاح المطلوب أو بالقدر الذى يحقق لها هذا الهدف.

كما يلاحظ أن باكستان لم تنجح فى تقديم نموذج الدولة الإسلامية الجاذب للأطراف الأخرى، خاصة كشمير، فتجربة الدولة الباكستانية تعكس خبرة عدم الاستقرار أكثر مما تقدم أية عناصر جاذبة للأخر، ومن ناحية أخرى، فان الأوضاع الداخلية والتطورات الإقليمية خاصة فيما يتعلق بالقضية الأفغانية، قد شغل القيادة الباكستانية عن متابعة التطورات السياسية الداخلية فى كشمير، ويؤكد هذا تأكيد عدد من الدراسات على أن الجانب الباكستانى فد فوجئ بتنامى حركة المقاومة الإسلامية.(٤١)

ويمثل إسناد التعامل مع القضية الكشميرية إلى جهاز المخابرات الباكستانى عاملا آخر من عوامل الارتباك فى السياسة الباكستانية تجاه كشمير، حيث أن طبيعة عمل مثل هذا النوع من الأجهزة تقوم على السرية وعدم إمكانية المحاسبة عند وقوع أخطاء، والأخطر من هذا أن ثمة دلائل تقوم على اختراق مضاد لهذا الجهاز من جانب المخابرات الهندية، وهو ما وضح فى العديد من المواقف والأحداث.(٤٢)

كذلك يمكن القول بأن السياسة الباكستانية لم تستطع الاستفادة من الأخطاء الهندية فى التعامل مع الكشميريين بالقدر المطلوب، وهى الأخطاء التى ساعدت إضافة إلى عوامل أخرى فى بروز حركة المقاومة الإسلامية بفصائلها المختلفة، وقيامها بعمليات بعيدة عن سيطرة مخطط السياسة الخارجية الباكستانى، ومن ثم كان من نتائج بعض هذه العمليات خلق متاعب لباكستان على خط وقف إطلاق النار مع الهند، أو إدخالها فى مواجهات لم تكن قد استعدت لها، هذا بالإضافة إلى أن بعض عمليات المقاومة، والتى حاولت الهند توظيف نتائجها إعلاميا على المستوى الدولى قد خلقت اتجاها دوليا لاتهام باكستان برعاية الإرهاب الدولى، وهو ما أضاف مصدرا جديدا من مصادر الضغوط على السياسة الباكستانية تجاه كشمير وافقدها قدرا من مصداقيتها تجاه القضية الكشميرية(٤٣).

وفى إطار التحولات التى يشهدها العالم والمنطقة الآن فثمة حاجة إلى وضع استراتيجية جديدة للسياسة الباكستانية تجاه كشمير تأخذ فى الاعتبار ما يلى:

١. المتغيرات الداخلية فى كشمير ورؤية القوى السياسية المختلفة للقضية الكشميرية وسبل حلها.

٢. المتغيرات القائمة على الساحة الإقليمية، ودور باكستان الإقليمى الجديد

وعلاقته بكشمير.

٣. المتغيرات الدولية الجديدة المرتبطة بعلاقات القوة فى المنطقة خاصة الموقف الأمريكى، والسياسة الأمريكية فى أسيا بصفة عامة وفى جنوب آسيا بصفة خاصة ومدى تأثير هذا على موقف القوى الكبرى فى العالم من القضية الكشميرية.(٤٤)

٤. الاستفادة من تجربة نصف قرن فى التعامل مع القضية الكشميرية وتحديد الأخطاء التى وقعت فيها باكستان وكيف يمكن تجنبها، وتحديد ما تم إنجازه بوضوح وشفافية ودون مبالغة أو مغالطة.

سياسات القوى الكبرى وعودة الاهتمام بكشمير بعد التفجيرات النووية الهندية الباكستانية:

يمكن القول أن إقدام باكستان، بعد الهند، على إجراء تفجير نووى والدخول فى حقل تجارب على الصواريخ القادرة على حمل رؤوس نووية، قد جاء ليقطع الطريق على عملية تراجع الاهتمام الدولى بقضية كشمير، وأيضا فان هذه الأحداث سرعان ما أعادت قدر من التوازن إلى تصريحات صادرة من عواصم العالم المختلفة إزاء الموقف فى كشمير بين الهند وباكستان، وجاء هذا الاهتمام بفعل تحول طرفى الصراع رسميا إلى دول نووية وبالتالى بات مطلوبا ضبط الصراع وعدم السماح بتصاعده والحيلولة دون وقوع صدام جديد بين البلدين يمكن أن يفتح الطريق أمام احتمال نشوب مواجهة نووية.

وقد راجعت الدول الكبرى حساباتها سريعا، فتراجعت نغمة تبنى الوقف الهندى من الصراع بصفة عامة، ولم يكن ذلك يعنى أن انتهاء الرؤى المؤيدة للهند، بل أن ما حدث كان عبارة عن تجميد هذه الرؤى على الأقل مؤقتا لتجاوز مرحلة الخطر التى تلت الإعلان عن حيازة السلاح النووى تحديدا من جانب باكستان، فبحيازة إسلام أباد للسلاح النووى ووسائل نقله، بات مطلوبا من القوى الكبرى العمل على تهدئة الصراع والحديث عن ضرورة التسوية السياسية للصراع وعدم السماح للتوتر بالتصاعد على النحو الذى يهدد باندلاع جولة جديدة من جولات الصراع المسلح بين البلدين بعد حيازة كل منهما للسلاح النووى.

والمعروف أن لواشنطن موقفا متشددا من محاولات باكستان الهادفة إلى حيازة السلاح النووى، فرغم علاقة التحالف التى كانت قائمة بين البلدين فى معظم فترات الحرب الباردة، ورغم إجراء الهند لتفجيرها النووى الأول عام ١٩٤٧، فإن اتجاه باكستان إلى بناء برنامجها النووى وجه بردود فعل غاضبة من الولايات المتحدة الأمريكية التى أوقفت على الفور مساعداتها لباكستان مع مجئ الرئيس كارتر عام ١٩٧٦، كما مارست ضغوطها على فرنسا حتى تتوقف عن تزويد باكستان بالمعدات اللازمة لتشغيل المفاعلات النووية والتى كانت تتم بموجب اتفاق بين البلدين وجرى توقيعه عام ١٩٧٦[٤٥]، وإذا كانت واشنطن قد ردت على ذلك بوقف مبيعات الأسلحة والتكنولوجيا النووية إلى البلدين، فإنها عملت فى الوقت نفسه على دعوة الهند وباكستان إلى استئناف الحوار والعمل على إيجاد تسوية للصراع الدائر بينهما، ففى أعقاب هذه التفجيرات سارع مندوب الولايات المتحدة لدى الأمم المتحدة بيل ريتشاردسون فى أبريل ١٩٩٨، إلى دعوة البلدين للتحرك الإيجابى وعقد مباحثات حول كشمير ووقف سباق الصواريخ النووية، أما وزير الدفاع الأمريكى ويليام كوهين فقد أعلن فى الثانى من يونيو ١٩٩٨، أن قضية كشمير يجب أن تسوى سلميا وينبغى أن تأخذ الأمم المتحدة زمام المبادرة، وعاد فى الرابع من الشهر نفسه ليطالب بضرورة وضع قضية كشمير على الأجندة الدولية مع إدراك اعتراض الهند على تدويل القضية، بل أن مساعد وزيرة الخارجية لشئون جنوب أسيا كارل انديفورث أكد صراحة على ضرورة تدويل مشكلة كشمير، وتوالت بعد ذلك التصريحات الأمريكية التى اقتربت من الرؤية الباكستانية، بل والتى تلقى بالمسئولية عن استمرار الصراع على موقف الهند المتشدد، فالرئيس الأمريكى بيل كلينتون أعلن فى ٢٧ يوليو ١٩٩٨ صراحة أن الهند قد وضعت عقبة أساسية أمام جهود تسوية مشكلة كشمير برفضها قبول أى وساطة دولية، وفى الثالث من أغسطس من العام نفسه أعلنت واشنطن عن استعدادها للعب دور الوسيط فى جهود تسوية الصراع فى كشمير.

وهكذا بدا واضحا أن باكستان تمكنت وعبر حيازتها للأسلحة النووية من فرض الاهتمام الدولى بقضية كشمير من ناحية، ودفع القوى الكبرى وتحديدا الولايات المتحدة الأمريكية إلى تبنى مواقف أقرب إلى الموضوعية بدلا من التبنى الكامل لوجهات نظر

الهند كما كان الحال بعد انتهاء الحرب الباردة وقبيل التفجيرات النووية والتجارب الصاروخية، وبدا واضحا أيضا أن هذه التحركات قد جاءت مدفوعة بما يشبه الصدمة نتيجة حيازة باكستان تحديدا للأسلحة النووية ووسائل نقلها، ومن ثم عادت المواقف إلى سباق عهدها بعد فترة قصيرة، وان تركت آثارها فى العقوبات التى فرضتها الولايات المتحدة على الهند وباكستان، وأيضا استمرار حساسية القوى الكبرى لأى توتر فى العلاقات الهندية – الباكستانية – على النحو الذى ظهر جليا إبان أزمة "كارجيل".

ومن ناحية أخرى بدا واضحا أن القوى الكبرى على اختلافات توجهاتها كانت أقرب بصفة عامة إلى مسايرة الرؤية الهندية وذلك نتيجة ما سبق من تبلور شبكة جديدة للمصالح والارتباطات وأيضا التهديدات والتى ذهبت فى مجملها إلى دعم علاقات هذه القوى بالهند وبلورة فجوة فى علاقاتها مع باكستان، ومن ناحية ثالثة، ورغم هذه الارتباطات، فان القوى الكبرى وعلى مختلف توجهاتها شعرت بقدر كبير من الخطر فى تصاعد الصراع بين دولتين نوويتين، ومن ثم ، كان تحركها السريع لاحتواء الموقف وتسويته ومنع تصاعده، وبمجرد انفجار الأزمة بادرت واشنطن بعودة الطرفين إلى ضبط النفس، مع الدعوة لتسوية الأزمة على نحو أقرب لوجهة النظر الهندية بمعنى دون أن تأخذ جهود التسوية شكل الوساطة الدولية أو التدويل على النحو الذى ترفضه الهند، ومن جانبه دعا الرئيس الأمريكى رئيس الوزراء الباكستانى نواز شريف إلى إصدار الأوامر للجيش بسحب المقاتلين الذين تسللوا إلى الشطر الهندى من كشمير[٤٦]، وبادر السفير الأمريكى فى نيودلهى بلقاء وزير الدفاع الهندى ليعرب عن قلق واشنطن العميق إزاء التوتر المتصاعد بين الهند وباكستان فى كشمير، ولكنه أكد فى الوقت نفسه على استبعاد أى دور للولايات المتحدة فى جهود التسوية، وأيضا عندما قام مساعد وزيرة الخارجية جيبسون لانفير بجولة مكوكية بين البلدين فى يونيو ١٩٩٩، كان حرصا على نفى أنه يقوم بوساطة، وإنما دعوة طرفى الأزمة إلى ضبط النفس والتحرك لتسوية الأزمة عبر المفاوضات المباشرة[٤٧]، ومارست واشنطن ضغوطا هائلة على باكستان حتى تسحب مقاتليها من الجزء الهندى من كشمير[٤٨]، وجاءت الضغوط مصحوبة بما أعلنت واشنطن أنها تمتلكه من صور للأقمار الصناعية تؤكد صحة الاتهامات الهندية لباكستان، وكانت واشنطن حريصة على ألا تأخذ جهودها أى صيغة توحى بأنها تمارس دور وساطة تمشيا مع وجهة النظر الهندية[٤٩].

وفى الوقت الذى تولت فيه واشنطن الضغط على باكستان ومطالبتها بسحب المتسللين، فان الصين أحجمت عن اتخاذ موقف متفهم لباكستان، فللمرة الأولى اتخذت الصين موقفا محايدا من الأزمة، وفشلت الزيارة التى قام بها وزير الخارجية الباكستانى لبكين فى العاشر من يونيو عام ١٩٩٩، فى حث القيادة الصينية على اتخاذ موقف داعم لبلاده[٥٠].

أما روسيا الاتحادية، فقد اكتفت على ما يبدو بما تمارسه واشنطن من ضغوط، وما قامت به الصين من التزام الحياد، ومن ثم انحصر رد فعلها فى التعبير عن القلق من احتمالات تدهور الموقف ودعوة طرفى الأزمة الى الحوار المباشر لتسوية ما بينهما من خلافات ومشاكل[٥١].

وقد لعبت واشنطن دورا كبيرا فى دفع الدول الصناعية الكبرى لإصدار بيانا ينتقد تسلل المقاتلين إلى الشطر الهندى من كشمير، وقد انتهت الأزمة بضغوط أمريكية هائلة على باكستان تضمنت دعوة رئيس وزرائها إلى واشنطن، وهى الزيارة التى انتهت لموافقة نواز شريف على الطلب الأمريكى بسحب المقاتلين الكشميريين والقوات وعناصر الجيش الباكستانى التى تسللت معهم، وهو الأمر الذى كان بمثابة المقدمة لحالة السخط التى سادت الجيش الباكستانى وانتهت بالإطاحة برئيس الوزراء على يد رئيس الأركان الجنرال برويز مشرف[٥٢]، وقد كشفت أزمة كارجيل عن أن باكستان صارت بمفردها فى مواجهة الهند، فالدول التى اعتادت مساندتها حرصت على التزام الصمت مثل الصين، وكانت مفردات الخطاب أقرب إلى الرؤية الهندية، أما الدول الحليفة إبان الحرب الباردة، أى واشنطن والدول الغربية، فقد تولت إدارة الأزمة والمطالبة بتسويتها وفق الرؤية الهندية، وفى الوقت الذى مارست فيه هذه الدول ضغوطا هائلة على باكستان، فإنها حرصت أيضا على تأكيد أن ما تقوم به لا يندرج تحت بند الوساطة حتى لا تغضب الهند التى ترفض أى شكل من أشكال الوساطة أو التدويل.[٥٣]

الخاتمة:

شهدت القضية الكشميرية خلال التسعينات العديد من التطورات لعل أهمها بشكل عام إعادة إحيائها مرة أخرى بقوة بعد فترة من الهدوء النسبى خلال الثمانينات لما ارتبط بها من أوضاع ساهمت أو أدت لهذا الإحياء مرة أخرى، كما ارتبطت بتطورات

أخرى على صعيد الداخل الكشميرى أو المواقف المختلفة من القضية وفى حين رأى البعض أن ظروف التسعينات أدت لتحسن الوضع الكشميرى بالنظر إلى انهيار الاتحاد السوفيتى القوى الداعمة للهند وإلى بروز الجمهوريات الإسلامية فى آسيا الوسطى باعتباره أمر يضيف لرصيد المسلمين فى آسيا من جانب وكرصيد سياسى ودبلوماسى لباكستان من جانب آخر، على جانب دعم القوات الأفغانية، إلى جانب تصاعد عمليات المقاومة فى كشمير وتزايد حركات المقاومة وما تؤدى إليه من إضعاف قدرات الهند الاقتصادية وكذلك إضعاف صورة الهند كدولة ديمقراطية على أساس الانتهاكات المستمرة التى تمارسها ضد المواطنين فى كشمير.

إلا أنه على صعيد آخر فإن الأوضاع لازالت متوترة وغير مستقرة رغم ما شهدته من محادثات بين الهند وباكستان والتى بدأت وتوقفت عدة مرات دون أن تسفر عن حل للمشكلة خاصة مع استمرار اختلاف وجهات النظر بين الدولتين بالنسبة لموقع القضية الكشميرية من العلاقات بينهما باعتبارها أساس هذه العلاقات- كما ترى باكستان وتصر على بحثها كخطوة أولى فى حين ترى الهند أهمية التركيز على الأوضاع الاقتصادية والتعاون الثنائى كخطوة أولى.

ويمكن القول أن قضية كشمير مثلت نموذجاً لصراع تأثر كنتيجة للنظام العالمى الجديد وانهيار الاتحاد السوفيتى خاصة لوجود دور مباشر له فى هذه المنطقة سواء فى علاقته بالهند أو انسحابه من أفغانستان، وكذلك محاولات الولايات المتحدة للعب دور هام فى هذه المنطقة الهامة خاصة بعد التفجيرات النووية الهندية الباكستانية وهى كلها الأمور التى تطرح استمرار الاهتمام بالقضية الكشميرية نتيجة لاستمرار هذه الظروف والمتغيرات مع احتمالات التصاعد المستمر إذا خرجت الأمور عن سيطرة أى من الأطراف المرتبطة بالأحداث، ومع طبيعة الأوضاع التى مرت بالمنطقة فى ظل أحداث الإرهاب الذى تعرضت له الولايات المتحدة فقد أدى ذلك إلى التأكيد على وجود ضغوط أمريكية وغربية على كل من الهند وباكستان لتسوية القضية الكشميرية وفى هذا الإطار تجدد الحديث عن صورة للتسوية أقرب إلى مقترحات ممثل الأمم المتحدة فى كشمير عام ١٩٥٠ أوين ديكسون والقاضى بتقسيم كشمير بين الأطراف المعنية من خلال الأخذ بالاستفتاء بالأقسام أو المناطق ومن ثم وضع كل قسم أو منطقة فى دولة حسب نتيجة

الاستفتاء بالأقسام أو المناطق ومن ثم وضع كل قسم أو منطقة فى دولة حسب نتيجة الاستفتاء فيها أو عبر خطة يتم بمقتضاها التسليم بأن بعض المناطق كان من المؤكد أن تصوت للانضمام إلى باكستان أو الهند وهكذا تحول كل منها دون تصويت فيها إلى دولة معينة والاستفتاء يجب أن يكون مقصوراً على المناطق غير المؤكدة التى ظهر أنها فى وادى كشمير وربما بعض المناطق المتاخمة.

من الواضح، أن حكومة نيودلهى ظلت طول سنين صراعها مع باكستان حول تلك القضية تعزز سيادتها على الجزء الواقع تحت سيطرتها من إقليم كشمير، وفقاً لما تقتضيه طبيعة المرحلة التى يمر بها النظام الدولى من ناحية، والظروف والأوضاع السياسية الداخلية والإقليمية بالنسبة لطرفى الصراع من ناحية أخرى، فتارة ما تلجأ إلى الوسائل العسكرية وشبه العسكرية، وتارة أخرى عبر وسائل دعائية وسياسية، مستفيدة فى ذلك من تلك الأجواء الملائمة التى يوفرها لها الطرف الباكستانى، سواء من خلال سوء إدارته للصراع، أو من خلال أوضاعه السياسية وإمكانياته الإستراتيجية التى تفرض عليه نمطاً معيناً من العلاقات مع العالم الخارجى، الأمر الذى ينعكس فى النهاية على طريقه إدارته للصراع وإستراتيجيات التعامل مع الخصم.

غير أن السنوات القليلة الماضية من تاريخ الصراع، والتى بدأت تحديداً مع وصول الإئتلاف الحكومى الذى يقوده حزب بهاراتيا جاناتا إلى السلطة، قد فرضت معطيات جديدة وتحديات عديدة أمام صانع القرار فى نيودلهى، الأمر الذى يؤثر على الموقف الهندى عموماً من قضية كشمير، فحكومة اتيال بيهارى فاجباى تعانى من مشكلات اقتصادية وسياسية ليست بالهينة، خصوصاً بعد أن استشرى الفساد فى مختلف مؤسسات الدولة الهندية مع تورط رموز ومسئولين سياسيين فى الحكومة فى صفقات وعمليات مشبوهة وسط تراجع اقتصادى ملحوظ، تزامن ذلك مع تورط بعض أقارب فاجباى نفسه فى أعمال الفساد وتلك الصفقات والعمليات المشبوهة، الأمر الذى أسفر عن تراجع شعبية حكومة فاجباى بعد تزايد حدة الانتقادات الموجهة إليها، حيث أظهرت استطلاعات للرأى أجريت فى شهر أغسطس الماضى مدى تراجع شعبية حكومة فاجباى أمام تصاعد شعبية حزب المؤتمر المعارض وحلفائه، وهو ما دفع فاجباى الذى يرأس ائتلافاً حكومياً مكوناً من ٢٠ حزباً سياسياً نحو قرار الاستقالة الذى أقنعه ائتلافه

بالعدول عنه، والمثير فى الأمر، أن ذلك الجو المفعم بالتوتر والأزمات الذى يعيشه فاجباى، إلى جانب الخسائر التى تمنى بها قواته يومياً فى كشمير، لا تشكل أية ضغوط عليه حتى يعيد حساباته أو يغير من موقفه الراسخ والقائم على اعتبار كشمير جزءاً لا يتجزأ من الأراضى الهندية، ذلك أن حالة الاستياء الشعبى من أداء حكومته، قد صاحبها موجه عاتية من الإصرار على الموقف الهندى الثابت من قضية كشمير، إذ أن هناك قطاع لا بأس به بين صفوف الشعب الهندى يمثله بعض القوميين الهندوس الذين يصرون على رفض أية تنازلات لباكستان بخصوص كشمير، فضلاً عن عدم التهاون مع الإرهاب فى الإقليم.

وبذلك، يصبح التشدد سمة دائمة لموقف فاجباى وحكومته تجاه قضية كشمير حتى لا يزداد سخط الشعب والقوى السياسية المختلفة فى بلاده، وحتى لا يتبدد ائتلافه الحكومى الهش، الذى بات مقروناً فى وحدته بوحدة الأراضى الهندية- بما فيها كشمير- حيث بات خروج أى حزب أو قوة سياسية من الائتلاف الحكومى وكأنه بمثابة تنازل هندى عن كشمير، فكلاهما سوف يفضى إلى فتح الباب على مصراعيه أمام تفسخ وحدة البلاد، وتهديد استقرارها.

وخلاصة القول، إن الموقف الهندى من قضية كشمير والصراع حولها يتمثل فى سعى نيودلهى إلى البحث عن سبل لإدارة الصراع حول كشمير على محو يخدم ويعظم مصالحها الإستراتيجية دون أن تحرص على إيجاد تسوية أو حل نهائى لهذا الصراع يمكن أن يفقدها سيطرتها على معظم مناطق الإقليم، لذلك، حرص فاجباى على المضى قدما فى سياسته إزاء قضية كشمير، وهى السياسة القائمة على التمسك بوحدة أراضى الهند بما فيها كشمير الهندية، وعدم السماح بمناقشة هذا الأمر أو المزايدة عليه من جانب أى طرف من ناحية، مع مواربة الباب أمام الباكستان للإبقاء على الحوار معها فى أية قضية، فخلاف قضية كشمير، من ناحية أخرى، وتمضى هذه السياسة بمصاحبة استراتيجية دعائية تعتمد على إلقاء الكرة فى الملعب الباكستانى عن طريق تحميل إسلام أباد مسئولية انتشار الإرهاب وعدم الاستقرار فى إقليم كشمير وفى المنطقة برمتها. وهذا ما عبر عنه رئيس الوزراء الهندى ايتال بيهارى فاجباى فى مناسبتين: الأولى، يوم ٧ أغسطس من عام ٢٠٠١ أمام البرلمان الهندى عندما قال: "سوف نتعامل بصرامة مع باكستان فى أية محادثات مستقبلية بعد فشل قمة أجراء وسنستمر فى

عملية السلام، لكننا سنتخذ موقفاً صارماً، وسوف نصنع مصالح بلادنا ووحدة أراضيها في عقولنا جيداً، وعلى باكستان أن تغسل يديها أولاً من الإرهاب عبر الحدود... وهي قادرة على ذلك وعليها أن تفعل".

والثانية، كانت إبان احتفال بلاده بذكرى الاستقلال في يوم ١٥ أغسطس من عام ٢٠٠١ أيضاً حينما قال: "إن مشرف يعوق تطور العلاقات الهندية - الباكستانية، لأنه يجعل من قضية كشمير الموضوع الوحيد في جدول أعمال هذه العلاقات، كما أنه يقدم قضية كشمير على تطبيع العلاقات بين البلدين وهذا خطأ لا نقبله".

الهوامش:

(١) بشأن الجذور التاريخية للصراع فى كشمير ، أنظر:

James Ferguson, Kashmir: an Historical Introduction (London: Centaur Press, 1961), & N. N. Raina, Kashmir Politics and Imperialist Maneuvers, 1846-1980 (New Delhi: Patriot Ibid. PP. 14-16.

(٢) للاستزادة فى هذه الجزئية أنظر:

Robert Wirising, India, Pakistan, and the Kashmir Dispute: on regional conflict and its resolution (New York: St. Martin's Press, 1994), & Sumit Gangulty, The Crisis in Kashmir: Potents of War, hopes of peace (Washington, D.C. & Cambridge; New York: Woodrow Wilson Center Press & Cambridge University Press, 1997).

(٣) Bal Raj Madhok, Kashmir: The Strom Center of the World (Houston, Texas: A Ghosh Publisher, 1992), P. 25-26.

(٤) ممدوح عطية، "القدرات النووية الهندية... وتطورها"، السياسة الدولية، عدد ١٣٣، يوليو ١٩٩٨، ص ٢٤٤.

(٥)-Strobe Talbott, "Dealing With The Bomb in South Asia", Foreign Affairs, Vol. 78, No. 2. March/April 199, P. 115.

(٦) سعد الدين على رؤوف، الحرب الهندية – الباكستانية ١٩٧١/١٢/٣-١٩٧١/١٢/١٧، رسالة دكتوراه، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٨١، المجلد الثانى، ص ٧٤٧-٧٤٨.

(٧) كمال شديد : القدرات النووية الباكستانية وتطورها ، السياسة الدولية ، ص ٢١٦-٢٤٧ .

(٨) مجدى على عطية : المأزق الامنى الباكستانى والخيار النووى ، السياسة الدولية ، العدد ٨٤ ، أبريل ١٩٨٦ ، ص ٥٢١ .

(٩) سمير محمد عبد الوهاب : الصراع النووى بين الهند وباكستان ، السياسة الدولية، العدد ٨٢ ، اكتوبر ١٩٨٥ ، ص ١٩٣ .

(١٠) جمال الدين محمد على : باكستان والخيار الصعب بين القنبلة النووية والمساعدات الامريكية ، السياسة الدولية ، العدد ٨٩ ، يوليو ١٩٨٧، ص١٩٧.

(١١)- Dekha Datta, " U . S Security in India and Pakistan and The question of Nuclear Proliferation ", Journal of South Asian and Middle Eastern Studies , VoI. Xxi, No. 2 , Winter 1998 , pp. 27-28 .

(١١)- Neil Joek , "Nuclear Development in India and Pakistan , Access " Asia Review , voI. 2 , No . 2, July , 1999 .

(١٢)- Samina Ahmed , David Cortright, and Amitabh Mattoo , " Public Opinion and Nuclear Options for South Asia " , Asian Survey , VoI. xxxvIII , No. 8, August 1998 , pp. 728-780

(١٣) هانى ألياس الحديثى : سياسة باكستان الاقليمية ١٩٧١-١٩٩٤ ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٨ ، ص ٢١٢ .

(١٤) هانى الياس الحديثى : مرجع سابق ، ص ١١٦-١١٧ .

(١٥) احمد ابراهيم محمود : دوافع التحول واهداف التجارب النووية الهندية والباكستانية ، السياسة الدولية ، العدد ١٣٣ ، يوليو ١٩٨ ، ص ٢٥١-٢٥٢ .

(١٦) المرجع السابق ، ص ٢٥٤-٢٥٥ .

(١٧) فوزى حماد وعادل محمد احمد : الابعاد الاستراتيجية الدولية للتفجيرات النووية الهندية والباكستانية، السياسة الدولية، العدد ١٣٣، يوليو ١٩٩٨، ص٢٦١-٢٦٢

(١٨) انظر نص خطاب رئيس وزراء الهند امام الجمعية العامة للامم المتحدة فى ٢٤ سبتمبر ١٩٩٨ فى :

- India News, press Release No. 135-25September in Egypt .

(١٩)- Sipri Yearbook 1999 , 0p.cit., p 384 .

(٢٠)– Jaswant Singh, " Against Nuclear Apartheid ", Foreign Affairs, VoI. 77 , No. 5 , September / October 1999 , pp 49-50.

(٢١) لتفاصيل أكثر فى مجال التسلح الصاروخى بين البلدين والمدى الـذى يمكـن ان يصل اليه هذا السباق انظر :

– سامر علاوى : بعد التجارب النووية والبرنامج الصاروخى الباكـستانى يحقـق تفوقا نوعيا واستراتيجيا على نظيره الهندى ، كشمير المسلمة ، العدد ٨٤ ، يونيو ١٩٩٩ ، ص ١٦-٢٠ .

(٢٢) زكريا حسين : الاثار الاستراتيجية الاقليمية للتجارب النووية الهندية الباكستانية ، السياسة الدولية العدد ١٣٣ ، يوليو ١٩٩٨ ، ص ٢٥٧-٢٥٨ .

(٢٣) سامر علاوى : كشمير ٩٨ وانحسار هندى وظهور القضية على الخريطة الدولية وكشمير المسلمة ، العدد ٨١ ، فبراير ١٩٩٩ ، ص ٢٨ .

(٢٤) المرجع السابق ، ص ٢٩ .

(٢٥) أليف الدين الترابى : لا حل ل " كارجيل " الا بحـل قـضية كـشمير " وكـشمير المسلمة ، العدد ٨٥ يوليو ١٩٩٩ ، ص ٥ .

(٢٦) شريف عابدين : الهند وباكستان انعدام مزمن ، الاهرام ، ٢٠٠٠/١٢/٢٩ .

(٢٧) انظر فى جذور الوعى السياسى الكشميرى وتطـوره وتوجهـات تنميـة البيئـة الاجتماعية والاقتصادية لكشمير منذ منتصف القرن التاسع عشر وتفاعلاتهـا مـع النفوذ البريطانى خاصة فى الفترة ما بين عامى ١٩٢٤ و ١٩٣١ هـذه الدراسـة الهامة التى هى من الاصـل رسـالة دكتـوراة ,Upendra Kishen Zutshi– Emergence of Political Awaking in Kashmir, New Delhj, Manohar , 1986, pp. 4-18& pp. 183-228.

(٢٨) سمعان بطرس فرج الله : قضية كشمير بين الهند وباكستان ، السياسة الدولية ،

يناير ١٩٦٦ ، ص ٢٨ .

(٢٩) صوت الشرق : العدد ٤١٢ يوليو – اغسطس ١٩٩٩ ، ص ٢٧ .

(٣٠) سعد الدين على رؤوف : الحرب الهندية الباكستانية عام ١٩٧١ ، رسالة دكتوراة مقدمة الى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٨١ ، ص٦-٧.

(٣١) المرجع السابق ، ص ١١.

(٣٢) اليف الدين الترابى : ماذا وراء المباحثات الهندية الباكستانية ، وكشمير المسلمة ، العدد ٧٣ ، يوليو ١٩٩٩ ، ص ٢٤١ .

(٣٣) بشير عبد الفتاح : الصراع الهندى الباكستانى حول كشمير ، السياسة الدوليـــة ، العدد ١٣٧ ، يوليو ١٩٩٩ ، ص ٢٤١ .

(٣٤) الاهرام ، ٢٠٠٠/٨/٢١ :.

(٣٥) البيان ، ٢٠٠٠/٨/١٦ .

(٣٦) الاهرام ، ٢٠٠١/٩/٨ .

(٣٧) مامر علاوى : العلاقة المتأزمة بين القوات الهندية والشرطة الكـشميوية تنـــذر بالانفجار ، كشمير المسلمة ، العدد ٨٣ ، ابريل ١٩٩٩ ، ص ١٤ .

(٣٨) استر لامب : كشمير ميؤاث متنازع عليه ١٩٤٧-١٩٩٠ ، ترجمة د سهيل زكار ، دمشق :١٩٩٢ ، ص ٤٥١ .

(٣٩) محمد صلاح الدين : ديمقراطية الهند فى كشمير ، كشمير المسلمة ، العدد ٨٣ ، السياسة الدولية ، ابريل ١٩٩٩ ، ص ١٥ .

(٤٠) الاهرام ، ٢٠٠٠/٧/٨ .

(٤١) صوت الشرق ، مرجع سابق .

(٤٢) طاهر امين : المقاومة الشعبية فى كشمير : الجذور ، التطور ، الخيارات ، اسلام اباد ، معهد الدراسات السياسية ، مؤتمر العالم الاسلامى ، ١٩٩٥ ، ص ٥٧-٥٨.

(٤٣) جمال محمد على : مشكلة كشمير واحتمالات النزاع المسلح ، السياسة الدولية ، القاهرة ، العدد ١٠١ ، يوليو ١٩٩٠ ، ص ١٩٣-١٩٤ .

(٤٤) طاهر امين : مرجع سابق ، ص ١٦٤ .

(٤٥) احمد طه محمد : الصراعات الاقليمية فى اسيا ، سلسلة اوراق اسيوية ، مركز الدراسات الاسيوية جامعة القاهرة ، العدد ٦ فبراير ١٩٩٦ ، ص ٢١ .

(٤٦) رياض الصمد : العلاقات الدولية فى القرن العشرين ، بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٦ ، ص ١٨١ .

(٤٧)احمد دياب : الموقف الامريكى من أزمة كشمير ، الابعاد والدلالات ، السياسة الدولية ، العدد ١٣٨ ، اكتوبر ١٩٩٩ ، ص ٢٢١ .

(٤٨) مختار عبد الله شعيب : العلاقات الامريكية _ الباكستانية فى مرحلة ما بعد الحرب الباردة ، السياسة الدولية ، العدد ١٢٢ ، اكتوبر ١٩٩٥ ، ص ١٧٨ .

(٤٩) علاء سالم : دلالات القمة الامريكية الهندية ، ملف الاهرام الاستراتيجى ، العدد ٧٠ ، اكتوبر ٢٠٠٠ ، ص ٩٣-٩٤ .

(٥٠) محمد السعيد ادريس : باكستان واستراتيجية التوازن الاقليمى فى جنوبى اسيا ، السياسة الدولية ، العدد ٩٨ ، ١٩٨ ، ص ١٧٧ .

(٥١) طارق دحروج : التطورات السياسية فى باكستان ، السياسة الدولية ، يوليو ١٩٩٣ ، ص ١٨٠ .

(٥٢) احمد ناجى قمحة : العنف الاسلامى الهندوسى ، السياسة الدولية ، يوليو ١٩٩٣، ص١٣١.

(٥٣)- Mohamed EL Sayed Selim , The Muslim World and the Kashmir issue , Bulletin of Himalayan Research and Cultural Foundation , Vol , 1 , No. 2 Summer 1996 , p 9 .

المراجع العربية والاجنبية :

اولا المراجع العربية :

(١) احمد ابراهيم محمود : دوافع التحول واهداف التجارب النووية الهندية والباكستانية ، السياسة الدولية ، العدد ١٣٣ ، يوليو١٩٨٨ .

(٢) احمد دياب : الموقف الامريكى من أزمة كشمير ، الابعاد والدلالات ، السياسة الدولية ، العدد ١٣٨ ، اكتوبر ١٩٩٩ .

(٣) احمد طه محمد : الصراعات الاقليمية فى اسيا ، سلسلة اوراق اسيوية ، مركز الدراسات الاسيوية جامعة القاهرة ، العدد ٦ فبراير ١٩٩٦ .

(٤) استر لامب : كشمير ميراث متنازع عليه ١٩٤٧-١٩٩٠ ، ترجمة د سهيل زكار ، دمشق :١٩٩٢.

(٥) أليف الدين الترابى : لا حل ل " كارجيل " الا بحل قضية كشمير " وكشمير المسلمة ، العدد ٨٥ يوليو.

(٦) اليف الدين الترابى : ماذا وراء المباحثات الهندية الباكستانية ، وكشمير المسلمة ، العدد ٧٣ ، يوليو ١٩٩٧ .

(٧) بشير عبد الفتاح : الصراع الهندى الباكستانى حول كشمير ، السياسة الدولية ، العدد ١٣٧ ، يوليو ١٩٩٩.

(٨) جمال الدين محمد على : باكستان والخيار الصعب بين القنبلة النووية والمساعدات الامريكية ، السياسة الدولية ، العدد ٨٩ ، يوليو ١٩٨٧.

(٩) جمال محمد على : مشكلة كشمير واحتمالات النزاع المسلح ، السياسة الدولية، القاهرة ، العدد ١٠١ ، يوليو ١٩٩٠ .

(١٠) زكريا حسين : الاثار الاستراتيجية الاقليمية للتجارب النووية الهندية الباكستانية ، السياسة الدولية العدد ١٣٣ ، يوليو ١٩٩٨.

(١١) سامر علاوى : كشمير ٩٨ وانحسار هندى وظهور القضية على الخريطة الدولية وكشمير المسلمة ، العدد ٨١ ، فبراير ١٩٩٩ .

(١٢) سامر علاوى : كشمير ٩٨ وانحسار هندى وظهور القضية على الخريطة الدولية وكشمير المسلمة ، العدد ٨١ ، فبراير ١٩٩٩.

(١٣) سعد الدين على رؤوف، الحرب الهندية – الباكستانية ١٩٧١/١٢/٣- ١٩٧١/١٢/١٧، رسالة دكتوراه، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ١٩٨١، المجلد الثانى.

(١٤) سعد الدين على رؤوف : الحرب الهندية الباكستانية عام ١٩٧١ ، رسالة دكتوراة مقدمة الى كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، ١٩٨١.

(١٥) سمعان بطرس فرج الله : قضية كشمير بين الهند وباكستان ، السياسة الدولية، يناير ١٩٦٦.

(١٦) سمير محمد عبد الوهاب : الصراع النووي بين الهند وباكستان ، السياسة الدولية ، العدد ٨٢ ، أكتوبر ١٩٨٥.

(١٧) شريف عابدين: الهند وباكستان انعدام مزمن ، الأهرام ، ٢٠٠٠/١٢/٢٩ .

(١٨) طاهر أمين : المقاومة الشعبية فى كشمير : الجذور ، التطور ، الخيارات ، إسلام أباد ، معهد الدراسات السياسية ، مؤتمر العالم الاسلامى ، ١٩٩٥.

(١٩) محمد السعيد إدريس : باكستان واستراتيجية التوازن الاقليمى فى جنوبي آسيا، السياسة الدولية ، العدد ٩٨ ، ١٩٨٦ .

(٢٠) علاء سالم : دلالات القمة الامريكية الهندية ، ملف الاهرام الاستراتيجى ، العدد ٧٠ ، اكتوبر ٢٠٠٠.

(٢١) فوزى حماد وعادل محمد احمد : الابعاد الاستراتيجية الدولية للتفجيرات النووية الهندية والباكستانية ، السياسة الدولية ، العدد ١٣٣ ، يوليو ١٩٩٨.

(٢٢) محمد السعيد ادريس : باكستان واستراتيجية التوازن الاقليمى فى جنوبى اسيا ، السياسة الدولية ، العدد ٩٨ ، ١٩٨٨ .

(٢٣) محمد صلاح الدين : ديمقراطية الهند فى كشمير ، كشمير المسلمة ، العدد ٨٣، السياسة الدولية ، ابريل ١٩٩٩.

(٢٤) مختار عبد الله شعيب : العلاقات الامريكية _ الباكستانية فى مرحلة ما بعد الحرب الباردة ، السياسة الدولية ، العدد ١٢٢ ، اكتوبر ١٩٩٥.

(٢٥) ممدوح عطية، "القدرات النووية الهندية... وتطورها"، السياسة الدولية، عدد ١٣٣، يوليو ١٩٩٨.

(٢٦) كمال شديد : القدرات النووية الباكستانية وتطورها ، السياسة الدولية .

(٢٧) هانى ألياس الحديثى : سياسة باكستان الاقليمية ١٩٧١-١٩٩٤ ، بيروت ، مركز دراسات الوحدة العربية ، ١٩٩٨.

المراجع الاجنبية :

(28) – Dekha Datta, " U . S Security in India and Pakistan and The question of Nuclear Proliferation ", Journal of South Asian and Middle Eastern Studies , VoI. Xxi, No. 2 , Winter 1998

(29) – Jaswant Singh, " Against Nuclear Apartheid ", Foreign Affairs, VoI. 77 , No. 5 , September / October 1999

(30) James Ferguson, Kashmir: an Historical Introduction (London: Centaur Press, 1961), & N. N. Raina, Kashmir Politics and Imperialist Maneuvers, 1846-1980 (New Delhi: Patriot Ibid.

(31) – Mohamed EL Sayed Selim , The Muslim World and the Kashmir issue , Bulletin of Himalayan Research and Cultural Foundation , VoI , 1 , No. 2 Summer 1996

(32) – Dekha Datta, " U . S Security in India and Pakistan and The question of Nuclear Proliferation ", Journal of South

Asian and Middle Eastern Studies , VoI. Xxi, No. 2 , Winter 1998

(33) Robert Wirising, India, Pakistan, and the Kashmir Dispute: on regional conflict and its resolution (New York: St. Martin's Press, 1994), & Sumit Gangulty, The Crisis in Kashmir: Potents of War, hopes of peace (Washington, D.C. & Cambridge; New York: Woodrow Wilson Center Press & Cambridge University Press, 1997

(34) - Samina Ahmed , David Cortright, and Amitabh Mattoo , " Public Opinion and Nuclear Options for South Asia " , Asian Survey , VoI. xxxvIII , No. 8, August 1998

(35) -Strobe Talbott, "Dealing With The Bomb in South Asia", Foreign Affairs, Vol. 78, No. 2. March/April 1999.

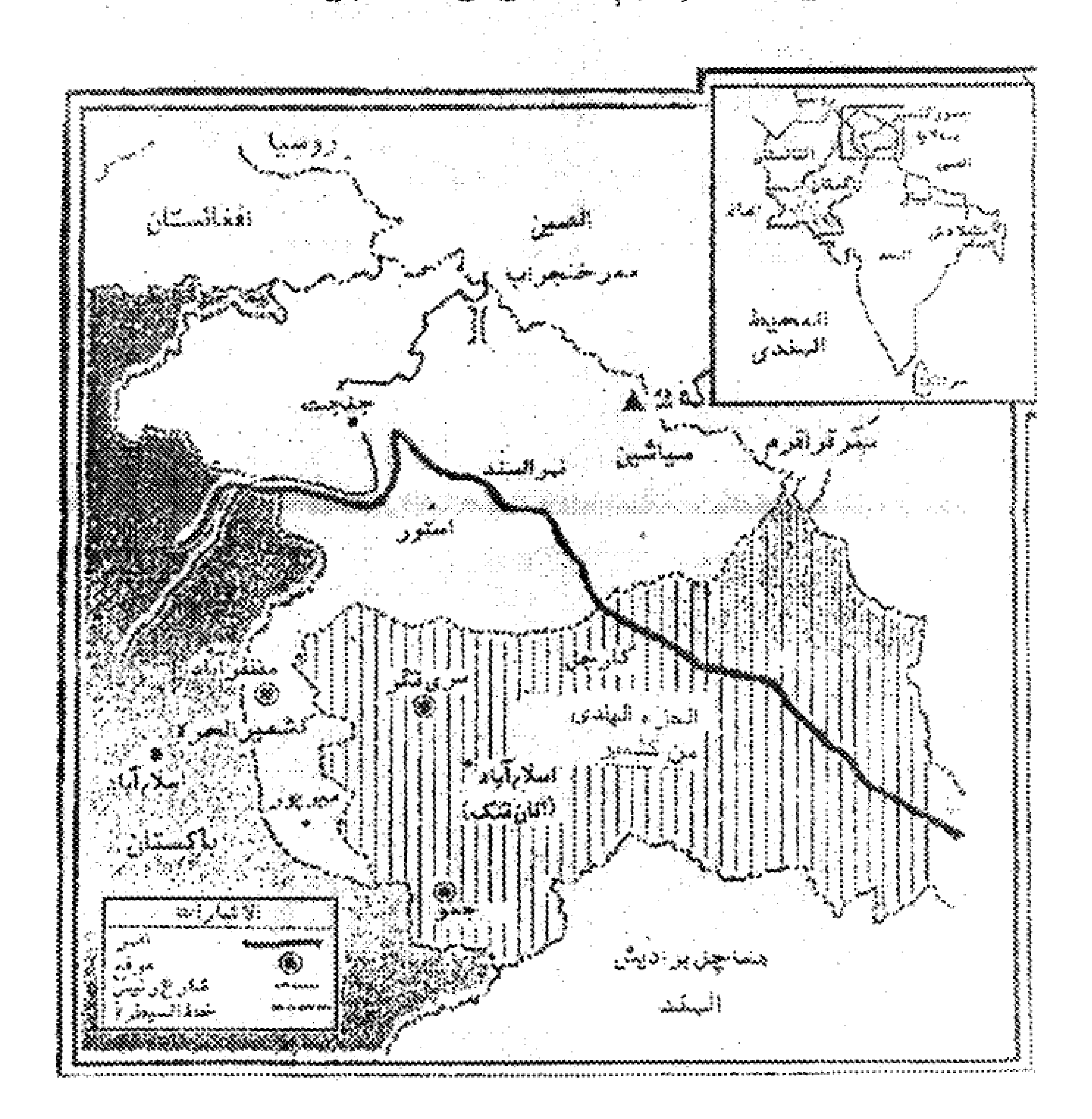
(36) –Upendra Kishen Zutshi, Emergence of Political Awaking in Kashmir, New Delhj, Manohar , 1986,

الملاحق

صورة رقم (١)

خريطة رقم (١/١)

خريطة إقليم جامو وكشمير



كشاف مجلة المؤرخ المصري

منذ إنشائها عام ١٩٨٨ حتى ٢٠٠٧

شيماء فرغلي
باحثة بقسم التاريخ جامعة القاهرة

مقدمة :

تعد مجلة " المؤرخ المصري " إحدى قنوات النشر العلمي المتخصصة التي توفر للباحثين فرص نشر بحوثهم ودراساتهم . وبعد مرور تسعة عشر عاماً على إصدار العدد الأول من المجلة فقد أثبتت صدارتها بين الدوريات التاريخية المتخصصة، وشهد لها المتخصصون بالتفوق في ميدان البحث التاريخي.

ونظراً لغزارة الإنتاج الفكري للمجلة آثرت القيام بإعداد كشاف يهدف إلى رصد وحصر مقالات المجلة والتعريف بها بشكل منظم يسهّل عملية الرجوع إليها، ومساعدة الباحثين من أساتذة ومفكرين ومن في حكمهم على الوصول إلى محتوياتها.

واستخدمت أهم أنواع الكشافات التي تلبي احتياجات الباحثين وهي : كشاف المؤلفين وكشاف الموضوعات. ويحوي الأول جميع أسماء المؤلفين الذين نشرت لهم مقالات داخل المجلة في المدخل الرئيسي، ضمن ترتيب الفبائي محكم على حروف أسمائهم، أما الكشاف الموضوعي فقد قمتُ بإعداده تبعا لخطة تصنيف معينة تلاءم التخصصات التاريخية المختلفة وما يندرج تحتها من فروع.

وسوف نلحق هذا الكشاف بدراسة نقدية ببليوجرافية في العدد القادم.

كشاف المؤلف

- **إسماعيل محمد زين الدين :**
  - " محمد مندور وفكره السياسي والاجتماعي"، العدد الثاني، يوليو ١٩٨٨، ص ص١١٩-١٥٢ .
  - " الصناعة في عهد إسماعيل "، العدد الرابع ،يوليو ١٩٨٩، ص ص٣٢١-٣٥٨.
- **ألنوم الطالب محمد يوسف :**
  - " فتح إقليم السند وانتشار الثقافة العربية الإسلامية "، العدد الرابع ،يوليو ١٩٨٩، ص ص ٥٥-١٠٨ .
- **أميرة علي وصفي مدام :**
  - "خيرات ماه بيكر كوسم والدة سلطان ووقفيتها لخدمة الحرمين الشريفين صورة للتضامن الاجتماعي والديني خلال العصر العثماني (١٠٢٦هـ-١٦١٧م- ١٠٤٩هـ/١٦٣٩م) "، العدد الرابع والعشرون، يناير ٢٠٠١، ص ص٢٩١-٣٣٢.
- **أميرة مصطفى أمين يوسف :**
  - " كونرادين وعرش الصقليتين "، العدد الخامس والعشرون، يناير ٢٠٠٢، ص ص٨١-١٠٤.
- **آمنة بن حسين جلال :**
  - " الإصلاح الداخلي في الولايات الإسلامية في عهد الوليد بن عبد الملك "، العدد السادس والعشرون، يناير ٢٠٠٣، ص ص٧٧-١٢٧.
- **آمال منصور محمود :**
  - " أدوات الفتح والغلق في الفنون الإسلامية في ضوء مجموعة مختارة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة "، العدد الثامن والعشرون، يناير ٢٠٠٥، ص ص٤٧١-٥١٧.
- **إبراهيم جلال :**
  - " موقف النظام العنصري في اتحاد جنوب أفريقيا من قضايا التنمية الأفريقية .. دراسة وثائقية لتقرير لجنة توملينسون ١٩٥٠-١٩٥٤م "،

العدد السابع والعشرون، يناير ٢٠٠٤، ص ص٣٢٣-٣٧٢.

- **إبراهيم عبد العزيز الجندي :**
  - إنتاج الطوب بين الاحتكار الحكومي والإنتاج الحر في مصر في العصر الروماني في ضوء الوثائق البردية " ،العدد الثالث والعشرون، يناير ٢٠٠٠، ص١١- ٢٩ .
- **إبراهيم محمد شهداد :**
  - "مسألة خلافة الحكم في قطر ١٩٥٠-١٩٦٠"، العدد الثاني والعشرون، يوليو ١٩٩٩، ص ص١١-٣٩.
- **إبراهيم بن محمد الحمد المزيني :**
  - " بيت المقدس عند ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان "، العدد العشرون، يوليو ١٩٩٨، ص ص١١-٤٣.
- **إلهام حسين دحروج :**
  - " سلوكيات الأعوان في عصر الأمارة الأموية بالأندلس"، العدد الخامس والعشرون، يناير ٢٠٠٢، ص ص ٣٧-٤٧.
  - " قداسة وعروبة القدس عبر العصور"، العدد الخامس والعشرون، يناير ٢٠٠٢، ص ص٩-٣٥.
  - " مدينة طبنة من ظهور الفاطميين حتى معركة سبيبه "، العدد السادس والعشرون، يناير ٢٠٠٣، ص ص١٢٩-١٨٨.
- **إلهام محمد ذهني :**
  - " مديرية دنقلة في ظل الحكم المصري (١٨٢٠-١٨٧٩) "، العدد الثاني، يوليو ١٩٨٨، ص ص١٥٣-١٩٧ .
- **إيمان محمد عامر :**
  - " أصداء المعاهدة السورية الفرنسية عام ١٩٣٦ في الصحف المصرية "، العدد الثاني والعشرون، يوليو ١٩٩٩، ص ص٤١-١٠٢.
- **أيمن فؤاد سيد :**
  - " العرب وطريق الهند حتى أواسط القرن السادس "، العدد الثامن، ينـاير

١٩٩٢، ص ص٦٥-٨١ .

- **بدر عبد الرحمن محمد :**
  - " شرق الدلتا منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي "، العدد الرابع، يوليو ١٩٨٩، ص ص١١-٥٤ .
- **بنيان سعود تركي :**
  - " الجالية الهندية في شرق أفريقيا بين هامرتون والسيد سعيد (١٨٢٣-١٨٥٦) "، العدد الثالث عشر، يوليو ١٩٩٤، ص ص١١-٦٢ .
- **تمام همام تمام :**
  - " الجهود العربية المضادة للنفوذ البرتغالي في المحيط الهندي (١٤٩٨-١٧٣٠) "، العدد الرابع ،يوليو ١٩٨٩، ص ص١٤٧-٢٠٣ .
- **جمال عبد الكريم :**
  - " الموريسكيون – تاريخهم وآدابهم " ،العدد الخامس، ينـاير ١٩٩٠، ص ص٨٣-١١٥ .
  - " دور الثقافة العربية في البحر الأبيض المتوسط " صقلية والأندلس خلال العصور الذهبية للإسلام في الغرب "، العدد التاسع عشر، ينـاير ١٩٩٨، ص ص١١-٤٨.
- **جيرى ل .باكاراك سهام محمد المهدي :**
  - " دراسة في النقود الفاطمية" ،العدد العاشر، ينـاير ١٩٩٣، ص ص١٠٧-١١٩ .
- **حسن أحمد عبد الجليل البطاوي :**
  - " رحلات الحجاج الأوربيين إلى الدول الصليبية فـي الـشرق الإسـلامي (٤٩٢-٥٨٣ هـ / ١٠٩٩-١١٨٧م) "، العدد السادس والعشرون، يناير ٢٠٠٣، ص ص ١٨٩-٢٢٩ .
- **حسني نويصر :**
  - " مئذنة بلا مسجد "، العدد الأول ،يناير١٩٨٨، ص٥٣-٩٤.
  - " مضامين شريفة بنصوص تأسيس المدرسة الأشرفية برسباي بالقـاهرة

(دراسة معمارية حضارية) "، العدد الخامس، يناير ١٩٩٠، ص ص٢١٧-٢٧٢.

- **حسن خضيرى أحمد :**
  - " مدينة سبتة وخططها في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي "، العدد الرابع عشر، يناير ١٩٩٥، ص ص ١٧٥-٢١٧ .
  - " مدينة بلرم وحياتها الفكرية في عصر السيادة الفاطمية "، العدد الرابع والعشرون، يناير ٢٠٠١، ص ص ٨٩-١٢٨.
- **حسين سيد عبد الله مراد :**
  - " الحياة الثقافية في الدولة الحفصية في القرن ٧هـ/١٣م في ضوء رحلة العبدري "، العدد الثالث عشر، يوليو ١٩٩٤، ص ص٢١٧-٢٦١ .
- **حسين على المسرى :**
  - " نجران ودورها السياسي والاقتصادي "، العدد التاسع، يوليو ١٩٩٢، ص ص٤١-١٠٠ .
- **حسين محمد عطية :**
  - " عشر صلاح الدين وأصوله التاريخية في غرب أوربا ومملكة بيت المقدس الصليبية "، العدد السادس، يناير ١٩٩١، ص ص١١٥-١٧٦.
- **حصة عبد الرحمن الجبر :**
  - " معاملة الأراضي في عهد الرسولﷺ "، العدد السادس والعشرون، يناير ٢٠٠٣، ص ص١٣-٣٨.
- **حمد بن صالم السعيباني :**
  - " اليسع الغافقي وجهوده في البحث التاريخي "، العدد الحادي والعشرون، يناير ١٩٩٩، ص ص ١١-٧٥.
- **حورية عبده سلام:**
  - " دراسة تحليلية لعوامل قيام وأفول الدويلات المستقلة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجريين "، العدد التاسع عشر، يناير ١٩٩٨، ص ص ٤٩-٧٠.

- " دور البصرة في الحركة الإباضية في القرنين الأول والثاني الهجريين "، العدد العشرون، يوليو ١٩٩٨، ص ص٤٥-٧٤.
- " المصريون والدعوة الشيعية منذ قيام الدولة العباسية حتى نهاية القـــرن الرابع الهجري "، العدد الخامس، يناير ١٩٩٠، ص ص٣٣-٥٧.

• **حياة محمد البسام:**

- " النفوذ البريطاني في الخليج العربي وموقف الدولة العثمانية منه "، العدد الخامس عشر، يوليو ١٩٩٥ ،ص ص١٠٧-١٣٩ .

• **حياة ناصر الحجي:**

- " بعض الملاحظات حول مسار نظام الحكم في سلطنة المماليك البحرية "، العدد الثامن عشر، يوليو ١٩٩٧، ص ص١١-٢٦.

• **أبو الحمد محمود فرغلي:**

- " آثار فنية إسلامية من لعبة الشطرنج"، العدد السادس، يناير ١٩٩١، ص ص١٧٧-٢١٤.

• **خالد بن خلفان بن ناصر الوهيبي:**

- " الصراع بين المماليك البحرية والقوى الأوروبية فـــي البحـــر المتوســـط (٦٦٩هـــ /١٢٧٠م - ٧٨٧هـــ/١٣٨٥م) "، العدد الخامس والعـــشرون، يناير ٢٠٠٢، ص ص٢١٧-٢٥٨ .

• **دانيال كرسيليوس، و حمزة عبد العزيز بدر:**

- " شحنة غلال مصرية إلى الكلار الـــسلطاني باســـتانبول١٧٦٣م " ،العـــدد العاشر، يناير ١٩٩٣ ،ص ص١١-٢٥.

• **راضي عبد الله عبد العليم:**

- " تصفية المقاومة الأموية في العراق ومصر والشام "، العدد الثاني، يوليو ١٩٨٨، ص ص ١١-٢٥ .
- " التدخل النورماندي في بلاد المغرب"، العدد الثالـــث، ينـــاير ١٩٨٩، ص ص٢١١-٢٤٦ .
- " المغرب في العصر الأموي(٤٠-١٣٢هـــ)"، العدد العاشر، يناير ١٩٩٣،

ص ص١٢١-١٧٨ .

- " المجتمع الأندلسي في عصر الولاة ٩٢-١٣٨هـ "، العدد الثاني عشر، يناير ١٩٩٤، ص ص١٢١-١٥٧ .

- **رجب سلامة عمران :**
  - الفكر العسكري الروماني بين الدفاع والهجوم والتوسع حتى نهاية الحرب البونية الثانية ٥٠٩-٢٠٢ ،العدد التاسع والعشرون، ينـاير ٢٠٠٦، ص ص٣٧-١٠٥ .
- **رضا علال :**
  - العربات القتالية في المغرب القديم "، العدد السابع والعشرون، ينـاير ٢٠٠٤، ص ص١٣-٤١ .
- **رضا عبد الجواد كمال رسلان :**
  - أبوللو في ضوء الوثائق البردية والنقشية بمصر إبان العصرين البطلمي والروماني "، العدد التاسع والعشرون، يناير ٢٠٠٦، ص ص١٣-٣٥.
  - نعوت المتوفى في مصر إبان العصرين البطلمي والروماني في ضوء النقوش الجنائزية "، العدد الثامن والعشرون، يناير ٢٠٠٥، ص١٣-٣٨ .
- **سامية مصطفى مسعد :**
  - " دور سلاطين غزنه في نشر الإسلام في الهند"، العدد الخامس عشر، يوليو ١٩٩٥، ص ص١٤١-١٩٤ .
- **سحر على حنفي :**
  - " مظاهر الانحراف الاجتماعي في القاهرة إبان العصر العثماني "، العدد الثامن والعشرون، يناير ٢٠٠٥، ص ص٤٢١-٤٦٩.
- **سر الختم سيد أحمد العراقي :**
  - " الثقافة الإسلامية – تطورها وازدهارها في أفريقية الشرقية في العصور الوسطى"، العدد التاسع عشر، يناير ١٩٩٨، ص ص٧١-١٠١.
- **سرور على عبد المنعم:**
  - " فرسان القديس لازاروس في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية "، العدد

الثامن والعشرون، يناير ٢٠٠٥، ص ص١٦١-١٩٧.

- **سعاد محمد حسن :**
  - " ثلاث آلات حرب دفاعية بالمتحف القبطي "، العدد السابع، يوليو ١٩٩١، ص ص٣٠٣-٣٣٢.
- **سعد محمد الشاعر :**
  - " خاتونات البيت الأيوبي ودورهن في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في العصر الأيوبي "، العدد الرابع والعشرون، يناير ٢٠٠١، ص ص١٧١-٢٣١ .
- **سعود محمد العصور :**
  - " تجارة الكارم في العصر المملوكي "، العدد الثلاثون، يناير ٢٠٠٧، ص ص١٣-٥١.
- **سعيد خليل هاشم :**
  - " التعليم وتحديثه في البحرين "، العدد الثالث عشر، يوليو ١٩٩٤، ص ص٦٣-٨٨ .
- **سعيد عبد الفتاح عاشور :**
  - " الجبهة الصليبية في معركة حطين"، العدد الأول ،يناير١٩٨٨، ص ص٢٥-٥٢.
  - " العلم بين المسجد والمدرسة "، العدد السابع، يوليو ١٩٩١، ص ص١١-٣٧ .
- **سعيد بن محمد الغيلاني :**
  - " النظر في المظالم في الخلافة العباسية "، العدد التاسع والعشرون، يناير ٢٠٠٦، ص ص٢٢٩-٢٥٩.
- **سلامة محمد الهرفي البلوي :**
  - " المثاقفة بين العرب والغرب (التجربة الأندلسية نموذجاً) "، العدد التاسع والعشرون، يناير ٢٠٠٦، ص ص١٨٧-٢٢٨.

- **سليمان عبد الغني مالكي :**
  - " علاقة مصر بمكة المكرمة من خلال المجاورين زمن سلاطين الأيوبيين "، العدد الثاني والعشرون، يوليو ١٩٩٩، ص ص١٠٣-١٥٠.
- **سهام محمد المهدي :**
  - " دينار فاطمي نادر ضرب في زبيد عام ٤٤٧ هـ"، العدد الثاني، يوليو ١٩٨٨، ص ص٦٣-٦٧.
  - " دينار رشيدي نادر"، العدد الثالث، يناير ١٩٨٩، ص ص٢٠٣-٢١٠.
- **سهير محمد إبراهيم نعينع :**
  - " الموضوعية والأمانة في وصف الرحالة الأجانب للإسكندرية في العصور الوسطى " ،العدد العشرون، يوليو ١٩٩٨، ص ص٧٥-١١٥.
- **سوزي أباظة محمد :**
  - " القضاء في سنغاي في عهد الأسكاي (٨٩٨-٩٩٩هـ/ ١٤٩٣-١٥٩١م) "، العدد الثامن والعشرون، يناير ٢٠٠٥، ص ص٣٤٣-٤١٩.
- **سيد أحمد على الناصري :**
  - " قراءة تاريخية جديدة في أشعار هسيودوس القديمة"، العدد الثامن، يناير ١٩٩٢، ص ص١١-٣٣ .
  - " وقفة فوق أطلال باكخياس "، العدد الثاني عشر ،يناير ١٩٩٤، ص ص١١-٢٢ .
- **السيد سيد أحمد توفيق دياب :**
  - " صناعة السكر في مصر في عهد الخديوي إسماعيل ١٨٦٣-١٨٧٩م "، العدد السادس والعشرون، يناير ٢٠٠٣، ص ص٢٧٣-٣٢٠.
- **سيف شاهين المريخي :**
  - " مراكز إنتاج المنسوجات والملابس الإسلامية وصناعتها في معجم البلدان لياقوت الحموي "، العدد الثالث والعشرون، يناير ٢٠٠٠، ص ص١٢٧-١٨٧.
- **صفاء حافظ عبد الفتاح :**
  - " حملات المسلمين البرية على أرض الروم بآسيا الصغرى في عهد الوليد

بن عبد الملك "، العدد التاسع، يوليو ١٩٩٢، ص ص١١-٤٠.

- **صلاح حسن العاوور :**
  - " المكانة الاجتماعية للعلماء في العصر الأيوبي وانعكاساتها على علاقتهم بالسلطة "، العدد الرابع والعشرون، يناير ٢٠٠١، ص ص٢٣٣-٢٥٩ .
- **صلاح عبد العزيز محجوب :**
  - ظهور الإسلام وانتشاره من خلال مصادر التاريخ السريانية المسيحية .. رؤية وصفية، العدد السابع والعشرون، يناير ٢٠٠٤، ص ص٤٣-٨٩.
  - نصوص التشريع السريانية رؤية وصفية لنماذج من تشريعات الميراث، العدد السادس والعشرون، يناير ٢٠٠٣، ص ص٣٢١-٣٤٩.
- **ضحى محمود مصطفى :**
  - " الألوان في مصر القديمة ودلالتها التاريخية "، العدد الخامس، يناير ١٩٩٠، ص ص١١-٣٢ .
- **طارق منصور :**
  - " القسطنطينية بين الكتابات الصليبية ١٠٩٦-١٢٠٤م دراسة تحليلية للرؤى الصليبية لمدينة قسطنطين "، العدد التاسع والعشرون، يناير ٢٠٠٦، ص ص٢٦١-٣٥٢.
  - " معاهدتا ٩٠٧ : ٩١١م بين البيزنطيين والروس اثنتان أم واحدة ؟ دراسة تحليلية"، العدد الرابع والعشرون، يناير ٢٠٠١، ص ص١١-٤٣.
- **عائشة عبد العزيز محمد التهامي :**
  - " المنشآت المعمارية للسلطانة شجر الدر بمدينة القاهرة "، العدد الثامن عشر، يوليو ١٩٩٧، ص ص٢٧-٧٧.
- **عادل عبد الحافظ حمزة :**
  - " البابوية والهجمات الإسلامية على إيطاليا في القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري"، العدد الثالث عشر، يوليو ١٩٩٤، ص ص١١٥-١٤٤.
- **عبادة عبد الرحمن كحيلة :**
  - " الطوائف ودورها في ضياع الأندلس "، العدد الثالث، يناير ١٩٨٩، ص

ص ص٩١-١٠٨.

- " قراءة جديدة في عهد عمر"، العدد الرابع عشر، يناير ١٩٩٥، ص ص١١- ٧٣ .

- **عبد الله سراج منسي :**

- " موقف بريطانيا من فتح قنصلية أمريكية في الكويت (١٩٤٦-١٩٥١)"، العدد السادس عشر، يوليو ١٩٩٦، ص ص١٠٥-١٢٦.

- **عبد الله بن سعيد سافر الغامدي :**

- " ثغر المصيصة منذ الفتح حتى نهاية القرن الخامس الهجري(٨٤-٤٩٨ هـ/٧٠٣-١١٠٤م) "، العدد الثاني والعشرون، يوليو ١٩٩٩، ص ص٢١١-٢٦٣.

- **عبد الحسين علي أحمد :**

- " عمان بين الحكم الذاتي والانفصال في القرنين الأول والثاني للهجرة"، العدد السابع عشر، يوليو ١٩٩٦، ص ص١٠٣-١٤٨.

- **عبد الحليم محمد حسن :**

- " الألعاب والجومناسيا في مصر بين السياسة والدين (١) العصر الهللينستي"، العدد التاسع، يوليو ١٩٩٢، ص ص١٨٧-٢٣٤ .
- " مصر والمصريون عند هيرودوت "، العدد الأول ،يناير١٩٨٨، ص ص٩٥-١٣٢ .
- مكانة الرياضيين والفنانين أتباع ديونيسوس " العدد السابع، يوليو ١٩٩١، ص ص٨١-١٣٨ .

- **عبد الحميد حسين محمود حموده :**

- " تجارة القمح في مصر في العصر الفاطمي (٣٥٨هـ-٥٦٧هـ/٩٦٨م-١١٧١م)، العدد الثالث عشر، يوليو ١٩٩٤، ص ص١٤٥-١٨٧ .
- " التجارة في أفريقيا في عصر الأغالبة "، العدد الرابع عشر، يناير ١٩٩٥، ص ص٩٩-١٧٤ .
- " الحياة الاقتصادية في الفيوم في العصر الفاطمي ٣٥٨-٥٦٧هـ/ ٩٦٩-

١١٧١م "، العدد الثاني والعشرون، يوليو ١٩٩٩، ص ص١٥١-٢٠٩.

- " المهدية حاضرة الفاطميين الأولى ببلاد المغرب (٣٠٠هـ-٩١٢م/٣٣٦هـ-٩٤٧-٩٤٨م)، العدد الثاني عشر ،يناير ١٩٩٤، ص ص٤١-٩٦ .
- " النظام القضائي في القيروان في عصر الأغالبة (١٨٤هـ/٨٠٠م-٢٩٦هـ/٩٠٨م)"، العدد الحادي عشر، يوليو ١٩٩٣، ص ص٨٧-١٢٦.

- **عبد الرحمن محمد العبد الغني :**

- " ملحمة ديجينس أكريتاس مصدراً من مصادر التاريخ الاجتماعي لمنطقة الحدود الشرقية البيزنطي"، العدد السابع عشر، يوليو ١٩٩٦، ص ص٢٦٥-٢٩٨.

- **عبد العزيز بن إبراهيم العمري :**

- " الوقف وأثره في التنمية خلال عصر الخلفاء الراشدين "، العدد الثالث والعشرون، يناير ٢٠٠٠، ص ص١٨٩-٢٢٨.

- **عبد العزيز درويش حكيم :**

- " دراسة ونشر لوثيقة إنشاء وقف من العصر العثماني "، العدد الثلاثون، يناير ٢٠٠٧، ص ص١٥٥-١٨١.

- **عبد العزيز محمود عبد الدايم :**

- " تأثيرات المغول الحضارية على دولة سلاطين المماليك "، العدد الثالث، يناير ١٩٨٩، ص ص١٠٩-١٥٠.

- **عبد العليم على أبو هيكل :**

- " التجارة المصرية مع نجد خلال الربع الأخير من القرن ١٨ في ضوء الوثائق المحلية "، العدد السادس عشر، يوليو ١٩٩٦، ص ص١١-٤٤.
- " جمال باشا في سورية بين السياسة العثمانية والتطلعات العربية "، العدد الرابع، يوليو ١٩٨٩، ص ص٢٥٩-٣١٩.
- " بنو خالد في الإحساء والدولة السعودية الأولى"، العدد الخامس، يناير ١٩٩٠، ص ص١٧٣-٢١٦.

- " دور القبائل الحجازية والشامية فى الثورة العرابية "، العدد الأول ،يناير١٩٨٨، ص ص٢٧١-٣٠٢ .
- " الرقيق الأفريقي بالحجاز خلال النصف الأول من القرن العشرين "، العدد الثاني، يوليو ١٩٨٨، ص ص٩٣-١١٨.
- " العمل والعمالة السعودية حتى نهاية عهد الملك عبد العزيز "، العدد الثالث والعشرون، يناير ٢٠٠٠، ص ص٢٢٩-٢٦٤.
- " عبد المحسن السعدون بين الوطنية ومهادنة الانجليز "، العدد الثالث، يناير ١٩٨٩، ص ص٢٤٧-٢٩٤.
- " مسألة العقبة بين السعودية وشرق الأردن "، العدد السابع، يوليو ١٩٩١، ص ص١٤٠-١٦٣.

- **عبد القادر حمود القحطاني :**
  - " تجارة الرقيق في الخليج العربي (في التاريخ الحديث) "، العدد الخامس عشر، يوليو ١٩٩٥، ص ص١٩٥-٢٣١.
- **عبد الوهاب بن صالح بابعير :**
  - " الأبعاد التاريخية لرحلة هاملتون في الجزيرة العربية عام ١٩١٧"، العدد السادس عشر، يوليو ١٩٩٦، ص ص١٢٧-١٥٢.
- **عصام عرفه محمود :**
  - " أصول هندسية أثرت في بناء الشخصية الفنية الإسلامية "، العدد الخامس والعشرون، يناير ٢٠٠٢، ص ص٢٥٩-٢٩٢.
  - " الإدراك الجمالي من منظور فكر الحسن بن الهيثم "، العدد الحادي والعشرون، يناير ١٩٩٩، ص ص٧٧-١٢٨.
  - " التناسب الهندسي والجمالي بالعمارة الإسلامية منذ فجر الإسلام حتى القرن الرابع عشر الميلادي "، العدد الثامن عشر، يوليو ١٩٩٧، ص ص٧٩-١٦٧.
  - " اللون ونشأة التراث الفني الإسلامي"، العدد التاسع عشر، يناير ١٩٩٨، ص ص١٠٣-١٦٨.

- " مورفولوجيا الأساليب الفنية المحلية وأثرها على الطابع الفني العام "، العدد الثالث والعشرون، يناير ٢٠٠٠، ص ص٢٦٥-٢٩٥.

- **عطية أحمد القوصي :**

- " الجديد.. في وثائق الجنيزة الجديدة ؟؟"، العدد العاشر، يناير ١٩٩٣، ص ص١٧٩-١٨٥ .

- **علاء الدين عبد المحسن شاهين :**

- " الرمزية التاريخية للأقواس التسعة في المصادر المصرية وحتى نهاية الدولة الحديثة "، العدد الثامن، يناير ١٩٩٢، ص ص٣٥-٦٤ .

- **علا عبد العزيز أبو زيد :**

- " الغرب في كتابات المسلمين بين التجهيل والافتنان والرفض"، العدد الثامن، يناير ١٩٩٢، ص ص١٦١-٢١١.

- **علي بن إبراهيم غبان :**

- " نقش تذكاري لأحد أمراء بني الجراح مؤرخ بسنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧-١٠٨٨م "، العدد الرابع والعشرون، يناير ٢٠٠١، ص ص١٢٩-١٦٩.

- **علي السيد علي محمود :**

- " الهجرات المغولية إلى مصر وآثارها الثقافية والاجتماعية في العصر المملوكي "، العدد الخامس عشر، يوليو ١٩٩٥، ص ص٣٧-١٠٦.

- **علي محمد علي البتانوني :**

- " الإصلاحات الاقتصادية والإدارية على عهد أبي جعفر المنصور"، العدد الثامن، يناير ١٩٩٢، ص ص٨٣-١١٥ .

- **علي منصور نصر :**

- " النظام النقدي في الدولة الإسلامية وأثره في تطور السوق "، العدد العشرون، يوليو ١٩٩٨، ص ص١١٧-١٧٢.

- **عمر سالم بابكور :**

- " التنافس الاستعماري الأوربي في أعالي النيل(١٣٠٠هـ-١٣٢٢هـ/١٨٨٢م-١٩٠٤م) "، العدد الثامن عشر، يوليو ١٩٩٧، ص

ص ص١٦٩-٢٣٢.

- **عودة عبد الواحد جودة :**
  - عمدة القرية في العصر البطلمي "، العدد الثاني عشر ،ينـــاير ١٩٩٤، ص ص٢٥٣-٢٩٩ .
- **غيثان بن علي بن جريس :**
  - " سلطنة أوفات الإسلامية في العصور الوسطى (٦٠٠-٩٠٠هـ/١٢٠٠-١٥٠٠ م) "، العدد السادس عشر، يوليو ١٩٩٦، ص ص١٥٣-١٨٩ .
- **فاطمة عبد القادر رضوان :**
  - " أسواق مدينة فاس في عـصر المـرابطين ٤٨٠-٥٤٠هـــ / ١٠٥٦-١١٤٥م "، العدد التاسع والعشرون، يناير ٢٠٠٦، ص ص١٤١-١٨٦.
- **فايزة إسماعيل أكبر :**
  - " ثورة الزنج هل هي ثورة عبيد ؟؟ "، العدد الرابع عشر، ينـــاير ١٩٩٥، ص ص٢١٩-٢٤٠ .
- **فتوح عبد المحسن الفترش :**
  - " الدولة السعودية الثالثة في مرحلة النشأة وإرســاء الأســـاس وموقـــف الدولة العثمانية وبريطانيا(١٩٠٢-١٩١٥م)"، العدد الثاني عــشر ،ينـــاير ١٩٩٤ ،ص ص٢٣-٥٢.
  - " نشأة الكويت"، العدد الحادي عشر، يوليو ١٩٩٣، ص ص١٢٧-١٧٠.
- **فؤاد شهاب :**
  - " مدخل لفهم المجرى العميق للعلاقات العربية الأمريكية "، العـــدد التاســـع والعشرون، يناير ٢٠٠٦، ص ص٤٢٣-٤٤١.
- **فيصل عبد الله أحمد الكندري :**
  - " جان بردى الغزالى وموقفه من العثمانيين"، العدد السابع عـــشر، يوليـــو ١٩٩٦، ص ص١١-٤٤.
  - " الفتح العثمـــاني لمدينـــة بلغـــراد ٩٢٧هـــــ/١٥٢١م"، العـــدد الـــسابع والعشرون، يناير ٢٠٠٤، ص ص٢٩٥-٣٢١.

- **ليلى عبد الجواد إسماعيل :**
  - " نائب السلطنة فى القاهرة في عصر دولة المماليك البحرية "، العدد الأول، يناير١٩٨٨، ص ص١٥٩-٢٢٥.
  - " القسطنطينية في ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين "، العدد الثالث، يناير ١٩٨٩، ص١٥١-٢٠٢، و العدد الرابع ، يوليو ١٩٨٩، ص ص١٠٩-١٤٥.
  - " دور البلغار في مواجهة حملة مسلمة بن عبد الملك على القسطنطينية (٩٨-١٠٠هـ/ ٧١٧-٧١٨م) "، العدد السادس، يناير ١٩٩١، ص ص٨٣-١١٣.
  - " المسلمون في بلاد المجر في العصور الوسطى"، العدد السابع، يوليو ١٩٩١، ص ص٣٩-٨٠ .
  - " أتابك العسكر في القاهرة في عصر دولة المماليك البحرية "، العدد العاشر، يناير ١٩٩٣، ص ص٤٩-١٠٦ .
  - " أضواء جديدة على تاريخ بلغاريا تحت الحكم البيزنطي "، العدد الرابع عشر، يناير ١٩٩٥، ص ص٣٠٩-٣٥٨ .
  - "قراءة في تاريخ الأيوبيين في إفريقية (٥٦٨-٦٠٩هـ/١١٧٢-١٢١٢م) "، العدد الثامن والعشرون، يناير ٢٠٠٥، ص ص١٩٩-٢٦٨.
  - " القديس (أنطونيوس) رائد نظام الرهبانية ٢٥١-٣٥٦ م علم من أعلام بني سويف "، العدد التاسع والعشرون، يناير ٢٠٠٦، ص ص١٠٧-١٣٩.
- **ماجدة منصور :**
  - " قضية كشمير والسياسات النووية "، العدد الثلاثون، يناير ٢٠٠٧، ص ص١٨٣-٢١٧.
- **مايسة محمود داود :**
  - " دراسة أثرية وفنية لقطعة ذهبية نادرة من النقود في صقلية بمجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة "، العدد الخامس، يناير ١٩٩٠،

ص ص٢٧٣-٢٩١.
- " اتجاه جديد نحو تفسير ظاهرة وجود الرموز الأبجدية على السكة الإسلامية "، العدد السادس، يناير ١٩٩١، ص ص٤٧-٨٢.

- **محاسن الوقاد :**
- " صرغتمش الناصري الأمير الحاكم، دراسة في السيرة الذاتية ٧٣٧-٧٥٩هـ / ١٣٣٦-١٣٥٧م "، العدد الخامس والعشرون، يناير ٢٠٠٢، ص ص١٠٥-١٦٧ .
- " وظيفة أمير مجلس ودورها السياسي والحضاري في العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣ هـ /١٢٥٠-١٥١٧م "، العدد السابع والعشرون، يناير ٢٠٠٤، ص ص٢١٧-٢٩٣.

- **محمد أحمد محمد أحمد :**
- " بنو إينجو في فارس ونشاطهم السياسي "، العدد الرابع عشر، يناير ١٩٩٥، ص ص٢٤١-٣٠٧ .

- **محمد بركات البيلي :**
- " الغلاء والمجاعات في بلاد المغرب الإسلامي حتى القرن الخامس الهجري "، العدد الحادي عشر، يوليو ١٩٩٣، ص ص٣١٣-٣٤٣.
- "بداية الكارم ومعناه في العصر الفاطمي"، العدد الثالث عشر، يوليو ١٩٩٤، ص ص٨٩-١١٣.
- " فتح سمرقند: صفحة من تاريخ فتوح المسلمين فيما وراء النهر"، العدد الثاني عشر، يناير ١٩٩٤، ص ص٩٧-١١٩.
- " المهالبة من المشرق إلى المغرب"، العدد الثاني عشر ،يناير ١٩٩٤، ص ص١٥٩-٢١٢.
- "محمد عبد الله بن مسرة ونزعته المسرية في الأندلس" العدد الخامس عشر، يوليو ١٩٩٥، ص ص٢٧٥-٣١٤.
- " المرأة الأندلسية في عصر أمويى الأندلس"، العدد السادس عشر، يوليو ١٩٩٦، ص ص٤٥-١٠٤.

- " الخلافات المذهبية في أفريقية الأغلبية"، العدد السادس عشر، يوليو ١٩٩٦، ص ص١٩١-٢٢٦ .
- " الجوائح في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الخلافة"، العدد الثامن عشر، يوليو ١٩٩٧، ص ص٢٣٣-٢٨١.
- " مدينة سجلماسة ودورها في تجارة الذهب مع السودان"، العدد الثالث، يناير ١٩٨٩، ص ص٦٥-٩٠ .
- " الإدريسي وخطيته أنس المهج وروض الفرج "، العدد الثلاثون، يناير ٢٠٠٧، ص ص٨٣-٨٤.

- **محمد جمال الدين سرور :**
  - " الفاطميون وفلسطين "، العدد الأول، يناير١٩٨٨، ص ص٧-٢٣ .
- **محمد بن عبد الله النوصير :**
  - " موقف الأهالى في نجد من حملات طوسون وإبراهيم باشا "، العدد الرابع والعشرون، يناير ٢٠٠١، ص ص٣٣٣-٣٦٥.
- **محمد حسن العيدروسي :**
  - " أوضاع الأقلية الإسلامية في بلغاريا منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى أحداث ١٩٨٥"، العدد التاسع، يوليو ١٩٩٢، ص ص١٠١-١٦١.
  - " الأحوال العسكرية في العراق والشام إبان الحرب العالمية الأولى في ضوء وثائق لجنة الدفاع الأمبريالي "، العدد العشرون، يوليو ١٩٩٨، ص ص١٧٣-٢٠٢.
  - " الصراع على الحكم في دبي والشارقة في ضوء الوثائق البريطانية لعامي ٣٤ و ١٩٣٩ "، العدد الثاني والعشرون، يوليو ١٩٩٩، ص ص٢٦٥-٢٩٢.
  - " مجلس التعاون الخليجي بين الأمن الإقليمي والتحديات"، العدد الخامس عشر، يوليو ١٩٩٥، ص ص٢٣٣-٢٧٤.
- **محمد حسن عبد الكريم العمادي، نعمان محمود أحمد جبران :**
  - " جوانب من حياة المرأة في العصر المغولي "، العدد الثامن عشر، يوليو

١٩٩٧، ص ص٢٨٣-٣١٨.

- **محمد رضا عبد العال محمد :**
  - " الموالي والرقيق في نجد والحجاز في العصر الأموي"، العدد الثالث عشر، يوليو ١٩٩٤، ص ص١٨٩-٢١٥.
- **محمد زيود :**
  - " النشاط التجاري في حلب خلال القرنين الرابع والخامس للهجرة- العاشر والحادي عشر للميلاد"، العدد الرابع عشر، يناير ١٩٩٥، ص ص٧٥-٩٨
  - " صناعة الورق والوراقة في بلاد الشام في العصر الفاطمي"، العدد الخامس عشر، يوليو ١٩٩٥، ص ص١١-٣٥.
- **محمد عفيفي عبد الخالق :**
  - " الخطط والحياة الاقتصادية في حارة اليهود بالقاهرة في العصر العثماني"، العدد العاشر، يناير ١٩٩٣، ص ص٢٧-٤٧.
  - " المصادر المصرية لتاريخ الكويت في القرن العشرين "، العدد العشرون، يوليو ١٩٩٨، ص ص٢٠٣-٢٢٠.
- **محمد عثمان عبد الجليل :**
  - " السامريون في فلسطين وعلاقتهم بالدولة البيزنطية (٣٠٥-٦٣١م) "، العدد الثامن والعشرون، يناير ٢٠٠٥، ص ص٧٥-١٠٦.
  - " دوقية المورة البيزنطية في عهد آل باليولوجوس ١٣٨٣-١٤٦٠م "، العدد التاسع والعشرون، يناير ٢٠٠٦، ص ص٣٢٧-٣٦٠.
- **محمد عبد الرحمن بوم :**
  - " القضية الأرمنية بين مؤتمري برلين والحرب العالمية الأولى١٨٧٨-١٩١٤"، العدد الخامس، يناير ١٩٩٠، ص ص١١٧-١٣٤.
- **محمد عبد الباسط محمد حسين :**
  - " الدور السياسي للفهريين في الأندلس منذ الفتح العربي حتى أواخر عهد عبد الرحمن الداخل(٩٦-١٦٣ هـ) "، العدد الحادي عشر، يوليو ١٩٩٣، ص ص٥٩-٨٦.

- **محمد فهمي عبد الباقي :**

  - " الإدارة المالية في مصر في عصر البطالمة "، العدد التاسع عشر، ينـــاير ١٩٩٨، ص ص٢٥٩-٢٨٨.
  - " المشرفون في مصر في عصر الرومان حتى القرن الثالث المــيلادي "، العدد الثاني والعشرون، يوليو ١٩٩٩، ص ص٢٩٣-٣٢٨.
  - ديكابروتس مصر في القرن الثالث الميلادي"، العدد الثالــث والعــشرون، يناير ٢٠٠٠، ص ص٢٩٧-٣٢٢ .

- **محمد فؤاد خليل :**

  - " المعاهدة العثمانية الأمريكية ١٨٣٠م "، العدد السادس والعشرون، يناير ٢٠٠٣، ص ص٢٣١-٢٧٢.

- **محمد كمال يحيى :**

  - " قضية لواء الاسكندرونة "، العدد الرابع ،يوليــو ١٩٨٩، ص ص٢٠٥-٢٥٨.
  - " الغزو الفرنسي لمصر في ضوء الوثائق التركية"، العدد الخامس، ينـــاير ١٩٩٠، ص ص١٣٥-١٧١.

- **محمد محمد أمين :**

  - " ذاكرة العالم ووثائق السلاطين والأمراء بدار الوثائق القوميــة بالقــاهرة ملامح من التطور الفكري للمجتمع الإنساني "، العدد الثامن والعــشرون، يناير ٢٠٠٥، ص ص٢٦٩-٣٠٩.

- **محمد محمود إدريس :**

  - " النشاط التجاري والحياة الاجتماعية في قوص في القرنين الثالث والرابع الهجريين "، العدد الحادي عشر، يوليو ١٩٩٣، ص ص٢٢١-٣١٢.

- **محمد محمود النشار :**

  - " حركة الاسترداد في عهد فرديناند الأول ملك قــشتالة وليــون "، العــدد الثاني والعشرون، يوليو ١٩٩٩، ص ص٣٢٩-٣٨٠.

- **محمود إبراهيم حسين :**
  - " العمارة الهندية من خلال التصاوير الإسلامية"، العـدد الرابـع ،يوليـو ١٩٨٩، ص ص٤٠١-٤٢٤.
  - " مدرسة التصوير الإسلامي على الخزف الإيراني في العصور الـسلجوقية والمغولية"، العدد الثامن، يناير ١٩٩٢، ص ص١١٧-١٦٠.
- **محمود عرفه محمود :**
  - " أعلام النهضة الثقافية بالعراق في النصف الثاني من القـرن الخـامس الهجري"، العدد السادس، يناير ١٩٩١، ص ص١١-٤٥.
  - " الجيش الغزنوى . أعداده وتنظيماته الحربية "، العدد الأول، يناير١٩٨٨، ص ص١٣٣-١٥٨.
  - " خطة الشرطة بالأندلس في عهد الخليفة الحكم المستنصر ٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٩م "، العدد الحادي عشر، يوليو ١٩٩٣، ص ص ١١-٥٨.
  - " وسائل ضبط ورقابة المعاملات التجارية والمالية في صـدر الإسـلام "، العدد السابع عشر، يوليو ١٩٩٦، ص ص٤٥-١٠٢.
- **مرفت محمود عيسى :**
  - " دراسة في وثائق السلطان الأشرف شعبان بن حسين"، العـدد الحـادي والعشرون، يناير ١٩٩٩، ص ص ١٢٩-٢٠٢.
- **مسفر بن سالم الغامدي :**
  - " الوزير جمال الدين الأصبهاني الموصلي (دوره السياسي وأعمـال البـر والعمران في الحرمين الشريفين) "، العدد التاسع عـشر، ينـاير ١٩٩٨، ص ص٢٨٩-٣٤٤.
- **مسعد محمد عبد الله :**
  - " صناعة النسيج في الأندلس الإسلامي "، العدد الثلاثون، ينـاير ٢٠٠٧، ص ص٩٥-١٥٤.
- **مصطفى عبد الله شيحة :**
  - " رسالة فى أنساب القبائل التي سكنت مدينة صعدة"، العدد الثالث، ينـاير

١٩٨٩، ص ص١١-٦٤ .

- " أضواء على تاريخ العمارة الدينية في عصر بني رسول باليمن "، العدد الثاني، يوليو ١٩٨٨، ص ص٢٧-٦١.
- " بعض التأثيرات الآسيوية على العمائر والفنون الإسلامية في اليمن"، العدد الرابع ،يوليو ١٩٨٩، ص ص٣٥٩-٤٠٠.

• **منى حسن أحمد محمود :**

- " هجرات الأندلسيين إلى شرق البحر الأبيض المتوسط خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين "، العدد الخامس، يناير ١٩٩٠، ص ص٥٩-٨٢.
- " تجارة السودان الغربي قبيل قيام دولة المرابطين في القرن الخامس الهجري " العدد السابع، يوليو ١٩٩١، ص ص٢٤١-٣٠٢.
- " السكة الإسلامية في مصر (٢١-٢٥٤هـ)"، العدد الثاني والعشرون، يوليو ١٩٩٩، ص ص٣٨١-٤٩٥.

• **منى سعد محمد الشاعر :**

- " قلعة كوكب ودورها في الصراع بين المسلمين والصليبيين "، العدد السابع والعشرون، يناير ٢٠٠٤، ص ص١٥٥-٢١٦.

• **منى محمد بدر :**

- " انعكاسات الحملة الفرنسية على الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة "، العدد الحادي والعشرون، يناير ١٩٩٩، ص ص٢٠٣-٢٧٤.

• **ناهد عمر صالح :**

- " الاتحاد الكنسي في عصر الامبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس (١٣٥٤-١٣٧٦م) "، العدد الثامن والعشرون، يناير ٢٠٠٥، ص ص٣١١-٣٤١.

• **نبيل عبد الحي رضوان :**

- " تطور الأسطول العثماني في ظل أبرز الحضارات البحرية للبحر المتوسط"، العدد العشرون، يوليو ١٩٩٨، ص ص٢٢١-٢٦٦.

- **نجاة عبد القادر الجاسم:**

  - " التطور التاريخي للوعي السياسي القومي في دولة الكويت والمخاوف البريطانية منه ١٩٣٩-١٩٥٣"، العدد التاسع، يوليو ١٩٩٢، ص ص٢٣٥-٢٨٥.

- **نعمان محمود جبران، و محمد علي طعاني :**

  - " إضافات حول كتاب البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ونسبته للعماد الأصفهاني (٥١٩-٥٩٧هـ/١١٢٣-١٢٠٠م) "، العدد السابع عشر، يوليو ١٩٩٦، ص ص٢٣٣-٢٦٣.

- **نعمان محمود جبران :**

  - " الأقليات الإسلامية في أوربا الغربية دراسة لأوضاع الأقلية المسلمة في ألمانيا الغربية" ،العدد السابع عشر، يوليو ١٩٩٦، ص ص١٤٩-١٨٣.

- **نعمة علي مرسي :**

  - " التغيرات المالية في بلاد الهند في عهد السلطان محمد تغلقشاه وأثرها في الأوضاع الداخلية (٧٢٥-٧٥٢هـ/ ١٣٢٤- ١٣٥١ م) "، العدد الرابع والعشرون، يناير ٢٠٠١، ص ص٢٦١-٢٩٠.

- **نورة عبد الله باذياب :**

  - " الفتح الإسلامي لحصن كالونوروس وتحويله إلى ميناء علائية "، العدد الحادي والعشرون، يناير ١٩٩٩، ص ص٢٧٥-٣٣٥.

- **نورة عبد العزيز التويجري :**

  - " المميزات العامة لشخصية الأمير عبد الله بن بلقين أمير مملكة غرناطة من خلال كتابه (التبيان) "، العدد السادس عشر، يوليو ١٩٩٦، ص ص٢٢٧-٢٧٢ .

- **هاني عبد الهادي البشير :**

  - " البيالصة في آسيا الصغرى في ضوء مصنف بطرس الصقلي "، العدد الرابع والعشرون، يناير ٢٠٠١، ص ص٤٥-٨٨.
  - " نقفوروس بطريرك القسطنطينية (٨٠٦-٨١٥ م) ومؤلفه " التاريخ

المعاصر "، العدد السادس والعشرون، يناير ٢٠٠٣، ص ص٣٩-٧٥.

- **هدى مفتاح السعدي :**
  - " النساء ومهنة الطب في المجتمع الإسلامي "، العدد الثاني والعشرون، يوليو ١٩٩٩، ص ص٤٩٧-٥٣٣.
- **هويدا عبد المنعم سالم:**
  - " الخلفاء والحج في العصر العباسي الأول (١٣٢-٢٣٢هـ/٧٤٩-٨٤٦م)"، العدد السابع والعشرون، يناير ٢٠٠٤، ص ص٩١-١٢٨.
  - " دور نساء القصر في البلاط الجلائري "، العدد التاسع والعشرون، يناير ٢٠٠٦، ص ص٣٦١-٤٠٢.
- **وجيه عبد الصادق عتيق :**
  - " الحملة الفرنسية والمتغيرات التاريخية والحضارية "، العدد الأول، يناير١٩٨٨، ص ص٢٢٧-٢٦٩.
  - " الأرشيف الألماني وكتابة تاريخ مصر المعاصر"، العدد الثاني، يوليو ١٩٨٨، ص ص٦٩-٩٢.
  - " رؤية تاريخية لتفادي مخاطر العولمة على عالمنا العربي المعاصر "، العدد التاسع والعشرون، يناير ٢٠٠٦، ص ص٤٠٣-٤٢٢.
- **وديع فتحي عبد الله :**
  - " العلاقة بين الدولة والكنيسة في عصر نقفور الأول (٨٠٢-٨١١م) "، العدد الثامن والعشرون، يناير ٢٠٠٥، ص ص١٠٧-١٦٠.
- **يحيى بن حمزة الوزنة السليماني :**
  - " أثر الأندلس الحضاري في الإدارة على المغرب في عصري المرابطين والموحدين "، العدد السابع والعشرون، يناير ٢٠٠٤، ص ص١٢٩-١٥٤.
- **يحيى محمود محمد :**
  - " المهمشون في جنوب القاهرة في النصف الأول من القرن العشرين "، العدد الخامس والعشرون، يناير ٢٠٠٢، ص ص٣٤١-٣٦٨.

- **يسري أحمد عبد الله زيدان :**
  - " القدس في كتابات رحالة وجغرافي القرن السابع والثامن الهجريين "، العدد الحادي والعشرون، يناير ١٩٩٩، ص ص٣٣٧-٣٨٤.
- **يوسف بن أحمد حوالة :**
  - " قراءة في نص محاولة للفهم (دراسة تحليلية للأيام الأخيرة من عهد المنصور بن أبي عامر العمري الأندلسي) "، العدد الحادي عشر، يوليو ١٩٩٣، ص ص١٧١-٢١٩.

كشاف الموضوع

أولاً : التاريخ القديم :

- **أحمد عبد القادر جلال :**
  - " بين مشاهد الانتقام الإلهي وتأثيراته في آداب الشرق الأدنى القديم"، العدد التاسع ، يوليو ١٩٩٢ ،ص ص١٦٣-١٨٦ .
- **إبراهيم عبد العزيز الجندي :**
  - " إنتاج الطوب بين الاحتكار الحكومي والإنتاج الحر في مصر في العصر الروماني في ضوء الوثائق البردية " ،العدد الثالث والعشرون، يناير ٢٠٠٠، ص ص١١- ٢٩ .
- **رجب سلامة عمران :**
  - " الفكر العسكري الروماني بين الدفاع والهجوم والتوسع حتى نهاية الحرب البونية الثانية ٥٠٩-٢٠٢ "،العدد التاسع والعشرون، يناير ٢٠٠٦، ص ص٣٧-١٠٥ .
- **رضا علال :**
  - " العربات القتالية في المغرب القديم "، العدد السابع والعشرون، يناير

٢٠٠٤، ص ص١٣-٤١ .

- **رضا عبد الجواد كمال رسلان :**
  - "قراءة تاريخية جديدة في أشعار هسيودوس القديمة"، العدد الثامن، ينـــاير ١٩٩٢، ص ص١١-٣٣ .
  - " أبوللو في ضوء الوثائق البردية والنقشية بمصر إبان العصرين البطلمي والروماني"، العدد التاسع والعشرون، يناير ٢٠٠٦،ص ص١٣-٣٥.
  - " نعوت المتوفى في مصر إبان العصرين البطلمي والروماني فـــي ضـــوء النقوش الجنائزية "، العدد الثامن والعشرون، يناير ٢٠٠٥، ص ص١٣-٣٨ .
- **سيد أحمد علي الناصري :**
  - " وقفة فوق أطلال باكخياس "، العدد الثـــاني عـــشر ،ينـــاير ١٩٩٤، ص ص١١-٢٢.
- **ضحى محمود مصطفى :**
  - " الألوان في مصر القديمة ودلالتها التاريخية "، العـــدد الخـــامس، ينـــاير ١٩٩٠، ص ص١١-٣٢ .
- **عبد الحليم محمد حسن :**
  - " الألعاب والجومناسيا فـــي مـــصر بـــين الـــسياسة والـــدين (١)العـــصر الهللينستي"، العدد التاسع، يوليو ١٩٩٢، ص ص١٨٧-٢٣٤ .
  - " مصر والمصريون عند هيـــرودوت "، العـــدد الأول ،ينـــاير١٩٨٨، ص ص٩٥-١٣٢ .
  - " مكانة الرياضيين والفنانين أتباع ديونيسوس " العـــدد الـــسابع، يوليـــو ١٩٩١، ص ص٨١-١٣٨ .
- **عودة عبد الواحد جودة :**
  - " عمدة القرية في العصر البطلمي "، العدد الثاني عشر ،يناير ١٩٩٤، ص ص٢٥٣-٢٩٩ .

- **محمد فهمي عبد الباقي :**
  - " الإدارة المالية في مصر في عصر البطالمة "، العدد التاسع عشر، ينـــاير ١٩٩٨، ص ص٢٥٩-٢٨٨.
  - " المشرفون في مصر في عصر الرومان حتى القرن الثالث المـــيلادي "، العدد الثاني والعشرون، يوليو ١٩٩٩، ص ص٢٩٣-٣٢٨.
  - " ديكابروتس مصر في القرن الثالث الميلادي"، العدد الثالث والعشرون، يناير ٢٠٠٠، ص ص٢٩٧-٣٢٢ .

ثانياً : التاريخ الإسلامي والعصور الوسطى

أ - تاريخ المشرق الإسلامي :

- **أحمد السري :**
  - " أضواء على حركة الطالبي محمد بن جعفر وخلفياتها عند نهاية القرن الثاني الهجري "، العدد الخامس والعشرون، يناير ٢٠٠٢، ص ص٤٩-٧٩.
- **ألتوم الطالب محمد يوسف :**
  - " فتح إقليم السند وانتشار الثقافة العربية الإسلامية "، العدد الرابع ،يوليو ١٩٨٩، ص ص٥٥-١٠٨ .
- **أيمن فؤاد سيد :**
  - " العرب وطريق الهند حتى أواسط القرن السادس "، العدد الثامن، ينـــاير ١٩٩٢، ص ص٦٥-٨١ .
- **آمنة بن حسين جلال :**
  - " الإصلاح الداخلي في الولايات الإسلامية في عهد الوليد بن عبد الملك "، العدد السادس والعشرون، يناير ٢٠٠٣، ص ص٧٧-١٢٧.
- **حسين علي المسري :**
  - " نجران ودورها السياسي والاقتصادي "، العدد التاسع، يوليو ١٩٩٢، ص

ص٤١-١٠٠.

- **حصة عبد الرحمن الجبر :**
  - " معاملة الأراضي في عهد الرسولﷺ "، العدد السادس والعشرون، ينـاير ٢٠٠٣، ص ص١٣-٣٨.
- **حورية عبده سلام :**
  - " دراسة تحليلية لعوامل قيام وأفول الـدويلات المـستقلة فـي المـشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع الهجريين "، العدد التاسع عشر، يناير ١٩٩٨، ص ص٤٩-٧٠.
  - " دور البصرة في الحركة الإباضية في القرنين الأول والثاني الهجريين "، العدد العشرون، يوليو ١٩٩٨، ص ص٤٥-٧٤.
- **راضي عبد الله عبد الحليم :**
  - " تصفية المقاومة الأموية في العراق ومصر والشام "، العدد الثاني، يوليو ١٩٨٨، ص ص١١-٢٥ .
- **سامية مصطفى مسعد :**
  - " دور سلاطين غزنه في نشر الإسلام في الهند"، العدد الخـامس عـشر، يوليو ١٩٩٥، ص ص١٤١-١٩٤ .
- **سعيد بن محمد الغيلاني :**
  - " النظر في المظالم في الخلافة العباسية "، العدد التاسع والعشرون، ينـاير ٢٠٠٦، ص ص٢٢٩-٢٥٩.
- **صفاء حافظ عبد الفتاح :**
  - " حملات المسلمين البرية على أرض الروم بآسيا الصغرى في عهد الوليد بن عبد الملك "، العدد التاسع، يوليو ١٩٩٢، ص ص١١-٤٠.
- **صلاح عبد العزيز محجوب :**
  - نصوص التشريع السريانية رؤية وصفية لنماذج من تشريعات الميـراث، العدد السادس والعشرون، يناير ٢٠٠٣، ص ص٣٢١-٣٤٩.
  - ظهور الإسلام وانتشاره من خلال مصادر التاريخ السريانية المـسيحية ..

رؤية وصفية، العدد السابع والعشرون، يناير ٢٠٠٤، ص ص٤٣-٨٩.

- **عبادة عبد الرحمن كحيلة :**
  - " قراءة جديدة في عهد عمر"، العدد الرابع عشر، يناير ١٩٩٥، ص ص١١- ٧٣ .
- **عبد الله بن سعيد سافر الغامدي :**
  - " ثغر المصيصة منذ الفتح حتى نهاية القرن الخامس الهجري(٨٤-٤٩٨ هـ/٧٠٣-١١٠٤م) "، العدد الثاني والعشرون، يوليو ١٩٩٩، ص ص٢١١-٢٦٣.
- **عبد الحسين على أحمد :**
  - " عمان بين الحكم الذاتي والانفصال في القرنين الأول والثاني للهجرة"، العدد السابع عشر، يوليو ١٩٩٦، ص ص١٠٣-١٤٨.
- **علي محمد علي البتانوني :**
  - " الإصلاحات الاقتصادية والإدارية على عهد أبي جعفر المنصور"، العدد الثامن، يناير ١٩٩٢، ص ص٨٣-١١٥ .

ب- تاريخ مصر وبلاد الشام :

- **إبراهيم بن محمد الحمد المزيني :**
  - " بيت المقدس عند ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان "، العدد العشرون، يوليو ١٩٩٨، ص ص١١-٤٣.
- **آسيا سليمان نقلي :**
  - " دور العلماء والفقهاء في الجهاد ضد الخطر المغولي على بلاد المسلمين"، العدد السابع عشر، يوليو ١٩٩٦، ص ص١٨٥-٢٣٢.
- **إلهام حسين دحروج :**
  - " قداسة وعروبة القدس عبر العصور"، العدد الخامس والعشرون، يناير ٢٠٠٢، ص ص٩-٣٥.

- " مدينة طبنة من ظهور الفاطميين حتى معركة سبيبه "، العدد السادس والعشرون، يناير ٢٠٠٣، ص ص١٢٩-١٨٨.

• **بدر عبد الرحمن محمد :**

- " شرق الدلتا منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي "، العدد الرابع ،يوليو ١٩٨٩، ص ص١١-٥٤ .

• **حسن خضيري أحمد :**

- " مدينة بلرم وحياتها الفكرية في عصر السيادة الفاطمية "، العدد الرابع والعشرون، يناير ٢٠٠١، ص ص٨٩-١٢٨.

• **حورية عبده سلام:**

- " المصريون والدعوة الشيعية منذ قيام الدولة العباسية حتى نهاية القرن الرابع الهجري "، العدد الخامس، يناير ١٩٩٠، ص ص٣٣-٥٧.

• **حياة ناصر الحجي :**

- " بعض الملاحظات حول مسار نظام الحكم في سلطنة المماليك البحرية "، العدد الثامن عشر، يوليو ١٩٩٧، ص ص١١-٢٦.

• **خالد بن خلفان بن ناصر الوهيبي :**

- " الصراع بين المماليك البحرية والقوى الأوروبية في البحر المتوسط (٦٦٩هـ /١٢٧٠م - ٧٨٧هـ/١٣٨٥م) "، العدد الخامس والعشرون، يناير ٢٠٠٢، ص ص٢١٧-٢٥٨ .

• **سرور علي عبد المنعم:**

- " فرسان القديس لازاروس في بلاد الشام عصر الحروب الصليبية "، العدد الثامن والعشرون، يناير ٢٠٠٥، ص ص١٦١-١٩٧.

• **سعد محمد الشاعر :**

- " خاتونات البيت الأيوبي ودورهن في الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية في العصر الأيوبي "، العدد الرابع والعشرون، يناير ٢٠٠١، ص ص١٧١-٢٣١ .

- **سعيد عبد الفتاح عاشور :**
  - " الجبهة الصليبية في معركة حطين"، العدد الأول ،ينــاير١٩٨٨، ص٢٥-٥٢.
  - " العلم بين المسجد والمدرســة "، العــدد الــسابع، يوليــو ١٩٩١، ص ص١١-٣٧ .
- **سليمان عبد الغني مالكي :**
  - " علاقة مصر بمكة المكرمة من خلال المجاورين زمن سلاطين الأيــوبيين "، العدد الثاني والعشرون، يوليو ١٩٩٩، ص ص١٠٣-١٥٠.
- **سمير محمد إبراهيم نعينع :**
  - " الموضوعية والأمانة في وصف الرحالة الأجانب للإسكندرية في العصور الوسطى " ،العدد العشرون، يوليو ١٩٩٨، ص ص٧٥-١١٥.
- **صلاح حسن العاوور :**
  - " المكانة الاجتماعية للعلماء في العصر الأيوبي وانعكاساتها على علاقــتهم بالسلطة "، العدد الرابع والعشرون، يناير ٢٠٠١، ص ص٢٣٣-٢٥٩ .
- **عبد الحميد حسين محمود حمودة :**
  - " تجارة القمح في مصر في العصر الفاطمي (٣٥٨هـ-٥٦٧هـ/٩٦٨م-١١٧١م)، العدد الثالث عشر، يوليو ١٩٩٤، ص ص١٤٥-١٨٧.
  - " الحياة الاقتصادية في الفيوم في العصر الفــاطمي ٣٥٨-٥٦٧هـــ/ ٩٦٩-١١٧١م "، العدد الثاني والعشرون، يوليو ١٩٩٩، ص ص١٥١-٢٠٩.
  - " المهديـــة حاضـــرة الفـــاطميين الأولـــى بـــبلاد المغـــرب (٣٠٠هـــ-٩١٢م/٣٣٦هـ-٩٤٧-٩٤٨م)، العدد الثاني عــشر ،ينــاير ١٩٩٤، ص ص٤١-٩٦ .
- **عبد العزيز محمود عبد الدايم :**
  - " تأثيرات المغول الحضارية على دولة سلاطين المماليك "، العدد الثالــث، يناير ١٩٨٩، ص ص١٠٩-١٥٠.

- **علي السيد علي محمود :**
  - " الهجرات المغولية إلى مصر وآثارها الثقافية والاجتماعية في العصر المملوكي "، العدد الخامس عشر، يوليو ١٩٩٥، ص٣٧-١٠٦.
- **ليلى عبد الجواد إسماعيل :**
  - " أتابك العسكر في القاهرة في عصر دولة المماليك البحرية "، العدد العاشر، يناير ١٩٩٣، ص ص٤٩-١٠٦ .
  - " نائب السلطنة في القاهرة في عصر دولة المماليك البحرية "، العدد الأول، يناير١٩٨٨، ص ص١٥٩-٢٢٥.
  - "قراءة في تاريخ الأيوبيين في إفريقية (٥٦٨-٦٠٩هـ/١١٧٢-١٢١٢م)"، العدد الثامن والعشرون، يناير ٢٠٠٥، ص ص١٩٩-٢٦٨.
- **محاسن الوقاد :**
  - " صرغتمش الناصري الأمير الحاكم، دراسة في السيرة الذاتية ٧٣٧-٧٥٩هـ / ١٣٣٦-١٣٥٧م "، العدد الخامس والعشرون، يناير ٢٠٠٢، ص ص١٠٥-١٦٧ .
  - " وظيفة أمير مجلس ودورها السياسي والحضاري في العصر المملوكي ٦٤٨-٩٢٣ هـ /١٢٥٠-١٥١٧م "، العدد السابع والعشرون، يناير ٢٠٠٤، ص ص٢١٧-٢٩٣.
- **محمد بركات البيلي :**
  - " بداية الكارم ومعناه في العصر الفاطمي"، العدد الثالث عشر، يوليو ١٩٩٤، ص ص٨٩-١١٣.
- **محمد حسن عبد الكريم العمادي، نعمان محمود أحمد جبران :**
  - " جوانب من حياة المرأة في العصر المغولي "، العدد الثامن عشر، يوليو ١٩٩٧، ص ص٢٨٣-٣١٨.
- **محمد محمد أمين :**
  - " ذاكرة العالم ووثائق السلاطين والأمراء بدار الوثائق القومية بالقاهرة ملامح من التطور الفكري للمجتمع الإنساني "، العدد الثامن والعشرون،

يناير ٢٠٠٥، ص ص٢٦٩-٣٠٩.

- **موفق محمود عيسى :**
  - " دراسة في وثائق السلطان الأشرف شعبان بن حسين"، العدد الحادي والعشرون، يناير ١٩٩٩، ص ص١٢٩-٢٠٢.
- **منى سعد محمد الشاعر :**
  - " قلعة كوكب ودورها في الصراع بين المسلمين والصليبيين "، العدد السابع والعشرون، يناير ٢٠٠٤، ص ص١٥٥-٢١٦.
- **يسري أحمد عبد الله زيدان :**
  - " القدس في كتابات رحالة وجغرافي القرن السابع والثامن الهجريين "، العدد الحادي والعشرون، يناير ١٩٩٩، ص ص٣٣٧-٣٨٤.

ج- تاريخ المغرب والأندلس :

- **إلهام حسين دحروج :**
  - " سلوكيات الأعوان في عصر الأمارة الأموية بالأندلس"، العدد الخامس والعشرون، يناير ٢٠٠٢، ص ص ٣٧-٤٧.
- **جمال عبد الكريم:**
  - " دور الثقافة العربية في البحر الأبيض المتوسط " صقلية والأندلس خلال العصور الذهبية للإسلام في الغرب "، العدد التاسع عشر، يناير ١٩٩٨، ص ص١١-٤٨.
- **حسن خضيرى أحمد :**
  - " مدينة سبتة وخططها في القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي "، العدد الرابع عشر، يناير ١٩٩٥، ص ص ١٧٥-٢١٧ .
- **حسين سيد عبد الله مراد :**
  - " الحياة الثقافية في الدولة الحفصية في القرن ٧هـ/١٣م في ضوء رحلة العبدري "، العدد الثالث عشر، يوليو ١٩٩٤، ص ص٢١٧-٢٦١ .

- **راضي عبد الله عبد الحليم :**
  - " التدخل النورماندي في بلاد المغرب"، العدد الثالث،يناير ١٩٨٩، ص٢١١-٢٤٦.
  - " المجتمع الأندلسي في عصر الولاة ٩٢-١٣٨هـ "، العدد الثاني عشر ،يناير ١٩٩٤، ص ص١٢١-١٥٧ .
  - " المغرب في العصر الأموي(٤٠-١٣٢هـ)"، العدد العاشر، يناير ١٩٩٣، ص ص١٢١-١٧٨ .
- **عبد الحميد حسين محمود حموده :**
  - " التجارة في أفريقيا في عصر الأغالبة "، العدد الرابع عشر، يناير ١٩٩٥، ص ص٩٩-١٧٤ .
  - " النظام القضائي في القيروان في عصر الأغالبة (١٨٤هـ/٨٠٠م-٢٩٦هـ/٩٠٨م) "، العدد الحادي عشر، يوليو ١٩٩٣، ص ص٨٧-١٢٦.
- **عبادة عبد الرحمن كحيلة :**
  - " الطوائف ودورها في ضياع الأندلس "، العدد الثالث، يناير ١٩٨٩، ص ص٩١-١٠٨.
- **سر الختم سيد أحمد العراقي :**
  - " الثقافة الإسلامية – تطورها وازدهارها في أفريقية الشرقية في العصور الوسطى "، العدد التاسع عشر، يناير ١٩٩٨، ص ص٧١-١٠١.
- **سلامة محمد الهرفي البلوي :**
  - " المثاقفة بين العرب والغرب (التجربة الأندلسية نموذجاً) "، العدد التاسع والعشرون، يناير ٢٠٠٦، ص ص١٨٧-٢٢٨.
- **محمد بركات البيلي :**
  - " الجوائح في الأندلس منذ الفتح الإسلامي حتى نهاية عصر الخلافة"، العدد الثامن عشر، يوليو ١٩٩٧، ص ص٢٣٣-٢٨١.
  - " الإدريسي وخطيته أنس المهج وروض الفرج "، العدد الثلاثون، يناير ٢٠٠٧، ص ص٨٣-٩٤.

- " المرأة الأندلسية في عصر أمويي الأندلس"، العدد السادس عشر، يوليو ١٩٩٦، ص ص٤٥-١٠٤.
- "محمد عبد الله بن مسرة ونزعته المسرية في الأندلس" العدد الخامس عشر، يوليو ١٩٩٥، ص ص٢٧٥-٣١٤.

- **محمد عبد الباسط محمد حسين :**
- " الدور السياسي للفهريين في الأندلس منذ الفتح العربي حتى أواخر عهد عبد الرحمن الداخل(٩٦-١٦٣ هـ) "، العدد الحادي عشر، يوليو ١٩٩٣، ص ص٥٩-٨٦ .

- **محمود عرفه محمود :**
- " خطة الشرطة بالأندلس في عهد الخليفة الحكم المستنصر ٣٥٠-٣٦٦هـ/ ٩٦١-٩٧٩م "، العدد الحادي عشر، يوليو ١٩٩٣، ص ص١١-٥٨.

- **مسعد محمد عبد الله :**
- " صناعة النسيج في الأندلس الإسلامي "، العدد الثلاثون، ينـاير ٢٠٠٧، ص ص ٩٥-١٥٤.

- **منى حسن أحمد محمود :**
- " هجرات الأندلسيين إلى شرق البحر الأبيض المتوسط خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين "، العدد الخامس، يناير ١٩٩٠، ص ص٥٩-٨٢.

هـ - تاريخ أوربا في العصور الوسطى :

- **أحمد عبد الكريم سليمان :**
- الصراع الدولي في الغرب الأوربي في منتصف القرن الخامس الميلادي "، العدد الثاني عشر ،يناير ١٩٩٤، ص ص٢١٣-٢٥٢.

- **أميرة مصطفى أمين يوسف :**
- " كونرادين وعرش الصقليتين "، العدد الخامس والعشرون، يناير ٢٠٠٢، ص ص٨١-١٠٤.

- **حسن أحمد عبد الجليل البطاوي :**
  - " رحلات الحجاج الأوربيين إلى الدول الصليبية في الشرق الإسلامي (٤٩٢-٥٨٣ هـ / ١٠٩٩-١١٨٧م) "، العدد السادس والعشرون، يناير ٢٠٠٣، ص ص١٨٩-٢٢٩ .
- **حسين محمد عطية :**
  - " عشر صلاح الدين وأصوله التاريخية في غرب أوربا ومملكة بيت المقدس الصليبية "، العدد السادس، يناير ١٩٩١، ص ص١١٥-١٧٦.
- **طارق منصور :**
  - " القسطنطينية بين الكتابات الصليبية ١٠٩٦-١٢٠٤م دراسة تحليلية للرؤى الصليبية لمدينة قسطنطين "، العدد التاسع والعشرون، يناير ٢٠٠٦، ص ص٢٦١-٣٥٢.
  - " معاهدتا ٩٠٧ : ٩١١م بين البيزنطيين والروس اثنتان أم واحدة ؟ دراسة تحليلية "، العدد الرابع والعشرون، يناير ٢٠٠١، ص ص١١-٤٣.
- **عادل عبد الحافظ حمزة :**
  - " البابوية والهجمات الإسلامية على إيطاليا في القرن التاسع الميلادي/ الثالث الهجري"، العدد الثالث عشر، يوليو ١٩٩٤، ص ص١١٥-١٤٤.
- **عبد الرحمن محمد العبد الغني :**
  - " ملحمة ديجينس أكريتاس مصدراً من مصادر التاريخ الاجتماعي لمنطقة الحدود الشرقية البيزنطي"، العدد السابع عشر، يوليو ١٩٩٦، ص ص٢٦٥-٢٩٨.
- **غيثان بن علي بن جريس :**
  - " سلطنة أوفات الإسلامية في العصور الوسطى (٦٠٠-٩٠٠هـ/١٢٠٠-١٥٠٠م) "، العدد السادس عشر، يوليو ١٩٩٦، ص١٥٣-١٨٩ .
- **سعود محمد العصور :**
  - " تجارة الكارم في العصر المملوكي "، العدد الثلاثون، يناير ٢٠٠٧، ص ص١٣-٥١

- **ليلى عبد الجواد إسماعيل :**
  - " القسطنطينية في ضوء كتابات الجغرافيين والرحالة المسلمين "، العدد الثالث، يناير ١٩٨٩، ص١٥١-٢٠٢، و العدد الرابع ،يوليو ١٩٨٩، ص ص١٠٩-١٤٥ .
  - " دور البلغار في مواجهة حملة مسلمة بن عبد الملك على القسطنطينية (٩٨-١٠٠هـ/ ٧١٧-٧١٨م) "، العدد السادس، يناير ١٩٩١، ص ص٨٣-١١٣ .
  - " المسلمون في بلاد المجر في العصور الوسطى"، العدد السابع، يوليو ١٩٩١، ص ص٣٩-٨٠ .
  - " أضواء جديدة على تاريخ بلغاريا تحت الحكم البيزنطي "، العدد الرابع عشر، يناير ١٩٩٥، ص ص٣٠٩-٣٥٨ .
  - " القديس (أنطونيوس) رائد نظام الرهبانية ٢٥١-٣٥٦ م علم من أعلام بني سويف "، العدد التاسع والعشرون، يناير ٢٠٠٦، ص ص١٠٧-١٣٩.
- **محمد عثمان عبد الجليل :**
  - " السامريون في فلسطين وعلاقتهم بالدولة البيزنطية (٣٠٥-٦٣١م) "، العدد الثامن والعشرون، يناير ٢٠٠٥، ص ص٧٥-١٠٦.
  - " دوقية المورة البيزنطية في عهد آل باليولوجوس ١٣٨٣-١٤٦٠م "، العدد التاسع والعشرون، يناير ٢٠٠٦، ص ص٣٢٧-٣٦٠.
- **ناهد عمر صالح :**
  - " الاتحاد الكنسي في عصر الامبراطور يوحنا الخامس باليولوجوس (١٣٥٤-١٣٧٦م) "، العدد الثامن والعشرون، يناير ٢٠٠٥، ص ص٣١١-٣٤١.
- **هاني عبد الهادي البشير :**
  - " البيالصة في آسيا الصغرى في ضوء مصنف بطرس الصقلي "، العدد الرابع والعشرون، يناير ٢٠٠١، ص ص٤٥-٨٨.

- " نقفوروس بطريرك القسطنطينية (٨٠٦-٨١٥ م) ومؤلفه " التاريخ المعاصر "، العدد السادس والعشرون، يناير ٢٠٠٣، ص ص٣٩-٧٥.

- **وديع فتحي عبد الله :**
  - " العلاقة بين الدولة والكنيسة في عصر نقفور الأول (٨٠٢-٨١١م) "، العدد الثامن والعشرون، يناير ٢٠٠٥، ص ص١٠٧-١٦٠.

ثالثا : التاريخ الحديث :

آسيا :

- **أميرة علي وصفي مدام :**
  - " خيرات ماه بيكر كوسم والدة سلطان ووقفيتها لخدمة الحرمين الشريفين صورة للتضامن الاجتماعي والديني خلال العصر العثماني (١٠٢٦هـ-١٦١٧م- ١٠٤٩هـ/١٦٣٩م) "، العدد الرابع والعشرون، يناير ٢٠٠١، ص ص٢٩١-٣٣٢.

- **إبراهيم محمد شهداد**
  - " مسألة خلافة الحكم في قطر ١٩٥٠-١٩٦٠"، العدد الثاني والعشرون، يوليو ١٩٩٩، ص ص١١-٣٩.

- **إيمان محمد عامر :**
  - " أصداء المعاهدة السورية الفرنسية عام ١٩٣٦ في الصحف المصرية "، العدد الثاني والعشرون، يوليو ١٩٩٩، ص ص٤١-١٠٢.

- **حياة محمد البسام:**
  - " النفوذ البريطاني في الخليج العربي وموقف الدولة العثمانية منه "، العدد الخامس عشر، يوليو ١٩٩٥، ص ص١٠٧-١٣٩ .

- **دانيال كرسيليوس، و حمزة عبد العزيز بدر :**
  - " شحنة غلال مصرية إلى الكلار السلطاني باستانبول١٧٦٣م " ،العدد العاشر، يناير ١٩٩٣، ص ص١١-٢٥.

- **سعيد خليل هاشم:**
  - " التعليم وتحديثه في البحرين "، العدد الثالث عشر، يوليو ١٩٩٤، ص ص٦٣-٨٨ .
- **عبد العليم علي أبو هيكل :**
  - " التجارة المصرية مع نجد خلال الربع الأخير من القرن ١٨ في ضوء الوثائق المحلية "، العدد السادس عشر، يوليو ١٩٩٦، ص ص١١-٤٤.
  - " جمال باشا في سورية بين السياسة العثمانية والتطلعات العربية "، العدد الرابع ،يوليو ١٩٨٩، ص ص٢٥٩-٣١٩.
  - " بنو خالد في الإحساء والدولة السعودية الأولى"، العدد الخامس، يناير ١٩٩٠، ص ص١٧٣-٢١٦.
  - " دور القبائل الحجازية والشامية في الثورة العرابية "، العدد الأول، يناير١٩٨٨، ص ص٢٧١-٣٠٢ .
  - " الرقيق الأفريقي بالحجاز خلال النصف الأول من القرن العشرين "، العدد الثاني، يوليو ١٩٨٨، ص ص٩٣-١١٨.
  - " العمل والعمالة السعودية حتى نهاية عهد الملك عبد العزيز "، العدد الثالث والعشرون، يناير ٢٠٠٠، ص ص٢٢٩-٢٦٤.
  - " عبد المحسن السعدون بين الوطنية ومهادنة الانجليز "، العدد الثالث، يناير ١٩٨٩، ص ص٢٤٧-٢٩٤.
  - " مسألة العقبة بين السعودية وشرق الأردن "، العدد السابع، يوليو ١٩٩١، ص ص١٤٠-١٦٣.
- **عبد القادر حمود القحطاني :**
  - " تجارة الرقيق في الخليج العربي (في التاريخ الحديث) "، العدد الخامس عشر، يوليو ١٩٩٥، ص ص١٩٥-٢٣١.
- **عبد الله سراج منسي :**
  - " موقف بريطانيا من فتح قنصلية أمريكية في الكويت (١٩٤٦-١٩٥١)"، العدد السادس عشر، يوليو ١٩٩٦، ص ص١٠٥-١٢٦.

- **عبد الوهاب بن صالم بابعير :**
  - " الأبعاد التاريخية لرحلة هاملتون في الجزيرة العربية عام ١٩١٧"، العدد السادس عشر، يوليو ١٩٩٦، ص ص١٢٧-١٥٢.
- **فتوح عبد المحسن الفتوش :**
  - " الدولة السعودية الثالثة في مرحلة النشأة وإرساء الأساس وموقف الدولة العثمانية وبريطانيا(١٩٠٢-١٩١٥م)"، العدد الثاني عشر ،يناير ١٩٩٤، ص٢٣-٥٢ .
  - " نشأة الكويت"، العدد الحادي عشر، يوليو ١٩٩٣، ص ص١٢٧-١٧٠.
- **ماجدة منصور :**
  - " قضية كشمير والسياسات النووية "، العدد الثلاثون، يناير ٢٠٠٧، ص ص ١٨٣-١٧٠
- **محمد بن عبد الله النوصير :**
  - " موقف الأهالي في نجد من حملات طوسون وإبراهيم باشا "، العدد الرابع والعشرون، يناير ٢٠٠١، ص ص٣٣٣-٣٦٥.
- **محمد حسن العيدروسي :**
  - " الأحوال العسكرية في العراق والشام إبان الحرب العالمية الأولى في ضوء وثائق لجنة الدفاع الأمبريالي "، العدد العشرون، يوليو ١٩٩٨، ص ص١٧٣-٢٠٢.
  - " الصراع على الحكم في دبي والشارقة في ضوء الوثائق البريطانية لعامي ٣٤ و ١٩٣٩ "، العدد الثاني والعشرون، يوليو ١٩٩٩، ص ص٢٦٥-٢٩٢.
  - " مجلس التعاون الخليجي بين الأمن الإقليمي والتحديات"، العدد الخامس عشر، يوليو ١٩٩٥، ص ص٢٣٣-٢٧٤.
- **محمد عبد الرحمن بـرج :**
  - " القضية الأرمنية بين مؤتمري برلين والحرب العالمية الأولى١٨٧٨-١٩١٤"، العدد الخامس، يناير ١٩٩٠، ص ص١١٧-١٣٤.

- **محمد عفيفي عبد الخالق :**
  - " المصادر المصرية لتاريخ الكويت في القرن العشرين "، العدد العشرون، يوليو ١٩٩٨، ص٢٠٣-٢٢٠.
- **محمد فؤاد خليل :**
  - " المعاهدة العثمانية الأمريكية ١٨٣٠م "، العدد السادس والعشرون، يناير ٢٠٠٣، ص ص٢٣١-٢٧٢.
- **محمد كمال يحيى :**
  - " قضية لواء الاسكندرونة "، العدد الرابع ،يوليو ١٩٨٩، ص ص٢٠٥-٢٥٨.
- **نجاة عبد القادر الجاسم :**
  - " التطور التاريخي للوعي السياسي القومي في دولة الكويت والمخاوف البريطانية منه ١٩٣٩-١٩٥٣"، العدد التاسع، يوليو ١٩٩٢، ص ص٢٣٥-٢٨٥.

أفريقيا :

- **أحمد الشربيني السيد :**
  - " موقف الحكومة المصرية من التضخم إبان الحرب العالمية الأولى "، العدد الأول ،يناير١٩٨٨، ص ص٣٠٣-٣٤٢ .
  - " التكوين الاجتماعي للتجارة في مصر "، العدد الثالث، يناير ١٩٨٩، ص ص٢٩٥-٣٤٤ .
  - " الغلاء وآثاره الاجتماعية في مصر بين الحربين العالميتين"، العدد السابع، يوليو ١٩٩١، ص ص١٦٥-٢٤٠ .
- **إسماعيل محمد زين الدين :**
  - " محمد مندور وفكره السياسي والاجتماعي"، العدد الثاني، يوليو ١٩٨٨، ص ص١١٩-١٥٢ .
  - " الصناعة في عهد إسماعيل "، العدد الرابع ،يوليو ١٩٨٩، ص ص٣٢١-٣٥٨ .

- **إلهام محمد ذهني :**
  - " مديرية دنقلة في ظل الحكم المصري (١٨٢٠-١٨٧٩) "، العدد الثاني، يوليو ١٩٨٨، ص ص١٥٣-١٩٧ .
- **إبراهيم جلال :**
  - " موقف النظام العنصري في اتحاد جنوب أفريقيا من قضايا التنمية الأفريقية .. دراسة وثائقية لتقرير لجنة توملينسون ١٩٥٠-١٩٥٤م "، العدد السابع والعشرون، يناير ٢٠٠٤، ص ص٣٢٣-٣٧٢.
- **سحر علي حنفي :**
  - " مظاهر الانحراف الاجتماعي في القاهرة إبان العصر العثماني "، العدد الثامن والعشرون، يناير ٢٠٠٥، ص ص٤٢١-٤٦٩.
- **السيد سيد أحمد توفيق دياب :**
  - " صناعة السكر في مصر في عهد الخديوي إسماعيل ١٨٦٣-١٨٧٩م "، العدد السادس والعشرون، يناير ٢٠٠٣، ص ص٢٧٣-٣٢٠.
- **عبد العزيز درويش حكيم :**
  - " دراسة ونشر لوثيقة إنشاء وقف من العصر العثماني "، العدد الثلاثون، يناير ٢٠٠٧، ص ص١٥٥-١٨١.
- **عبد العليم علي أبو هيكل :**
  - " التجارة المصرية مع نجد خلال الربع الأخير من القرن ١٨ في ضوء الوثائق المحلية "، العدد السادس عشر، يوليو ١٩٩٦، ص ص١١-٤٤.
- **عمر سالم بابكور :**
  - " التنافس الاستعماري الأوربي في أعالي النيل(١٣٠٠هـ-١٣٢٢هـ/١٨٨٢م-١٩٠٤م) "، العدد الثامن عشر، يوليو ١٩٩٧، ص ص١٦٩-٢٣٢.
- **فيصل عبد الله أحمد الكندري :**
  - " جان بردى الغزالي وموقفه من العثمانيين"، العدد السابع عشر، يوليو ١٩٩٦، ص ص١١-٤٤.

- **محمد عفيفي عبد الخالق :**
  - " الخطط والحياة الاقتصادية في حارة اليهود بالقاهرة في العصر العثماني"، العدد العاشر، يناير ١٩٩٣، ص ص٢٧-٤٧.
- **محمد كمال يحيى :**
  - " الغزو الفرنسي لمصر في ضوء الوثائق التركية"، العدد الخامس، ينـــاير ١٩٩٠، ص ص١٣٥-١٧١.
- **وجيه عبد الصادق عتيق :**
  - " الحملة الفرنسية والمتغيـــرات التاريخيـــة والحـــضارية "، العـــدد الأول، يناير١٩٨٨، ص ص٢٢٧-٢٦٩.
  - " الأرشيف الألماني وكتابة تاريخ مصر المعاصر"، العدد الثـــاني، يوليـــو ١٩٨٨، ص ص٦٩-٩٢.
- **يحيى محمود محمد :**
  - " المهمشون في جنوب القاهرة في النصف الأول من القـــرن العـــشرين "، العدد الخامس والعشرون، يناير ٢٠٠٢، ص ص٣٤١-٣٦٨.

أوربا :

- **تمام همام تمام:**
  - " الجهود العربية المضادة للنفوذ البرتغالي في المحيط الهندي (١٤٩٨-١٧٣٠) "، العدد الرابع ،يوليو ١٩٨٩، ص ص١٤٧-٢٠٣ .
- **جمال عبد الكريم:**
  - " الموريسكيون – تاريخهم وآدابهم "،العدد الخـــامس، ينـــاير١٩٩٠، ص ص٨٣-١١٥ .
- **فؤاد شهاب :**
  - " مدخل لفهم المجرى العميق للعلاقات العربية الأمريكية "، العـــدد التاســـع والعشرون، يناير ٢٠٠٦، ص ص٤٢٣-٤٤١.
- **فيصل عبد الله أحمد الكندري :**
  - " الفتح العثمـــاني لمدينـــة بلغـــراد ٩٢٧هــــ/١٥٢١م"، العـــدد الـــسابع

والعشرون، يناير ٢٠٠٤، ص ص٢٩٥-٣٢١.

- **علا عبد العزيز أبو زيد :**
  - " الغرب في كتابات المسلمين بين التجهيل والافتتـــان والـــرفض"، العـــدد الثامن، يناير ١٩٩٢، ص ص١٦١-٢١١.
- **محمد حسن العيدروسي :**
  - " أوضاع الأقلية الإسلامية في بلغاريا منذ نهاية الحرب العالميـــة الثانيـــة حتى أحداث ١٩٨٥"، العدد التاسع، يوليو ١٩٩٢، ص ص١٠١-١٦١.
- **نعمان محمود جبران :**
  - " الأقليات الإسلامية في أوربا الغربية دراسة لأوضاع الأقلية المسلمة فـــي ألمانيا الغربية" ،العدد السابع عشر، يوليو ١٩٩٦، ص ص١٤٩-١٨٣.
- **وجيه عبد الصادق عتيق :**
  - " رؤية تاريخية لتفادي مخاطر العولمة على عالمنا العربـــي المعاصـــر "، العدد التاسع والعشرون، يناير ٢٠٠٦، ص ص٤٠٣-٤٢٢.

رابعاً : الآثار :

- **أحمد رجب محمد :**
  - الكتابات العربية على الآثار الإسلامية في مدينة دلهي بالهند مـــن القـــرن السادس إلى القرن العاشر الهجري، الثاني عشر إلـــى الـــسادس عـــشر الميلادي "، العدد الخامس والعشرون، يناير ٢٠٠٢، ص ص٢٩٣-٣٤٠.
- **آمال منصور محمود :**
  - " أدوات الفتح والغلق في الفنون الإسلامية في ضوء مجموعة مختارة بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة "، العدد الثامن والعشرون، يناير ٢٠٠٥، ص ص٤٧١-٥١٧.
- **جيري ل .باكاراك سهام محمد المهدي :**
  - "دراسة في النقود الفاطمية" ،العدد العاشر، يناير ١٩٩٣، ص ص١٠٧-١١٩.

- **حسني نويصر :**
  - " مئذنة بلا مسجد "، العدد الأول ،يناير١٩٨٨، ص ص٥٣-٩٤.
  - " مضامين شريفة بنصوص تأسيس المدرسة الأشرفية برسباي بالقاهرة (دراسة معمارية حضارية) "، العدد الخامس، يناير ١٩٩٠، ص ص٢١٧-٢٧٢.
- **أبو الحمد محمود فرغلي :**
  - " آثار فنية إسلامية من لعبة الشطرنج"، العدد السادس، يناير ١٩٩١، ص ص١٧٧-٢١٤.
- **سعاد محمد حسن :**
  - " ثلاث آلات حرب دفاعية بالمتحف القبطي "، العدد السابع، يوليو ١٩٩١، ص ص٣٠٣-٣٣٢.
- **سهام محمد المهدي :**
  - " دينار فاطمي نادر ضرب في زبيد عام ٤٤٧ هـ"، العدد الثاني، يوليو ١٩٨٨، ص ص٦٣-٦٧.
  - " دينار رشيدي نادر"، العدد الثالث، يناير ١٩٨٩، ص ص٢٠٣-٢١٠.
- **عائشة عبد العزيز محمد التهامي :**
  - " المنشآت المعمارية للسلطانة شجر الدر بمدينة القاهرة "، العدد الثامن عشر، يوليو ١٩٩٧، ص ص٢٧-٧٧.
- **عصام عرفه محمود :**
  - " أصول هندسية أثرت في بناء الشخصية الفنية الإسلامية "، العدد الخامس والعشرون، يناير ٢٠٠٢، ص ص٢٥٩-٢٩٢.
  - " الإدراك الجمالي من منظور فكر الحسن بن الهيثم "، العدد الحادي والعشرون، يناير ١٩٩٩، ص ص٧٧-١٢٨.
  - " التناسب الهندسي والجمالي بالعمارة الإسلامية منذ فجر الإسلام حتى القرن الرابع عشر الميلادي "، العدد الثامن عشر، يوليو ١٩٩٧، ص ص٧٩-١٦٧.

- " اللون ونشأة التراث الفني الإسلامي"، العدد التاسع عشر، يناير ١٩٩٨، ص ص١٠٣-١٦٨.
- " مورفولوجيا الأساليب الفنية المحلية وأثرها على الطابع الفني العام "، العدد الثالث والعشرون، يناير ٢٠٠٠، ص ص٢٦٥-٢٩٥.

• **علاء الدين عبد المحسن شاهين :**

- " الرمزية التاريخية للأقواس التسعة في المصادر المصرية وحتى نهاية الدولة الحديثة "، العدد الثامن، يناير ١٩٩٢، ص ص٣٥-٦٤ .

• **علي بن إبراهيم غبان :**

- " نقش تذكاري لأحد أمراء بني الجراح مؤرخ بسنة ٤٨٠هـ/١٠٨٧-١٠٨٨م "، العدد الرابع والعشرون، يناير ٢٠٠١، ص ص١٢٩-١٦٩.

• **مايسة محمود داود :**

- " دراسة أثرية وفنية لقطعة ذهبية نادرة من النقود في صقلية بمجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة "، العدد الخامس، يناير ١٩٩٠، ص ص٢٧٣-٢٩١.
- " اتجاه جديد نحو تفسير ظاهرة وجود الرموز الأبجدية على السكة الإسلامية "، العدد السادس، يناير ١٩٩١، ص ص٤٧-٨٢.

• **محمود إبراهيم حسين :**

- " العمارة الهندية من خلال التصاوير الإسلامية"، العدد الرابع ،يوليو ١٩٨٩، ص ص٤٠١-٤٢٤.
- " مدرسة التصوير الإسلامي على الخزف الإيراني في العصور السلجوقية والمغولية "، العدد الثامن، يناير ١٩٩٢، ص ص١١٧-١٦٠.

• **مصطفى عبد الله شيحة :**

- " أضواء على تاريخ العمارة الدينية في عصر بني رسول باليمن "، العدد الثاني، يوليو ١٩٨٨، ص ص٢٧-٦١.
- " بعض التأثيرات الآسيوية على العمائر والفنون الإسلامية في اليمن"،

العدد الرابع ،يوليو ١٩٨٩، ص ص٣٥٩-٤٠٠.

- منى محمد بدر :
  - " انعكاسات الحملة الفرنسية على الآثار الإسلامية بمدينة القاهرة "، العدد الحادي والعشرون، يناير ١٩٩٩، ص ص٢٠٣-٢٧٤.

خامساً : المقالات الأجنبية :

- **Ahmed Abd El-Kader Galal :**
  - " Readings in The Rhetorical Language Of Same Middle Egyptian Tales " , vol.10,Jan . 1993, pp 1-24
- **Hassan El-Basha :**
  - " An Ottoman Drawing of the Prophet's Mosque" , vol.1, Jan . 1988, pp.1-6
- **Mohammad Gamal El-Din El-Messaddy :**
  - " The Struggle Between Khedive Abbas Hilmi II And The Occupation " , Part I . vol .VI, Jan .1991. pp 5-14 ; Part II , vol. VII, July 1991, pp 5-20.
- **Mohammad Hassan Al-Aidaroos :**
  - " The Political Security Of Gulf Country Cooperative Council " , vol. VI, Jan.1991,pp 15-43.
- **Mahmoud Ibrahim Hassein :**
  - " Die Vergnugungen Des Hofes Un Alltagsleben Zur Zeit Der Mamluken " . vol. VII, July.1991.pp 2-23
- **Michael G.Morony :**
  - " Aframework For The Understanding Of Early Islamic Economic History " . vol. 15, July 1995,pp 3-14

"معركة أرسوف" ١٤ شعبان ٥٨٧هـ/٧ سبتمبر١١٩١م

منعطف هام في تاريخ الحروب الصليبية

د. أحمد بن هاشم البدرشيني
أستاذ مساعد بقسم التاريخ
جامعة طيبة

بعد أن استولى الصليبيون على مدينة عكا في١٧ جمادي الآخرة عام ٥٨٧هـ/١٢ يوليو ١١٩١م، وحتى خوضهم غمار الحرب في معركة أرسوف في ١٤ شعبان ٥٨٧هـ/٧ سبتمبر ١١٩١م، جرت عدة أحداث كان لها عظيم الأثر في نشوب هذه المعركة التي تعتبر منعطف خطير في تاريخ الحروب الصليبية لأنها تشير إلى أن ميزان القوى الذي كان في صالح المسلمين منذ الانتصار الذي تحقق في معركة حطين عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م، بدأ يتحول لصالح الصليبيين منذ هذه المعركة، وحتى عام ٦٤٨هـ/١٢٥٠م أي لمدة ستين عام[1]، مما يوضح بجلاء أهمية هذه المعركة، ويستوجب معرفة ما حدث من تغيرات في المعسكرين الصليبي والإسلامي خلال هذه الفترة.

فيما يتعلق بالجانب الصليبي، طرأت عدة أمور استوجبت عليهم مواجهتها، منها النزاع الذي قام بين العاهلين الانجليزي والفرنسي، إذ تأزم الموقف بين الملك ريتشارد الأول والملك الفرنسي فيليب أوغسطس، وقد اختلفت روايات المؤرخين حول أسباب هذا النزاع، فيرى كل من المؤرخ المجهول صاحب كتاب الحملة الصليبية الثالثة والمؤرخ ديفزس والمؤرخ فينسوف أن الملك الفرنسي كان يؤيد كل التأييد المركيس كونراد دي مونتفرات حاكم مدينة صور Conrad de Montifrat ويقف إلى جانبه وقوفاً أقضى به إلى عزمه على منحه كل نصيبه هو ذاته في كل ما آل إليه من مكاسب، بينما كان الملك الانجليزي ريتشارد يعطف كل العطف على ملك بيت المقدس الأسمى جي دي لوزجنان Guy de Lusignan ويؤيد دعواه فيما يتعلق بوراثة عرش مملكة بيت المقدس[2]، بيد أن المؤرخ المجهول صاحب كتاب ذيل وليم الصوري يرى أن الموقف

تأزم بين العاهلين بسبب قيام الملك ريتشارد ببعض الأعمال غير اللائقة أثنـــاء حـــصار الصليبيين لمدينة عكا، إذ استغوى الملك الانجليزي بعـض أتبـاع الملـك الفرنـسي، واستمالهم إليه وأدخلهم في خدمته عن طريق رشوتهم أثناء مرضه الأخير(٣)، ويـشير كل من ابن واصل(٤) وابن الفرات(٥)، إلى أن الملك الفرنسي عزم على المسير إلى بلاده لأمر اختل عليه، فأخذ قسماً من الأسرى المسلمين في داخل مدينة عكا، وسـلمهم إلـى المركيس كونراد، ووكله في قبض نصيبه من افتداء الأسرى.

على أية حال، وأيما كان السبب، فمن المرجح أن الملك الفرنسي قـد أدرك أن الموقف قد تأزم بينه وبين الملك الانجليزي، وشعر بصعوبة التعامل مع شخصية قويـة تأبى أن يشاركها أحد في الزعامة، ولهذا عـزم علـى الرحيـل(٦)، وتـرك المعـسكر الصليبي(٧)، في عكا(٨) مدعياً أنه مريض(٩)، وأنه أصبح في حل من عهده(١٠).

واختلفت روايات المؤرخين الغربيين حول تاريخ رحيل الملـك الفرنـسي مـن مدينة عكا، فيشير المؤرخ المجهول صاحب كتاب الحملة الصليبية الثالثة إلى أنه غـادر عكا في اليوم الأول من أغسطس(١١)، عام ١١٩١م/٨ رجب عام ٥٨٧هـ بينما يـؤخر المؤرخ روجر الهوفدني هذا التاريخ بيوم واحد ويشير إلى أنه رحل يوم ٣١ يوليو(١٢)، عام ١١٩١/٧رجب عام ٥٨٧هـ، بينما يرى صاحب كتاب ملحمة ريتشارد قلب الأسـد إلى أن الملك الفرنسي فيليب ظل متواجداً في المعسكر الصليبي ولم يغـادره، بـل أنـه شارك الملك الانجليزي في زحفه إلى مدينة بيت المقدس(١٣)، وهي رواية لا تتفق تماماً مع إجماع المؤرخين المسلمين والغربيين على رحيل الملك الفرنسي، ومغادرته المعسكر الصليبي في تلك الفترة.

ومهما يكن من أمر، برحيل الملك فيليب فإنه ترك مهمة تصفية الموقف المعقـد في بلاد الشام سواء بين الصليبيين بعضهم وبعض أو بينهم وبين صلاح الدين لزميلـه الملك ريتشارد الذي أصبح – بعد عودة الملك الفرنسي – هو الزعيم الأوحد للصليبيين، وكان عليه الاضطلاع بالمهمة الكبرى التي يعمل الصليبيين على تحقيقها وهي اسـتعادة بيت المقدس من أيدي المسلمين.

وكانت أولى المهام التي قام بها الملك ريتشارد لتحقيق هذا الهدف هي إعـادة

تحصين مدينة عكا، إذ أولى الملك الانجليزي كل عنايته، وبذل قصارى جهــده لتــرميم أسوار المدينة حتى تكون أكثر ارتفاعاً، وأقوى مما كانت عليه(١٤)، وحرص كل الحرص أن يشرف بنفسه على متابعة هذه الأعمال حتى يطمئن قلبه(١٥).

أما الأمر الآخر والذي كان مصدر حيرة الملك الانجليزي وقلقه هو مــا يتعلــق بالأسرى المسلمين المحتجزين داخل مدينة عكا سجناء في أيدي الصليبيين، وهناك شبه إجماع عند المؤرخين الغربيين على أن صلاح الدين لم يف بالعهد، ولم يلتزم بنــصوص المعاهدة التي عقدت بين الصليبيين والمدافعين عن عكا من المسلمين، وقبل أن نعرض لآراء المؤرخين سواء كانوا غربيين أو مسلمين حول هذا الأمر لا بد من الإشارة إلــى هذه المعاهدة ونصوصها.

يشير كل من المؤرخ ابن شداد والعماد الأصفهاني(١٦)، ويتفق معهما كثير مــن المؤرخين المسلمين(١٧)، إلى أن المدافعين عن عكا من " أهل البلد ضــاق بهــم الأمــر وتيقنوا أنه متى أخذت البلد عنوة ضربت رقابهم عن آخرهم، وأنهم قد صالحوا الفــرنج على أنهم يسلمون البلد إليهم بما فيه من الآلات والعدد والمراكب ومائتي ألــف دينــار، وألف وخمسمائة أسير مجاهيل الأحوال، ومائة أسير معنيــين مــن جــانبهم، وصــليب الصلبوت، على أن يخرجوا بأنفسهم سالمين، وما معهم من الأموال والأقمشة المختصة بهم، وذراريهم ونسائهم وضمنوا للمركيس عشرة آلاف دينــار، لأنــه كــان واســطة، ولأصحابه أربعة آلاف دينار، واستقرت على ذلك بينهم وبين الفرنج".

أما المؤرخ ابن الأثير فيشير، " فلما رأى المشطوب أن صلاح الــدين لا يقــدر على نفع، ولا يدفع عنهم ضراً خرج إلى الفرنج، وقرر معهم تسليم البلد وخــروج مــن فيه بأموالهم وأنفسهم، وبذل لهم عن ذلك مائتي ألف دينــار وخمــسمائة أســير مــن المعروفين، وإعادة صليب الصلبوت، وأربعة عشر ألف دينار للمركيس صاحب صــور، فأجابوه إلى ذلك، وحلفوا له عليه، وأن تكون مدة تحصيل المال والأسرى إلى شــهرين، فلما حلفوا له سلم البلد إليهم(١٨) ".

وعلى ذلك يكون الاختلاف بين رواية ابن الأثير ورواية المــؤرخين المــسلمين

محصوراً فقط في أعداد الأسرى التي يجب على المسلمين إطلاق سراحهم، وفي مقـدار المال الذي يقدم للمركيس، وأن ابن الأثير أضاف أن مدة التحصيل تكون خلال شهرين، ولما كان دخول الصليبيين مدينة عكا في يوم الجمعة ١٧ جمادي الآخر عام ٥٨٧هـ تكون نهاية مدة المهلة – حسب رواية ابن الأثير – في ١٧ شعبان ٥٨٧هـ.

أما روايات المؤرخين الغربيين فهي على طرف نقيض عن الروايات الإسلامية، فيشير المؤرخ المجهول[١٩] صاحب كتاب الحملة الصليبية الثالثة، ويتفق معه المـؤرخ امبراواز[٢٠]، إلى أن المفاوضات التي تمت بين المسلمين والصليبيين بشأن تسليم مدينة عكا كانت بين رسل الصليبيين وصلاح الدين مباشرة، وأن صلاح الدين عرض في مقابل السماح لمن بداخل مدينة عكا الخروج في أمان، أن يتسلم الصليبيين المدينة دون قيد أو شرط ويرد إليهم الصليب المقدس وألفي أسير من أكابر الصليبيين وخمسمائة آخـرين ممن دونهم منزلة، فأجتمع الملكان فيليب وريتشارد يتشاوران مـع حكمائهمـا وأهـل الفطنة ليدلوا برأيهم ويقدمون النصح، فانفض الاجتماع في النهاية على قبول العـرض الذي قدمه المسلمون، ووافق المليكان على الاتفاق، وتم القسم باحترام هذه الاتفاقيـة، وكتابة شروطها، وإعطاء الرهائن، فأذن لهم بمغادرة المدينة وأيـديهم خاويـة، وكـان تسليم الرهائن المسلمين الذين اختيروا من أبرز الأمراء وأجلهم قدراً، وتم الاتفاق على موعد أقصاه شهر واحد لرد الصليب ابتداء من يوم الأربعاء ١٢يوليو، وحتـى يمكـن العثور على الأسرى.

أن الباحث المدقق في هذه الرواية يتبين أن بها عدة مغالطات تاريخيـة، فهـي تشير إلى أن الذي قدم عرض تسليم مدينة عكا هو السلطان صلاح الدين، وهذا مخالف تماماً للواقع التاريخي، لأن صلاح الدين لو كان قد قام بهذا العمل بالفعل، فلماذا انتابـه الحزن والأسى عندما علم بدخول الصليبيين المدينة؟ وأصبح أشد حالـة مـن الوالـدة الثكلى والولهة الحيرى[٢١].

كما أن الرواية تشير إلى أن صلاح الدين عرض تسليم مدينة عكا للـصليبيين دون قيد أو شرط، وهذه الإشارة أيضاً لا تتفق مع حرص صلاح الدين الشديد في الدفاع عن المدينة، وبذل الغالي والنفيس للحيلولة دون سقوطها في أيدي الـصليبيين، فكيـف

يفرط ويتنازل عنها بهذه السهول؟ بالإضـــافة إلـــى أن غالبيـــة المـــؤرخين المـــسلمين والغربيين الذين عنوا بهذه الفترة قد أشاروا إلـــى أن يـــوم ١٢ يوليـــو ١١٩١م/ ١٧ جمادي الآخر هو يوم جمعة وليس يوم أربعاء كما أشارت هذه الرواية، وعليه فإن هذه الرواية لا يمكن الركون إليها والاعتداد بها.

أما صاحب كتاب الإمبراطور هرقل[٢٢] ومعه المؤرخ أرنول[٢٣] فيشيران إلـــى أن العرض جاء من المدافعين على المدينة، وتضمن العرض إعادة الصليب المقدس، وتبادل الأسرى رأس برأس، بينما تشير حوليات الملك ريتشارد الأول[٢٤] أن الذي تقدم بالعرض إلى الصليبيين هو صلاح الدين، وعرض إعادة الصليب المقدس وإطلاق ســـراح ٢٥٠٠ أسير ممن كانوا عنده مقابل تأمين حياة وأملاك المسلمين بداخل مدينة عكا.

وتتفق رواية المؤرخ رالف[٢٥] مع ما جاء في حوليات الملك ريتشارد، وتختلف معها فقط في أنها أشارت إلى أعداد الأســـرى ١٥٠٠، كمـــا تتفـــق روايـــة المـــؤرخ هيمروس[٢٦] مع رواية رالف تماماً إلا أنها أزادت عليها بأنها أضافت مائة من النـــبلاء المختارين إلى أعداد الأسرى وهم ١٥٠٠ أسير.

أما رواية المؤرخ ريجورد فتشير إلى أن صلاح الدين قد عرض إطلاق ســـراح جميع الأسرى المسيحيين وإعادة الصليب المقـــدس مقابـــل تـــأمين حيـــاة المـــدافعين وأموالهم[٢٧].

ومن خلال العرض السابق للروايات العربية وغير العربية يتضح أن الاخـــتلاف بينها قاصراً على من قام بالتفاوض مع الصليبيين، وأعداد الأسرى الصليبيين الذين يتم إطلاق سراحهم، وأيضاً في الفترة المحددة لتنفيذ هذا الأمـــر ســـواء شـــهر واحـــد أو شهرين.

كما يلاحظ أن جميع الروايات السابقة لم تشر إلى وقف القتال بـــين الجـــانبين الإسلامي والصليبي خلال هذه الفترة، ولهذا جرى أول اشتباك بين المسلمين والصليبيين في يوم الخميس ٣٠ جمادي الآخر عام ٢٥/٥٨٧ يوليو عام ١١٩١م بعـــد أســـبوعين فقط من استيلاء الصليبيين على مدينة عكا حسبما تشير المـــصادر العربيـــة، إذ يـــشير

المؤرخ ابن شداد(٢٨)، ويتفق معه كل من أبي شامة(٢٩)، وابن واصل(٣٠)، والعماد الأصفهاني(٣١)، وابن الفرات(٣٢)، إلى أن الفرنج خرجوا يوم الخميس سلخ جمادي الآخر من جانب البحر شمالي البلد (عكا)، وانتشروا انتشاراً عظيماً راجلهم وفارسهم، واستعدوا للقتال فأخبرت طلائع الجيش الإسلامي بذلك السلطان صلاح الدين، فأمر بالاستعداد للقتال، وأرسل الكثير من المحاربين لمعاونة طلائع الجيش التي شنت هجوماً على الصليبيين فانهزمت خيالتهم، وتراجع الرجالة، وخافوا أن يكون وراء الطلائع كميناً، فعادوا إلى خيامهم بعدما قتل من الصليبيين زهاء خمسين نفراً، وجرح خلق عظيم.

أما المصادر غير العربية فتحدد تاريخ هذا الاشتباك، وتشير إلى أنه في يوم الأحد ١٨/أغسطس(٣٣) عام ١١٩١م/ ٢٥ رجب ٥٨٧هـ، صاح المسلمون صياحاً عالياً يتحدون الصليبيين للنزال، وأغار المسلمون فجأة على الصليبيين، فدبت الفوضى في أرجاء المعسكر الصليبي، فهب الصليبيون لحمل أسلحتهم، فتقدم الملك ريتشارد على ظهر جواده ومعه أحد كونتات المجر ومعه كثير من المحاربين لمقاتلة المسلمين، فلما رأى المسلمون ذلك فروا على وجوههم، قام كونت المجر في مطاردتهم حتى ابتعد كثيراً، فوقع أسيراً في أيدي المسلمين، كما أسر المسلمون فارساً من أهل بواتيه يدعى هيج Hugh كان يعمل مارشالاً لريتشارد فحاول الملك إطلاق سراحه من أيدي المسلمين، لكنهم ضاعفوا من سرعتهم ومعهم الفارس هيج فلم يقف له أحد على أثر(٣٤).

على أية حال، سواء كانت الرواية العربية أو الرواية غير العربية هي الصحيحة، فإنهما يشيران دون ريب أن المسلمين لم يخلدوا إلى الراحة والاستكانة بعد سقوط مدينة عكا في براثن الصليبيين، وإنما ظلوا على أهبة الاستعداد للمواجهة، وإلحاق الخسائر بهم.

اتفقت المصادر العربية وغير العربية على أن الرسل من الجانبين الإسلامي والصليبي ظلوا يترددون على المعسكرين بشأن طريقة تنفيذ معاهدة الصلح بين الجانبين، وتم الاتفاق على أن يتم تحقيق ما هو وارد في الاتفاق المبرم بين الطرفين

على مراحل[٣٥]، ويشير ابن شداد إلى أن الصليبيين وملوكهم قد أجابوا السلطان صلاح الدين أن يتم تنفيذ هذه الاتفاقية على تروم ثلاثة[٣٦].

لما كان الملك الانجليزي ريتشارد يريد أن يحشد كل القوى الصليبية اســتعداداً لتحقيق الهدف المنشود وهو استعادة بيت المقدس، ورغبة من الملك فــي استحــضار الأسرى المسلمين الذين اصطحبهم المركيس كونراد عندما عاد إلى مدينة صــور بعــد استيلاء الصليبيين على مدينة عكا، لذلك أرسل الملك ريتشارد سفارة تتكون من ثلاثــة سفراء إلى صور لمناشدة كونراد بالعودة إلى مدينة عكا فــي صــحبته الرهــائن مــن المسلمين، ولكن المركيس رد على سفراء الملك رداً غليظاً، ورفــض الاســتجابة لمــا طلبوه متعللاً في هذا الرفض بخوفه من وجود الملك ريتشارد، كمــا أشــار المــركيس للسفراء بأنه في حالة عودة الصليب المقدس الصليبيين فإن من حقه الحــصول علــى نصفه وهو نصيب الملك الفرنسي، وأنه لم يسلم الرهائن حتى يتم هذا الأمر[٣٧].

عندما عاد السفراء إلى مدينة عكا في الخامس من أغــسطس عــام ١١٩١م/ الثاني عشر من رجب عام ٥٨٧هــ، وأخبروا الملك برد المركيس عندئذ استوقد غــيظ الملك ريتشارد وزاد غضبه، واستشار رجاله، فنصحوه بإعادة إرسال سفارة أخرى إلى كونراد، فاستجابة لهم، وتوجهت سفارة ثانية إلى صور ونجحت في إقنــاع المــركيس بإعادة الأسرى المسلمين إلى مدينة عكا ولكنها فشلت فــي إقنــاع المــركيس كــونراد بالانضمام إلى المعسكر الصليبي تمهيداً للزحف تجاه مدينة بيت المقدس[٣٨] .

أما عن اتفاقية الصلح بين المسلمين والصليبيين فلم يكتب لها النجاح، واختلفت الروايات العربية وغير العربية حول المتسبب والمسئول عن فشلها، إذ يــشير المــؤرخ ابن شداد[٣٩]، ويتفق معه كل من أبي شامة[٤٠]، وابن واصل، وابن الفرات[٤١]، – إلــى أن رسل الصليبيين ظلت تردد على المعسكر الإسلامي بشأن ما تقرر إنجازه للترم الأول، فأعد صلاح الدين الأسرى والمال المختصون بهذا الترم وهم مائة ألــف دينــار وألــف وستمائة أسير، وأرسل الصليبيون بعض الثقاة من رجالهم لمشاهدة ذلك، فشاهدوا ما تم إعداده ما عدا الأسرى المعنيين من جانبهم، فإنهم لم يكونوا فرغوا من تعيينهم، وظلــوا يماطلون حتى انقضى الترم الأول في ثامن عشر رجب عام ٥٨٧هــ/ الحادي عشر من

أغسطس عام ١١٩١م، عندئذ أرسل الصليبيون يطلبون مقررات الترم الأول فرد عليهم السلطان صلاح الدين بأن عليهم أن يختاروا أحد الأمرين: أما أن يطلق الصليبيون سراح من عندهم من أسرى المسلمين ويحصلوا على ما تقرر لهم في الترم الأول، ويحصلون على رهائن من المسلمين ضماناً لحصولها على ما تقرر في التروم الأخرى، وأما أن يقدم الصليبيون رهائن للمسلمين ضمانة لالتزام الصليبيين بإطلاق سراح الأسرى المسلمين بعد أن يتسلموا مقررات الترم الأول، فرفض الصليبيون الاختيار، وطالبوا بأن يسلم المسلمون ما تقرر للترم الأول ويكتفون بالأمان الذي منحه إياهم الصليبيون عندئذ رفض السلطان ذلك لعلمه بغدر الصليبيين لأنهم متى استلموا المال والصليب والأسرى، بينما الأسرى من المسلمين عندهم فإنهم لم يطلقوا سراحهم، ويكون وهن الإسلام عند ذلك عظيماً.

أما المؤرخ ابن الأثير فيشير إلى أن الصليبيين عندما ملكوا مدينة عكا احتاطوا على من فيه من المسلمين وعلى أموالهم وحبسوهم، وأرسلوا صلاح الدين ليرسل إليهم ما بذل من المال والأسرى الصليب، حتى يطلقوا من عندهم، فشرع في جمع المال، فلما اجتمع عنده من المال مائة ألف دينار جمع الأمراء واستشارهم، فأشاروا بأن لا يرسل شيئاً حتى يستحلفهم على أطلاق أصحابه، وأن يضمن الداوية ذلك، لأنهم أهل تدين يرون الوفاء فراسلهم صلاح الدين في ذلك، فرفض الداوية أن يحلفوا أو يضمنوا ذلك لأنهم كانوا يخافوا من غدر أخوانهم الصليبيين، أما الملوك فقد قالوا: إذا سلمتم إلينا المال والأسرى والصليب فلنا الخيار فيمن عندنا، وحينئذ علم صلاح الدين بعزمهم على الغدر فلم يرسل إليهم شيئاً(٤٢).

من خلال هذه الروايات العربية يتبين أن صلاح الدين لم يدخر جهداً إلا وبذله حرصاً على أرواح المسلمين بداخل مدينة عكا ممن كانوا أسرى عند الصليبيين، وأن الصليبيين هم الذين يتحملون عبء فشل تحقيق هذه الاتفاقية.

أما المصادر غير العربية فقد اتفقت على أن المسلمين هم المسئولون عن فشل هذه الاتفاقية، ويحملون السلطان صلاح الدين على وجه الخصوص مغبة عدم نجاحها، فيشير المؤرخ امبرواز(٤٣)– ويتفق معه كل من المؤرخ المجهول(٤٤) صاحب كتاب

الحملة الصليبية الثالثة، وصاحب كتاب أعمال الملك ريتشارد[٤٥]، وأرنول[٤٦]، وصاحب كتاب الإمبراطور هرقل[٤٧]، وصاحب كتاب حوليات الملك ريتشارد[٤٨]، وهيمــروس[٤٩]، وروجر الهوفدني[٥٠]- إلى أن الملك ريتشارد ظل يترقب انتهاء الفترة المحــددة بينــه وبين المسلمين، وما انتهى الوقت الذي حدده المسلمون لإرجــاع الــصليب المقــدس، وإطلاق سراح الأسرى الرهائن حسبما ورد في الاتفاق المبرم بين الطرفين حتــى أخــذ الملك ريتشارد بالانتظار ثلاثة أسابيع أخرى ليرى مدى التزام صلاح الــدين بكلمتــه، ولكن صلاح الدين لم يكن مستعداً لإرجاع الصليب، ولم يكن يعنيه أمر الرهــائن الــذين اتفق على استردادهم مقابل إرجاع الصليب، وكان الدافع على ذلك الموقف من جانبه هو طمعه في الحصول على شروط أحسن من السابقة وذلك حين جعــل الــصليب موضــع مساومة ومفاوضة، ولكنه في الوقت ذاته لم يكف عن إرسال الهدايا الجمــة والــسفراء إلى الملك ريتشارد اكتساباً للوقت بالكلمات المعسولة الخادعة، ولكنه مع ذلك لم يف أبداً بأي وعد من الوعود التي قطعها على نفسه.

وهكذا اختلفت رؤية المؤرخين المسلمين عن رؤية المؤرخين الغربيين حــول فشل تنفيذ الاتفاقية المبرمة بينهما، ولكن الباحث المدقق في رواية المؤرخين الغــربيين يرى بها بعض الملاحيظ، فقد ورد فيها أن الملك الانجليزي انتظر الوقت الذي تنتهي فيه المرحلة الأولى من الاتفاقية وهو كما أشارت إليه حوليات الملك ريتشارد ينتهي يوم ١٢ أغسطس[٥١] / ١٩ رجب أي بعد التاريخ المحدد في الرواية العربية بيوم واحــد فقــط، وعلى هذا يمكن القول بأنه ليس هناك ثمة اختلاف جوهري بين الروايتين في هذا الأمر، بينما تشير الرواية غير العربية إلى أن الملك ريتشارد انتظر ثلاثة أســابيع بعــد هــذا التاريخ ليرى مدى التزام صلاح الدين بتحقيق ما تم الاتفاق عليه، وهذا يعني أن الملــك الانجليزي ظل يترقب الأمر حتى يوم ٣ سبتمبر عام ١١٩١م/ ١١ شعبان عام ٥٨٧هـــ، وهذا الأمر يخالف تماماً مع ما جرى من أحداث، كما سيتضح فيما يلي من صفحات.

على أية حال، قام الملك الانجليزي يؤازره حشد كبير من الصليبيين بعمل شنيع يعود بنا إلى أيام دخول الصليبيين مدينة بيت المقدس وقتل أعداد كثيرة مــن المــسلين بداخلها، وهو قتل أعداد كبيرة من الأسرى المسلمين المحتجزين عند الصليبيين داخــل

مدينة عكا.

اختلفت الروايات سواء كانت عربية أو غير عربية حول أحداث هـذه المذبحـة من حيث أسبابها، وتاريخها، وأعداد من ثم قتلهم من المسلمين، فعن الأسباب، يشير كل من المؤرخ ابن شداد والعماد الأصفهاني(٥٢) ،- ويتفق معهما كل من أبـي شـامة(٥٣)، وابن واصل(٥٤)، وابن الوردي(٥٥)، وابن الفرات(٥٦)- إلى أن الملك الانجليزي ريتـشارد عندما رأى توقف السلطان عن تسليم المـال والأسـرى والـصليب، غـدر بالأسـرى المسلمين، وأظهر ما كان ابطن وركب هو وجميع عسكر الفرنج راجلهم وفارسـهم فـي وقت العصر من يوم الثلاثاء والسابع والعشرين من رجب عام ٥٨٧هـ/ العشرون مـن أغسطس عام ١١٩١م، ساروا حتى أتوا الآبار تحتل العياضية(٥٧)، وأقاموا خيامهم، ثـم ساروا حتى توسطوا المرج بين تل كيسان(٥٨)، والعياضية، ثم أحـضروا مـن الأسـرى المسلمين من كتب الله شهادته، وكانوا زهاء ثلاثة آلاف مسلم، وأوثقوهم فـي الحبـال، وحملوا عليهم حملة الرجل الواحد، فقتلوهم طعناً وضرباً بالسيف، والمسلمون يشاهدون ذلك، ولا يعلموا ماذا يصنعون لبعدهم عنهم.

أما المؤرخ ابن العديم فيشير إلى أن سبب المذبحة هو رغبة الـصليبيين فـي الحصول على أموال الأسرى وثيابهم وأسلحتهم ثم قتلهم، ويشير أيضاً إلى ان الصليبيين قتلوا من الأسرى المسلمين ألفين ومائتين، وأبقوا على حيـاة مـن رأوا أن يمكـن أن يفتدى بمال أو من يكون منهم صاحب سلطان(٥٩).

وبهذا يظهر جلياً أن هناك روايتين للمؤرخين العرب أحـدهما تـرى أن سـبب المذبحة هو فشل المفاوضات حول تنفيذ الاتفاقية بشأن الأسرى، وأن عدد الذين قـتلهم من الأسرى في هذه المذبحة هو زهاء ثلاثة آلف مسلم، أما الرواية الثانيـة فتـرى أن السبب هو طمع وجشع الصليبيين في الحصول على كل ما كان يمتلكه الأسرى من مـال وثياب وغيره، وأن أعداد منتم قتلهم من المسلمين كانوا ألفين ومـائتين بعـدما أبقـى الصليبيون على حياة البعض منهم.

أما عن الروايات غير العربية فقد اتفقت جميعها على أن أسباب المذبحـة هـو عدم التزام صلاح الدين بتنفيذ ما وعد به بشأن اتفاقية الأسرى، لاسيما إعادة الـصليب

المقدس الذي كانت له مكانة كبيرة وقيمة نفيسة عند الصليبيين فيشير المؤرخ امبرواز(٦٠)- ويتفق معه كل من المؤلف المجهول صاحب كتاب الحملة الصليبية الثالثة(٦١)، وصاحب كتاب الإمبراطور هرقل(٦٢)، وأرنول(٦٣)، وهيمروس(٦٤)، وروجر الهوفدني(٦٥) وصاحب كتاب أعمال الملك ريتشارد(٦٦)- إلى أن الملك ريتشارد عندما أيقن أن صلاح الدين قد غلظ قلبه من ناحية رهائنه، ولم يعد يشغل نفسه وخاطره بقضية افتداء الرهائن، لذلك عقد مجلساً ضم أكابر رجاله، واتفقوا على ألا يضيعوا مزيداً من الوقت عبثاً في حدوث أي تقدم من جانب السلطان، وقرروا قطع رقاب جميع من عندهم من الأسرى، ويستبقوا فقط على من كان أعظمهم قدراً وأعلاهم مكانة حتى يغالوا في طلب فديتهم أو يبادلوهم بمثلهم من الأسرى المسيحيين، وأشار كل من روجر الهوفدني(٦٧)، وصاحب كتاب أعمال الملك ريتشارد(٦٨)، إلى أسماء المسلمين الذين أبقى الصليبيون على حياتهم، ولم يتم قتلهم.

اختلفت الروايات غير العربية حول أعداد من تم قتلهم من أسرى المسلمين، فيشير صاحب كتاب الإمبراطور هرقل أنهم كانوا حوالي ١٧٠٠ مسلم(٦٩)، ويشير المؤرخ هيمروس إلى أنهم كانوا ١٦٠٠ مسلم(٧٠)، بينما يشير كل من امبرواز وفينسوف(٧١) والمؤلف المجهول(٧٢) صاحب كتاب الحملة الصليبية الثالثة إلى أنهم ألفين وسبعمائة مسلم، ويشير المؤرخ وليم دي نانجي أنهم كانوا خمسة آلاف(٧٣)، أما صاحب كتاب ملحمة ريتشارد فيرى أنهم ٦ آلاف(٧٤).

وقد أشار المؤرخ روجر الهوفدني إلى حادثة غريبة تبين مدى وحشية الصليبيين والتمثيل ونهش جثث ضحاياهم مما يعتبر وصمة عار على جبين الصليبيين فيقول: أنه بعد قتل الأسرى المسلمين وكانوا زهاء خمسة آلاف قتيل، قام الصليبيون بنهش بطونهم لاستخراج المرارة منها تمهيداً لاستخدامها في أغراض طبية، ولكنهم عثروا على كميات كبيرة من الذهب والفضة كان الأسرى قد أخفوها بلفها تحت الثياب على بطونهم(٧٥)، وقد أدت هذه الحادثة إلى تأجج الموقف بين الجانبين.

وقد ظلت هذه الأعمال الوحشية بظلال قاتمة داكنة في سجلهم غير الناصع، كما أن قسوتهم هذه لا تنم عن طباع مقصودة أو مصطنعة بقدر ما تنم عن طبع وسجية

غريزية، كما أن هذه الحادثة الشنيعة التي ترددت أصداؤها في كافة العــالم الإســلامي تؤذن بأخطار جسام، وتنبأ بأوخم النتائج بعدما أوغرت صــدور المــسلمين، وجعلتهــا تجيش بروح الكراهية للصليبيين وحلت بهم روح الإصرار والعزيمة على تدارك الأمــور بسرعة مكان الذهول والآسى.

كما اختلفت الروايات غير العربية حول تاريخ هذه المذبحة، فيــشير كــل مــن امبرواز وفينسوف[٧٦]، والمؤلف المجهول[٧٧] إلى أنها جرت يوم الجمعة السادس عشر من أغسطس ١١٩١م/ الثالث والعشرين من رجب ٥٨٧هـ، بينما يشير كل من روجــر الهوفدني[٧٨] وصاحب كتاب أعمال ريتشارد[٧٩]، إلى أنهــا جــرت يــوم الثلاثــاء ٢٠ أغسطس عام ١١٩١م/ ٢٧ رجب ٥٨٧هـ، وتتفق هذه الرواية الأخيرة مــع الروايــة العربية.

هكذا كانت الاختلافات بين الروايات العربية وغير العربية بشأن مذبحة الأسرى المسلمين من حيث الأسباب، وأعداد القتلى، وتاريخ هذه المذبحة.

ورغم ما جاء في الروايات السابقة عن أسباب هذه المذبحة، فمن المــرجح أن الملك ريتشارد عندما كان يعد العدة للزحف إلى بيت المقدس ويتأهب للخروج من عكا، وبعدما انتابه اليأس من أن صلاح الدين لم يمنحه شيئاً دون مقابل، لكل ذلــك وجــد أن وجود هؤلاء الأسرى من المسلمين أياً كانت أعدادهم – وهم دون ريب أعداد غير قليلة – يمثلون عبئاً ثقيلاً عليه، لأنه لو تركهم في مدينة عكا، وزحف بجيشه دونهــم، فإنــه يخشى أن يحاول المسلمون إطلاق سراحهم بعد مهاجمة مدينة عما، ولو اصطحبهم معه أثناء خروجه من عكا وزحفه نحو بيت المقدس، فإنهم سوف يمثلــون مــصدر خطــر ويسببون كثير من المتاعب للجيش الصليبي، لأن اصطحابهم ســيجعل حركــة الجــيش الصليبي بطيئة أثناء الزحف، بالإضافة إلى أن المسلمين سوف يبذلون قصارى الجهــد لإطلاق سراحهم، ويعمدون إلى مهاجمة الجيش الصليبي مراراً وتكراراً لتحقيــق هــذا الهدف.

أما عن نتائج هذه المذبحة، فمما لا ريب فيه أن قيام الصليبيين بهذا العمل قــد أدى إلى تأزم الموقف مع الجانب الإسلامي، بحيــث أن المــسلمين ســعوا للثــأر مــن

الصليبيين، ونجدهم بعد هذه المذبحة يقتلون كل من يقع أسيراً من الـصليبيين انتقامــاً لمقتل الأسرى المسلمين، وإلى فورة المسلمين المشبعة بالحماسة الدينية، وبعثــت فــي نفوسهم روح الحقد والكراهية للصليبيين، ورأى المسلمون أن الحرب مــع الـصليبيين مسألة حياة أو موت، وقضية كرامة وعزة، كما هي قضية أرض وتراث شرعي لهم وقع غصباً في يد أجنبية وعليهم أن يفعوا عنها تلك اليد، وباتوا مدفوعين بتلـك الرغبــات الجامحة إلى الانقضاض على الصليبيين.

ومن الصعوبات التي واجهت الصليبيين أيضاً قبيل زحفهم نحــو حيفــا تلكــؤ الفرنسيين في مشاركة الجيش الصليبي استعداداً للزحف، فيشير المؤرخ المجهول إلــى أن الملك ريتشارد بعدما تعافى من المرض الذي أصيب به، وبعــد أن فــرغ مــن قتــل الأسرى المسلمين غادر مدينة عكا، ونصب معسكره في السهول الواقعة خارج المدينة، وطلب من جميع أفراد جيشه ضرورة الانضمام إليــه، ولكــن الاســتجابة مــن بعــض الصليبيين وخاصة الفرنسيين، كانت على غير ما يأمل الملك، إذ كان خروجهم من عكــا وهم كارهون لذلك، ويسيرون بحركة بطيئة، مما أزعج الملك الانجليزي، فأصدر أوامره لغالبية الصليبيين في عكا(٨٠) بضرورة الإسراع في مغادرة المدينة واللحاق به، وحــاول بالمداهنة تارة، وبالرجاء تارة أخرى إقناع الفرنسيين على السير معه(٨١).

وقد اختلفت الروايات العربية وغير العربية حول تاريخ خروج الصليبيين مــن مدينة عكا استعداداً للزحف نحو مدينة حيفا، فيشير كل من المؤرخ ابن شــداد والعمــاد الأصفهاني إلى أن بداية تحرك الصليبيين من عكا كان يوم الخميس التاسع والعــشرون من رجب عام ٥٨٧هـ/ الثاني والعشرون من أغسطس ١١٩١م(٨٢)، بينما يحدد كل من ابن واصل، وأبي شامة(٨٣)، وابن الفرات(٨٤) مستهل شعبان عام ٥٨٧هـ/ ٢٤ أغسطس ١١٩١م كتاريخ لتحرك الجيش الصليبي، أما المؤرخ ابن العديم فيقول: أن الفرنج أقاموا بعكا نحو أربعين يوماً، ثم خرجوا منها متوجهين إلى عسقلان(٨٥)، وبذلك تتفق روايتــه إلى حد كبير مع رواية ابن شداد والعماد الأصفهاني.

أما عن الروايات غير العربية فتشير حوليات الملك ريتشارد(٨٦) الأول إلى أنهم خرجوا من مدينة عكا في أواسط شهر أغسطس عام ١١٩١م/ أواخر رجب ٥٨٧هـــ،

ويتفق على هذا التاريخ المؤرخ امبرواز[٨٧]، بينما يشير المؤرخ المجهــول[٨٨] إلـــى أن اكتمال الجيش الصليبي استعداداً للزحف كان في يوم الجمعة ٢٣ يوليــو ١١٩١م/ ٢٨ جمادي الآخرة ٥٨٧هــ.

يزيد المؤرخ روجر الهوفدني الأمر وضوحاً، وينهـــي كـل هــذه الاختلافــات الروايات السابقة بالإشارة إلى أن الملك الانجليزي خرج مـــن مدينـــة عكـــا يـــوم ٢٢ أغسطس عام ١١٩١م/ الخميس ٢٩ رجب ٥٨٧هــ، وظـــل ينتظـــر اكتمـــال الجـــيش الصليبي لمدة أربعة أيام، وبدأ في التحرك يوم ٢٥ أغسطس عام ١١٩٥م/ ثاني شعبان ٥٨٧هـ[٨٩].

وكانت آخر الصعوبات التي واجهت الملك الانجليزي ريتشارد قبيل الزحف حيفا هي حالة الكسل والبطالة والرفاهية التي كان عليها كثير من الصليبيين في داخل مدينـــة عكا فيشير المؤرخ امبرواز[٩٠]، ويتفق معه المؤرخ المجهول[٩١]، إلـــى أن كثيـــر مـــن الصليبيين ممن كانوا بداخل المدينة قد مالوا إلى الكسل والبطالة، واخلدوا إلى رفاهيـــة الحياة عندما وجدوا بداخل المدينة شتى صنوف اللهو والمتعة مما أوجـــد حالـــة مـــن الفجور إذ تردد الكثير منهم على النسوة الساقطات، وعكفوا علـــى الـــشراب، وعجـــت المدينة بمباذلهم الدنيئة بصورة استنكرها العقلاء واحمرت وجوههم خجـــلاً، فتـــشاوروا واتفقوا على ألا تصحب أية امرأة الجيش الصليبي عند خروجه من المدينة إلا من يقمن بغسل الملابس فإنهن يخرجن ولكن سيراً على الأقدام، وهكذا أخذ كثير مـــن الـــصليبيين بعد الاستيلاء على عكا، وقبل استعدادهم للزحف إلى بيت المقدس يفرطون في اللامبالاة وعدم الاكتراث، والانصراف يعبون من رحيق اللهو والمجون والانسياق وراء الملذات.

استعد الصليبيون للزحف بعد خروجهم من مدينة عكا، وقام الملـــك ريتـــشارد بترتيب جيشه، فقسمه إلى قسمين رئيسين: احدهما بري، والآخر بحري، وطلـــب مـــن أفراد الجيش البري حمل الزاد يكفيهم لمدة عشرة أيام، وأصدر أوامـــره للبحـــارة بـــأن يبحروا بسفنهم بمحاذاة الساحل موازين للجيش الزاحف براً سواء كانت الـــسفن التـــي تحمل المحاربين أو التي تحمل المؤن والأسلحة[٩٢]، ويبين لنا المؤرخ روجر الهوفدني هذا الأمر بقوله: أن الملك أراد بذلك أن توفر له السفن الحماية البحرية، وفـــي الوقـــت

نفسه تمده بما يحتاج من المحاربين والمؤن، فضلاً عن أن السفن يمكن أن تكون مــلاذ له إذا اشتد وطيس الحرب مع المسلمين أثناء الزحف[٩٣].

كما قام الملك ريتشارد عندما بدأ في الزحف يوم الأحــد ٢٥ أغــسطس عــام ١١٩١م/ مستهل شعبان ٥٨٧هـ بترتيب الجيش البري، فتولى بنفــسه قيــادة طليعــة الجيش، وعهد للنورمان بحراسة رايته، والتي كانت تتألف من عارضة خشبية مفرطــة الطول وكأنها سارية سفينة، وضعت على ألواح خشبية صــلبة محمولــة علــى أربــع عجلات، ومكسوة بالحديد الذي لا تنفذ فيه الرماح، ولا تؤثر فيه الفؤوس، ولا تعمل فيه النار، وتولى حماية المؤخرة دوق برجنديا ومعه الفرنسيون[٩٤]، ومعهم جاك الأفنــسي Jacques de Avesne[٩٥].

وقد جانب المؤرخ المجهول صاحب كتاب ذيل وليم الــصوري عــدم الــصواب عندما أشار إلى أن الصليبيين قد زودوا سفنهم بالمؤن، وأرســلوها إلــى مدينــة يافــا لانتظار وصول الجيش إليها[٩٦]، كما جانب عدم الصواب أيضاً صاحب ملحمة ريتــشارد قلب الأسد عندما أشار إلى أن الملك الانجليزي قسم جيشه إلى مجموعتين تولى نفــسه قيادة احدهما، وعهد للملك الفرنسي قيادة القسم الآخر[٩٧]، وفي حقيقــة الأمــر كانــت السفن تسير بموازاة الجيش البري الصليبي أثناء الزحف نحو حيفا، ولم تتركه وتتجــه إلى يافا، كما أن الملك الفرنسي لم يشارك الصليبيين زحفهم، وإنما غادر مدينة صــور عائداً إلى بلاده.

ورغم أن الملك الانجليزي كان حريصاً كل الحرص على أن يسرع جيشه السير أثناء الزحف إلا أن سرعة المؤخرة كانت بطيئة بسبب مضايقة المسلمين[٩٨]، والاقتراب من الصليبيين ورميهم بالنشاب[٩٩]، مما عاد على رجال المؤخرة بالخسارة الكبرى[١٠٠]، إذ قتل المسلمون منهم جماعة، وأسروا جماعة[١٠١].

وكان الجيش الصليبي أثناء الزحف قد جعل ساحل البحر على يمينه، وهو فــي اتجاه الجنوب، بينما كان المسلمون يراقبون زحف الصليبيين وهم على التلال القريبــة التي كانت على يسار الصليبيين[١٠٢]، ولم تغفل لهم عين، وما لبثت أن تلبــدت الــسماء

بالغيوم عندما بلغ الجيش الصليبي موضعاً شديد الضيق لا يكاد يتسع لدابتين أن يمرا جنباً إلى جنب، فانتهز المسلمون هذا الأمر، وشنوا هجوماً مباغتاً على العربات التي تحمل المتاع للصليبيين، فسقط كثير من الدواب، ومزق المسلمون كل من اعترض سبلهم من الصليبيين، وغنموا كثيراً من المتاع الصليبية، وتفرقت ساقة الجيش الصليبي، واندفع رجالها فراراً تجاه ساحل البحر بعدما سقط منهم الكثير(١٠٣).

واشتد وطيس القتال بين الجانبين، والمسلمون يهاجمون ثم يتراجعون، ويعاودون الكر مرة أخرى، بينما الصليبيون يدافعونهم، ويعملون على التصدي لهم، وتمكن المسلمون من قتل أحمد الصليبيين ويدعى ايفرارد Everard يعمل عند أسقف سالسبوري Salisbury، بعدما أحاطوا به وكيلوا له الضربات، وعمت الفوضى مؤخرة الجيش الصليبي، عندئذ انطلق الفارس جون فيتز لوك John Fitz Luke بجواده مسرعاً إلى الملك الانجليزي، وأخبره بحقيقة الموقف، فقام ريتشارد ومعه كوكبة من الفرسان بإعادة أدراجهم مسرعين لنجدة المؤخرة، وما أن رأى المسلمون هذه النجدة حتى لاذوا بالفرار تجاه شعاب الجبال، وسقط بعضهم من شدة الاضطراب فتصيدهم الصليبيون وأمسكوهم مسك اليد وذلك يوم الأحد ٢٥ أغسطس عام ١١٩١م/ مستهل شعبان عام ٥٨٧هـ(١٠٤).

لم تشر المصادر العربية إشارة واضحة إلى الاشتباك بين المسلمين والصليبيين في هذا التاريخ إنما يشير المؤرخ ابن شداد، ويتفق معه ابن الفرات(١٠٥)- إلى أن السلطان صلاح الدين الذي كان يراقب تحركات الجيش الصليبي قد أوتي له باثنين من الأسرى الصليبيين، كانت طليعة الجيش الإسلامي قد تخطفتهما، فأمر السلطان بضرب رقابهما، فقتلا وتكاثر المسلمون عليهما بالسيوف تشفياً، ثم احضر إليه اثنان أيضاً من الصليبيين أخذا من أطراف جيشهم فقتلا أيضاً شر قتلة، وكان السلطان في حدة الغيظة لما جرى على أسرى عكا، وذلك يوم الأربعاء ٤ شعبان عام ٥٨٧هـ/ ٢٨ أغسطس عام ١١٩١م.

وهكذا كان من نتيجة مذبحة الأسرى المسلمين في مدينة عكا، أن سعى المسلمون إلى الثأر، فكلما سقط أسير من الصليبيين في قبضتهم أمر السلطان بقتله،

وأصبح هذا لأمر هو نهج المسلمين طوال فترة الزحف الصليبي بعد ذلك[١٠٦].

عاد النظام إلى الجيش الصليبي بعد الاشتباك السابق، وواصل زحفه حتى بلغ نهر عكا، وشاءت الصدفة أن يجد الصليبيون صهاريج مياه عذبة صالحة للشاربين، فضربوا خيامهم على مقربة من النهر، وأقاموا في السهل الفسيح[١٠٧] الذي لا يبعد كثيراً عن مدينة حيفا[١٠٨].

واختلفت آراء المؤرخين غير العرب على حالة الجيش الصليبي بعد أن أقام معسكره بالقرب من مدينة حيفا، ففريق منهم يشير إلى أن الصليبيين أمضوا ليلتهم الأولى في هذا المكان ثم واصلوا زحفهم في نهار اليوم التالي[١٠٩]، (الأثنين ٢٦ أغسطس عام ١١٩١م/ الثاني من شعبان ٥٨٧هـ) وفريق آخر يشير إلى أن الصليبيين بعد أن أقاموا معسكرهم في هذا الموقع، واصلوا الزحف حتى وصلوا إلى مدينة حيفا فمكثوا بها يومين لتنظيم صفوفهم، وأخذ قسط من الراحة، وينتظرون بقية الجيش، ثم تحركوا من مدينة حيفا يوم الثلاثاء ٢٧ أغسطس عام ١١٩١م/ الثالث من شعبان عام ٥٨٧هـ[١١٠].

ومهما يكن من أمر، فقد وصل الصليبيون إلى مدينة حيفا[١١١]، وأقاموا معسكرهم في المنطقة الممتدة بين المدينة وساحل البحر، ومكثوا هناك يومين، يتفقدون متاعهم، فألقوا بعيداً ما لا حاجة لهم به لاسيما المشاة من العامة الذين أثقلتهم هذه المتاع، وكانت سبباً في إبطاء حركتهم ومسيرتهم فتأخروا عن اللحاق بالجيش، وكانوا هدفاً سهلاً للمسلمين، ناهيك عن الظمأ الذي عانوا منه[١١٢]، بسبب شدة الحرارة وطول الطريق.

أما عن سائر أفراد الجيش الصليبي، فإنهم نعموا بقسط من الراحة بعد المعاناة الشديدة طوال الطريق من عكا إلى حيفا بسبب الهجمات الإسلامية المتكررة، وبسبب كثرة النشاب الذي أرسله المسلمون عليهم والذي يصفه المؤرخ ابن الأثير بأنه "كاد يحجب الشمس"[١١٣]، وبسبب ما نصبه المسلمون من كمائن للصليبيين في الممرات الجبلية التي كان لا بد أن يمروا بها ويسلكوها فيتصيدهم المسلمون، ويكونوا بين قتيل

أو أسير[١١٤].

وبعد أن نال الصليبيون راحتهم، بدءوا في يوم الثلاثاء ٢٧ أغسطس عام ١١٩١م/٣ شعبان ٥٨٧هـ، في الاستعداد لاستكمال الزحف، واصطفت كتائب جيشهم، وكانت الداوية في المقدمة، والأسبتارية في المؤخرة، وشرعوا في السير وهم في غاية الحيطة والحذر من هجمات المسلمين، ولكن واجه الصليبيون أثناء زحفهم صعوبات عديدة: منها وعورة الطريق، وكثرة النباتات والحشائش ذات النمو الكبير والتي كانت تصفع وجوههم، بالإضافة إلى كثرة النباتات الشوكية على طول الساحل، فضلاً عن الحيوانات المفترسة التي كانت تهاجمهم بين الحين والآخر[١١٥].

بعد هذه المعاناة، بلغ الجيشين الصليبي مدينة عثليت، وكان الليل قد حل، ذلك لأن الطريق من حيفا إلى عثليت استغرق نهار يوم الثلاثاء ٢٧ أغسطس ١١٩١م/ ٤ شعبان ٥٨٧هـ، بطوله، وقد عانى الصليبيون في هذه الليلة أشد المعاناة بعدما خرجت إليهم أسراب من العناكب أخذت تلدغهم أثناء نومهم فقتلت البعض لتسرب سمها، وأحدثت آلام مبرحة بالبعض الآخر تحاكي آلام النار في الحرق، وتم معالجة المصابين قبل أن يسري السم في أجسادهم عن طريق الترياق، ويبدوا أن لدغات هذه العناكب قد أحدثت اضطراب في داخل المعسكر الصليبي، فلاحظ الصليبيون أنه عندما تحدث جلبة وضوضاء تفر العناكب هرباً، فشرعوا في الضجيج عن طريق الضرب على الدروع، وعلى الخوذات، وكل ما وجدوه من ألواح أو أدوات، ففرت العناكب[١١٦].

ومن المرجح أن الصليبيين عانوا خلال هذه الفترة من نقص المؤن، لذلك اضطروا إلى البقاء يومين في معسكرهم في مدينة عثليت انتظاراً لوصول السفن التي تحمل لهم المؤن، والتي كانوا قد أرسلوا في طلبها من مدينة عكا[١١٧]، كما أرسلوا أيضاً في طلب بعض الصليبيين ممن كانوا في عكا للانضمام إلى الجيش الصليبي في عثليت كعوض لمن قتل منهم أو أسر[١١٨].

بعد أن نال الصليبيون قسطاً من الراحة خلال يومين في معسكرهم في عثليت، وبعد أن جاءتهم المؤن عن طريق بعض سفنهم، استعد الصليبيون للزحف فقام الملك الانجليزي بترتيب جيشه، وتولى بنفسه قيادة المقدمة، وعهد لجماعة الفرسان الداوية

بتولي طليعة الجيش، وذلك لخبرتهم في مقاتلة المسلمين، ولــصد أي هجــوم إســلامي يعترض طليعة الجيش الصليبي، وسار الصليبيون حتى وصلوا إلى بلــدة(١١٩) تــسمى الملاحة(١٢٠).

وثمة اختلاف بين الرواية العربية، والرواية غير العربية حول هذا المقــام، إذ يشير المؤرخ ابن شداد إلى أن الفرنج استقروا في الملاحة ولم يغادروها إلا فــي يــوم الخميس خامس شعبان عام ٥٨٧هــ/ التاسع والعشرون من أغــسطس عــام ١١٩١م، وتوجهوا إلى قيسارية(١٢١)، وهذه الرواية تبين أن الــصليبيين اســتقروا فــي موضــع الملاحة منذ يوم الثلاثاء حتى يوم الخميس.

أما الرواية غير العربية فهي (كما سبق ذكره) تشير إلى أن الــصليبيين قــد مكثوا يومين في مدينة عثليت، ويشير المؤرخ امبرواز إلى أن االصليبيين قد وصلوا إلى بلدة الملاحة يوم الجمعة ٣٠ أغسطس عام ١١٩١م/ ٦ شعبان عام ٥٨٧هــ(١٢٢).

كما تشير الرواية غير العربية إلى انه حدث اشتباك بين المسلمين والــصليبيين عند بلدة الملاحة، وأن الملك ريتشارد أطلق العنان لجواده، واقتحم صفوف المــسلمين وظل يقاتلهم حتى أرغمهم على التراجع والفرار(١٢٣)، وإنما اكتفى المؤرخ ابــن شــداد بالإشارة إلى أن المسلمين قد نجحوا في أخذ بعض الأسرى الــصليبيين مــن أطــراف معسكرهم في الملاحة(١٢٤)، أما المؤرخ ابن الأثير فيشير إلى أن الفرنج عنــدما قــاربوا مدينة قيسارية لاصقهم المسلمون، وقاتلوهم أشد قتال فنالوا منهم نيلاً كثيراً(١٢٥).

واصل الصليبيون زحفهم ملازمين لساحل البحر من موقع الملاحة في طريقهم إلى مدينة قيسارية، وعانى الصليبيون أثناء هذا الطريق أشد المعاناة من شدة الحرارة، وطول المسافة مما سبب لهم إرهاقا شديداً، وأصيب بعضهم بنوبات الإغماء، كما ســقط بعضهم هلكى فتم دفنهم(١٢٦).

بعد هذه المعاناة، نجح الصليبيون في الوصول إلى نهر الزرقاء القريب مــن المدينة، ونصبوا خيامهم، وقضوا ليلتهم في هذا الموقع، ويبدوا أن السفن التي كانت قد جاءت من مدينة عكا تحمل المؤن والزاد من قبل لم تكن كافيــة، لــذلك أصــدر الملــك

ريتشارد قراراً يطالب فيه المقاتلين في عكا بسرعة الانضمام إليه عن طريق ركوب السفن، فاستجاب لأمره الكثيرون، وحضروا إلى قيسارية، كما حملت السفن أيضاً كميات من المؤن(١٢٧).

وتتفق الرواية العربية مع الرواة غير العربية في أن الصليبيين قد وصلوا إلى مدينة قيسارية نهار يوم الجمعة ٦ شعبان ٥٨٧هـ/ ٣٠أغسطس ١١٩١م، وظلوا بها حتى يوم السبت ٧ شعبان/ ٣١ أغسطس(١٢٨).

وتختلف الروايتان حول تدمير مدينة قيسارية، فتشير الرواية غير العربية إلى أن الصليبيين عندما وصلوا إلى مدينة قيسارية، وجدوا أن المسلمين قد سبقوهم إليها، وأعملوا يد التدمير والتخريب فيما وصلوا إليه من أسوار المدينة وأبراجها، ثم فروا تاركين المدينة عندما علموا باقتراب الجيش الصليبي(١٢٩)، أما المصادر العربية – التي بين أيدينا – فلم تشر إلى تدمير هذه المدينة من جانب المسلمين.

وينفرد المؤرخ المجهول بالإشارة إلى أن الجيش الصليبي ظل بمدينة قيسارية حتى يوم الثلاثاء من سبتمبر عام ١١٩١م/ العاشر من شعبان عام ٥٨٧هـ، عندما بدأ في الخروج منها(١٣٠)، بينما تتفق المصادر العربية وغير العربية على أن تحرك الجيش الصليبي من مدينة قيسارية كان في يوم الأحد ٨ شعبان عام ٥٨٧هـ/ أول سبتمبر عام ١١٩١م(١٣١).

وفي هذا اليوم استعد الصليبيون للرحيل من قيسارية، فأصدر الملك ريتشارد إلى أسطوله البحري بأن يبحر جنباً إلى جنب من الجيش البري أثناء زحفه على اليابسة(١٣٢)، وقد ترك لنا كل من المؤرخ ابن شداد والعماد الأصفهاني وصفا حياً عن ترتيب الجيش الصليبي أثناء رحيلهم من قيسارية، فيشيرا إلى أنه تم تقسيمه إلى ثلاث أقسام في الأول الملك جي دي لوزجنان في المقدمة، وفي الوسط الانجليز والفرنسيين، وأصحاب طبرية وطائفة أخرى في الساقة وفي الوسط ثم رفع علمهم على عجلة كالمنارة العظيمة(١٣٣)

وخرج الجيش الصليبي في الساعة التاسعة من صباح هذا اليوم من مدينة

قيسارية، وبدأ زحفه تجاه الجنوب في حذر شــديد خوفــاً مــن تهديــدات المــسلمين المتكررة[١٣٤]، ويصف كل من المؤرخ ابن شداد والعماد الأصفهاني مــا حــدث عنــدما تحرك الجيش الصليبي، ويشيرا إلى أنه عندما علم السلطان صلاح الدين بتحرك الفرنج أصدر أوامره لقواته بالاشتباك معهم، فاقترب منهم المسلمون، "والفرنج سائرون علــى عادتهم ثلاثة أقسام، فالتف حولهم المسلمون من كل جانب ورمــوهم بالنــشاب، وكــان كالمطر، عندئذ اصطف رجالة الفرنج كالسور وهم يرتدون الملابس المصنوعة من اللبود للوقاية من السهام، والزديات المحكمة بحيث يقع عليهم النــشاب ولا يتــأثرون، وهــم يمشون بالسهام فيجرحون خيول المسلمين وخيالاتهم ورجالته، ولقد شاهدتهم وينغــرز في ظهر الواحد منهم النشابة والعشرة، وهو يسير على هيئته من غير انزعاج، وقــسم أخر من الرجالة مستريح يمشون على جانب البحر لا يقاتلون، فإذا تعب القسم إلى يقاتل أو أصابه الجراح، قام مقامهم القسم المستريح، واستراح القسم العمــال، أمــا الخيالــة فكانوا في وسطهم لا يخرجون عن الرجالة إلا وقت الحملة"[١٣٥].

وهناك اختلاف في الروايات العربية وغير العربية حول تاريخ هــذا الاشــتباك، فالمؤرخ العماد الأصفهاني وابن واصل وأبي شامة يحددوه باليوم التاسع مــن شــعبان عام ٥٨٧هـ/الثاني من سبتمبر عام ١١٩١م[١٣٦]، بينما يشير المؤرخ ابن شداد إلى أن هذا الاشتباك قد جرى يوم الأحد الثامن من شعبان/ أول سبتمبر، وأن الفــرنج واصــلوا زحفهم بعد هذا الاشتباك حتى قطعوا نهر قيسارية، ثم حدث اشتباك آخر يــوم الاثنــين التاسع من شعبان/ الثاني من سبتمبر، وتكرر فيه ما حدث في اليوم السابق، ثم واصــل الصليبيون زحفهم حتى وصلوا إلى نهر[١٣٧] يقال له نهر القصب[١٣٨].

أما المصادر غير العربية فقد اتفقت على أنه حدث اشــتباك واحــد فقــط مــع المسلمين يوم الأحد أو سبتمبر عام ١١٩١م/ الثامن من شعبان عــام ٥٨٧هـــ، وأن االصليبيين قد واصلوا زحفهم حتى أن وصلوا إلى نهر[١٣٩] يقال له النهر الميت[١٤٠].

واتفقت الروايات العربية وغير العربية حول مقتل أحد فرسان المــسلمين فــي الاشتباك بين المسلمين والصليبيين وهو إياز الطويل، وحزن المسلمون على مقتله حزناً شديداً، وتركت وفاته رنة أسى محزنة.

وتشير المصادر غير العربية إلى أن المسلمين قاموا بمحاولة إخفاء معالم النهر الميت، فغطوه حتى لم يعد يره أحد وذلك حتى يسقط في مياه الصليبيون عند الاقتراب منه، ولكن اكتشف الصليبيون هذه الحيلة، وعبروا النهر دون أذى[١٤١]، بينما لم تشر المصادر العربية إلى قيام المسلمين بمثل هذا العمل.

وتتفق المصادر غير العربية على أن الصليبيين أقاموا معسكرهم بالقرب من هذا النهر الذي أطلقوا عليه اسم النهر الميت ليلتين، ولكنها لم تبين أسباب بقائهم هذا الوقت في هذا الموقع[١٤٢]، بينما يشير كل من المؤرخ ابن شداد والعماد الأصفهاني إلى أن الفرنج نزلوا على النهر الذي اطلق عليه اسم نهر القصب، وكانوا يشربون من أسفله، أما المسلمون فقد أقاموا معسكرهم بالقرب من المعسكر الصليبي وكانوا يشربون من النهر نفسه ولكن من أعلاه[١٤٣] ويرجح أنهم مكثوا هذا الوقت طلباً للراحة، بعدما أعياهم القتال مع المسلمين، وأنهكتهم المناوشات فنال منهم التعب.

ولما كان اليوم الثالث من سبتمبر عام ١١٩١م/ العاشر من شعبان عام ٥٨٧هـ، بدأ الجيش الصليبي في السير[١٤٤] تاركاً معسكره عند النهر الميت، ومواصلاً زحفه نحو أرسوف واتسم سيره ببطء وذلك بسبب ما كان عليه الشريط الساحلي من كثرة النباتات الشائكة التي أعاقت زحفهم، لذلك اضطر الصليبيين إلى أن يسلكوا طريق الجبال[١٤٥]، وساروا جماعات قريبة بعضها من بعض خوفاً من هجمات المسلمين، وكان فرسان الداوية يتولون حماية مؤخرة الجيش الصليبي، وتعرضوا لهجمات متكررة من جانب المسلمين، فقد الداوية كثير من خيولها نتيجة رميهم بالنشاب، كما فقد أيضاً أحد الكنتات ومن معه من الفرسان جيادهم، كما أصيب الملك الانجليزي بجراح طفيفة على اثر سهم ألقى عليه من أحد المسلمين، أثناء مطاردة الملك لهم، واستمرت هجمات المسلمين المتكررة على الصليبيين طوال نهار يوم الثلاثاء هذا إلى أن دخل الليل، فعاد المسلمون بينما نصب الصليبيون خيامهم بالقرب من غدير يطلق عليه اسم النهر المالح[١٤٦].

ويشير المؤرخ ابن شداد إلى أن الفرنج قد لحقتهم يوم الأربعاء نجدة من عكا في ثماني سفن كبيرة أثناء إقامتهم على نهر القصب، وأن السلطان صلاح الدين أخذ يرتاد

موضعاً يصلح للقتال مع الفرنج[١٤٧]، وهذه الإشارة من جانب ابن شداد تبين أن السلطان صلاح الدين قد صمم في هذه الفترة على حسم الموقف مع الصليبيين بخوض غمار الحرب معهم لوقف زحفهم داخل الأراضي الإسلامية، كما تشير هذه الرواية أيضاً إلى أن الصليبيين ظلوا في معسكرهم عند نهر القصب حتى يوم الأربعاء الحادي عشر من شعبان عام ٥٨٧هـ/ الرابع من سبتمبر عام ١١٩١م، وهذا يتعارض مع ما أشارت إليه أنفا الروايات غير العربية من أن الصليبيين قد ساروا يوم الثلاثاء العاشر من شعبان عام ٥٨٧هـ/ الثالث من سبتمبر عام ١١٩١، وانتقلوا إلى موقع آخر بالقرب من النهر المالح، كما أن الروايات غير العربية لم تشير إلى وصول نجدات إلى الصليبيين في تلك الفترة.

وتشير الروايات غير العربية إلى أن الصليبيين مكثوا في معسكرهم بالقرب من النهر المالح، يومين التف الصليبيون خلالها حول الجياد المقتولة أو التي أصابتها الجراح الخطيرة، وتنافسوا على أخذها أو شراء لحومها، واشتد تكالبهم وتدافعهم فتبادلوا اللكمات، فتدخل الملك ريتشارد لحسم هذا الأمر، وأعلن أنه سوف يمنح جواداً حياً لكل من يوزع لحوم الجياد النافقة أو التي أصابتها الجراح، فأقبل الصليبيون على تناول هذه اللحوم، وكانت أشهى عندهم من أي لحوم أخرى[١٤٨].

وهذا الإشارة أيضاً لها دلالة واضحة، فهي تبين أن الصليبيين بعد مسيرة كل يوم واحد، يخلدون إلى الراحة لمدة يومين، وأن جياد كثيرة عندهم قد أصابها الجراح أو نفقت، مما يظهر بجلاء شدة الهجمات الإسلامية على الصليبيين، والتي أتعبتهم وجعلتهم يمكثون في الراحة وقت أطول من وقت مسيرتهم، كما تدل أيضاً على كثرة النشاب التي ألقاها المسلمون على االصليبيين، مما أدى إلى قتل الجياد الصليبية أو أصابتها بجراح خطيرة.

وتختلف الروايات العربية مع الروايات غير العربية بشأن اجتماع الملك العادل بالملك الانجليزي ريتشارد، فيشير كل من المؤرخ ابن شداد والعماد الأصفهاني[١٤٩]، ويتفق معهما كل من ابن واصل وابن الفرات[١٥٠]– إلى أن الصليبيين طلبوا من طليعة الجيش الإسلامي من يتحدثون معه، فمضى إليهم مقدم الطليعة وهو علم الدين بن جندر،

وعرف أنهم يريدون أن يتحدثوا مع الملك العادل – أخي صلاح الدين – فاستأذن الملك العادل السلطان صلاح الدين، ومضى وبات الليلة عند طليعة الجيش الإسلامي- أي ليلة الخميس- وتحدثوا معه، وكان حاصل حديثهم: " إنا قد طال بيننا القتال، وأنه قتل من الجانبين الرجال الأبطال، وإنا نحن جئنا في نصرة فرنج الساحل، فاصطلحوا أنتم وهم، كل منا يرجع إلى مكانه" وكتب السلطان إلى أخيه الملك العادل في صبيحة يوم الخميس الثاني عشر من شعبان رقعة يقول فيها " إن قدرت أن تطاول الفرنج في الحديث، فلعلهم يقومون اليوم، حتى يلحقنا التركمان فإنهم قد قربوا منا"، وينفرد ابن شداد بالإشارة إلى أن الملك الانجليزي طلب الاجتماع بالملك العادل ثانية، فأذن له السلطان صلاح الدين، فسار إلى المعسكر الصليبي، واجتمع بالملك في وجود بعض الرجال من الطرفين، وعن طريق المترجم تحدثاً بشأن الصلح، ولكن جاءت مطالب الملك ريتشاد لتحقيق الصلح مجحفة، واشتط فيها إذ طالب برد البلاد كلها للصليبين، وعودة المسلمين إلى بلادهم، عندئذ أخشن الملك العادل له الجواب، وجرت المنافرة بينهما، فانفض الاجتماع، وعاد الملك العادل إلى معسكر المسلمين وقد دخل الليل، واستدعى السلطان أخاه الملك العادل ليعرف ما جرى بينه وبين الملك الانجليزي وذلك ليلة الجمعة ثالث عشر شعبان(١٥١).

يتبين من رواية المؤرخ ابن شداد الأخيرة أن الملك العادل اجتمع مع الملك ريتشارد في مناسبتين أولهما ليلة الخميس، والثانية في نهاية نهار الخميس ١٢ شعبان عام ٥٨٧هـ ٥ سبتمبر عام ١١٩١م، بينما لم تشر المصادر غير العربية إلى حدوث أية اجتماعات بين الملك العادل والملك ريتشارد. وإنما نشير إلى أن الجيش الصليبي تحرك من معسكره بالقرب من النهر المالح في طريقه نحو أرسوف في صباح يوم الخميس الخامس من سبتمبر عام ١١٩١م/١٢ شعبان عام ١١٩١م، وهو على أهبة الاستعداد للقتال مع المسلمين، وأنه انتشرت أثناء الزحف شائعة رددها بعض جواسيس االصليبيين، وتقول أن المسلمين قد نصبوا كميناً للصليبيين، وذلك بإشعال النيران في غابة أرسوف عندما يكون الصليبيون بداخلها، ولكن سرعان ما اكتشف الصليبيين كذب هذه الشائعة، واجتازوا الغابة سالمين، والمسلمون على مقربة منهم يترصدون حركتهم، حتى وصل الصليبيون إلى مكان فسيح به غدير للماء العذب، فأقاموا معسكرهم في هذا الموقع، وناموا ليلتهم، وبعثوا بعض جواسيسهم لجمع الأخبار عن المعسكر الإسلامي،

فعاد الجواسيس وأخبروا أخوانهم بأن المعسكر الإسلامي على مقربة منهم، وهو يغــص بعدد كبير من المسلمين قاربوا ثلاثمائة ألف محارب، بينما الجيش الــصليبي لا يتعــدى محاربيه المائة ألف، وظل الصليبيون في معسكرهم هذا طوال نهار الجمعة وليلة السبت ٧ سبتمبر[١٥٢] عام ١١٩١م/١٤ شعبان عام ٥٨٧هـــ.

وتتفق رواية ابن شداد مع ما جاء في الرواية غير العربية بشأن بقاء الجــيش الصليبي في هذا الموقع حتى نهار السبت ويقول: ووصل إلى السلطان يوم الجمعة مـــن أخبره بأن العدو لم يرحل اليوم من منزلته تلك، فنزل السلطان بقرية تسمى البركة[١٥٣]، وتحدث مع أخيه الملك العادل فيما يجب صنعه، وبات تلك الليلة في هذا الموقع[١٥٤].

في يوم السبت ١٤ شعبان ٥٨٧هـــ/ ٧ سبتمبر عام ١١٩١م حــدثت معركــة أرسوف بين المعسكر الإسلامي بقيادة صلاح الدين الأيوبي، وبين المعــسكر الــصليبي بقيادة ريتشارد الأول قلب الأسد، هذه المعركة التي كان لها أثراً كبيــراً فـــي مجريـــات الصراع الصليبي الإسلامي، وكانت لها أسبابها المباشرة، وغير المباشرة.

عن الأسباب المباشرة تشير المصادر العربية إلى أن السلطان صلاح الدين علــم أن الفرنج قد تحركوا للرحيل نحو أرسوف، فرتب قواته، وعزم في ذلــك اليــوم علـــى مصافة الفرنج ومصادمتهم[١٥٥] وهذا إشارة واضحة على أن صلاح الدين قد عقد العزم على أن يخوض معركة حاسمة مع الصليبيين في هذا اليوم.

وتتفق المصادر غير العربية مع روايـــة المــصادر العربيـــة فتــشير إلـــى أن الصليبيين في فجر يوم السبت السابع من سبتمبر بدأوا الاستعدادات للرحيل والزحف من معسكرهم لزحف نحو أرسوف، وحمل كل جندي ســـلاحه توقعـــاً للهجــوم مـــن جانـــب المسلمين الذين سيطروا على الطريق أمامهم، وأن الصليبيين وجــدوا أنـــه لا مفــر إلا بخوض غمار الحرب مع المسلمين الذين تهيئوا للهجوم علـــى الــصليبيين[١٥٦]، وهــذه إشارة واضحة أيضاً تبين أن الصليبيين كانوا على علم عن طريق جواسيسهم باستعداد المسلمين للمعركة، فاستعدوا لها، وأنهم عندما بدأوا في الزحف وجدوا أن المسلمين قد سدوا الطريق أمامهم، وأن ليس هناك طريق آخر يجنبهم مواصلة الــسير إلا بخـــوض

معركة حاسمة مع المسلمين.

وهكذا اتفقت المصادر العربية، وغير العربية على أن قيام المسلمين بالتصدي وسد الطريق أمامهم، والاستعداد لمهاجمتهم، كان هذا العمل السبب المباشر لمعركة أرسوف.

أما عن الأسباب غير المباشرة، فليس هناك ريب من أن صلاح الدين قد أراد أن يضع حداً فاصلاً لتقدم الصليبيين داخل الأراضي الإسلامية، ويعمل بشتى السبل لإيقاف الزحف الصليبي، فلجأ أولاً إلى مضايقة الصليبيين، والاشتباك معهم، ومحاولة إلحاق أكبر الخسائر بهم لإرهاقهم ودفعهم إلى التراجع وعدم مواصلة الزحف، ولكنه وجد عند الصلبيين عناد شديد، وتصميم جاد على التقدم في سيرتهم نحو الجنوب، لذلك رأى أنه لابد من أن يخوض معهم معركة حاسمة علها تؤدي إلى وقف هذا الزحف.

ومن الأسباب غير المباشرة أيضاً سقوط مدينة عكا في أيدي الصليبيين، فقد وجد صلاح الدين أن ثمار جهوده في استعادة المدن الإسلامية من الصليبيين بعد معركة حطين عام ٥٨٣هـ/١١٨٧م، بدأت تتساقط باستيلاء الصلبيين على هذه المدينة، لذلك سعى للحيلولة دون سقوط مدن إسلامية أخرى في أيدي الصليبيين عن طريق مقاتلتهم في معركة شاملة.

كذلك ما قام به الصليبيون من قتل الأسرى المسلمين في المذبحة – سالفة الذكر – قد جعل المسلمون يسعون للانتقام من الصليبيين فقاموا أولاً بقتل كل من يأسروه من الصليبيين، ولكن يبدو أن هذا لم يكن كافياً لتعويض الأعداد الكبيرة من الأسرى المسلمين الذي تم قتلهم، لذلك ربما رأى المسلمون أن خوض هذه المعركة، وإلحاق أكبر الخسائر بالصليبيين يكون انتقاماً لما جرى في هذه المذبحة وبعد ما أجج الصليبيون روح الانتقام والثأر عندهم.

هذا عن الأسباب المباشرة، وغير المباشرة لمعركة أرسوف، أما عن أحداث هذه المعركة فبمقارنة ما جاء في المصادر العربية، وغير العربية يمكن القول أن هذه المعركة انقسمت إلى جولتين: الأولى أثناء مسيرة الصليبيين إلى مدينة أرسوف، والثانية بعد وصول الصليبيين إلى هذه المدينة، وكل جولة انقسمت إلى عدة مراحل،

وكل مرحلة إلى عدة خطوات، وأن هذه المعركة كانت ميدان للكر والفر مــن الجــانبين الإسلامي والصليبيي وأن النصر قد تأرجح بينهما بين الحين والآخر، إلــى أن حــسمت المعركة في نهايتها بانتصار نسبي للصليبيين.

وقبل الحديث عن أحداث هذه المعركة لابد من الإشارة إلى وصف مــسرحها إذ تشير المعاجم الجغرافية إلى أن أرسوف بلده على ساحل بحر الشام بين قيسارية ويافا، وبها غابة تمتد من العوجاء حتى جبل الكرمل(١٥٧).

ويشير المؤرخ ابن الأثير إلى أن الطريق إلى أرسوف، كان طريقاً ضــيقاً(١٥٨)، وتزيد المصادر غير العربية الأمر وضوحاً فتشير إلى أن ساحل البحر كان علــى يمــين هذا الطريق، وكانت تكثر به النباتات الشوكية، وغابة أرسوف والتلال المرتفعــة كانــت على الجانب الأيسر من هذا الطريق، والمنطقة المحصورة بين ساحل البحر وهذه التلال تضيق جداً كلما اقترب الطريق من مدينة أرسوف، وأن الحرارة كانــت شــديدة تلفــح بسعيرها كل من يجتاز ها الطريق في هذه الفترة(١٥٩).

أما عن الجولة الأولى من المعركة والتي جرت أثناء زحف الجيش الصليبي إلى مدينة أرسوف فقد انقسمت إلى عدة مراحل: في المرحلة الأولى بدأ كل فريــق يــستعد للقتال، وقام بترتيب الجيش، إذ قام صلاح الدين بتقسيم جيشه إلى مقدمــة، ومــؤخرة، وميمنة، وميسره، وقلب(١٦٠)، وذلك بما تستطيع أن نقرأه من بين السطور في المصادر العربية وغير العربية.

أما عن المصادر غير العربية فنشير إلى أن الملك ريتشارد قــسم جيــشه هــو الأخر إلى خمسة أقسام، مقدمة، وميمنة، وميسره، وقلب، ومؤخره، وكل قسم من هــذه الأقسام عدا ألمؤخره قد قسمه إلى كتائب، وبلغ مجموع كتائب هذه الأقسام الأربعة اثنتي عشره كتيبة، أما المؤخره فقد قسمها إلى سرايا، كما عهد الملك ريشارد للداويه بــأمر المقدمة، وخلفهم البريتيون، ثم الملك جي دي لوزجنان ومعه المحاربين من بواتيه، أما السرايا الملكية فقد عهد بحمايتها إلــى النورمنــديين والأنجليــز، وعهــد للأســبتارية بالمؤخرة. أما الميمنة فقد عهد إلى الكونت ليستر Leiceater ومعــه هــيج الجــورني

Hugh de Guenay [١٦١] ولـيم البورسـي William de borris. [١٦٢] والـسن الفريزي Walchelin de Ferrieres، وروجر التوني Roge٣r de Teoni وجـاك الأفنسي Jacques d'Avesnes وروبرت كونت درو Robert de Dreux، واسـقف بوفيه Beauvais، وفي حالة الطوارئ ينضم إليهم حاكم بارس Barres ووليم الميلوني William de Millo وأتباعهما، وعليهم ربط الصفوف الـصليبية بعـضها بـبعض ارتباطا وثيقاً، بحيث أن سقطت تفاحة بينهم فإنها لن تمس شخصاً أو جـوداً، وتـولى هنري كونت شمباني ميسره الجيش الصليبي في الجهة المواجهة للتلال الجبلية، وصدر إليه الأوامر بأنه ورفاقه من المحاربين يكونوا على حذر تـام ولا تغفـل أعيـنهم عـن ملاحظة هذا الجناح، كما كان عليهم أيضاً حماية المشاة الذين كانوا بجـوارهم، وكـان رماه السهام والأقواس في الصف الأخير لتوفير الحماية للمؤخرة، وكانت عربات النقل في المنطقة المحصورة بين ساحل البحر والجيش الصليبي حتى لا يتمكن المسلمون من الهجوم عليها، وتقرر أن يسير أمام القلب طائفة من العسكر يدقون الطبول، وينفخـون في الأبواق والمزامير لإثارة حماسة الجيش أثناء زحفه[١٦٣].

أما عن المرحلة الثانية فهي مرحلة كروفر بين المـسلمين والـصليبيين، وقـد انقسمت إلى عدة خطوات: بدأت الأولى منها يتحـرك الجـيش الـصليبي، ومهاجمـة المسلمين لأطراف جيش الصليبيين ورميهم بالنشاب مما الحق بهم خسائر فادحة[١٦٤].

وفي الخطوة الثانية تصدى الصليبيون لهـذا الهجـوم الإسـلامي، وأرغمـوا المسلمين على التراجع، وقاموا بقذف مؤخرة جيش صلاح الـدين بالرمـاح والـسهام والنشاب[١٦٥] أثناء تقهقر كثير من أفراده، فالحقوا بالمسلمين خسائر كبيـرة[١٦٦] وفـي الخطوة الثالثة، توقف المسلمون عن التراجع، ثم قاموا بتنظيم صفوفهم، وعادوا وكروا على الصليبيين كأنهم الوحوش الضارية، حتى تسرب اليأس على قلوب من كان يلاحقهم من الصليبيين،وخافوا أن يحاط بهم المسلمون من كل جانـب ويقطعـوا أمـامهم سـبل الاتصال بإخوانهم الصليبيين، فالقوا بأقواسـهم جنبـاً، وامـسكوا بـسيوفهم لمنازلـة المسلمين[١٦٧] .

أما الخطوة الرابعة فتبدأ عندما استعاد الصليبيون بأسهم، وأستردوا شجاعتهم

وخجلوا أن يفروا من أمام المسلمين، فتصدوا لهم، ونجحوا في إيقاف هجومهم، وأرغموا المسلمين على التراجع[168].

وتصف المصادر غير العربية ميدان المعركة بعد هذه الخطوات بالإشارة إلى أن السهام والنبال التي حجبت ضوء الشمس من كثرتها، قد اخترقت أجسام الخيول، وغطت ثرى الأرض حتى أصبح من السهل لمن أراد أن يجمعها عليه أن ينحني فيجمع ما شاء منها في قبضة واحدة[169].

وبدأت الخطوة الخامسة بهجوم إسلامي على مؤخرة الجيش الصليبي، وكان هجوماً شرساً بحيث أن صفوف الأسبتارية قد اضطربت، وأرسلوا من يخبر الملك الانجليزي بأنهم لم يعودوا قادرين على صد هجمات المسلمين الضارية ما لم يسرع الصليبيون بنجدتهم، ويكروا على المسلمين، ولكن الملك ريتشارد أجابهم بغير ما طلبوه، إذ نصحهم بالصبر، وأن يكونوا ثابتي الجنان رابطي الجأش، وأن يتماسكوا ويتحدوا، واستمر المسلمون يهاجمون فرسان الأسبتارية وهم صامتين غير قادرين على رد الضربة بمثلها –طبقاً لأوامر الملك– وتمثل لهم الموت في كل خطوة، وهم صامتين غير قادرين على رد الضربة بمثلها – طبقاً لأوامر الملك – وتمثل لهم في كل خطوة، فشل الخوف حركاتهم، ومع ذلك واصلوا الزحف مع الجيش الصليبي ولكن في خطى بطيئة، رغم متابعة المسلمين لهم وضربهم من الخلف بالهروات، إذ تجمع أكثر من عشرين ألف مقاتل من المسلمين، وكروا كره عاصفة على الأسبتارية، واستعملوا الهروات فأحسنوا استعمالها، وضربوا بالسيوف فأجادوا الضرب، والحقوا بفرسان الاسبتارية، خسائر كبيرة[170].

والتساؤل الذي يطرح نفسه في هذا الموقف هو لماذا لم يسرع الملك الانجليزي بتقديم العون للأسبتارية، وهو يعلم مدى المعناه التي يعانون منها، ومدى الخسائر التي لحقت بهم؟

لم نجد في المصادر العربية أو غير العربية إجابة لهذا التساؤل، وعلى ذلك يبدو أن الملك كان يريد الوصول إلى أرسوف في أسرع وقت، وأن يجتاز هذا الطريق

الوعر الضيق دون توقف لمقاتلة المسلمين، أو ربما أن يكون هذا الأمر -كما يتبين من الأحداث التالية- جزء من خطة الملك التي كتم أسرارها في صدره، ولم يصارح بها أحد، وهي محاولة جذب أكبر عدد من المسلمين إلى الاقتراب من الصليبيين، وعندئذ يقوم الصليبيون بهجوم مفاجئ عليهم، ويحيطون بهم من كل جانب، ويلحقوا بهم الهزيمة.

ومهما يكن من أمر، فقد بدأت الخطوة السادسة عندما نفذ صبر فرسان الأسبتارية وأصبحوا غير قادرين على تحمل الهجمات الإسلامية، فصمموا على التصدي للمسلمين، إذ قام أحد فرسان الأسبتارية، ويدعى جارنيه الطرابلسي[١٧١]، بالصياح بأعلى صوته طالباً العون من القديس جورج، ومناشداً الملك بسرعة تقديم العون لإخوانه من الأسبتارية فأجابه الملك بالتحلي بالصبر، واتفق الملك مع كبار القادة الصليبيين على خطة للقيام بهجوم مفاجئ على المسلمين، إذ تم الاتفاق على دق الطبول ست دقات في ثلاث مواضع مختلفة في الجيش الصليبي تكون تنبيها وإيذاناً بالهجوم الشامل المباغت على المسلمين، تكون اثنتان من هذه الدقات في المقدمة، ومثلهما في المؤخرة، والخامسة والسادسة في القلب، وجرى الاتفاق على هذه الصورة حتى تتميز الدقات الصليبية عن دقات جيش المسلمين، ولكن فشلت هذه الخطة بسبب عدم التزام اثنين من الفرسان الصليبيين بها، وإذا أسرعا بمهاجمة المسلمين قبل أن تكتمل دقات الطبول الصليبية المتفق عليها، وهما جارنيه الطرابلسي، وبلدوين الكاروني Baldwin Le Caron[١٧٢]، وما أن رأى الصليبيون هذان الفارسان يتعرضان لمأزق من المسلمين بعدما أحاطوا بهما حتى همزوا جيادهم وكروا على المسلمين، ولكن على دفعات، وبصورة غير التي رسمها الملك في خطته معهم، إذ اختلطت صفوف االصليبيين بعضها ببعض، فأصبح الأسبتارية في المقدمة، وكرت الميسرة بقيادة كونت شامبني ثم تلتها فرقة من الميمنة وبقيادة جاك الأفسني، ثم فرقة بقيادة روبرت دروا وأخيه أسقف بوفيه، أما كونت ليسستر ومن معه فقد شنوا هجوماً غاضباً على ميسرة الجيش الإسلامي والتي كانت قريبة من ساحل البحر، فلما رأى الملك ريتشارد ذلك همز جواده، وشارك ومن معه بالهجوم على المسلمين، الذين بدءوا في التراجع من شدة الهجمات الصليبية، وسقط منهم الكثير، بينما لاذ الباقي بالفرار، فلجأ بعضهم إلى الغابات

يلتمسون فيها المخبأ، وتخلى بعضهم عن جيادهم، وتفرقوا في شتى الجهات، ولجأ البعض الأخر إلى التلال القريبة من ساحل البحر، والقوا بأنفسهم في مياهه(١٧٣).

أما الخطور السابعة فقد بدأت عندما توقف الصليبيون عن متابعة فلول المسلمين بعدما أرهقهم استمرار القتال، وقبل أن نشير إلى أحداث هذه الخطوة، لابد أن نبين ما أشارت به المصادر غير العربية عن وصف لميدان المعركة بعد هذه الخطوات السابقة، إذ تشير إلى أن، مصير المعركة حتى هذه الفترة ظل معلقاً لا يدري أحد آية كفة سترجح وأيهما سوف ينتصر وتكون له الغلبة بعدما أصطدم بعضهم ببعض، وحاول كل فريق أن يتغلب على الأخر فكانوا بين ناكصي على عقبيه، ومضرج في دمائه، وآخر فارقته الحياة، وقد سقطت على الأرض أعداد لا تحصى من الرايات والأعلام والبيارق، وتبعثرت حولها السيوف، والرماح والأقواس، والهروات، ذات الرؤوس الحديدية، ولو جمع ما سقط وقتذاك وكان مبعثراً في ساحة القتال لكان ثلاثين حملاً أن لم يزد(١٧٤).

عندما رأى المسلمين أن الصليبيين قد توقفوا عن مطاردتهم، وبدءوا في العودة، سرعان ما استداروا وهاجموا الصليبيين الذين كانوا من قبل يتعقبوهم، وكان يقود المسلمين وقتذاك الأمير تقى الدين صاحب حماه، وابن أخي صلاح الدين، ومعه سبعمائة من المحاربين وكانت لهم راية زعفرانيه صفراء(١٧٥) فاقتربوا من االصليبيين وكروا عليهم كره شعواء، واخذوا يصرخون صرخات عالية مخيفة، وهم يطعنون برماحهم طعنا لا يحتمله أحد، حتى تزلزل عزم الصليبيين لكنهم بقوا ثابتين يدفعون المسلمين بكل ما استطاعوا من حول وقوة، وتبادل الجانبان الرمي بالسهام والنبال، واشتد كل طرف على الأخر، وازدادت هجمات المسلمين شراسة، حتى أصبح الصليبييون في مأزق بعد ما سالت دماؤهم نتيجة لضرب المسلمين بالهروات والسيوف(١٧٦)

وتبدأ الخطوة الثامنة بكر الصليبيون على المسلمين، فعندما رأى بعض أفراد الجيش الصليبي أن إخوانهم أصبحوا في هذا المأزق، سارعوا بنجدتهم وكان في مقدمتهم الفارس وليم البورسي، فخرجوا من بين صفوف الجيش، وكروا كره عنيفة على المسلمين الذين تراجعوا بعدما سقط منهم بعض القتلى، ولما رأى الملك ريتشارد أن كثير من رجاله قد ابتعدوا كثيرا عن ساشر الجيش الصليبي، وهم في مطاردة

المسلمين، خاف أن يكون هذا الأمر خطة عسكرية من جانب المسلمين لإغـراء بعـض الصليبيين بالابتعاد عن سائر جيشهم وفي سرعة فائقة امتطـى الملـك ظهـر جـواده القبرص ومعه كوكبه من الفرسان الصليبيين، وانطلقوا نحو الجبل، وشاركوا في الهجوم على المسلمين هجوماً عنيفاً، مما أسفر عن فرار كثير من محاربي الأمير تقـي الـدين عمر بعد أن نالهم الإنهاك والتعب[١٧٧].

أما عن المرحلة الثالثة من هذه الجولة الأولى، فتبدأ بعودة الملك الصليبي ومن معه إلى صفوف الجيش، ومواصلة الزحف بعد أن أعاد الـصليبيون تنظـيم صـفوفهم بصورة -حسبما اشرنا من قبل-، واستمر الصليبيون في زحفهم حتـى بلغـوا مدينـة أرسوف فنصبوا خيام معسكرهم خارجها[١٧٨].

وحسبما جاء في المصادر غير العربية تبدأ بوصول الـصليبيين إلـى مدينـة أرسوف جولة جديدة من القتال بين المسلمين والصليبيين، هما الجولة الثانية بينما لـم تشر المصادر العربية -التي بين أيدينا- إلى آية معارك أو اشتباكات بين الطرفين، عدا الإشارة التي وردت عند أبي شامة وابن واصل بـأن الـصليبيين لجئـوا إلـى جـدار أرسوف[١٧٩]

على أية حال تبدأ المرحلة الأولى من الجولة الثانية في هذه المعركة بـالهجوم الإسلامي على الصليبيين أثناء قيامهم بنصب معسكرهم بالقرب مـن مدينـة أرسـوف، فتشير المصادر غير العربية إلى أن الصليبيين عندما كانوا منهمكين في نصب خيامهم، قامت طائفة كبيرة من المسلمين بمهاجمة أقصى مؤخرة الجيش الصليبي التي لم تـصل بعد إلى المعسكر الصليبي، وعندما سمع الملك بأخبار هذا الهجوم، أسرع ومعه خمـسة عشر فارس من فرسانه، ونزل على المسلمين نزول الصاعقة، ولما رأى بقيـة رجـال الجيش الصليبي هذا الأمر، هبوا سراعاً، وشاركوا في الهجوم على المـسلمين فبـددوا شملهم، وأرغموهم على الفرار، حتى أنهم أوغلوا في الهروب حتى بلغوا غابة أرسوف التي لجئوا إليها من قبل، ولم يكف الصليبيون عن متابعتهم وتعقبهم، وهم يواجهون في كل خطوة يخطونها قوماً من المسلمين فيقاتلوهم، حتى أصبح عدد القتلى المسلمين على أرض المعركة كثيراً[١٨٠].

أما المرحلة الثانية من هذه الجولة، فتبـدأ بعـودة الملـك ريتـشارد وبقيـة المهاجمين من الصليبيين إلى معسكرهم بالقرب من مدينة أرسوف بعد أن قتلـوا مـن المسلمين ما قتلوا، وبعد أن أنهكهم التعب من جراء ما قاموا به من مشقة، وما تكبدوه من نصب، ولكن يبدو أن فريقاً من الصليبيين قد أغراه الطمع في جمع الغنائم، فمـضوا إلى ساحة المعركة، ثم عادوا محملين بالكثير، وجاءوا بفيض مما جمعـوه ومـا كـانوا يبغونه(١٨١)

وقبل الحديث عن نتائج هذه المعركة يجب الإشارة إلى أسباب الانتصار النسبي للصليبيين في هذا اليوم، وإذا تتبعنا مسيرة الصليبيين منذ خروجهم مـن مدينـة عكـا واستعدادهم للتحرك جنوباً يوم الأحد ٢٥ أغسطس عام ١١٩١م/ مستهل شـعبان عـام ٥٨٧هـ، حتى اقترابهم من مدينة أرسوف، وقيام الوقعة بينهم وبـين المـسلمين فـي السابع من سبتمبر عام ١١٩١م/ ١٤ شعبان عام ٥٨٧هـ نجد أن المسافة بـين عكـا وأرسوف قد استغرقت حوالي أربعة عشر يوماً في مسيرة الصليبيين، وأنه جرى خـلال هذه الفترة اشتباكات عديدة بينهم وبين المسلمين، استخدم خلالها كـل مـن الجـانبين أسلوبه العسكري المعتاد، فكان الأسلوب العسكري الإسلامي يعتمد اعتماداً كلياً على خفة الحركة والسرعة، وقد لاحظ الكتاب غير العرب هذا الأمر فأشاروا إلى، المحارب المسلم خفيف الحركة لأنه لا يثقل نفسه بكثرة الأسلحة، مما يجعله سريعاً، واقدر على اللحـاق بمن يريد، بينما إذا أراد أحد اللحاق به فلا تستطيع أن تلحق به حتى النـسور، وكـان تسليح المحارب المسلم ينحصر في القوس والرواة، والسيف، والرمح الخفيف، وخنجر صغير، وإذا وجد المسلمون أنفسهم وقد اشتد خصمهم في مطـاردتهم لهـم وتعقـبهم ابتعدوا عن مكان الاشتباك لمسافة كبيرة فراراً وبسرعة فائقة على ظهور جيادهم التـي تسابق الريح في عدواها، وكأنها العصافير في خفتها وفي ثوبهـا، وكـان مـن عـادة المسلمين أيضاً أنهم إذا أدركوا أن مطارديهم توقفوا عن مطـاردتهم وتعقـبهم، قاموا بالتوقف عن الفرار وعادوا للكر مرة أخرى كالذبابة أن أتت ذبيتها طارت ثم عادة تمسك عن هشها، ولكنها لا تكف عن الطيران طالما أتت تذبها فان فاتت أمـسكت عـن ذبهـا عادت(١٨٢).

وكان الأسلوب العسكري للمسلمين في هذه الأشتبكات يقم على استغلال سرعة المسلمين وخفة حركتهم في الكر والفر، فكانوا يهاجمون أطـراف الجـيش الـصليبي، ويطلقون عليهم وابل من النشاب لإلحاق أكبر الخسائر بالصليبيين أو جيادهم من جهـة أو لدفعهم على الهجوم عليهم من جهة أخرى، وعندئذ يلجأ المـسلمون إلـى التراجـع والفرار السريع لدفع الصليبيين على تعقبهم والابتعاد عن بقية الجيش الصليبي ويكـون وقتذاك من السهل على المسلمين القضاء عليهم أما عن طريق الكمائن أو عند توقـف مطارديهم والالتفاف للعودة، وعندئذ يحيط بهم المسلمون من كل جانب.

أما عن الفارس الصليبي فكان ثقيل الحركة يرتدي خـوذة حديديـة وزود مـن الحلقات الحديدة، ويتسلح بأسلحة ثقيلة كالسيف الطويل والبلطة والرمح والقوس ويحمل على كتفه جعبة بها السهام ويمسك في يده ترس، ويرتدي الرجالة مـنهم فـوق هـذه الملابس القمصان المصنوعة من اللبود للوقاية من النشاب.

وكان الأسلوب العسكري الصليبي في هذه الاشتباكات يعتمد على القوة الضاربة للفرسان، فكان هجومهم كتلة واحدة كسيل جارف يكتسح كل ما هو أمامـه، ولا يقـوى على التصدي لهم أحد من قسوة الهجوم.

هذا عن الأسلوب العسكري عند الجانبيين الإسلامي والصليبي، ويتـضح مـن خلال العرض السابق أن الملك ريتشارد قد تعرف عن قرب علـى أسـلوب المـسلمين العسكري فوضع خطته الحربية لمواجهة هذا الأسلوب، والتي تقوم على أسـاس عـدم استجابة أفراد الجيش الصليبي لاستفزازات المسلمين حتى يقتربوا أكثـر فـأكثر مـن الصليبيين، وعندئذ – وعن طريق إشارة متفق عليها – يفسح المشاة الطريق للفرسان للهجوم الشامل والسريع على المسلمين، هذه كانت خطة الملك الصليبي التـي طبقهـا الصليبيون، حقيقة إنها لم تحرز النجاح الذي كان يتأمله الملك الانجليزي عند تطبيقهـا لأول مرة بسبب تهور فارسين من فرسان االصليبيين – كما سبق ذكره– ولكنها مع ذلك ألحقت خسائر كبيرة بالمسلمين، لذلك قام الصلبيين بتنفيذ هذه الخطة في الاشتباك الثاني بالقرب من معسكر الجيش الصليبي بجانب مدينة أرسوف حسبما يبدو رغم عدم إشـارة المصادر الصليبية إلى هذا الأمر، وبذلك تحقق للـصليبيين الانتـصار النـسبي علـى

المسلمين.

كذلك من بين أسباب هذا الانتصار حالة التعب والإرهاق التي أصبت المسلمين، لأنهم كانوا الأكثر حركة في عمليات الكر والفر، بينما كان الصليبيون أكثر راحة لأنهـم كانوا لا يقاتلون إلا عند اشتداد الخطر، فضلاً عن اللجوء إلى الراحة بعد كل مسيرة لمدة يوم أو يومين، بينما ظل المسلمون يهاجمون أطراف جيشهم دون كلل أو ملل، ودون أن يحصلوا على قسط من الراحة.

ولا يحتاج إلى جهد كبير لمعرفة أثر الحرارة الشديدة في شهر أغسطس، حقيقة أنه عانى منها الجانبيين، وأن المسلمين قد اعتادوا عليها، لكــن الفــرق هنــا هــو أن الصليبيين بعد كل مسيرة كانوا يلجأون إلى الخيام فيستظلوا بظلها، بينما ظل المسلمون في حالة رصد وترقب وعمليات كروفر تحت أشعة الشمس الحارقة في مثل هذا الوقــت، فاجتمعت عليهم في هذه المعركة نار القتال ونار الطقس.

كما لا نغفل أيضاً حالة الغبار والعجاج التي ملأت الأفق نتيجة لاشــتداد القتــال بين الجانبيين، فتطايرت حبات الرمال حتى صارت كالسحابة السوداء، واظلم الجو مــن كثرة العجاج، فكان لكل هذه أثره الواضح من عدم تنفيذ المسلمين لعمليات الكر والفــر حسبما اعتادوا.

هذا عن أسباب الانتصار النسبي لا للصليبيين في هذه الوقعة، أما عــن نتــائج هذه المعركة فهي كثيرة، منها الأعداد الكثيرة التي سقطت قتلى من الجــانبين، فيــشير المؤرخ ابن شداد إلى أسماء كبار الأمراء المسلمين الذين قتلوا في هذه المعركــة(١٨٣)، أما المؤرخ ابن الأثير فيشير إشارة خاطئة إلى أنه قتل في هذه المعركة مملوك لــصلاح الدين اسمه اياز الطويل(١٨٤)، ولكن في حقيقة الأمر أن اياز الطويل ســقط قتــيلاً فــي الاشتباك مع االصليبيين قبل معركة أرسوف كما سبق أن أشرنا.

أما المصادر غير العربية فيشير المؤرخ امبرواز إلى أن قتلى المسلمين في هذه

المعركة كانوا سبعمائة قتيل[١٨٥]، بينما تتفق بعض المصادر على أن أعداد القتلى من المسلمين بلغت سبعة ألاف قتيل[١٨٦] ويشير المؤرخ روجر الهوفدني إلى أن، المسلمين فقدوا في هذه المعركة الكثير من أمرائهم[١٨٧] أما صاحب كتاب هرقل[١٨٨]، والمؤرخ ارنول[١٨٩] فقد اكتفيا بالإشارة إلى أن المسلمين فقدوا في هذه المعركة أعداد كبيرة من محاربيهم، بينما يشير صاحب كتاب ملحمة ريتشارد إلى ا، المسلمين فقدوا ستون ألف قتيل في هذه المعركة[١٩٠]، ولا شك أن هذا الرقم مبالغ فيه إلى حد كبير.

ولكن طبقاً لمجريات أحداث هذه المعركة فنحن نميل إلى الرأي القائل أن عدد القتلى من المسلمين حوالي سبعة آلاف، لأنه يتفق مع ما أشارت إليه المصادر العربية من أن حالة من الحزن والكآبة قد خيمت على المعسكر الإسلامي بعد هذه المعركة، فيشير المؤرخ ابن شداد إلى أنه قتل في ذلك اليوم من المسلمين رجاله كثيرة، وأن السلطان صلاح الدين كان في قلبه من الوقعة أمر لا يعلمه إلا الله تعالى، والناس من جريح الجسد وجريح القلب[١٩١]، بينما تمنى المؤرخ أبو شامة للمسلمين بعد هذه المعركة حسن العاقبة بعد اليأس[١٩٢].

هذا عن القتلى من المسلمين، أما عن القتلى من الصليبيين فيشير كل من المؤرخ أبي شامة[١٩٣]، وابن الأثير[١٩٤]، وابن واصل[١٩٥]، وابن الفرات[١٩٦] إلى أنه قتل من الفرنج كند عظيم وقاتل دونه جماعة من مقدميهم، فما قتل حتى قتلوا.

أما المصادر غير العربية فهناك ثلاث أراء حول القتلى من الجانب الصليبي، الرأي الأول يمثله كل من صاحب كتاب ذيل وليم الصوري[١٩٧]، والمؤرخ روجر الهوفدني[١٩٨]، وأرنول[١٩٩]، وصاحب كتاب الإمبراطور هرقل[٢٠٠]، والمؤرخ فينسوف[٢٠١]، ويرى أصحاب هذا الرأي ن أعداد القتلى في هذه المعركة من الصليبيين كانت غير قليلة، أما الرأي الثاني ويمثله المؤلف المجهول صاحب كتاب الحملة الصليبية الثالثة[٢٠٢]، وصاحب حوليات الملك ريتشارد[٢٠٣]، والمؤرخ امبرواز[٢٠٤]، ويرى أصحاب

أصحاب هذا الرأي أن أعداد القتلى من الصليبيين كان لا يزيد عن عشر أعداد القتلى من المسلمين، بينما يرى الرأي الثالث –ويمثله المؤلف المجهول صاحب كتاب ملحمة الملك ريتشارد[٢٠٥]– أن االصليبيين فقدوا ثلاثمائة قتيل في هذه المعركة.

وتتفق هذه الآراء جميعها على أن أعظم خسارة لحقت باالصليبيين فـي هـذه المعركة هي مقتل جاك الافنسي، الذي أحدث موته فجيعة تنقضي لها المرائر لأنه كـان فارساً معلماً مغواراً، وكان يمثل نسيج الوحدة للصفوف الصليبية ولذلك خرج في اليوم التالي لهذه الواقعة بعض فرسان الدواية والأسبتارية إلى ميدان المعركة للبحـث عـن جثته حتى عثروا عليها، وكانت معالم وجهه قد اختفت من كثرة الجراح، فأعادوا جثمانه إلى المعسكر الصليبي، وأقيمت له جنازة شارك فيها الملك ريتشارد والملـك جـي دي اوزجنان حتى تم دفنه.

ومن نتائج هذه المعركة أيضاً كثرة الجرحى في الجانبين الإسلامي والـصليبي، إذ تتفق المصادر العربية، وغير العربية –سالفة الذكر– على أن أعـداد الجرحـى فـي الجانبين كانت كثيرة للغاية.

كما هلكت في هذه المعركة أعداد كبيرة من الخيول، وتتفـق أيـضاً المـصادر العربية وغير العربية على أن كثير من الجياد قد نفقت نتيجة للقتـال بـين الطـرفين، وانتشرت جثثها على قارعة الطريق في ساحة المعركة.

ومن النتائج الهامة لهذه المعركة ارتفاع معنويات االصليبيين بعد هذه الوقعـة، فعلى الرغم من أن معركة أرسوف لم تكن حاسمة[٢٠٦] في الصراع الصليبي الإسـلامي، إلا أن هذا الانتصار النسبي لا للصليبيين في هذه الوقعة كانت له نتائجه العميقة الأثـر، لأنه بعث في نفوس االصليبيين شعور الثقة بالنفس بعد الهزائم التي أخذت تتبرى عليهم منذ موقعه حطين[٢٠٧].

وتشير بعض المصادر غير العربية إلى أن صلاح الدين قد أنب قادة جيشه بعد

هذه المعركة، ووجه لهم اللوم، لأنهم سمحوا لا للصليبيين بتحقيق هـذا التفـوق(٢٠٨)، وبينما لم تشر المصادر العربية إلى هذه الإشارة، بل على النقيض تشير إلى أن السلطان صلاح الدين قد أثنى على جهود عسكر الموصل ومقدمهم علاء الـدين، ووجـه إلـيهم الشكر، كما أشرف السلطان بنفسه على مداواة الجرحى المسلمين بعد هذه المعركة(٢٠٩)

كما يجب عدم إغفال كثرة الغنائم كنتيجة من نتائج هـذه المعركـة، إذ تـشير المصادر غير العربية إلى أن ساحة المعركة بعد هذا النزال كانت مفروشة بالغنائم مـن الأسلحة المتعددة، والثياب وغيرها(٢١٠).

ومن النتائج الهامة لهذه المعركة أيضاً قيام صلاح الدين بتحطـيم اسـتحكامات مدينة عسقلان، فتشير المصادر العربية(٢١١) وغير العربية(٢١٢) إلـى أن صـلاح الـدين استشار كبار أمرائه بشأن تحطيم استحكامات مدينة عـسقلان لعجـز المـسلمين عـن حفظها، وحتى لا يكون مصيرها مثل عكا، وبعد جدال وحوار تمت الموافقـة، فاشـرف السلطان بنفسه على تدمير أسوارها في ليلة الخميس التاسع عشر مـن شـعبان عـام ٥٨٧هـ/ الثاني عشر من سبتمبر عام ١١٩١م، وبذلك غدا سـقوط عكـا فـي آيـدي االصليبيين هاجساً يخيف المسلمون من تكراره.

هكذا كانت أسباب وأحداث ونتائج معركة أرسوف التي تعتبـر حادثـة لطـراز طبيعي مألوف من التصادم العسكري بين الجانبين الإسلامي والصليبيي وأن كتاب الغرب قد صوره على أنها آية من آيات النصر أو أنها ضربة ساحقة للمسلمين، فأن هذا هـو سؤ فهم منهم لمكانها الطبيعي في العمليات العسكرية في ذلك العصر.

والسؤال الطبيعي الذي يطرح نفسه في هذه الفتـرة هـو: لمـاذا لـم يتوجـه الصليبيون مباشرة إلى بيت المقدس، ويستولوا عليها بعد هذه المعركة؟، ويحققوا بهذا الهدف الأسمى الذي جاءوا من أجله، خاصة وأن مدينة بيت المقدس كانت تعـاني مـن ضعف وسائل الدفاع بها(٢١٣).

وعند الرد على هذا السؤال، يجب أن نضع هذه المعركة في مكانهـــا الطبيعـــي، وأن هذه الوقعة لم تقض تماماً على القوة الإسلامية، بل عاد التماسك إلـــى الـــصفوف الإسلامية بعد هذه المعركة، بفضل جهود لسلطان صلاح الدين، وجرت الاستعدادات على قدم وساق في المعسكر الإسلامي لمواجهة الصليبيين في جولات أخرى، لذلك لم يحـــاول الملك ريتشارد أن يستفيد من انتصاره النسبي على المسلمين فـــي أرســـوف ويباغـــت المسلمين أثناء انشغالهم بتدمير عسقلان ليستولى علـــى تلـــك المدينـــة دون عنـــاء أو حصار، ولم يحاول أيضاً أن يقوم بحركة سريعة لمهاجمـــة بيـــت المقـــدس، ومحاولـــة الاستيلاء عليها، إنما رأى أن يستمر في نهجه الذي خطط له وهو الزحف علـــى طـــول الساحل والاستيلاء على مدنه أولاً دون تسرع خاصـــة وإن كـــان يعلـــم أن المقاومـــة الإسلامية لازالت قوية ومتماسكة، وأن جيشه قد أصبح في حالة من التعـــب والإرهـــاق بعد المعاناة الشديدة في معركة أرسوف، وأنه لا يزال هنـــاك صـــولات وجـــولات مـــع المسلمين.

الحواشي:

(١) سعيد عبدالفتاح عاشور: الحركة الصليبية، صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد الإسـلامي فـي العصور الوسطى، ٢ج، القاهرة ١٩٩٤م، ج٢، ص٦٨٩.

(٢) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة (صلاح الدين وريتشارد) ترجمة وتعليق د.حسن حبشى، القاهرة ٢٠٠٢، ج٢، ص١٠، ص٤١٠، وأيضا:

Devizes, Chronicles of the Crusades, London, 1848, p42; vinsauf, Crusade of Richard to the holy land, London, 1848, p217

(٣) المؤلف المجهول: ذيل وليم الصوري، ترجمة حسن حبشى، القاهرة ٢٠٠٢ ص٢١٣.

(٤) ابن واصل: مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب، ج٢، تحقيق د. جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٥٧، ج٢، ٢٦٣.

(٥) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، ج٣، تحقيق حسن السباع، البصرة (د.ت)، ج١، ص٢٦٠.

(٦) Ambroise, the Crusade of Richard lion, New York, ١٩٤١.,pp.٢٢١., vinsauf, op, cit. pp,٢٧١-٢١٨

(٧) Eracles, Lestoire de Eracles Empereur, T.2, Paris, 1859,op. cit, p. 181.

(٨) Guillam de Nangis, Les Gestes de Philippe- Auguste, ed.R. G.F, V.2. p.377

(٩) المؤلف المجهول: ذيل وليم الصوري، ص٢١٥.

(١٠) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٤٣.

(١١) المؤلف المجهول: نفس المصدر، ص٤٥.

(١٢) Roger de Hoveden, Annales. vol. ٢,p.٢١٨.

(١٣) المؤلف المجهول: ملحمة ريتشارد قلب الأسد، ترجمة وتحقيق د.سهيل زكار، دمشق ١٩٩٣م، ص٢٥٠.

(١٤) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٤٧، ابن الأثير: الكامل فـى التـاريخ، بيروت ١٩٨٢،ج١٢، ص٦٩.

(١٥) Ambroise, op .cit. p. 223 Vinsauf, op ,cit.p220 .

(١٦) ابن شداد: النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، تحقيق جمـــال الـــدين الـــشيال، القـــاهرة ١٩٦٤، ص١٧٠-١٧١، العماد الأصبهاني: الفتح القسى فى الفتح القدسى، تحقيق محمود صبح، القاهرة(د.ت) ص٥١٣.

(١٧) أبو شامة: كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج٢، ص١٨٧-١٨٨، ابن العديم: زبـــدة الحلب من تاريخ حلب، تحقيق سامى الدهان، ج٢، ص١١٩-١٢٠، ابن واصل: المـــصدر الـــسابق، ج٢، ص٣٥٩-٣٦٠، ابن الفرات: المصدر السابق، ج١، ص٢١-٢٢؛ أبـــو شـــامة: المـــصدر الـــسابق، ج٤، ص٢٦٢.

(١٨) ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٢، ص٦٨.

(١٩) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالث، ج٢، ص٣٦-٣٧.

(٢٠) Ambrois, op. cit, pp,217–218 .

(٢١) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٧١.

(٢٢) Eracles, op. cit.p177 .

(٢٣)Ernoul, Chronique dErnoul, Paris, 1971, p.274 .

)٢٤(Chronicales and memorials ,London, 1864,p.232 .

)٢٥ (Ralph of diceto, London, 1876,vol.II.p.94.

)٢٦ (Haymarus,de expugnata Accon liber tetrastichus, Paris 1865.vol.II pp.834–835 .

)٢٧ (Rigord,op,cit,.p.115.

(٢٨) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٧٢.

(٢٩) أبو شامة: المصدر السابق،ج٤،ص٢٦٦.

(٣٠) ابن واصل: المصدر السابق، ج٢، ص٣٦٣.

(٣١) العماد الأصبهاني: المصدر السابق،ص٢٥٦.

(٣٢) ابن الفرات: المصدر السابق،ج١، ص٢٦.

(٣٣) Roger de Hoveden,op.cit,.vol.II.p219 .

(٣٤) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢،ص ٥٥-٥٦، وأيضا:

Ambroise,op.cit.,pp.231–232,devizes,op.cit,p٤٣;vinsauf,op.cit.,p.50

(٣٥) أطلق عليها المؤرخ ابن شداد اسم تروم، انظر: ابن شداد: المصدر السابق، ص١٧٣، أما ابن واصل فـــأطلق عليها اسم نجوم، انظر ابن واصل: المصدر السابق،ج٢، ص٢٦٣.

(٣٦) ابن شداد، المصدر السابق، انظر ص١٧٣.

(٣٧) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة،ج٢، ص٤٩-٥٠ وأيضا:

Ambroise,op.cit.,pp.224-226; vinsauf,op.cit.,p.221.

(٣٨) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢،ص ٥٠-٥١، وأيضا:

Ambroise,op.cit.,p.٢٢٦.,vinsauf,op.cit.,p.221

(٣٩) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٧٣.

(٤٠) أبو شامة: المصدر السابق،ج٢، ص ٢٦٧-٢٦٨.

(٤١) ابن واصل: المصدر السابق، ج٢، ص ٢٦٣-٢٦٤؛ ابن الفرات: المصدر السابق، ص٢٦.

(٤٢) ابن الأثير: المصدر السابق، ص٦٧-٦٨.

(٤٣) Ambroise,op.cit.,pp.225–226 .

(٤٤) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٤٨.

(٤٥) Gesta Regis ricardi, London, 1867, p.189 .

(٤٦) Ernoul,op.cit.,p.276 .

(٤٧) Eracles,op.cit.,p.177.

(٤٨) Chronicles and memorials ,op.cit.,p.241 .

(٤٩) Haymarus ,op.cit.,vol,II,p.856–860 .

(٥٠) Roger de Hoveden,op.cit.,vol.II.p.219.

(٥١(Chronicles,op.cit.,p.241.

(٥٢) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٧٤، العماد الأصفهاني: المصدر السابق، ص٥٢٨.

(٥٣) أبو شامة: المصدر السابق، ج٤، ص٢٦٨-٢٦٩.

(٥٤) ابن واصل: المصدر السابق، ج٢، ص٣٦٤.

(٥٥) ابن الوردي: المصدر السابق، ج١، ص١٤٨.

(٥٦) ابن الفرات: المصدر السابق، ج١، ص٣٧.

(٥٧) تل العياضة: تل يشرف على مدينة عكا، توفي به الأمير حسام طمان، انظر: ابن تغري بردي، المصدر السابق، ج٦،ص٤٤.

(٥٨) تل كيسان: موضع في عكا بالقرب من ساحل الشام انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان،بيروت ١٩٧٧ ج١، ص٨٦٩.

(٥٩) ابن العديم: المصدر السابق،ج٣، ص٨٦٦.

(٦٠) Ambroise,op.cit.,pp.221–228 .

(٦١) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٥١-٥٢.

(٦٢) Eracles ,op.cit.,pp.178–17 .

(٦٣) Ernoul,op.cit ,p.276.

(٦٤) Haymarus,op.cit.,vol.II.p.86

(٦٥) Roger de Hoveden,op.cit.,vol.II.p.219 .

(٦٦) Gesta Regis ricardi. op.cit.,pp.189–19

(٦٧) Roger de Hoveden,op. cit,Vol.II,p.219.

(٦٨) Gesta Regis ricardi,op.cit,pp.189–190 .

(٦٩) Eracles,op.,citp.178.

(٧٠) Haymarus,op.cit.,vol.II.p.861

(٧١) Ambroise,op.cit.,p.231;vinsauf,op.cit.,p.222

(٧٢) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٥٢.

(٧٣) Guilliame de nangis,op.cit.,p.376.

(٧٤) المؤلف المجهول: ملحمة ريتشارد قلب الأسد: المصدر السابق، ص٢٥٠.

(٧٥) Roger de Hoveden,op.cit.,vol.II.p.220 .

(٧٦) Ambroise ,ibidvinsauf,op.cit.,p.222

(٧٧) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٥٢.

(٧٨) Roger de Hoveden,op.cit.,vol.II.p.220

(٧٩) Gesta Regis reicardi,op.cit.,p.189

(٨٠) يشير المؤرخ روجر الهوفدني: أن الملك ريتشارد قد أصدر أمراً قبل مغادرته مدينة عكا بأن يتولى بطـرس دي برتيل Peter de Paratelies مهمة الدفاع عن المدينة بعد خروج الجيش الصليبي منها، وأبقى معـه بعض الجند للقيام بهذه المهمة وأيضا لحماية زوجته التي أبقاها في المدينة، انظر:

Roger de Hoveden,op.cit.,vol.II.p.219.

(٨١) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٥٤.

(٨٢) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٧٥، العماد الأصفهاني: المصدر السابق، ص٥٣٠.

(٨٣) ابن واصل: المصدر السابق، ج٢، ص٣٦٥، أبو شامة: المصدر السابق،ج٤، ص٢٧٠-٢٧١.

(٨٤) ابن الفرات: المصدر السابق، ج٣، ص٢٩.

(٨٥) ابن العديم: المصدر السابق، ج٣، ص٨٦٦.

(٨٦) Chronicales ,op.cit.,p.224 .

(٨٧) Ambroise ,op.cit.,p.229 .

(٨٨) المؤلف المجهول: الحملة الصليبي الثالثة، ج٢، ص٥٩.

(٨٩) Roger de Hoveden,op.cit.,vol.II.p.220 .

(٩٠) Ambroise ,op.cit.,p.235.

(٩١) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٥٨.

(٩٢)Ambroise,op.cit.,p.229 .

(٩٣) Roger de Hoveden,op.cit.,vol.II.p.220

(٩٤) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٦٠-٦١، وأيضا Ambroise,op.cit.,p.236;Vinsauf ,op.cit.,p.226

(٩٥) المؤلف المجهول: ذيل وليم الصوري، ص٢١٧.

(٩٦) المؤلف المجهول: ذيل وليم الصوري ص٢١٦.

(٩٧) المؤلف المجهول: ملحمة ريتشارد الأسد، ص٢٥٠ .

(٩٨) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٦١.

(٩٩) ابن العديم، المصدر السابق، ص٨٦٦.

(١٠٠) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٧٦.

(١٠١) ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٢، ص٦٩، العماد الأصفهاني: المصدر السابق، ص٥٣٢-٥٣٣

(١٠٢) Vinsauf,op.ct.,.p.227 .

(١٠٣) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص ٦١، وأيضا: Ambroise .,op.cit.,p238.

(١٠٤) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٦٢، وأيضا: Vinsauf,op.cit.,p.220; Ambroise ,op.cit.p238.

(١٠٥) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٧٧، ابن الفرات: المصدر السابق، ج١، ص٢٩.

(١٠٦) انظر ابن شداد: المصدر السابق، ص١٧٨-١٧٩.

(١٠٧) المؤلف المجهول: المصدر السابق، ص٦٢-٦٣، وأيضا : Vinsauf,op.cit.,p227.

(١٠٨) Ambroise,op.cit/.p.240.

(١٠٩) Gesta Regis ricad,op.ct.,pp.178–179;chronicales,op.cit.,p.252 .

(١١٠) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٦٣-٦٤ك.
(١١١) ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٢، ص٦٩.
(١١٢) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٦٣-٦٤.
(١١٣) ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٢، ص٦٩.

(١١٤) Vinsauf,op.citp.228.
(١١٥) Ambroise ,op.cit.,p.241.
(١١٦) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٦٥-٦٦، وأيضا: Vinsauf ,op.cit.,p.229
(١١٧) Ambroise,op.cit.,p.243; vinsauf,bid.
(١١٨) ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٢، ص٦٩.
(١١٩) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٦٧، وأيضاً:
Vijnsauf,op.cit..,p.230; Ambroise ,op.cit.,p.243
(١٢٠) لم نعثر على بلده بهذا الاسم في كتب المسالك والممالك.
(١٢١) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٧

(١٢٢) Ambroise ,op.cit.,p,243 .
(١٢٣) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٦٧، وأيضا:
Vinsauf,op.cit.,p.230;Ambroise,op.cit.,p244.
(١٢٤) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٧٩-١٨٠.
(١٢٥) ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٢، ص٦٨.
(١٢٦) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٦٨، وأيضا:
Vinsauf ,op.cit.,p,230; Ambroise,op.cit.,p.24
(١٢٧) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٦٨-٦٩، وأيضا:
Vinsauf ,op.cit.,pp.230–231;Ambroise,op.cit.,pp.244–245
(١٢٨) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٧٨-١٧٩.
(١٢٩) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٦٨، وأيضا: Vinsauf,op.cit.,p٢٣٠
(١٣٠) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٦٩.
(١٣١) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٧٩، ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٢، ص٦٩، وأيضا، العماد الأصبهاني: المصدر السابق، .ص٥٣٧، أبو شامة: المصدر السابق، ج٢، ص١٩٠، وأيضا: Vinsauf,op.cit.,p.231

(١٣٢) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٦٩.

(١٣٣) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٧٩؛ العماد الأصفهاني: المصدر السابق، ص٥٣٧.

(١٣٤) vinsauf,op.cit.,p.231 .

(١٣٥) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٧٩، العماد الأصفهاني: المصدر السابق، ص٥٣٧.

(١٣٦) العماد الأصفهاني، نفسه؛ وابن واصل: المصدر السابق، ج٢، ص٣٥٦؛ أبو شامة: المصدر السابق، ج٤، ص٢٧١.

(١٣٧) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٨٠.

(١٣٨) نهر القصب: لم أعثر على تحديد لهذا المكان.

(١٣٩) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٦٩؛ وأيضا: Vijnsauf,op.cit.,p.٢٣١;Ambroise,op.cit.,p٢٤٦

(١٤٠) النهر الميت: لم أعثر على تحديد لهذا المكان.

(١٤١) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٦٩-٧٠؛ وأيضا: Vijnsauf,op.cit.,p.٢٣١;Ambroise,op.cit.,p.٢٤٦

(١٤٢) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٧٠؛ وأيضا: Vijnsauf,op.cit.,p.٢٣١;Ambroise,op.cit.,p٢٤٦

(١٤٣) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٨١، والعماد الأصفهاني: المصدر السابق،ص٥٤٠.

(١٤٤) Chronicles,op.cit.,p.٢٥٨.

(١٤٥) Ambroise,op.cit.,p.٢٤٦.

(١٤٦) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٧٠-٧١؛ وأيضا Vinsauf,op.cit.,pp.٢٣١-٢٣٢

(١٤٧) ابن شداد: المصدر لسابق، ص١٨١.

(١٤٨) المؤلف المجهول: المصدر السابق، ج٢، ص٧١؛ وأيضا: Ambroise,op.cit.,pp.٢٤٧-٢٤٨;vijnsauf,op.cit.,p٢٣٢.

(١٤٩) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٨٢؛ العمار الأصفهاني: المصدر السابق، ص٥٤٣.

(١٥٠) ابن واصل: المصدر السابق، ج٢، ص٢٦٧، ابن الفرات: المصدر السابق، ج١، ص٣٢-٣٣

(١٥١) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٨٢-١٨٣.

(١٥٢) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٧٢؛ وأيضا:

Vinsauf,op.cit.,pp.٢٣٣-٢٣٤;Ambroise,op.cit.,pp.٢٤٨-٢٤٩

(١٥٣) لم أعثر على تحديد لهذه القرية.

(١٥٤) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٨٣.

(١٥٥) ابن شداد: نفسه؛ ابن واصل: المصدر السابق، ج٢، ص٣٦٧؛ ابـــن الفـــرات: المـــصدر لسابق، ج١، ص٣٣.

(١٥٦) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٧٣؛ وأيضا:

ijnsauf,op.cit.,p.234;Ambroise,op.cit.,p.249;chronicles,op.cit.,p.260;Guillaum, le marcehal, Lhistoire, Paris,1891,vol.III,p.53

(١٥٧) ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج١، ص٢٠٧؛ البغدادي: مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقـــاع، بيروت ١٩٩٢،ج١، ص٥٦؛ وأيضا: محمد محمد شراب: معجم بلدان فلسطين، بيروت ١٩٨٧، ص١١٠.

(١٥٨) ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٢، ص٧٠.

(١٥٩) المـــؤرخ المجهـــول: الحملـــة الـــصليبية الثالثـــة، ج٢، ص٧٩، ٨٦-٨٧؛ وأيضا: Vinsauf,op.cit.,p.٢٤٠;Ambroise,op.cit.,p٢٦١

(١٦٠) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٨٣؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٢، ص٧٠.

(١٦١) هيج الجوردني: فارس من حاشية الملك ريتشارد نورماندي الأصل، اصطحب ريتـــشارد في رحلته من أوربا حتى وصوله إلى عكا، أنظر:

Siedschlag,B.,English participation in the crusades.1150- 1220, Randolph,1939, p.17,No 56

(١٦٢) وليم لبورسي: فارس نورماني جاء إلى الشام، وشارك في العديد مـــن الحـــروب ضـــد المسلمين، وابلي بلاء حسن فأعجب بشجاعته الملك ريتشارد. انظر:

Guilliame le marechal,op.ct.,vol.II,pp.4521–4522

(١٦٣) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٧٣، ٧٤، ٧٦؛ وأيضاً:

Vinsauf,op.cit.,pp.٢٣٣-٢١;Ambroise,op.cit.,pp.241-252;Guillaume le marchal,op.cit.,col.III.p.53

(١٦٤) ابن شداد: المصدر السابق ص١٨٦، أبو شامة: المصدر السابق، ج٤، ص٢٧٤، العماد الاصفهاني: المصدر السابق، ص٥٤٤؛ ابن واصل: المصدر السابق، ج٢، ص٣٦٧؛ ابن الفرات: المصدر السابق، ج١، ص٣٣، المؤلف المجهول: ذيل وليم الصوري، ص٢١٧، وأيضاً : -Vinsauf,op.cit.,pp.235

Ambroise,op.cit.,p.٢٥٣,Chronicles, op.cit,p.262.

(١٦٥) Roger de Hoveden,op.cit.,vol.II.p.223

(١٦٦) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة،ج٢، ص٧٧، وأيضاً:
Vinsauf,op.cit.,p235; Ambroise,op.cit.,p.253-254

(١٦٧) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ص٧٧؛ وأيضاً:
Vinsauf,op.cit.,p.235; Ambroise,op.cit.,p.254

(١٦٨) المؤلـــف المجهـــول: الحملـــة الـــصليبية الثالثـــة، ج٢، ص٧٧-٧٨؛ وأيضاً:Vinsauf,op.ci.,p236

(١٦٩) المؤلـــف المجهـــول: الحملـــة الـــصليبية، ج٢، ص٧٩؛ وأيضاً:Vinsauf,op.cit.,p.236;Ambroise,op.cit.,p.254

(١٧٠) المؤلـــف المجهـــول: الحملـــة الـــصليبية الثالثـــة، ج٢، ص٧٩-٨١، وأيضاً:Vinsauf,op.cit.,pp.237-238;abroise,op.cit.,pp.255-257

(١٧١) جارنية الطرابلسي: أخطأ المؤلف المجهول عندما اعتبره مارشال جماعة الفرسان الأسبتارية، ولكن حسبما أشار كل من دلافيه .لارو، وكينج، إلى أنه كان في هذه الفترة مقدماً للأسبتارية، لمزيد مـن المعلومـات راجع: المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٨٣؛ وأيضاً:
Delavilla le Roulx,J.Hospitaliers en Terre Saimate et a Chypre ,Pario 1904 pp.105-106; King- E.J., ,E.J.,The .Hospitallers in the holy land ,lomdon,1926, p.136.

(١٧٢) بلدوين الكاروني: فارس مغوار كان صديقاً للملك ريتشارد، واستقدمه معه وضـمه إلـى حاشيته، انظر: المؤلف المجهول: الحملة .الصليبية الثالثة، ص٨٣.

(١٧٣) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٧٣ ابن الأثير: المصدر الـسابق، ج١٢، ص٧٠؛ ابـن واصل: المصدر السابق، ص٣٦٧ أبو شامة: المصدر الـسابق، ج٤، ص٢٧٥؛ العمـاد الأصفهاني: المصدر السابق ص٥٤٤؛ ابن الفرات: المصدر الـسابق،ج١، ص٣٣؛ ابـن العديم: المصدر السابق، ج٣، ص٨٦٦؛ ابن الوردي: المصدر الـسابق، ج٢، ص١٤٧؛ المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٨٢-٨٧؛ وأيضاً:
Vinsauf,op.cit.,pp.239-240; Ambroise. op. cit., pp.259-234; eracles, op. cit.,p.185-186

(١٧٤) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٨٦؛
vinsauf,op.cit.,pp.239-240;Ambroise.op.cit.pp259-261;eracles,op.cit.,p186.

(١٧٥) Lane poole,s.,Saladin,London,1898,p.320

(١٧٦) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٨٨-٨٩، وأيضاً:
Vinsauf,op.cit.,p.241;amroise,op.cit.,pp.262-263
(١٧٧) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ص٨٩؛ وأيضاً:
insauf,op.cit.,p٢٤٢;Ambroise,op.cit.,p.264;chroinicales,op.cit.,p.274
(١٧٨) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٨٩؛ وأيضاً:
Vinsauf,op.cit.,π242;Ambroise,op.cit.,p.264;chroinicales,op.cit.,p.274
(١٧٩) أبو شامه: المصدر السابق، ج٤، ص٢٧٥، ابن واصل: المصدر السابق، ج١٢، ص٣٦٨.
(١٨٠) المؤلف المجهول: المصدر السابق، ج٢، ص٨٩-٩٠؛
Vinsauf,op.cit.,p.٢٤٢;Ambroise,op.cit.,pp264-365;chronicales,p.cir.,p.275;
Roger de Hoveden,op.cit.,vol.II.p.223
(١٨١) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٩٠وأيضاً:
Vinsauf,op.cit.,p.242;Ambroise,op.cit.,p.262
(١٨٢) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٥٧-٧٦؛ وأيضاً:Ambroiseop.cit.,p233.
(١٨٣) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٨٤.
(١٨٤) ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٢، ص٧٠.
(١٨٥) Ambroise,op.cit.,p.265 .
(١٨٦) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٩٠، وأيضاً:
Chronicles,op.cit.,p.275; vinsauf.op.cit.,p243
(١٨٧) Roger de Hoveden,op.cit.,vol.II.p.223 .
(١٨٨) Eralces ,op.cit.,p.185.
(١٨٩) Ernoul,op.cit.,p.278 .
(١٩٠) المؤلف المجهول: ملحمة ريتشارد قلب الأسد، ص٢٦٥.
(١٩١) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٨٥.
(١٩٢) أبو شامه: المصدر السابق، ج٤، ص٢٧٧.
(١٩٣) أبو شامه: المصدر السابق، ج٤، ص٢٧٥.
(١٩٤) ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٢، ص٧٠.
(١٩٥) ابن واصل: المصدر السابق، ج٢، ص٣٦٨.
(١٩٦) ابن الفرات: المصدر السابق، ج١، ص٣٤.
(١٩٧) المؤلف المجهول: ذيل وليم الصوري، ص٢١٧.

(١٩٨) Roger de Hoveden,op.cit.,vol.II.p.223 .

(١٩٩) Ernoul,op.cit.,p.264.

(٢٠٠) Eralcles,op.cit.,pp.185–186.

(٢٠١) Vinsuf,op.cit.,p.243.

(٢٠٢) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٩١.

(٢٠٣) Chronicles,op.it.,p.275 .

(٢٠٤) Ambroise,op.cit.,p.265.

(٢٠٥) المؤلف المجهول: ملحمة ريتشارد قلب الأسد، ص٢٦٥.

(٢٠٦) ستيفن رانسيمان: المرجع السابق، ج٣، ص١١١.

(٢٠٧) عاشور: المرجع السابق، ج٢، ص٦٨٩.

(٢٠٨) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ص٩٤، وأيضاً:
vinsauf,op.cit.,p.245; Ambroise,op.cit.,p.269

(٢٠٩) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٨٤؛ ابن واصل: المصدر السابق، ج٢، ص٣٦٨؛ أبو شامه: المصدر السابق، ج٤، ص٢٧٦؛ ابن الفرات: المصدر السابق، ج١، ص٣٤.

(٢١٠) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ج٢، ص٩٠، ٩٣، وأيضاً:
vinsauf,op.cit.,pp.242–244; A,mlroise,op.cit.,p268

(٢١١) ابن شداد: المصدر السابق، ص١٨٧، ابن واصل: المصدر السابق، ج٢، ص٣٦٩؛ ابن الأثير: المصدر السابق، ج١٢، ص٧٠؛ العماد الأصفهاني: المصدر السابق، ص٥٥٠-٥٥١؛ أبو شامه: المصدر السابق، ج٤، ص٢٧٨؛ ابن العديم: المصدر السابق، ج٣، ص٨٦٦؛ ابن الفرات: المصدر السابق، ج١، ص٣٤-٣٥؛ ابن الوردي: المصدر السابق، ج٢، ص١٤٧.

(٢١٢) المؤلف المجهول: الحملة الصليبية الثالثة، ص٩٦؛ وأيضاً:
vinsauf,op.it.,p.246; Amroise,op.cit.,p271

(٢١٣) أبوشامه: المصدر السابق، ج٤، ص٣٠٩.

موقف المثقف المصري من قضايا التحرر العربي
عبد العزيز البشري نموذجاً

د. إيمان عبدالمنعم عامر
أستاذ مساعد بقسم التاريخ
كلية الآداب ــ جامعة القاهرة

تتناول هذه الدراسة موقف المثقف المصري تجاه قضايا التحرر العربي وتحديدًا حركة الجهاد الليبي ضد الاحتلال الإيطالي للبلاد، وذلك من خلال خطابات متبادلة بين كلٍ من المجاهد الليبي الكبير عمر المختار وخصمه الاستعماري الإيطالي الماريشال جرازياني.

والواقع أن هذه الخطابات ليست إلا مقالات لواحد من رموز الثقافة في مصر وهو الشيخ عبد العزيز البشري، حيث تمثَّل شخصية كلٍ من عمر المختار وجرازياني وأدار الحوار بينهما.

وفكرة الخطابات المفتوحة تمثل رصدًا للأفكار والقضايا المؤثرة والمُحركة للأحداث في عصرٍ ما، فقد قرأنا مثل هذه الخطابات في أعقاب أحداث سبتمبر عندما وجه فريدمان* خطاباته المفتوحة إلى الرئيس الأمريكي چورچ بوش عبر الصحف العالمية لمناقشة المرحلة الجديدة التي أقدمت الولايات المتحدة الأمريكية على دخولها في مواجهة الآخر والذي اطلقت عليه اسم (الإرهاب)، ورد كبار الصحافيين المصريين على هذه الخطابات لمناقشة خطورة المرحلة التي يعيشها واقعنا العربي والإسلامي.

وهكذا كان البشري سابقــًا لعصره في تقمُص دور الشخصيات التي لعبت دورًا في تاريخ المنطقة.

* توماس فريدمان كاتب صحفي أمريكي شهير بجريدة نيويورك تايمز.

• البشري: الناقد الساخر:

يُعتبر عبد العزيز البشري من أمتع الكُتاب المصريين الذين كان لهم دور كبير في تحليل الأدوار الاجتماعية وانتقاد التقاليد البالية التي كان يعيش فيها المجتمع في هذه الفترة(١).

وقد وُلِّد البشري في حي البغالة بمصر عام ١٨٨٦ ونشأ في بيت عريق بالعلم والدين وكان أبوه الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر، ودخل عبد العزيز الكُتاب وهو في سن الصبا وتعلم القراءة والكتابة على نحو ما كان يفعل أقرانه في ذلك الحين، ومكث فيه فترة طويلة حفظ فيها القرآن الكريم، ثم انتقل إلى مدرسة إبتدائية ولكن أباه أبى إلا أن يدخل الأزهر وأن يدرس علوم الدين. وكان يومئذ شيخ الأزهر لأول مرة، وبينما كان عبد العزيز في الأزهر تعلق بالأدب وأحبه حتى تخرَّج عام ١٩١١(٢). وفيما بعد عمل في نظارة المعارف قبل أن يتولى مناصب قضائية عديدة في المحاكم في الجيزة وأسيوط والزقازيق وإسنا، وأصبح بعد ذلك مشرفًا عامًا على كلية اللغة العربية. كتب البشري إلى جانب المقالات للكشكول والسياسة الأسبوعية كُتبًا عديدة من بينها (في المرآة)، (المختار)(٣) ، و(التربية الوطنية) و(قطوف) وقد نظم الشعر في شبابه ثم عدل عنه إلى النثر(٤).

وجديرٌ بالذكر أن مؤلفات البشري ــ ما عدا كتاب التربية الوطنية ــ قد جُمعت من مقالاته سواء أثناء حياته مثل كتاب "في المرآة" أو كتاب "المختار" في جزئين، أو بعد مماته مثل كتاب "قطوف" في جزئين.

أما كتابه "التربية الوطنية" فقد نُشِّر عام ١٩٢٨ وهو كتاب مدرسي اهتم فيه البشري بتناول أحوال الأمة والحقوق السياسية للمواطن ودور الحكومات في المحافظة على حقوق المواطن وحرياته(٥). وقد سلك البشري في كتابه هذا الأسلوب الحواري بين الأستاذ والتلميذ، لأنه وجد هذه الطريقة لا تُنفر الطالب من المعرفة(٦).

وقد تنقل البشري في عدة وظائف في وزارة المعارف وعندما أُنشئ المجمع اللغوي ١٩٣٢ عُيِّن مراقبًا عامًا له، إلى أن توفى في ٢٤ مارس ١٩٤٣(٧).

وكان البشري يمتاز بروح الدعابة والسخرية(*) مما أهلَّه ليكون أديبًا بارزًا من أدباء السخرية فيُعبر بذلك عن روح الإنسان المصري الذي يستخدم الفكاهة سلاحًا من أسلحة المقاومة للشدائد والأزمات[٨].

وقد تأثر البشري بكتب الجاحظ الذي أحبه بشكلٍ خاص واعتبره المثل الأعلى له، حتى قيل أنه تلميذ الجاحظ وحامل قلمه في العصر الحديث[٩]. ولعل ذلك يرجع إلى ما اتفق في شخصية البشري مع شخصية الجاحظ وأسلوبه الأدبي من حب المرح والسخرية الهادفة الناقدة في إطار فلسفي اجتماعي راقي. وتأصل الأسلوب الفكاهي الساخر للبشري على أسلوب الجاحظ في مدحه ونوادره وقد استطاع بقلمه الساخر وأسلوبه الكاريكاتيري أن يجعل له جمهور كبير يُتابع مقالاته بشغف[١٠].

فقد اعتقد البشري ــ وكان محقًا في ذلك ــ أن النكتة فن جميل[١١] من فنون الأدب تُكسب الأسلوب روعة وجمال، فكان يلجأ في تحليله للشخصيات إلى الأسلوب الكاريكاتيري شأنه في ذلك شأن المصور الكاريكاتيري حيث يعمد إلى الموضع النائي من خلال المرء فيزيد في وصفه ويُبالغ في تصويره بما يتهيأ له من فنون النكات[١٢].

ولمزيد من التفصيل نذكر كلمات البشري عندما صدرت "مصباح الشرق" عام

---

* مما يُذكر للبشري أنه استوقفه ذات يوم أحد أبناء الريف في الطريق وقدم إليه ورقة فيها عنوان، وطلب من الشيخ أن يدله عليه. ولكن البشري وجد أن الخط ردئ بدرجة يصعب معها أن يتعرف على تفاصيل العنوان وهنا أعاد الورقة إلي الفلاح قائلا: "والله يا بني أنا مش قادر أقرأ العنوان". فإذا بالفلاح يصيح في وجهه غاضبًا: أمال بس لابس عمة وموش عارف تقرأ؟! لوكان أي إنسان في موقف الشيخ البشري لغضب من هذا الموقف، أو ربما انصرف صامتا ولكن البشري رفع العمامة من فوق رأسه ووضعها فوق رأس الفلاح وهو يقول له: اتفضل أنت اقرأ بقي. (أحمد زكي عبد الحليم: الشيخ عبد العزيز البشري .. ساخرا، مجلة الهلال، ثقافية شهرية، فبراير٢٠٠٦، ص ١٦٩)؛ كما قيل أن البشري عندما كان طالبًا في الأزهر ذهب يومًا إلي بائع ليشتري غذاءه، ولم يكن معه إلا خمسة مليمات وهي لا تكفي إلا لشراء رغيف من الخبز، وعز على البشري أن يأكل الرغيف دون آدام فأعطي البائع المليمات الخمسة وقال: اعطني رغيف خبز. ومد الرجل يده بالرغيف وتعمد البشري أن يفلته عند تناوله فسقط الرغيف في وعاء مكشوف فيه سلطة لبن، فأراد البائع أن يُبدله له بغيره ولكنه قال له: "معلهش... معلهش أكله كده." وهكذا فاز البشري بغموس دون ثمن. (جمال الدين الرمادي: صحافة الفكاهة وصانعوها، مذاهب وشخصيات، العدد٤٥، القاهرة،١٩٦٣، ص ٧٣.

١٨٩٥ لإبراهيم المويلحي حيث يجد البشري أنها: "استحدثت لونًا طريفًا من النقد لا عهد لأدب مصري به بل لا عهد به للأمة العربية جمعاء، وهذا النوع من النقد يقوم، في الجملة، على التماس الجانب الضعيف في أثر الرجل، فيعرضه القلم في صورة (كاريكاتيرية) يزيد في تشويهها ما يتوافر لذهنه الدقيق من ألوان التشبيه، وما يحضره من فنون الاستشهاد والتمثيل"[١٣].

كانت هذه هي شخصية الشيخ عبد العزيز البشري التي توفر لها مناخ ملائم لكي تبرز معالمها أكثر وضوحًا، ذلك المناخ الذي دفع البشري إلى كتابة مقالاته التي يظهر فيها تعاطفه مع عمر المختار الذي تصفه الكلمات قائلة:

"تملكني شعور طاغ بأنني أمام رجل يجسد الزعامة بأعمق معانيها وأنا أكتب كلماتي هذه بعد سنوات عديدة، لازلت أشعر بالأثر العميق الذي تركه في نفسي"[١٤]. والمفارقة الغريبة هنا والتي تكشفها هذه الكلمات أنها ليست لواحد من رفاقه أو معجبيه وإنما هي كلمات القائد الإيطالي جرازياني العدو الأول له. ولا شك أن الذي دفع هذا القائد لهذا الوصف إنما ينبع من عظمة وجلال تلك الشخصية الفريدة.

ترى ما هو سر هذا الكفاح العبقري للشعب الليبي؟ وما هو سر هذا الهوس الإيطالي بليبيا؟!!

ربما يكمُن سر الكفاح الليبي في تلك الزوايا السنوسية التي بدأت في الانتشار على يد محمد بن عليّ السنوسي وابنه محمود السنوسي، وقد تبنت هذه الزوايا الدعوة السنوسية كواحدة من الحركات الاصلاحية التي ظهرت في القرن التاسع عشر واتفقت مع غيرها من الحركات الاصلاحية في ضرورة التجديد في الدولة العثمانية[١٥].

وقد أرسل السنوسي الدعاة المبشرين إلى أواسط أفريقيا، وسرعان ما انتشرت الدعوة السنوسية نظرًا لاعتمادها أولاً على الجانب الروحي الذي بلا شك له قوة سحرية إضافةً إلى اهتمامها بالجوانب الأخرى من تعلم فنون القتال، وكانت وسائل السنوسي الكبير في ذلك شراء العبيد وعتقهم بعد أن يعتنقوا الإسلام فيعودون إلى قبائلهم لنشر الدين الإسلامي بينهم[١٦].

في هذه الأجواء التي تُنبئ بميلاد بطل وُلدَ عمر المختار لأبوين عربيين عام ١٨٦٢ في منطقة البطنان وينتمي إلى قبيلة المنفسة ـــ وهي واحدة من أكبر قبائل إقليم برقة ـــ(١٧) ونشأ المختار في البادية وأحاطه مناخها الاجتماعي وبيئتها الصحراوية بكل ما تحمله من كبرياء وعزة نفس.

وقد درس القرآن ومبادئ اللغة العربية في زاوية جترور ثم زاوية الجغبوب التي تعلم فيها أيضًا بعض المهن والحرف اليدوية كالنجارة والحدادة والبناء والزراعة، كما تلقى بعض التدريبات العسكرية وفنون القتال(١٨).

وقد ظهرت عليه في الفترة التي كان فيها طالبًا في الجغبوب صفات القيادة والقدرة على إقناع الأخرين وقد انقطع عن الدراسة عام ١٨٨٦ ولكنه بقي في الجغبوب يساعد القائمين على أمور الزاوية ويُنشئ الزوايا ويحل نزاعات القبائل(١٩).

وقد أكسبه الترحال الطويل معرفة بدروب ومسالك الصحراء والطرق التي يجتازها من برقة إلى مصر والسودان وإلى الكفرة والجغبوب.

- **أطماع إيطاليا في ليبيا:**

تلك كانت نشأة عمر المختار، بينما على الجانب الأخر تقف إيطاليا دولة بحرية تطل سواحلها على البحر المتوسط، تنظر عبر هذا البحر متطلعة إلى الشاطئ الآخر لتكون لها مستعمرات في شمال إفريقيا توازن الاحتلال البريطاني لمصر والفرنسي لتونس ولم يبق سوى ليبيا فتطلعت إليها(٢٠).

فلا شك أن احتلال إيطاليا لليبيا كان وراءه عوامل عدة منها الاقتصادية والسياسية أو حتى الادعاءات التاريخية، وفي أكتوبر ١٩١١ بدأ الاحتلال الإيطالي لليبيا ثم صدر المرسوم الإيطالي الملكي في ٥ نوفمبر ١٩١١ ليجعل من ليبيا جزءًا من إيطاليا وتلاه عدة مراسيم وقوانين أوضحت سياستها العامة في ليبيا(٢١).

وقام موسوليني في أكتوبر ١٩٢٦ بزيارة إلى طرابلس، التي يمكن أن يُحدَّد بها تاريخ الانطلاقة الكبرى نحو تنفيذ خطة العمل الفاشي على المسرح السياسي في منطقة

البحر الأبيض المتوسط وأفريقيا. وكانت المرة الأولى التي يقوم فيها رئيس للحكومة الإيطالية بتفقد أحوال إحدى المستعمرات بالإضافة إلى الهالة الدعائية والبهرجة التي أُحيطت بالزيارة في إيطاليا بدايةً من تعبئة كبار أعضاء الحزب الوطني الفاشي وكانت شيئًا مهولاً لم يسبق له مثيل بالإضافة إلى خطورة الخُطب التي ألقاها "الدوتشي" في طرابلس، والكلمة التمهيدية التي ألقاها وهو على متن السفينة "كافور" وقال فيها من بين ما قال: "نحن ننتمي إلى البحر الأبيض المتوسط ومصيرنا مرتبط بالبحر"[٢٢].

وعندما أُختير الجنرال جرازياني لتولي قيادة العمليات في برقة، كانت اللعبة بالنسبة لإيطاليا قد وصلت إلى مرحلتها النهائية، فالشئون المدنية والعسكرية والسلطات المركزية الاستعمارية قد أخذت تقترب من الاستقرار الشامل والنهائي وذلك بتخصيص وتفوق تقني ضخم لا يترك للعدو إلا هامشًا تافهًا للتصرف[٢٣].

ولعل كتاب "إعادة السلام إلى برقة" بفضل انتشاره الواسع سيظل الوثيقة العامة الأكثر صراحة ووضوحًا بشأن طريقة إعادة احتلال ليبيا التي عكست في الكامل العقيدة الفاشية ونفذتها على أرض الواقع[٢٤].

فقد كانت الحركة الاستعمارية الإيطالية في ليبيا منذ قيامها والعقيدة التي بُنِيَت عليها واستراتيجيتها المتذبذبة في مراحلها المرتكزة على استيطان مضطرد في المستعمرة ضمن توسع جغرافي سياسي في حوض البحر المتوسط[٢٥].

وهكذا كان الاستعمار أهم الحلول للمشاكل المستجدة التي كانت تعترض طريق توطيد أركان الدولة ورفع مستوى حياة المجتمع الإيطالي وشأنه ليكون عند مستوى متطلبات العصر.

وكان ملء أراضي المستعمرات بالمستوطنين الإيطاليين كحل لمشكلة تكاثر السكان في الوطن الأم باستخدام منتهى القسوة والوحشية ضد سكان هذه المستعمرات، شأنه في ذلك شأن كل استعمار استيطاني[٢٦].

وقد اتضح فيما بعد أن أيديولوجية إيطاليا الاستعمارية واستراتيجيتها خاصةً فيما يتعلق باستعمار ليبيا كانت عقيمة فكريًا ومنهجيًا، وأن مظاهر الاهتمام بأوضاعها

وخصائصها الطبيعية لم تكن إلا انعكاس لعقيدة مصطنعة في معظمها[٢٧].

أما الثقافة الإيطالية فإنها لم تقدم للساحل أو تأخذ منه إلا النزر اليسير الذي يكاد لا يُذكر. ومردّ ذلك للطريقة التي مارسها الحكم الفاشي طوال ثلاثين عامًا من السيطرة وعدم الاعتراف للأهالي العرب بشخصية وكيان ثقافي مستقل ووطني الطابع، وكذلك الطريقة التي تعاملت بها مع حركة المقاومة الوطنية[٢٨]. ففي تقرير مرفوع من جرازياني إلى باوليو مسئول وزارة المستعمرات، يفيد بأن (الأعمال التي يقترفها رجال عمر المختار، مصدرها جميعًا قصور القوات المسلحة الإيطالية رغم تفوقها في العدد والسلاح)[٢٩].

• <u>حركة الجهاد الليبي:</u>

وإذا عُدنا إلى الشاطئ العربي من البحر المتوسط نرى المشهد العربي وقد وضح فيه مناخ الجهاد الذي أوجدته الدعوة السنوسية كما سبق وتحدثنا. وبدأ استنفار الجهاد الليبي بمجرد غزو الإيطاليين للبلاد واتخذ المختار من منطقة "دفنة" مجالاً لنشاطه الواسع[٣٠]. وبدا المختار وكأنه قد استمد من النضال شبابًا جديدًا وحيوية جديدة فهو في شيخوخته أشد قوة وبأسًا من قبل حتى صار اسمه مبعث رعب لدى المستعمرين القساة وأيضًا مبعث إعجابهم حتى أن أحد صحافييهم قال عنه: أنه أشجع الرجال وأجرأهم وأصدقهم في التجدد والإخلاص[٣١].

وتميزت حركة الجهاد المسلح بأنها أصبحت "مقاومة شعبية شاملة" وكانت تلك ضرورة من ضرورات الجهاد خاصة بعد تسلم الحزب الفاشستي لزمام السلطة في إيطاليا وظهور اتجاه عسكري عنيف يُطالب بضرورة إحكام السيطرة على تلك المنطقة المواجهة لبلادهم.

وكان النظام الذي استخدمه عمر المختار في جهاده العسكري هو نظام الأدوار وهي المعسكرات وربما أُطلق عليها هذا الاسم لأن المجاهدين كانوا يأتون إلى هذه المعسكرات بالتناوب[٣٢]. وأتاح هذا النظام تدعيم حركة الجهاد فكان يتم تعويض الشهيد بمقاتل آخر من نفس قبيلته، واعتمدت هذه الأدوار على مصادر تمويل داخلية حيث كانت

في معظم الأحيان تُعاني من صعوبة التنقل والحركة أو إغلاق الحدود مما يمنع عنهم الحصول على مساعدات من الخارج(٣٣).

وقد واجه الشيخ المجاهد المختار، جرازياني هذا القائد التتري في معارك عديدة وطبّق عمر المختار في معاركه مبدأ الهجوم بدل الدفاع فكان يُلاحق قوات العدو في كل مكان مُعتمدًا في ذلك على تعايشه هو ورفاقه مع بيئتهم، حيث كانوا أكثر دراية بطبيعة الأرض التي يحاربون عليها. ومن هذا المُنطلَق لجأ عمر المختار وقواته إلى التحصن في الأماكن والمناطق الوعرة التي يصعُب على الدبابات اجتيازها والتي كان من أهمها منطقة وادي الكوف في الجبل الأخضر(٣٤).

وقد أدت الخسائر المتلاحقة التي مُنيَّ بها الجيش الإيطالي إلى استقالة "فيزوني" وزير المستعمرات في الحكومة الإيطالية وتم تعيين المارشال "بادوليو" حاكمًا عسكريًا. وعُقد اجتماع "سيدي رحومة" فطرح عمر المختار شروطه لإيقاف القتال والتي تمثلت في ضرورة وجود ممثلين عن الحكومتين المصرية والتونسية أثناء عقد المعاهدة، وإطلاق الحرية للمجاهدين في حمل السلاح وجلبه من الخارج، وأن تكون اللغة العربية هي اللغة الرسمية في دوائر الحكومة، وأن تُعيد إيطاليا جميع الأملاك التي تمت مصادرتها. وعندما فشل الاجتماع حاول الإيطاليون رشوته بالمال مقابل وقف القتال فرفض المختار في إباء(٣٥).

وبعد خوض عدة معارك، كان أهمها الهواري والهويريري، وقع المختار في الأسر وجاءت الفرصة لجرازياني ليكون البطل الذي نجح في تدمير أسطورة عمر المختار، فكم تجرعت إيطاليا كأس الهوان نتيجة لسخرية الصحافة العالمية من فشلها العسكري في ليبيا، إذ كيف يعجز جيش أوربي حديث بكل معداته عن التغلُب على حفنة من البدو.

وعرض الإيطاليون على عمر المختار، بعد أسره، العفو الشامل مقابل التوقيع على نداء خطي للمجاهدين يدعوهم للكف عن القتال وتسليم أنفسهم وأسلحتهم، لكن المختار رفض وفضّل الموت على أن يصدر منه مثل هذا النداء، فقد رد علي جرازياني "نحن الثوار سبق أن أقسمنا أن نموت كلنا الواحد بعد الآخر ولا نُسلِّم أو نُلقي

السلاح"(٣٦).

ويذكر جرازياني أثناء لقائه بالمختار أنه عثر على نظاراته في أرض إحدى المعارك وبدا له أن فقدان هذه النظارات من ذلك الشيخ الطاعن في السن ربما كان السبب الذي أدى إلى وقوعه في الأسر، وعرض النظارات عليه فرد المختار "بأنه أضاعها في معركة وادي السابتة"، فقال جرازياني: "لقد تأكد ليَّ منذ اليوم الأول الذي عثرنا فيه على النظارات بأنك لن تلبث حتى تقع في أسري؟!"(٣٧).

وهناك ملحمة شعبية تغنت بها أحياء روما الشعبية بعد إعدام عمر المختار وعنوانها القبض على "متاري" (أي المختار) وتقول:

جرازياني: انظر هذي نظارتك

متاري: أعطينها، أريدها

جرازياني: كلا، غير ممكن

متاري: لكن هذه خدعة

جرازياني: أصحيح؟! انتظر حتى أُقدمك للمحاكمة

وفي اليوم التالي

على مشهد من عشرين ألف شخص

هات في سلوق موتة فأر

ذلك الشخص الذي كان يعيش على العدوان(٣٨)

• **مصر: مساندة الجوار:**

ولنتحرك قليلاً نحو الشرق لنرى كيف كان المشهد المصري إزاء ذلك، فنجد مصر تلعب دورًا مهمًا ورئيسيًا في مساندة حركة الجهاد الليبي.

ومن المعروف أن مصر كانت أثناء الغزو الإيطالي لليبيا تحت الاحتلال

البريطاني، ولذا فإن الموقف المصري الحكومي اتخذ شكلاً محايدًا من هذا النزاع الدائر حيث عيَّن الإنجليز مأمورين أجانب بدلاً من المصريين على الحدود الغربية، وشُددت الرقابة على خفر السواحل لمراقبة حدود مصر الغربية، وبذلت الحكومة المصرية تحت ضغط الاحتلال كل السُبل لقطع الاتصال بين مصر وليبيا، كما مُنع أهل برقة من دخول الأراضي المصرية وفُرضت على الحدود رقابة صارمة لدرجة أن تعطلت التجارة بين طرابلس ومصر، وأُرغمت كل قافلة على العودة بما تحمله من متاجر إلى ليبيا، وكان لهذا أثره في أن قامت ثورة عنيفة على الوزارة المصرية تزعمتها الصحافة الوطنية وأتهمتها بالخيانة والفساد(٣٩).

وتطورت الأمور بعد عقد صلح لوزان ١٩١٢ بين تركيا وإيطاليا فأصبح موقف مصر حائرًا بين الوفاء بإلتزامات التبعية للدولة العثمانية وبين ما يفرضه الاحتلال البريطاني عليها من قيود(٤٠).

واقتضى وضع مصر أن تقف على الحياد تحت ضغط سلطات الاحتلال، ورغم أن مصر من الناحية القانونية كانت جزءًا من الإمبراطورية العثمانية إلا أنها من الناحية الفعلية كانت جزءًا من الإمبراطورية البريطانية(٤١).

ويُذكر أن حدود مصر الغربية لم تُحدَد تحديدًا قاطعًا حتى فرمان ١٨٤١ لم يُحدد الحدود بدقة بين مصر وليبيا، ويذكر بعض المؤرخين أنه كانت هناك خريطة ملحقة بهذا الفرمان ولكنها فُقدت في حريق الإسكندرية عام ١٨٨٢، ولم تظهر مسألة حدود مصر الغربية إلا بعد الاحتلال البريطاني لمصر وبعد الاحتلال الإيطالي لليبيا(٤٢).

غير أن الأمر لم يكن بمثل هذه السهولة، فصحراء ليبيا هي إمتداد طبيعي للأراضي المصرية، ثم أن الروابط الدينية والعرقية تجعل من الصعب التفرقة بين عرب البادية المصرية وعرب طرابلس. وإزاء المقاومة الليبية سعت إيطاليا إلى تعديل الحدود الطرابلسية على حساب مصر حتى تكون مسيطرة على حركات السنوسيين على الحدود بين البلدين(٤٣).

ويبدو أن بريطانيا قد وافقت على إعطاء إيطاليا كل ما تريده في ليبيا ـــ أي تعديل الحدود المصرية الليبية ـــ على حساب مصر، ولأن الشعب الإيطالي رأى أن

مؤتمر فرساي لم يعط إيطاليا ما تريده فقد تمت إقالة حكومة أولاند في يونيه ١٩١٩، وجاءت الحكومة الجديدة واسندت وزارة الخارجية إلى تيتوني الذي حمل مطالب إيطاليا إلى المؤتمر بعد ما رأى ما حل بالوزارة السابقة، واستمر يتمسك بجغبوب، فقد توقفت كل آمال إيطاليا عند هذه الواحة المصرية ... المصيرية لإيطاليا(٤٤).

وقد ركز الإيطاليون كل همهم في الاستيلاء على واحة الجغبوب باعتبارها المركز الرئيسي للسنوسية، فرغم كونها أراضي مصرية إلا أن إيطاليا أعلنت أن الجغبوب ملك لها وداخل أراضيها، وكانت تعتبر الاستيلاء على هذه الواحة بمثابة وسيلة للقضاء على الحركة السنوسية فهي مركز مهم للحركة كما يوجد بها ضريح السيد محمد بن عليّ السنوسي الكبير مؤسس الحركة، فكان أن أدخلت إيطاليا الواحة ضمن الحدود البرقاوية تبعًا لاتفاق ديسمبر ١٩٢٥ مع مصر، ونجحوا في احتلالها ١٩٢٦(٤٥).

وكان لسقوط الجغبوب في أيدي الإيطاليين أثره في إضعاف المقاومة الليبية التي كانت تجد في الجغبوب ملاذًا ومأوى وموردًا لا ينضب من الدعم الواصل إليها عن طريق مصر، وبعد سقوط هذه الواحة في أيدي الإيطاليين واصل عمر المختار القتال خاصةً بعد وصول جرازياني إلى ليبيا في مارس ١٩٣٠ حيث أغلق الزوايا السنوسية وصادر أموالها وأقام حاجزًا من الأسلاك الشائكة المُكهربة بين مصر وليبيا، وترتب على ذلك أن سقطت الكفرة في يناير ١٩٣١(٤٦)، وكان لسقوطها أثر عظيم في موقف عمر المختار ذلك أنه على إثر ضياع هذا المعقل الأخير استطاع جرازياني إغلاق الحدود المصرية إغلاقـًا كاملاً، ومنع وصول أية إمدادات للمناضلين(٤٧).

وقد ظهر موقف المصريين واضحًا في الحملة التي شنتها الصحافة المصرية لتدعيم المجهود العسكري لمساعدة إخوانهم في ليبيا، وظهرت لجان كثيرة لمقاطعة التجارة الإيطالية والإضرار بمصالح إيطاليا الاقتصادية في مصر، واضطر عدد كبير من الإيطاليين إثر هذه الموجة الشعبية العدائية إلى مغادرة البلاد. وشكّل المصريون جمعيات لحصر أسماء المحلات التجارية الإيطالية بمصر ونشر أسمائها بالصحف لمقاطعتها. كما تركزت الجهود أيضًا على سحب الأموال المصرية المودعة في بنك روما على اعتبار أن

إيطاليا تستغل هذه الأموال لشراء مؤن وغلال وإرسالها إلى طرابلس عبر الحدود المصرية، وأعرب الوطنيون عن مسئوليتهم بحكم الجوار والأخوة عن إغاثة طرابلس لأن سقوطها في يد المستعمرين يعني فقدان مصر جانب كبير من قوتها المادية والسياسية(٤٨).

ولا شك أن إعدام المختار كانت له أصداؤه الواسعة في مصر وبخاصة في أوساط المثقفين الذين باتوا أكثر اهتمامًا بالقضايا العربية خاصةً في دولة نشترك معها في الجوار وهي ليبيا، فقد أُقيمت الصلوات على روحه(٤٩) ورثاه أمير الشعراء أحمد شوقي بقصيدة رائعة تخليدًا لذكراه، كما سبق وألقى قصائده لعوة المصريين لمساندة إخوانهم الليبيين(٥٠).

عندما أُعلنت الحرب العالمية الثانية نشط الليبيون في مصر وعقد رؤسائهم اجتماعًا في منزل محمد إدريس السنوسي في الإسكندرية في أكتوبر ١٩٣٩ للتفاوض مع الحكومة المصرية لتكوين جيش سنوسي للإشتراك في تحرير ليبيا، وعندما أعلنت إيطاليا الحرب إلى جانب ألمانيا في ١٠ يوليو ١٩٤٠ وجد الليبيون في مصر فرصة سانحة لتحرير بلادهم واسترداد حقوقهم التي اغتصبها الإيطاليون(٥١).

وظهر اهتمام مصر بقضية ليبيا واضحًا عندما بدأ النظر في إبرام الصلح مع إيطاليا ورومانيا وبلغاريا من حلفاء ألمانيا السابقين، وبذلت مصر قصارى جهدها لتسوية المصالح الليبية(٥٢).

وقد ساهم المصريون في تدريب الليبيين في البرلس والسويس والصحراء الغربية والفيوم، وبلغ عدد الذين تم تدريبهم من الليبيين في مصر نحو ١٤ ألف من الجنود ومائة وعشرين من الضباط(٥٣).

هكذا لمسنا مدى التواصل والمساندة بين مصر وحركة الجهاد الليبي، الأمر الذي بدا واضحًا لإيطاليا حتى أن الملحمة الشعبية الإيطالية تذكر ذلك في أبياتها فتقول:

انتهى العصيان وانتهى معه كل شئ

قُبِض على متاري* وهو يُقاتل

وكان هذا مجدًا للسنيور جرازياني

سمعته وهو يخاطبه صباح ذلك اليوم:

متاري، من ذا الذي أوقعك في مثل هذه الخديعة؟

ارتبك متاري وظهرت عليه علامات الحيرة

وأجاب كما لو كان يُصدر أمرًا

"أمرتني مصر الغامضة بأسرارها...

فرد عليه: ترى، هل قالت لك مصر أن تقتل

الجرحى كلهم، وتبقر بطون جنودنا

وتشحنها بالشعير، أيها اللعين؟(٥٤)

هكذا سخرت روما من مساندة مصر للمختار.

• البُعد العربي:

كانت المساندة المصرية هي التي أعادت للبشري ذكريات عمر المختار في مواجهة جرازياني، لقد عاش البشري بفكره وشعوره وحسه الوطني تلك المرحلة المهمة من تاريخ مصر، ونعني بها مرحلة تعريبها سياسيًا، تلك الظاهرة التي تُعد حقلاً نموذجيًا لتبين مدى التفاعل بين العروبة والإسلام، وكيف أدى تواصلهما الحميم من منطلَق قومي عربي إلى ضم أكبر قوة إلى العرب بل وجعلها مركز الثقل بعد أن كان الامتداد المكاني للفكر القومي لا يتجاوز آسيا العربية(٥٥).

فإذا كان تعريب مصر اللغوي والثقافي والحضاري عامةً قد تم في عهد التعريب الإسلامي بعد الفتح، إلا أن الفترة منذ بداية الثلاثينات حتى عام ١٩٣٦ تُعد فترة تكوينية

* أي المختار.

خصبة من حيث تعريب مصر سياسيًا[٥٦].

فقد كانت اللغة العربية الواحدة إيذانًا بتغير كيفي أحدثته عملية التعريب، كما زودت فصحى العرب ثقافة الآخرين بفيضٍ زاخر من المعارف[٥٧] ، كما كان الفتح العربي إلى جانب الأفواج العديدة من الفاتحين واختلاطهم بغيرهم من سكان البلاد المفتوحة قد ساهم في حركة التعريب[٥٨]. إلا أن حركة التعريب كانت في أغلب الأحيان ترتبط أكثر ما يكون برابطة اللغة ورابطة الدين الإسلامي.

فقد ظلت مصر طيلة العصر الحديث بعيدة عن التطورات السياسية في آسيا العربية نظرًا إلى خصوصية تكوّن شخصيتها الوطنية والدولية وطبيعة علاقتها الخاصة بالدولة العثمانية ودول أوربا. إلا أن الأمر تغيَّر مع بداية الثلاثينات رغم توَّهُم البعض بأنها فترة ذات طابع خاص، حيث وصفها هؤلاء بأنها مرحلة غريبة وبلا هدف في تاريخ مصر، فعندما تنظر إليها وأنت واقف على أعتاب الأربعينات فإنها تبدو سنوات عقيمة فكل من السياسة والأدب قد ضلّوا طريقهم ...

ولعل الصورة الأكثر وضوحًا وصدقًا هي التي لا يراها هؤلاء، وهي أن هذه السنوات تُمثل على المستويين العربي والمصري معًا "الفترة التكوينية الجنينية التي أخصبت في رحمها بذور التحولات والاتجاهات الجديدة التي ستسود فترة ما بعد الحرب مُعبِّرة عن ميلاد التوفيقية الجديدة في الفكر العربي"[٥٩].

وكانت دعوة المفكر ساطع الحصري لتأسيس أمة عربية جديدة غير مرتبطة بالضرورة بمفهوم الإسلام[٦٠]. وتزامنت مع دعوة إبراهيم عبد القادر المازني الذي دعا إلى الفكرة العربية من مُنطلَق واقعي سياسي، حيث رأى أننا أحطنا قوميتنا (مصريتنا) بسياج أشبه بسور الصين العظيم وأهملنا قوميتنا العربية التي (لو كانت وهمًا لا سند له من حقائق الحياة والتاريخ لوجَّب أن نخلقها خلقًا)[٦١].

- **الخطابات المفتوحة:**

ضمن هذه التحولات وقف عبد العزيز البشري ليتأمل رسالة الأديب في الشرق ويقول: "وما وقعت ليَّ كلمة الشرق هنا إلا تمثلت مصر أولاً وجمهرة البلاد العربية

ثانيًا، أقول أن مهمة الأديب في الشرق أن يفطن نفسه إلى بيئته أولاً ويشعرها أوفى الشعور بأنه إنما يعيش في بلاده، فيها يدور الفكر ويجول التصور، ومنها يشتق التخيُّل ويستنزل الإلهام ويكون لنا ــ نحن المصريين ــ أدب مصري، ويكون لسورية أدب سوري ويكون للعراق أدب عراقي، وهكذا، فإذا فرقت بين هذه الآداب بعض العوامل المحلية المختلفة من طبيعة البلاد ومناظرها وتاريخها ونحو ذلك، فلا بأس بهذا، فسيجمعها ذلك الطابع العربي العظيم"(٦٢). ويقول في موقعٍ أخر: "على الأديب الشرقي أن يبعث من عواطف قومه كل كمين، ويستخرج من بواطن النفوس كل دفين... فيبعث الأدب الحق، ويبعث الشعور القومي لدينا جميعًا، اللهم أن الأمم العربية لتجد في السعي إلى تحرير الأوطان، فمتى تسعى إلى تحرير الآداب، فلا يكون للغرب عليها من سلطان!!" (٦٣).

ألم تكن تلك دعوة من البشري لتعريب الآداب وتعريب جهود تحرير الأوطان، لقد فطن هذا الأديب إلى مشاعر العروبة رغم أن أحدًا من الذين تناولوا سيرته وأدبه لم يتوقف عند هذه الحالة، حتى الذين تناولوا كتابه "قطوف" بالدراسة والنقد تحدثوا عن آرائه في الحياة المصرية والعادات والتقاليد ولم تستلفت نظرهم هذه المقالات التي تقمص فيها شخصية المجاهد "عمر المختار"، ثم تقمص شخصية الجنرال الإيطالي "جرازياني" للرد عليه، فها هو البُعد العربي نستشعره من خلال كلمات عمر المختار بقلم البشري حيث كتب إلى جرازياني يُذكره كما يقول:

باليوم الذي جاؤك بيَّ وأنا مقرن في الأصفاد، فتقدمت إلى حراسك أن يلقوني في الطيارة، وسرعان ما حلقت بيَّ، تشق أجواز الجو حتى كادت تصك وجه الشمس ثم قَذف بيَّ من ذلك الحالق قذف النواة لا رحمة ولا شفقة. (٦٤)

ولئن عاب أهل الدنيا طياريكم، معشر الطليان، بأنهم لا يحسنون إصابة الأهداف، لقد اضطرب هذا الحكم عليهم بين الجهل والتجني فطياروكم أحسن الطيارين تسديدًا إلى المرامي وإصابةً للأهداف ما دامت القذيفة شيخًا في حدود المائة، والهدف ظهر الصحراء! (٦٥)

ولعلك أيها الماريشال الشجاع جدًا ساعة تقدمت بإعدامي على تلك الصورة قدرت أني لن أتعذب أكثر من دقيقة واحدة فإنني كنت أجهل مصيري، حتى إذا قذفوا بيّ في الجو خفق قلبي خفقة أو اثنتين ثم استشعرت صدمة، هل علمت خطرة البرق؟!

ثم لم أدر شيئًا ولم أحس شيئًا، حتى رأيتني في الجنة، بين الصديقين والشهداء، وحسُنَ أولئك رفيقًا (٦٦).

ولعل القارئ يستشعر صدق كلمات البشري على لسان المختار، هذا الصدق إن دل على شئ فإنما يدل على منتهى التفاعل والإيمان بقضية هذا المجاهد العجوز.

كما أنه من المُلفت في الخطاب أن البشري قد استخدم الخبر المتواتر أو الشائعة الشعبية التي تذكُر أن المختار قد أُلقي به حيًا من الطائرة، رغم أن الحقيقة أنه أُعدِم شنقـــًا في سلوق أمام حشد غفير من الأهالي في ١٦ سبتمبر ١٩٣١(٦٧).

ويبدو أن البشري استخدم هذه الرواية الدارجة التي تأتي دائمًا في سياق الحديث عن سياسة جرازياني الذي كان بدون شك أكثر القادة خبرة بشئون المستعمرات، ولكنه كان أيضًا أكثرهم قسوة وصرامة(٦٨).

ومن ذلك استخدامه للطائرات لاكتشاف عدو دائم الحركة خلال أراضي تُعد من أصعب المواقع من حيث وعورتها، كما استخدم الطائرات (كمحاكم طائرة)(٦٩)، حيث كانت تقوم بإجراء محاكمات بواسطة هيئة محكمة خاصة تنتقل جوًا، حتى أصبح مألوفًا عندما تهبط طائرة في أي مكان في المخيمات أن ترتفع هتافات صائحة (المحكمة... المحكمة!!)(٧٠). وكان جرازياني فخورًا لابتكاره هذه الفكرة التي كتب عنها في أوراقه: "بهذه الطريقة تنتقل المحكمة إلى أي مكان فورًا فتهبط العدالة من السماء"(٧١).

غير أن العدالة التي كان جرازياني يدعيها كانت عدالة قلما تُراعي أصول التحقيق لجمع الأدلة، كما أن وسائل الطعن في الأحكام التي كانت تصدرها معدومة، لأن الاستئناف لم يُنص عليه أصلاً في هذه المحكمة الخاصة(٧٢).

كل هذه الأمور كان لها أصداء ترددت لمدة طويلة في العالم العربي خاصةً فيما يتعلق بتنفيذ أحكامها بالإعدام عن طريق إلقاء المحكوم عليهم من الطائرات، تلك الأصداء التي دفعت البشري لاستخدام هذه الرواية على لسان المختار.

ولم يُغفِل البشري أن يوضح في مقاله طبيعة تيار الجهاد الديني الذي يُمثله الشيخ عمر المختار، فيقول على لسانه مخاطبًا خصمه الفاشستي عن السيد المسيح متسائلاً:

هناك يا صديقي سؤال يضطرب في صدري ولا يجد متنفسًا من جواب: لقد كنت أعلم وأنا من أهل الدنيا، وازددت يقينًا حين صرت إلى الآخرة، أن السيد المسيح عليه السلام، كان أكبر مظاهر رسالته الرفق والرحمة، والمحبة والسلام، والعفو عمن جنى، والصفح عمن أساء، ولقد كان عليه السلام، أول رسول لم يؤيَّد بمعجزة من عصف أو خسف، أو إغراق أو دمدمة، أو ريح عاصفة، أو رجفة قاصفة، وإنما كان يُبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله. (٧٣) وليس وراء هذه الرحمة رحمة، وليس أبلغ من هذا عطفًا على الإنسان، فهل من الفضائل المسيحية التي تتشدق بها أنت ومعشرك، والتي تزعمون أنكم ما شهرتم هذه الحرب إلا لتسوروها في العالمين، هل من هذه الفضائل أن تمثلوا بشيخ مثلي هذا التمثيل؟!

لا والله، لقد برئ منكم المسيح الرحيم النبيل، وبرئت منكم الإنجيل!! (٧٤)

ناقش البشري أيضًا أبعاد الفكر الفاشستي فكانت كلماته وهو متقمص شخصية المختار عن رغبة الإيطاليين في إستعادة ملك الرومان واحتلال أفريقيا، تُمثِّل إدراكًا قويًا من جانب البشري بالفكرة الاستعمارية التي استبدت بموسوليني الذي استهوته أسطورة البحر الأبيض المتوسط(٧٥) ومقولته: "إنه بحرنا" More Nostrum(٧٦).

وأيضًا أسطورة أفريقيا التي وجد فيها موسوليني ضالته المنشودة لإثارة مشاعر مواطنيه، مُدعيًا على حد قوله:

"إن القدر هو الذي يدفعنا صوب هذه الأرض والقدر لا يستطيع أيًا كان أن يقف في طرقه، كما أن أحدًا لا يستطيع أن يُثني عزيمتنا الجامحة"(٧٧).

ولكن ما فعل الله يا ماريشال بإمبراطورية الرومان؟!

هكذا تساءل المختار أو البشري، والذي توعد خصمه بعدالة الله الذي يُمهِل ولا يُهمِل *وأنه ليُملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يُفلته.*

وها هو عقاب الله ينزل على جرازياني فيخاطبه المختار قائلاً: *لقد بلغ من خذلان الله لكم أن تظل طائراتكم، وهي تُعد بالآلاف، جاثمة في أفاحيصها * التي تُعد بالمئات، في انتظار الطائرات البريطانية التي تصبحها وتمسيها كل يوم، حتى إذا أصلتها ضربًا أو تمزيقــًا، وأوسعتها تدميرًا وتحريقــًا، عادت إلى حظائرها وكأنها لم تُعان غزوًا، ولم تلاق عدوًا، أفتراك يا ماريشال، قد تعهدت للإنجليز بأن تعينهم على تمرين طياريهم في إصابة الهداف وتسديد المرامي، فنثرت لهم الطيارات في كل مطار، ليتعلموا فيها الرماية في كل ليل وفي كل نهار؟*

ألا خبرني بعيشك؟ لماذا حشدت كل هذه الجيوش؟ وهي لا تضطلع من أعباء الحرب بأكثر من التسليم! ولماذا أقمت كل تلك الحصون؟ وهي لم تقم بأكثر من تفتيح الأبواب للغازي المُغير! ولم أرصدت كل هاتيك الموبقات الفواتك من آلات الحروب؟ إذ هي لم تصنع أكثر من أن تعد نفسها غنيمة للعدو باردة برود الثلج!

* المقصود بها هنا حظائر الطائرات.

ثم ماذا كنت تصنع أنت، يا ماريشال؟

لم يسمع أحد قط أنك قمت بهجمة، أو تحركت لاتقاء صدمة أو أمددت فيلقًا رق حبله، أو انجدت جيشًا انهد حيله! (٧٨)

صدقني يا ماريشال ــ فنحن أهل الجنة لا نكذب أبدًا ــ صدقني إذا قلت لك أنك لو كنت ماريشالاً في رواية مسرحية وجرى في أحداثها بعض هذا الذي يجري في لوبيا، لكان لك من الأثر ــ في عالم الحقيقة ــ أكثر مما رأى العالم منك في هذه الحرب، إذ لم يكن أقل من أن يصدع الماريشال الممثل كرسيًا، أو يكسر طبقًا أو يُمزّق، ولو بأسنانه، ستارًا، صدقني يا ماريشال، إنك لو كان في موضعك هر لصارع أو حمام لدافع وقارع، أو طفل لنضح، أو جديٌ لنطح! (٧٩)

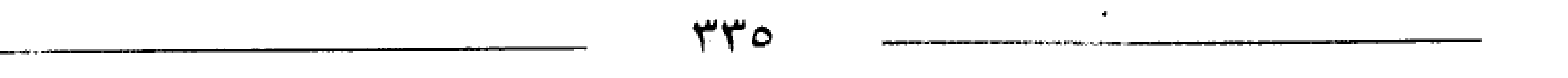
ولم يفُت البشري، أو المختار، أن يواجه جرازياني سند إيطاليا ومعقل آمالها في ملك روما القديمة بالفشل الذي واجهه حتى وإن نجح في أسره وإعدامه. وحمَّله في النهاية تهنئة ساخرة إلى موسوليني قيصر الرومان العظيم!

وجديرٌ بالذِّكر أن خطابات المختار جاءت موقعة كما يلي:

جنة عدن في ٢ من المحرم عام ١٣٦٠ (٨٠).

وكان على المختار أن ينتظر ردًا من جرازياني الذي كان المُنَفِّذ المادي لعمليات الإبادة التي نزلت على رؤوس أهل المستعمرة حتى أصبح رمزًا لصلَف الاستعمار الإيطالي كله، هذا الرجل الذي تظهر عجرفته بكامل عنفها في وثيقة تتعرض لسيرته الذاتية يرجع تاريخها إلى عام ١٩٣٠، حيث يُنصِّب نفسه كرجل القدر الذي يرتبط به مصير الأمة الاستعماري، ويفتخر بكونه وُلِد من أب لاتيني وأم رومانية، وبأن نزعته كانت ملَكية منذ طفولته، كما أنه كان فاشيًا منذ ولادته... احتقر الخنوع والانحطاط بأنواعه(٨١).

كما إدعى بأنه وُلِد رقيق العاطفة، تغلب عليه الرومانتيكية، ورغم ذلك استطاع أن يتحلى بالواقعية بصورة مطلقة، وبعد سنين من الحياة في الحاميات افتتن بأفريقيا



فاستحوذت على مشاعره وحررته من كل خمول ومهرته بما يُميّزه من طباع وخصائل[٨٢].

هذا التفاخر والتباهي لا نجد له أثرًا في خطاب جرازياني، عندما تكشف لقادة الفاشست في ميادين الحرب والسياسة، تلك الحقائق القاسية، فيصحو جرازياني على الحقيقة المؤلمة ليتحسر قائلاً:

أما افريقيا وما أدراك ما أفريقيا! واخيبتاه هي مناط الحلم العظيم.

لقد تكشف لنا نحن قادة الفاشست في ميادين الحرب والسياسة جميعًا، تلك الحقائق القاسية الأليمة التي منها أننا لم نُخلق لحرب ولا لقتال، فقد طُبعنا على الفن الجميل، فنحن أدق الناس إذا حفرنا أو صورنا، نحن أجود الخلق إذا غنينا أو عزفنا، وأبرع العالمين إذا رقصنا أو قصفنا، وأمهرهم وعدنا فأخلفنا، وما لنا وراء ذلك بالحرب ولا بغير الحرب يدان[٨٣].

على أن الشيطان زيّن لنا الفتح والاستعمار، ويسّر لأنفسنا الحرب في سبيلهما [٨٤].

وهكذا أبرز لنا البشري مدى فهمه العميق لعقدة الاستعمار التي شكلت عنصرًا متلازمًا للفاشية، الذي امتد ليشمل ـ بطريقة أو بأخرى ـ سائر الحركات الفاشية الكبرى والتقليدية حتى الفاشية الايبيرية (الإسبانية)[٨٥].

وبالنسبة للسياسة الإيطالية فقد أصبحت فاشية الروح والطابع تشيد بجرازياني وبروحه الرومانية للثأر، فيتحدث موسوليني عن برقة الخضراء بأشجارها، والحمراء بالدم، وهي صيغ بلاغية واستعارة بديعية مُضللة تنم عن مدى ثِقل الضغط الذي يُمارس على الرأي العام في إيطاليا[٨٦].

ويمضي البشري شارحًا على لسان جرازياني كيفية استعمار ليبيا بقوله:

لقد صبحنا هؤلاء بكل ما عندنا من كل فاتك قاصف، ومُدمدم عاصف وبكل ما يتطاير بالحمم، ويرمي عزيفه بالصمم، فسرعان ما سلموا واستكانوا، وسرعان ما خضعوا ودانوا، وبعد لأي أطبقنا على طرابلس، ثم نما يليها من صحراء لوبيا، حيث

القوم أهل بادية، الشعير طعامهم والخيام مثواهم ومنامهم. وأما مسعدهم من السلاح فظبي السيوف وأسنة الرماح. فإذا كان في أيدي بعضهم شئ من البنادق القديمة، فمما لا غناء فيه ولا أضحت له قيمة. وأما مركبهم إذا اضطربوا في صحاريهم، فالإبل المهزولة تحمل معهم متاعهم وزادهم وعُدتهم وعتادهم. لقد أطبقنا على هؤلاء ثم على هؤلاء وصببنا عليهم من النار ما لا يثبت له الحديد المُصفى (الفولاذ) فكيف بالإنسان(٨٧).

وكم هو مذهل أن يكون هذا الشيخ المُعمم على أعلى درجة من درجات فهم المخطط الاستعماري الفاشي الذي يحلم بأن يُحقق قيام "إيطاليا ما وراء البحار" الاكتفاء الذاتي والتكامل السكاني، فها هو لويجي فيدرزوني – وكان وزيرًا للمستعمرات في العشرينات – يقول بأن «من أفضل الأعمال التي تم إنجازها بعد "الزحف على روما" كان إعادة احتلال ليبيا في الفترة من ١٩٢٢ إلى ١٩٣١. حيث مثلت أهمية للاستيطان الإيطالي على أرض ليبيا بنقل أعداد ضخمة من عائلات المزارعين الإيطاليين إلى هناك "دفعة واحدة"»(٨٨).

فها هو جرازياني يقول في خطابه:

ثم رمينا أهل هذه البلاد بكل متعطل في بلادنا ومن لا يجد فيها إلى القوت سبيلًا، وكلما شام هؤلاء المرتزقة رقعة من الأرض تنطف ولو بالنزر من الماء وتُخرّج حتى الرقيق من النبات، أجلوا أولئك المساكين عنها ودعوهم إلى بطن الصحراء!! (٨٩)

ولأن البشري كتب تلك الخطابات بعد عشر سنوات من إعدام المختار، فقد عرض في خطابه السياسة التي انتهجتها إيطاليا في المرحلة التالية، فقد خاطب بادليو الجنود في اليوم التالي لإعدام عمر المختار شنقـًا، حاثـًا إياهم على عدم التراخي:

(واصلّوا الضرب... والضرب العنيف مادام يوجد عاصي واحد واقفًا على قدميه... فبذلك سينتهي أمر العصيان إلى الأبد في فترة وجيزة)(٩٠) فقد كانت روما تنظر منذ اليوم التالي لأحداث عام ١٩٣١ إلى أهداف أخرى وتستعد لبلوغها، وليبيا بالنسبة للأطماع الإمبريالية الفاشية لم تعُد سوى خطوة أولى على سلم برنامج أعظم يتضمن

البحر الأبيض المتوسط[٩١].

فيقول جرازياني في خطابه:

إذًا فنحن دولة عظيمة، لا تقل عن أعظم دول الأرض في البأس والسلطان. فليت شعري لماذا لا ننتضي السيف، ونمضي، على اسم الإمبراطورية الرومانية، غازين فاتحين، ذات الشمال وذات اليمين؟!

تُرى ما الذي يعوزنا لنكون كذلك؟ وهذه جيوشنا المُدرَّبة على خير الأساليب العسكرية، تُعد بالملايين، وقد زودت بأكفى الأسلحة وأمضاها في الحروب الحديثة. وهذه طياراتنا إن شئنا حجبنا بها وجه الشمس عن العالم، وهذه أساطيلنا تُغطي ثلج البحار، غادية رائحة حتى أضحى البحر المتوسط بفضلها، بحيرة إيطالية، لا يدافعنا عن سلطاننا فيها إنسي ولا جان[٩٢].

أما باقي الحلم الروماني فقد عُقِّد الأمل في تحقيقه بسيف داعيكم جرازياني وعسكره الذي لم يتهيأ مثله عُدةً ولا عددًا لا للإسكندر الأكبر، ولا لهانيبال، ولا لبونابرت[٩٣].

إذًا فلنفتح مصر حالاً، ولنسلك منها فورًا إلى السودان، والملتقى مع دوق داوست في حدود الحبشة بمشيئة الدوتشي لا بمشيئة الله[٩٤].

هذا الصلَّف والتجبُر والغرور سرعان ما انهار فقد تبخر حلم غلاة الوطنيين في أن يحقق قيام "إيطاليا ما وراء البحار" حلاً لمشاكلها وفي نهاية هذا التسابُق المحمـوم الطويل، لم يتبق لهم إلا الحسرة على عدم التوقف في الوقـت المناسـب، خاصـةً وأن الاستعدادات الدفاعية والعسكرية في برقة بالذات قد اتضح إبان الحرب العالمية الثانيـة ضعفها وعدم قدرتها على الصمود وصد هجمات القوات المُعادية[٩٥].

وإذا كان ما تقدم تقييم لواحد من المتخصصين بدراسة المد الفاشي في شـمال أفريقيا، فإننا نرى صداه واضحًا في ذهن البشري حيث يتمثل جرازياني قائلاً:

فأما شمالها، فهذه لوبيا قد طارت، وهذه بني غازي قد طاحت، وهذا طريق النصر الذي عبدناه لاجتياح مصر، لقد أضحى لنا طريق الهزيمة والفرار! وربما سلمت

طرابلس قبل أن يصل إليك هذا الكتاب، وأما ملكنا الكبير في إريتريا[٩٦] والحبشة والصومال فقد تمزق ملكنا فيه شر تمزيق!!

أرأيت، يا سيدي المختار، أن الحلم الروماني إنما كان حقـًا؟ على أننا نهب اليوم من نومتنا تيك أهول هبوب!

تقول ليَّ في كتابك: أنك لو كنت ماريشالاً في رواية تمثيلية، لكسرت على الأقل طبقـًا، أو صدعت كرسيًا، أو قرضت بأسنانك ستارًا، ألا فأعلم، يا سيدي، أن الله قد عقد لساني في هذه الحرب ورمى يدي بالشلل. وهيهات الفعل أو القول لأشل اليد معقود اللسان!

ثم يُشهِد البشري جرازياني على نفسه بقوله:

وأخيرًا، فإذا كانت هذه الأهوال الكارثة قد علمتنا، نحن معشر الفاشيست، شيئًا فقد علمتنا شيئًا واحدًا، هو أن الحرب ليست جيوشًا تزم الأفق، ولو زُوّدت بجميع الفواتك المهلكات، من مدافع وبنادق ودبابات، ولا هي أساطيل تزحم نواصي البحار، ولا هي طيارات تسد جو السماء. إنما الحرب أولاً وأخر هي ... رجال!![٩٧]

وختم جرازياني خطابه بسؤاله عمر المختار: *تلـك بـأنكم أهـل دار سـؤالهم مقضي، ودعاؤهم مستجاب. فأدع ربك أن يقبضني ولكن على فراشي، فإنني لا أرى من العدل أن أموت كما يموت الجندي في ميدان القتال!!*

وكما أعتدنا من البشري لا تخلو كتاباته من طرافة، فقد ختم خطاب جرازيـــاني بمخاطبة الأخير عمر المختار قائلاً:

وإذا تفضلت وكتبت إليّ فعنواني الجديد:

وادي لظى ــ جهنم

يُحفظ بشباك البوستة

١٧ يناير ١٩٤١[٩٨]

وإذا كان البشري قد عبَّر بمقالاته عن صدق إيمانه بقضية المجاهدين الليبيين، وأظهر إعجابه بشخصية المختار، فإنه ألمح أيضًا إلى اعتقاد جرازياني ببطولة وصدق عدوه.

ولم يكن ذلك من قبيل المبالغة الأدبية أو المشاعر الجياشة التي شعر بها تجاه المختار، فإنه مع قراءة تقارير الجنرال، لا يصعُب على المرء ملاحظة ما يكنه للمجاهد العجوز من شعور معقد جدًا.

فقد ظل جرازياني يتساءل: لماذا يواصل أفراد المقاومة صمودهم، ويطرح السؤال على نفسه ليرد عليه بقوله: "أن عمر المختار لن يستلم أبدًا فهو في وضع يُمكنه من الهروب، فالثائر العجوز يُفلت دائمًا بجلدته، وسوف يقاوم دون أن يفقد الأمل، ليس في تحقيق انتصار يرفع من وضعه المادي والمعنوي، بل في الله لإيمانه بقضاء الله وقدره ككل المسلمين"[99].

وفي تقرير أخر وصفه بأنه "كان موهوبًا، يتقد ذكاء وسرعة بديهة، كان غزير المعرفة بالدين، ويتمتع بالنشاط والصرامة، عاش فقيرًا، ورِّعًا، ومتمسكًا بدينه"[100].

وهكذا يمكن تفسير هذا الشعور المُعقد بأنه شعور يمتزج فيه الحقد بالاعجاب، والاحتقار للبدوي بالحسد لما لقيه هذا المناضل من إجلال وإكبار في كافة أنحاء العالم الإسلامي.

• **الهوية والانتماء:**

وأخيرًا فإن قراءة البشري في تلك المرحلة الثرية بحركات التحرر العربي تجعلنا نعترف بحقيقة أن فترة منتصف الثلاثينات حتى نهايتها مثلّت فترة التحول وظهور البُعد العربي واضحًا.

وإذا كان البعض يرى أن الإسلام كان إحدى الوسائط التي حملت مصر نحو علاقات أوثق مع شقيقاتها العربيات، إلا أنه من المنطقي أيضًا أن مصر قد شعرت بحريتها في إتباع سياسة خارجية أكثر استقلالاً بعد إبرام معاهدة ١٩٣٦ مع بريطانيا، وكان التقارب مع العرب آنئذ واحدًا من عدد من المسالك البديلة المتعددة المنفتحة

أمامها[١٠١].

وإذا كان أحمد لطفي السيد قد كتب في الجريدة عام ١٩١٣ أننا "نحن المصريين نُحب بلادنا ولا نقبل مطلقـاً أن ننتسب إلى وطن غير مصر مهما كانت أصولنا حجازية أو تركية"[١٠٢]. فإنه بات واضحًا بعد معاهدة ١٩٣٦ أنه ليس هناك صدام على الاطـلاق بين الوطنية المصرية والقومية العربية[١٠٣].

إذًا فهي الرجعة في رحلة البحث عن الانتماء والهويـة، مـن التحـديق عبـر المتوسط نحو "الذات الأخرى" الغربية المتفوقة ومحاولة التطابق معها في الهوية، إلـى مد البصر عبر سيناء نحو انتماء العروبة والإسلام بإتجاه إعـادة اكتـشاف الـذات (أو النحن) المتأصلة الراسخة[١٠٤].

ولا يمكن إغفال أن اضطرابات العرب وثوراتهم المتكررة في هذه الفترة كان لها الأثر الكبير الحاسم في الرأي العام المصري الذي أسهم في نمـو المنظمـات العربيـة وتزايُد قوتها[١٠٥].

غير أنه من المؤكد أن القادة السياسيين لم يكونوا البادئين الحقيقيين بـسياسة مصر العربية، فقد استجابوا فقط للضغوط التي أصبح تجاهُلها متعذرًا[١٠٦].

ومن الممكن إقتفاء أصول هذا التيار في ظهور المثقفـين الـذين نـشروا آراء اقتنع بها السياسيون فيما بعد، أو أُرغِموا على تأييدها.

وكان أولئك الذين شغلوا أنفسهم بالثقافة، ومنهم عبد العزيز البشري، هم أوائل من أكدوا على ضرورة إحياء اللغة العربية وتطويرها إلى ما يتلائم وحـضارة العـصر الحديث[١٠٧].

وهكذا فإن الحدة الجدلية التي طُرّحت بها مسألة العروبة في الثقافة المصرية منذ أوائل الثلاثينات، دلت على أن هذه المسألة كانت مسألة هوية مصيرية وانتماء كيـاني لابد من حسمها.

الهوامش :

* توماس فريدمان كاتب صحفي أمريكي شهير بجريدة نيويورك تايمز.

(١) يشارك البشري في قضية العمامة والطربوش والرغبة في التجديد من قبل أساتذة اللغة العربية الذين تطربشوا رغم أن التقاليد كانت تأبى على أستاذ العلوم الدينية واللغة العربية أن يتزيا بهذا الزي الإفرنجي. انظر: أنور الجندي: الشرق في فجر اليقظة (صورة اجتماعية للعصر من ١٨٧١– ١٩٣٩)، الأنجلو، القاهرة، د.ت.، ص ص ١٦٠– ١٦١.

(٢) جمال الدين الرمادي: من أعلام الأدب المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٢، ص٦٤.

(٣) آرثر جولد شميت: قاموس تراجم مصر الحديث، ترجمة: عبد الوهاب بكر، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٣.

(٤) خير الدين الزركلي: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، جـ٤، بيروت، ص ١٨.

(٥) انظر: عبد العزيز البشري: التربية الوطنية.

(٦) محمد عبد المنعم خفاجي: قصة الأدب في مصر، جـ٥، طـ١، القاهرة، ١٩٥٦، ص٤٣.

(٧) جمال الدين الرمادي: المرجع السابق، مجلد ٤، ص ص ٢٣٧، ٢٣٨.

* مما يُذكر للبشري أنه استوقفه ذات يوم أحد أبناء الريف في الطريق وقدم إليه ورقة فيها عنوان، وطلب من الشيخ أن يدله عليه. ولكن البشري وجد أن الخط ردئ بدرجة يصعُب معها أن يتعرف على تفاصيل العنوان وهنا أعاد الورقة إلى الفلاح قائلاً: "والله يا بني أنا مش قادر أقرأ العنوان". فإذا بالفلاح يصيح في وجهه غاضبًا: أُمال بس لابس عمة وموش عارف تقرأ؟! لوكان أي إنسان في موقف الشيخ البشري لغضب من هذا الموقف، أو ربما انصرف صامتًا ولكن البشري رفع العمامة من فوق رأسه ووضعها فوق رأس الفلاح وهو يقول له: اتفضل أنت اقرأ بقى. (أحمد زكي عبد الحليم: الشيخ عبد العزيز البشري .. ساخرًا، مجلة الهلال،

ثقافية شهرية، فبراير ٢٠٠٦، ص ١٦٩)؛ كما قيل أن البشري عندما كان طالبًا في الأزهر ذهب يومًا إلى بائع ليشتري غذاءه، ولم يكن معه إلا خمسة مليمات وهي لا تكفي إلا لشراء رغيف من الخبز، وعز على البشري أن يأكل الرغيف دون آدام فاعطى البائع المليمات الخمسة وقال: اعطني رغيف خبز. ومد الرجل يده بالرغيف وتعمد البشري أن يفلته عند تناوله فسقط الرغيف في وعاء مكشوف فيه سلطة لبن، فأراد البائع أن يُبدله له بغيره ولكنه قال له: "معلهش... معلهش أكله كده." وهكذا فاز البشري بغموس دون ثمن. (جمال الدين الرمادي: صحافة الفكاهة وصانعوها، مذاهب وشخصيات، العدد٤٥، القاهرة،١٩٦٣، ص ٧٣.

(٨) لمزيد من التفصيل حول الفكاهة في الأدب كرسالة اجتماعية انظر: عوض الغباري: السخرية في أدب الشيخ عبد العزيز البشري، النقد الأدبي واتجاهات التفكير المعاصر، كلية الآداب، جامعة القاهرة، فرع بني سويف، أبحاث المؤتمر العلمي الأول لقسم اللغة العربية، ٢٠٠٤.

(٩) جمال الدين الرمادي: أدب البشري، القاهرة، ص ١٠٩.

(١٠) محمد نبيه حجاب: عبد العزيز البشري، الأديب الساخر، القاهرة، ١٩٩٨، ص ١٠.

(١١) لمزيد من التفصيل حول النكتة والكاريكاتير انظر: الفكاهة وآليات النقد الاجتماعي، تقارير بحث التراث والتغير الاجتماعي، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة،٢٠٠٤، ص ص ٥٠- ٦٣.

(١٢) جمال الدين الرمادي: من أعلام الأدب...، مرجع سابق، ص ٧٠.

(١٣) الكاريكاتير، جذوره تاريخية، الفكاهة وآليات النقد الاجتماعي...، مرجع سابق، ص ١٠٩.

(١٤) نقولا زيادة: تاريخ ليبيا الحديث، القاهرة، ١٩٥٨، ص١١١.

(١٥) عبد الله عبد الرازق: مصر وحركات التحرر الوطني في شمال أفريقيا، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، مصر النهضة، القاهرة، ١٩٨٦، ص ١٠٩.

(١٦) زاهية قدورة: تاريخ العرب الحديث، بيروت، ١٩٨٥، ص٤٠٦.

(١٧) قدري قلعجي: ثمانية من أبطال الحرب، بيروت، ١٩٨٥، ص ٦٠.

(١٨) عقيل بربار وأخرون: دراسات في التاريخ الليبي (١٩١١- ١٩٤٣)، جـ٢، ص ٢٥٥.

(١٩) أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، جـ٤، طـ٧، القاهرة، ١٩٨٤، ص ٣٨٦.

(٢٠) مجيد خدوري: ليبيا الحديثة، ترجمة: نقولا زيادة؛ ناصر الدين الأسد، بيروت، ١٩٦٦، ص ص ٢١٩- ٢٢٠.

(٢١) من هذه المراسيم مرسوم ١٧ أكتوبر ١٩١٢ الذي طلبت فيه إيطاليا من الليبيين قبول الحكم الإيطالي مع احتفاظهم بحرية ممارسة شعائرهم الدينية، المختار الطاهر كرفاع: الحركة العمالية في ليبيا ١٩٤٣- ١٩٦٩، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، الجماهيرية الليبية، ٢٠٠٠، ص ص ٢٠-٢١.

(٢٢) اينزو سانتاريللي: الفلسفة وراء إعادة احتلال ليبيا (١٩٢٢- ١٩٣١) عمر المختار وإعادة الاحتلال الفاشي لليبيا، ترجمة: عبد الرحمن العجيل، تقديم: عقيل بربار، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، سلسلة الدراسات المترجمة، الجماهيرية الليبية، ١٩٨٨، ص ٤٠.

(٢٣) نفسه، ص٤٩.

(٢٤) رودولفو جرازياني: إعادة السلام إلى برقة، ميلانو، ١٩٣٢، وصدرت ترجمة لهذا الكتاب باللغة العربية بعنوان: "برقة الهادئة" انظر سانتاريللي: المرجع السابق، ص ٥١.

(٢٥) نفسه، ص ٥٥.

(٢٦) نفسه، ص ٥٦.

(٢٧) نفسه، ص ٥٧.

(٢٨) نفسه.

(٢٩) تقرير من جراتزياني إلى بادوليو، المحفوظات التاريخية وزارة أفريقيا افيطالية، انظر: جورجوروشا: قمع المقاومة في برقة ١٩٢٧- ١٩٣١، عمر المختار، منشورات مركز جهاد الليبيين، ص ١٩٥.

(٣٠) قدري قلعجي: نفس المرجع، ص ٦٢.

(٣١) نفسه، ص ٦٣.
(٣٢) عقيل بربار: دراسات في التاريخ الليبي، مرجع سابق، ص ٢٢٨.
(٣٣) حسن عليّ خشيم: صفحات من جهادنا الوطني، طـ١، ١٩٧٢، ص ٧٢.
(٣٤) لمزيد من التفصيل انظر: جورجو روشا: العمليات فوق الجبل، عمر المختار وإعادة الاحتلال الفاشي لليبيا، ص ص ٧٠، ٨٥.
(٣٥) حسن عليّ خشيم: المرجع السابق، ص ٦٥.
(٣٦) قدري قلعجي: نفس المرجع، ص ٧٨؛ نقولا زيادة: نفس المرجع، ص ١١١.
(٣٧) قدري قلعجي: نفس المرجع، ص ٨٠.
(٣٨) عقيل بربار: إعادة الاحتلال الفاشي لليبيا، ص ٢٩٨.
(٣٩) جمال زكريا قاسم: موقف مصر من الحرب الإيطالية الليبية ١٩١١- ١٩١٤، كتاب ليبيا في التاريخ، الجامعة الليبية، ص ٣٣٧.
(٤٠) محمد فؤاد شكري: السنوسية دين ودولة، القاهرة، ١٩٤٨، ص ١٤٣. ولمزيد من التفصيل حول موقف الحركة الوطنية المصرية من الاستعمار الغربي للمغرب انظر: يونان لبيب رزق؛ محمد مزيَّن: تاريخ العلاقات المصرية المغربية منذ مطلع العصور الحديثة حتى عام ١٩١٢، تاريخ المصريين، العدد٣٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٠.
(٤١) عبد الله عبد الرازق: نفس المرجع، ص ١٢١.
(٤٢) جمال زكريا: نفس المرجع، ص ٣٣٨.
(٤٣) أحمد شفيق: حوليات مصر السياسية، الحولية الأولى ١٩٢٤، طـ١، القاهرة، ١٩٢٨، ص ص ٦٩، ٧٠.
(٤٤) محسن محمد: سرقة واحة مصرية، القاهرة، ١٩٨٠، ص ص ١٥، ٣٥.
(٤٥) لمزيد من التفصيل انظر: محمد الطيب الأشهب: برقة العربية أمس واليوم، القاهرة، ١٩٤٨؛ عبد الله عبد الرازق: المرجع السابق، ص ٣٩٠. ولمزيد من التفصيل حول مسألة الحدود الغربية واقتراحات لحل أزمة الجغبوب، انظر: أحمد شفيق: حوليات مصر..، مرجع سابق، الحولية الثانية ١٩٢٥، ص ص ٤٦٣- ٤٦٥.

(٤٦) جورجو روشا: نفس المرجع، ص ١٩٩؛ شوقي الجمل: دور مصر في أفريقيا في العصر الحديث، القاهرة،١٩٨٤، ص ٣٩١.

(٤٧) عبد الله عبد الرازق: نفس المرجع، ص ١٤١.

(٤٨) الطيب الأشهب: المرجع السابق، ص ص ٢٨٣- ٢٨٤.

(٤٩) جلال يحيي: تاريخ المغرب الكبير، القاهرة، ١٩٨١، ص ٦٦٧.

(٥٠) محمد حسين: الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، جـ١، القاهرة، ص ص ٣٥، ٣٦.

(٥١) عبد الله عبد الرازق: نفس المرجع، ص ص ١٤١، ١٤٢؛ لمزيد من التفصيل عن الحروب على حدود مصر، انظر: محمد حسين هيكل: مذكرات في السياسة المصرية، جـ٢ من ٢٩ يوليو ١٩٣٧ إلى ٢٦ يوليو ١٩٥٢، طـ٢، القاهرة، ص ص ١٥٨- ١٦٧.

(٥٢) عبد الله عبد الرازق: نفس المرجع، ص ١٤٥.

(٥٣) شوقي الجمل: نفس المرجع، ص ٣٩٢.

* أي المختار.

(٥٤) الاحتلال الفاشي لليبيا، ص ص ٢٩٧، ٢٩٨.

(٥٥) محمد جابر الأنصاري: تحولات الفكر والسياسة بمصر ومحيطها العربي، القاهرة، ٢٠٠٣، ص ١١٦.

(٥٦) نفسه، ص ١١٧.

(٥٧) محمد عمارة: العرب يستيقظون، فجر اليقظة العربية، طـ ٣، بيروت، ١٩٨١، ص ٢٤٤.

(٥٨) جورج انطونيوس: يقظة العرب، ص ٧٥.

(٥٩) محمد عفيفي: دراسات في تاريخ الفكر المصري، الجذور التاريخية للفكرة المتوسطية في مصر، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٣٨.

(٦٠) محمد جابر الأنصاري: تحولات الفكر والسياسة في الشرق العربي ١٩٣٠- ١٩٧٠، عالم المعرفة، العدد ٣٥، الكويت، ١٩٨٠، ص ص ٢٥، ٢٦.

(٦١) شوقي ضيف: الأدب العربي المعاصر، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٢٦٤.

(٦٢) محمد عبد المنعم خفاجي: نفس المرجع، ص ٥٤.
(٦٣) نفسه، ص ٥٥.
(٦٤) عبد العزيز البشري: قطوف، تقديم: طه حسين، كتاب مفتوح من عمر المختار إلى الماريشال جرازياني ، القاهرة، ١٩٩٨ ، ص ٦٥
(٦٥) نفسه، ص ٦٦.
(٦٦) نفسه، ص٦٧.
(٦٧) قدري قلعجي: المرجع السابق، ص ٨٣؛ زاهية قدورة: المرجع السابق: ص ٤٣٩.
(٦٨) عقيل بربار: عمر المختار وإعادة الاحتلال الفاشي...، مرجع سابق، ص ٤٩.
(٦٩) شوقي الجمل: المرجع السابق، ص ٣٧٦.
(٧٠) جورجو روشا: المرجع السابق، ص ١٩٨.
(٧١) جرازياني: عودة السلام إلى برقة، مرجع سابق، ص ١٥١.
(٧٢) شوقي الجمل: المرجع السابق، ص ٣٧٦.
(٧٣) البشري: قطوف، مرجع سابق، ص ٦٧.
(٧٤) نفسه، ص ٦٨.
(٧٥) محمد رفعت: تاريخ حوض البحر المتوسط، القاهرة، ١٩٥٩، ص ٣٢١.
(٧٦) سانتاريللي: المرجع السابق، ص ٣٨.
(٧٧) نفسه، ص ٤٠.
* المقصود بها هنا حظائر الطائرات.
(٧٨) البشري: المرجع السابق، ص ٧٠.
(٧٩) نفسه، ص ٧١.
(٨٠) نفسه.
(٨١) سانتاريللي: المرجع السابق، ص٥٠.
(٨٢) نفسه، ص٥١.
(٨٣) البشري: المرجع السابق، ص ٧٤.
(٨٤) نفسه، ص ص ٧٣، ٧٤.

(٨٥) سانتاريللي: المرجع السابق، ص ٢٦.
(٨٦) نفسه، ص ٥٢.
(٨٧) البشري: المرجع السابق، ص ص ٧٤، ٧٥.
(٨٨) سانتاريللي: المرجع السابق، ص ٢٥.
(٨٩) البشري: المرجع السابق، ص ٧٥.
(٩٠) نقلاً عن خطاب بادوليو، باولو مالنيزي: أرض الميعاد، ميلانو، ١٩٦٨؛ سانتاريللي: المرجع السابق، ص ٥٢.
(٩١) نفسه، ص ٥٥.
(٩٢) البشري: المرجع السابق، ص ٧٦.
(٩٣) نفسه، ص ٧٧.
(٩٤) نفسه، ص ٧٨.
(٩٥) سانتاريللي: المرجع السابق، ص ٥٥.
(٩٦) البشري: المرجع السابق، ص ٧٨.
(٩٧) نفسه، ص ٧٩.
(٩٨) نفسه، ص ٨٠.
(٩٩) جورجو روشا: المرجع السابق، ص ٢٠٨.
(١٠٠) سانتاريللي: المرجع السابق، ص ٥٣.
(١٠١) محمد جابر الأنصاري: تحولات الفكر والسياسة بمصر، مرجع سابق، ص ١١٨.
(١٠٢) أحمد لطفي السيد: مصريتنا، يوليو ١٩١٣.
(١٠٣) جمال عبد الناصر: الميثاق الوطني، مايو ١٩٦٢؛ الأنصاري: تحولات الفكر والسياسة في الشرق، مرجع سابق، ص ٩٦.
(١٠٤) نقلاً عن الميثاق الوطني؛ المرجع السابق، ص ٩٦.

تبنى فكرة البُعد العربي المفكر الأنصاري الذي تساءل هل هي صدفة أن يتبلور تنظيم الضباط الأحرار والجيش المصري متجه إلى فلسطين عبر سيناء (ومتراجع عنها) عام ١٩٤٨، وأن يُحقق جيل الثورة أكبر نصر استراتيجي له على مشارف

سيناء بتأميم القنال ورد الحملة الغازية القادمة من الغرب عبر المتوسط في ١٩٥٦؟ وأن تمد مصر يدها إلى سوريا ١٩٥٨ عبر هذه الصحراء ورغم العقبات القائمة وراءها (إسرائيل) بل تحديًا لها؟ وأن يتلقى جيل الثورة أكبر هزيمة في حياته في صحراء سيناء وأن ينبه جيشه فيها تحت لهب حارق؟ كي لا يجرؤ جيل مصري أخر على هذا التطلع الخطير عبر سيناء. وأن تشن مصر حرب أكتوبر ١٩٧٣ لتعبُر على سيناء ولو عشرة أميال؟؟

الأنصاري: تحولات الفكر في الشرق، مرجع سابق، ص ص ٩٧، ٩٨.

(١٠٥) الأنصاري: تحولات الفكر بمصر، مرجع سابق، ص ١١٨.

(١٠٦) نفسه، ص ١١٩.

(١٠٧) نفسه.